

١٠٨

تفسير

آيَاتُ الْمُقْرَبِينَ

الجزء الرابع
من سورة فصلت إلى سورة العشر

د. الشيخ فوزي محمد فوزي

دار الإيمان والحياة

تَمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ

Again on Us (devolves) the explaining of it.
[75:19]

الكتاب
المؤلف
الطبعة الأولى
كتاب رقم
السلسلة
الداخلي
الغلاف
إشراف
إيداع محلي
ترقيم دولي

تفسير آيات المقربين - جزء ٤
الشيخ فوزي محمد أبو زيد
24 مايو ٢٠١٨ م. ٩ رمضان ١٤٣٩ هـ
المائة والثمانية من المطبوع
تفسير القرآن الكريم، الكتاب العاشر
٤٤٨ ص * ٨٠ جم / ١٧ * ٢٤، ١ لون
كوشيه مط * ٣٥٠ جم * ٤ لون، سلوفان مط
دار الإيمان والحياة، ١١٤ ش ١٠٥،
المعادي، القاهرة، ج.م.ع، ت:
٠٠٢٠-٢-٢٥٢٥٢١٤٠

٢٠١٨/10955
٩٧٨-٩٧٧-٩٠-5517-6



طباعة دار النوبار للطباعة بالعبور

مقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله آتى نفوسها تقواها وألهمها ما فيه رضاه، ونسأله ﷻ أن يزكي نفوسنا ويصفي قلوبنا ويلهمنا من عنده الصواب في فهم الخطاب الوارد عن حضرته في كتابه.

والصلاة والسلام على من جعل الله قلبه محلاً لنزول القرآن ولسانه الناطق دوماً بكلام الرحمن، وجوارحه وجسمه خير تطبيق عملي في حركاته وسكناته للقرآن سيدنا محمد وآله أهل الله وخاصته وصحابته الوارثين لنهجه المبارك في دعوته وكل من مشى على نهجه وعمل بشريعته، واجعلنا يا ربنا ممن خصصتهم بمحبتك ومحبتهم وبعد،

قد أكرمنا الكريم سبحانه وتعالى استكمال تفسير الآيات الخاصة بالمقربين وفي هذا الجزء الرابع نستكمل تفسير الآيات من سورة فصلت إلى آخر سورة الحشر، وهناك ملحوظة نلفت إليها الأنظار في كل تفسير لنا في آيات القرآن الكريم وهي:

نحن إذا تكلمنا في أي قضية أو مسألة علمية أو دينية في كتاب الله، أو في حديث رسول الله، أو في دين الله، ننظر في آراء العلماء، فنجد آراء كثيرة، وعندما نكلم متخصصين إن كان في الجامعة أو غيرها، فإننا نأتي بآراء العلماء، والحمد لله نعرفها، لكننا نختصر دائماً في مواجهة الأحاب فنأتي بالرأي الذي أجمع عليه السادة العلماء.

لأن البعض قد ينتقض ويقول: الشيخ قال في هذه الآية كذا، وهناك رأيي بكذا!! فأنا أعرف هذا الرأي، لكني آتي بالرأي الذي أتفق عليه، والذي أجمع عليه العلماء، وباقي الآراء الأخرى لا نحتاجها في شيء، ولكن يحتاجها متخصص يُدرّس تفسير، أو يُدرّس حديث، أو يُدرّس فقه، فيحتاج إلى هذه الآراء المختلفة ليستعرضها ويُعرضها.

لكن درس عام في مسجد، إن كان في خطبة جمعة، أو في درس لو أتيت بآراء العلماء قد تحدث بلبلة عند الناس، فأنا آتي باختصار مباشرة الرأي الذي يتوافق مع الحضور، والذي اتفق عليه العلماء الأجلاء، كسنة سيدنا رسول الله ﷺ التي يقول لنا فيها:

{ إِنَّ اللَّهَ لَا يَجْمَعُ أُمَّتِي عَلَى ضَلَالَةٍ }

١ جامع الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما

الرأي الذي أجمع عليه العلماء لا يكون فيه ضلالة، ويكون هو الرأي الصواب، والآراء الأخرى نسميها آراء شاذة، ولا شأن لنا بهذه الآراء الشاذة، ونأخذ بالرأي الصواب الذي أجمع عليه السادة العلماء.

قد نلجأ لبعض هذه الآراء الشاذة في ضرورة من الضرورات، ولكن هذا لمن يُفتي في مسألة واحترار في حلها، فيأخذ برأي آخر، ولكن ليس هذا لنا، بل نأخذ بالرأي الذي أجمع عليه العلماء.

نسأل الله تبارك وتعالى أن يتعهدنا بتوفيقه وأن يكرمنا بفضله ومنه وجوده بالحفظ من الأهواء المضلة، والزيغ عن الحق، وأن يلبسنا حلة الصدق في القول والعمل ويلحقنا بالصادقين ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ ﴿٤٢﴾ وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٤٣﴾ وَأَجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ﴾ (الشعراء)

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين

اليوم الجمعة ٢٧ من أبريل ٢٠١٨

الموافق ١١ من شعبان ١٤٣٩ هـ



البريد : الجميزة . محافظة الغربية ، جمهورية مصر العربية

تليفون : ٠٠٢٠-٤٠-٤٣٤٠٥١٩

موقع الإنترنت: WWW.Fawzyabuzeid.com

البريد الإلكتروني: fawzy@Fawzyabuzeid.com

fawzyabuzeid@hotmail.com,

fwzyabuzeid48@gmail.com,

fawzyabuzeid@yahoo.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ
اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ
أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ
الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٢٠﴾ خُنْ
أَوْلِيَاؤَكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي
الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى
أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٢١﴾
نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٢٢﴾ وَمَنْ
أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ
وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّي مِنَ

الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ
وَلَا السَّيِّئَةُ أَدْفَعُ بِأَلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ
فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ
كَأَنَّهُ وَليٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلْقَاهَا
إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو
حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ (فصلت)

١. أهل الاستقامة والكرامة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - الحمد لله الذي أكرمنا بهُداه، وأجرى بذاته القدسية في قلوبنا كلمة (لا إله إلا الله) ونسأله ﷻ أن يُثبتنا عليها، ويُوفقنا للعمل بها حتى نلقاه، فنخرج من الدنيا في أهبى حُلل الشوق والرضوان للقاء حضرة الله جل في علاه، والصلاة والسلام على مسك الختام، والرسول العام لجميع الأنام، الذي أكمل الله به كلمة الإسلام، فلا تُقبل من قائل إلا إذا أضاف إليها (محمد رسول الله) صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَالصَّحَابَةِ أَصْحَابِهِ الْكِرَامِ، وكل من اهتدى بهديه إلى يوم العرض والرحام، واجعلنا منهم ومعهم أجمعين بِمَنِّكَ وجودك وكرمك يا أكرم الأكرمين.

الآيات التي معنا اليوم من كلام ربنا تبارك وتعالى، فيها بُشرى عظيمة وجميلة لكل من قال: (لا إله إلا الله محمد رسول الله) والبعض في عصرنا حملها فوق طاقتها في تفسيرهم لها، مع أننا لو رجعنا إلى تفسير النبي لها، وتفسير الخلفاء الراشدين والصحابة المباركين لها، نجد تيسيراً وليس تعسير، يجعلها تشمل كل من نطق بالشهادتين ولو مرة واحدة في عُمره.

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقِيمُوا﴾ على أي شيء استقاموا؟ وهذا الذي جعل بعض المعاصرين شددوا فيه على المسلمين، مع أن سيدنا رسول الله ﷺ يقول:

{ إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَبْعَثْنِي مُعَنَّئًا وَلَا مُتَعَنَّئًا، وَلَكِنْ بَعَثَنِي مُعَلِّمًا مَيْسِرًا }^٢

وكان يقول للهداة والدعاة والمرشدين:

{ يَسِرًّا وَلَا تُعَسِّرًا، وَبَشْرًا وَلَا تُنْفِرًا }^٤

والآية واضحة وصریحة، إن الذين عملوا، أم (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا)؟! ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقِيمُوا﴾ قالوا ربنا الله ثم استقاموا على العمل بها، أو استقاموا على ترادها والإقرار بها حتى يلقوا الله تبارك وتعالى، فلم يُغير دينه، ولم يُغير هديه، وإنما تَمَسَّكَ بِاللَّهِ،

٢ مركز شباب الطود بالحسينات شرق - الأقصر ١٧ من صفر ١٤٣٩هـ ١١/٦/٢٠١٧م

٣ صحيح مسلم والبيهقي عن جابر بن عبد الله ﷺ

٤ البخاري ومسلم عن عبد الله بن قيس ﷺ

وبالحبيب المصطفى رسول الله، وبالقرآن كتاب الله، وبالإسلام دين الله، حتى فارق الحياة.

تنزل الملائكة

هذا ماذا يكون له عند الله؟ ﴿ تَنْزَلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ ﴾ لم يقل تنزل، ولكن قال: (تنزل) أي مرات كثيرة، مرة عند لقاء الله يجد الملائكة ملائكة الرحمة جاءت تـبشـره بفضـل الله وإكرام الله ورضوان الله.

لأن ساعة الموت للإنسان إما أن تأتيه لجنة من ملائكة الجنة - نسأل الله أن نكون من أهل هذا المقام أجمعين - أو تأتيه لجنة من زبانية جهنم والعياذ بالله ﷻ، إذا كانت اللجنة من الجنة فسيأتون معهم كفن طيب الرائحة، ورائحة لا مثيل لها في الدنيا في الطيب، معهم حنوط من الجنة، وعطر من الجنة، وصف حضرة النبي ﷺ المؤمن في هذه الحالة فقال:

{ إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مَلَائِكَةٌ مِنَ السَّمَاءِ بِيضُ الْوُجُوهِ، كَأَنَّ وُجُوهُهُمُ الشَّمْسُ، مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ، وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ، حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصْرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَيُّهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ، اخْرُجِي إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ، قَالَ: فَتَخْرُجُ تَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنْ فِي السَّقَاءِ، فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدْعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَأْخُذُهَا، فَيَجْعَلُوهَا فِي ذَلِكَ الْكَفَنِ، وَفِي ذَلِكَ الْحَنُوطِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَطِيبِ نَفْحَةٍ مِنْكَ وَجِدْتَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، قَالَ: فَيَصْعَدُونَ بِهَا، فَلَا يَمْرُونَ بِهَا عَلَى مَالٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الطَّيِّبُ؟! فَيَقُولُونَ: فَلَانُ بْنُ فَلَانٍ، بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانُوا يُسَمُّونَهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا، حَتَّى يَنْتَهُوا بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَسْتَفْتِحُونَ لَهُ، فَيَفْتَحُ لَهُمْ، فَيُشَيِّعُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي لَهَا، حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ^٥

٥ مسند أحمد والحاكم في المستدرک عن البراء بن عازب ؓ

الكنز المصبوح تفسير آيات المقربين

d d d d d d d d d d d d d d d d d d d

إن العبد المؤمن إذا كان في إقبال على الآخرة، وإدبار من الدنيا، نزلت إليه ملائكة من الجنة ومعهم حنوط - طيبٌ وعطر - من الجنة، ومعهم كفنٌ من الجنة يجلسون منه مدَّ البصر، وهو يراهم في هذه اللحظات ولا يراهم: ﴿ فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾ (٢٢ق) يُكشَف عنه الحجاب ويرى ما لانراه ونحن حوله، ويقولون له: أبشر بخير يوم مرَّ عليك مُذ ولدتك أُمك في هذه الحياة.

فكيف يقبضون روحه؟ يقبضونها بلا عذاب ولا تأنيب ولا أي شيء من هذا القبيل، فتخرج الروح بيسر ولين للقاء رب العالمين، فكما ذكر حضرة النبي، يقولون لها: (أَيْتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ، اخْرُجِي إِلَى مَقَرِّكَ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانِهِ) فتخرج الروح على الفور بهذه الكيفية.

ثم يلقونها بالكفن، ويضعون عليها الحنوط، نحن هنا نكفِّن الجسم، وهم يكفنون الروح ولا يراهم، لأنهم في عالم غير مرئي إلا لصاحب جلاءٍ بصري، عنده بصيرة منيرة.

﴿ يَتَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴾ (٤٧) ﴿ أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴾ (٦٨) ﴿ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴾ (٦٩) ﴿ وَأَدْخُلِي جَنَّتِي ﴾ (الفجر) تدخل في عباد الله الصالحين السابقين: ﴿ مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ ﴾ (٢٩الفتح) ومن بعدهم من الصالحين إلى يومنا هذا، فيكونون هم من المستقبلين لها في جنة النعيم.

ثم يصعدون بها حتى تصل إلى أبواب السماء الدنيا، فتفتح لها أبواب السماء، ويأمر الله تبارك وتعالى وُجْهَاءَ السَّمَاءِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ أَنْ يَكُونُوا فِي اسْتِقْبَالِهَا، فيستقبله على باب كل سماء وُجْهَاءُهَا مِنَ الْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ.

وهذا التنزل الأول من ملائكة الله للعبد المؤمن الذي نطق بالشهادتين واستقر عليهما إلى أن فارق الحياة.

متى ينزلون للمرة الثانية؟ بعد أن ندفنه ونتركه وحيداً ونرجع، فيأتيه أحدهم، كما وصف حضرة النبي:

{ وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ، حَسَنُ الثِّيَابِ، طَيِّبُ الرَّيْحِ، فَيَقُولُ: أَبَشِرْ بِالَّذِي

d d d d d d d d d d d d d d d d d d d

يَسْرُكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعِدُ، فَيَقُولُ لَهُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهَكَ وَجْهَ يَحْيَىٰ
بِالْخَيْرِ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ {^٦

يأتيه رجل شديد بياض الثياب، شديد بياض الوجه، جميل الرائحة، يتبسّم ويقول له:
السلام عليك يا فلان، فيقول: وعليك السلام، من أنت؟ ومن الذي أرسلك إليّ؟ فيقول:
أوما تعرفني؟ أنا عمالك الصالح، وأنا معك هنا إلى يوم القيامة.

يأتيه عمله الصالح، ومعه ملائكة الرحمن يؤنسونه في قبره إلى أن تقوم الساعة، وماذا
تفعل الملائكة؟ يربتون عليه ويقولون له كما أخبر حضرة النبي ﷺ:

{ تَمَّ كَنُومَةُ الْعُرُوسِ الَّذِي لَا يُوقِظُهُ إِلَّا أَحَبُّ أَهْلِهِ إِلَيْهِ حَتَّىٰ يَبْعَثَهُ اللَّهُ مِنْ مَضْجَعِهِ
ذَلِكَ }^٧

نحن معك هنا فاطمن ولا تخاف أبداً: ﴿الَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾ إياك أن تخاف ونحن
معك، وإياك أن تحزن ونحن معك، جننا هنا لنزِيل عنك كل غمٍ وكل همٍ وكل حُزنٍ لكي
تكون راضٍ عن الله تبارك وتعالى.

المرة الثالثة: عندما يخرج من الأرض إلى أرض المحشر والمنشر والحساب، في النشأة
الثانية: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ (٢٥ آل عمران) فيأتيه وفد من الحرس الإلهي
من الجنة، ومعهم شربة من حوض الكوثر، وثيابٌ من الجنة، ويقولون له: هنيئاً لك بفضل الله
وبإكرام الله، ويزفونه إلى موقفه في الحساب، إن كان قد حجز في المنصّة الرئيسية تحت ظل
عرش الرحمن يوم لا ظلَّ إلا ظلُّه، فيقولون له: تفضّل هنا واجلس وشاهد ماذا يحدث لهؤلاء.
وإن كان أعلى في المقام قليلاً يجعلون له منبراً من نور قُدام عرش الرحمن، فيقولون له:
إن لك منبراً هنا لأنك من الخواص، فيجلس على منبر من نور قُدام عرش الرحمن.

وإن كان أعلى وأرقى، فيقولون له: مكانك ليس هنا، أنت ستصعد معنا من إلى الجنة
وقد جهّزنا لك شرفتك في الجنة، فتجلس فيها وتشاهد كل ما يحدث في أرض الموقف وأنت

^٦ مسند أحمد والحاكم عن البراء بن عازب ؓ
^٧ جامع الترمذي وابن حبان عن أبي هريرة ؓ

في نعيم الجنة: ﴿ عَلَى الْأَرَابِكِ يَنْظُرُونَ ﴾ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٢﴾ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٣﴾ خِتْمُهُمُ مِسْكٌ ﴿المطففين﴾ نسأل الله ﷻ أن نكون مع هؤلاء أجمعين إن شاء الله.

وانتبه دائماً وضع في نيتك أن يكون لك منزلة طيبة مع هؤلاء، وإياك أن تضحك عليك نفسك وتلعب بك الدنيا والأهواء والشهوات، وتخرج من هنا وأنت مُفلس، فليس هناك مساكن للإيجار، ولا يقرض أحدٌ أحداً، فليس هناك غير عملك الصالح الذي يُبلغك المنزلة التي كنت تطلبها في الدنيا وتريدها.

سيدنا عمر بن عبد العزيز ؓ في اللحظات الأخيرة له، نظر وأطال النظر وقال لمن حوله: إني أرى حضرة ما هم بجنّ ولا إنس - هم ملائكة - وتبسّم وقال: ﴿ لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَمَلُونَ ﴾ (٦١ الصفات) ليت الناس ينتبهون ويعملون لهذا اليوم.

فهذه هي المرات الأساسية التي تنزل فيها الملائكة، لكن هناك أناس وهم في الدنيا تنزل لهم الملائكة مراراً وتكراراً إن كان في ليلة القدر يبلغونهم السلام والتحية والإكرام من حضرة السلام.

أو في الليالي التي يُحيونها بطاعة الله والناس نيام فيأتسوا بهم، حتى أن بعض البشر يكون له أصحابٌ من الملائكة ينزلون له ليأتسوا به، ولكن يأتسوا به بأسرار قرآنية وعُلومٍ ربانية وأحوال إلهية مع بعضهم في هذه الآنات والتوجهات.

كل ما يحتاجه المؤمن في الدنيا، وما يريد الله منك، وما يريدك الدين منك هو حُسن تقسيم الأوقات، الدين لا يمنعك من الدنيا ولا من الملذات ولا من الشهوات ما دامت من حلال، ولكن كل ما في الأمر هو تنظيم أوقاتك بحيث أن لا يطغى شيء على شيء:

{ فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ }^٨

سيدنا داود عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام مع أنه كان نبياً وملكاً، إلا أنه كان مُقسِّماً أيامه إلى ثلاثة أيام، يومٌ يجلس فيه للملك ويفتح الباب ويسمع للناس

٨ جامع الترمذي عن وهب بن وهب ؓ

وحاجاتهم ويقضي لهم شئوهم، ويومٌ لأهل بيته؛ نساؤه وأولاده، فينظر طلباتهم وحاجاتهم ويقضيهما لهم، لأنك مُكلفٌ بذلك، ويوم يدخل فيه الخلوة ويناجي فيها مولاه ولا يقابل فيها أحداً من خلق الله، ومشى على هذا التنظيم الرباني العظيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام.

وذات يوم كان جالساً في خلوته فنزل عليه جماعة من الملائكة نازلين وأخذوا يتحدثون معه - ولكن ليس كحديثنا كما قلتُ - ولكنه حديث رباني إلهي، ليس فيه غيبة ولا نيممة ولا كذب ولا زور، وإنما حديث كله نورٌ على نور.

فسعد بهم وطلب منهم أن يترددوا عليه دائماً، فكانوا ينزلون كل حين يجلسون معه ويتحدثون معه، وفي يوم من الأيام قال لهم: هل فيَّ عيبٌ؟ وانظر إلى فائدة الصديق، ما فائدة الصديق؟ أن يُظهر عيوي لأعالجها حتى لا يطلع عليها غيري، لكن الصديق الذي يرى عيوي ويتركها فهو صديق غير وفي، لأن غيره سيراها وينتقدها، فهو لا يتكلم ولكنه يترك الغير ينتقده، ففائدة الصديق أن يُظهر لي عيوي، وكان سيدنا عمر يقول: (رحم الله امرئاً أهدي إليَّ عيوب نفسي) يعني عندما يُظهر له عيوبه جعلها هدية له ليعالجها، لأنه من منا ليس فيه عيوب؟! لا يوجد غير واحد فقط وهو النبي ﷺ:

من ذا الذي ماساء قط ومن له الخسنى فقط
محمد الهادي الذي عليه جبريل قد هبط

هل يوجد أحدٌ غيره؟ لا، فكلنا فينا نقص وأحتاج إلى من يوجهني ومن يُرشدني، ولكن بالحكمة والموعظة الحسنة، فلا يفضحني، لأن من ينشر عيوي فهذا يفضحني، ومن يوجهني أمام الخلق أيضاً يفضحني، لكن يوجهني بالطريقة القرآنية النبوية.

فقال لهم: أفيَّ عيبٌ؟ قالوا: ليس فيك إلا عيبٌ واحدٌ أنك تأكل من بيت مال المسلمين!.

فهو خليفة ومَلِك فمَن يأكل؟ فقالوا له: الأكل في المقام أن تأكل من عمل يدك، ويكون عملك في المَلِك لله، والنبوة لله، وأنت وأولادك تأكلون من عمل يدك.

فنوى أن يأكل من عمل يده، وعندما يصدق الإنسان النية يُحقق الله ﷻ له الأمانة، فنوى أن يعمل عملاً بيده، فماذا يعمل؟ هل يعمل مع الناس في الأرض أو في الزراعة أو غيره؟ فألمه مولاة باختراع جديد لم يشهده الناس إلى عصره؛ أن يصنع لهم درع من حديد يلبسوه عند الحروب يتقوا به ضربات الرماح والسيوف.

وهذا الدرع من حديد، ولكي يُصنعه يحتاج إلى كور، ويحتاج إلى نار، فمن الذي يقوم بهذه الأمور؟! أعانه المعين ﷻ، وكما قال الله: ﴿وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ﴾ (١٠ سبأ) جعل الحديد في يده لينا يُشكله كما يريد، ولذلك حضرة النبي بين هذا المنهج الذي يُريده منا الله فقال:

{ مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ، خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ }^٩

نبي الله داود مع مشاغل الملك ... ومشاغل الأولاد ومشاغل النبوة
كان يأكل من عمل يده.

ونبي الله داود أعطانا سُنَّةَ أُخْرَى، فكان يشتغل ويعمل الدرع ويبيعه، ثم يقبض الثمن، فيشتري بثلثه حديد مرة ثانية، والثلث الثاني ينفقه على أهله، والثلث الثالث يتصدق به على الفقراء والمساكين.

ولذلك حضرة النبي حَبَّبَ لنا هذا المنهج النبوي وهو أن الإنسان يفعل ذلك في حياته، فمن يفعل ذلك في حياته ويحافظ على ذلك، فيا هنا، لأن الأمراض ستتركه هو وأولاده لأنه يخرج الصدقة على الدوام:

{ دَاوُودُ مَرْضَاكُمُ بِالصَّدَقَةِ، وَأَعِدُّوا لِلْبَلَاءِ الدُّعَاءَ }^{١٠}

البركة ستحلُّ عليه وعلى أرزاقه وعلى بيته وعلى أولاده آناء الليل وأطراف النهار، وضمن في الآخرة منزلة عظيمة فاخرة، لأن أعلى الدرجات يوم القيامة للمُنْفِقِينَ والمُتَصَدِّقِينَ عند الله تبارك وتعالى.

^٩ صحيح البخاري والبيهقي عن المقدم بن معدي ﷺ
^{١٠} معجم الطبراني ومسنَد الشهاب عن عبد الله بن مسعود ﷺ

وكذلك في الأمة عندنا رجال تنزل عليهم الملائكة، إن كان في أصحاب رسول الله ﷺ، وهؤلاء ورد عنهم في هذا الباب الشيء الكثير، أو من بعدهم من الصالحين، ولا زال هذا التنزل، فهذا الباب مفتوح إلى يوم الدين.

حقيقة الاستقامة

وهذا هو التنزل الذي يحدث في الحياة الدنيا، والذي صنع اللبس عند بعض المعاصرين أنهم قصرُوا الآية على تنزل الملائكة على الصالحين، ولذلك أخرجوا منها عوام المؤمنين، مع أن الآية في الأصل نزلت في عوام المؤمنين.

قال رجل لرسول الله: { يا رسول الله قل لي قولاً لا أسأل عنه أحداً بعدك، ما الروشة؟ قال: قل: آمَنْتُ بِاللَّهِ، ثُمَّ اسْتَقِمْتُ }^{١١}

على أي شيء يستقيم؟ سألو سيدنا أبو بكر فقال: (يستقيم على طاعة الله) وسألو سيدنا عمر، فقال: (يستقيم على الصدق ولا يروغ كما يروغ المنافقين) وسألو سيدنا عثمان فقال: (يستقيم على أداء فرائض الله تبارك وتعالى التي فرضها عليه) يستقيم على هذه الأحوال كلها.

وحتى لو لم يُوفق للإستقامة فإن له كرامة؛ أنه لن يُخلد في جهنم كالكافرين يوم القيامة، حتى ولو دخل فإن حضرة النبي سيشفع له، وسيُخرجه الله من النار ويدخله الجنة.

ويسأل أهل النار: أين ذهب هذا الرجل الذي كان معنا؟ فيقولون لهم: خرج إلى الجنة، لماذا؟ يقولون لهم: قال: (لا إله إلا الله محمد رسول الله) مرة، فيقولون: ليتنا قلناها ولو مرة واحدة: ﴿رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ (٢٠ الحج).

ونحن كلنا متى قلنا ﴿رُبَّمَا اللَّهُ﴾؟ ذكّرنا الله في القرآن، لأنه خلقنا في البدء قبل خلق الدنيا والأرض، خلقنا أرواحاً مجردة ليس فيها أجسام قبل خلق آدم، وأعطى لكل روح صورتها: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ﴾ كلكم ﴿ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾ كلكم ﴿ثُمَّ قَلْنَا لِلْمَلَكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ (١١ الأعراف) فقد خلقنا أرواحاً نورانية، وكل روح أخذت صورتها قبل تكوين جسم

^{١١} مسند أحمد وابن حبان ومسلم

آدم ودخول الروح فيه، وأمر الملائكة بالسجود له من الباري له تبارك وتعالى.

فَلِمَ خَلَقْنَا أرواحاً نورانية؟ ذكّرنا بها في الآية القرآنية: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا﴾ (الأعراف ١٧٢) هل قالوا: سمعنا؟ لا، بل قالوا: بلى شهدنا: ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا﴾ (الأعراف).

إذا فالروح شاهدت وسمعت وردت، وقالوا: ﴿بَلَىٰ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ (الأعراف) تذكروا هذا اليوم جيداً.

ففي هذا اليوم أنتم عاهدتم الله أن توحدوه ولا تُشركوا به شيئاً، وأن تطيعوه ولا تعصوه، وأن تشكروه ولا تجحدوه، وأن تذكروه ولا تنسوه، ونحن أخذنا كلنا فقلنا.

فكيف يعرف الله الصادق من غير الصادق؟ أنزلنا الله إلى الأرض، لينظر من الذي ستخدعه النفس وتجعله ينسى العهد الذي عاهد عليه الله، ومن الذي سيستقيم على ما عاهد عليه مولاه.

الذي سيستقيم يدخل في قول الله: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ﴾ من المؤمنين رجال يعني ليس كلهم، ونحن نريد أن نكون منهم ونحرص على ذلك: ﴿صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ (الأحزاب) في البدء القديم.

وحتى نتأكد أن الله أخذ علينا هذا العهد، كان سيدنا عمر يطوف بالبيت في عهد خلافته، فوقف عند الحجر الأسعد وقال له:

{ إِنِّي أَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ لَا تَضُرُّ، وَلَا تَنْفَعُ، وَلَوْلَا أَنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَبْلَكَ مَا قَبَّلْتُكَ، ثُمَّ قَبَّلُهُ، فَقَالَ لَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ بَلَىٰ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّهُ يَضُرُّ وَيَنْفَعُ، ثُمَّ قَالَ: بِكِتَابِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، قَالَ: وَأَيْنَ ذَلِكَ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ؟ قَالَ: قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾. ﴿خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ وَمَسَحَ عَلَىٰ ظَهْرِهِ فَقَرَّرَهُمُ بِأَنَّهُ الرَّبُّ، وَأَنَّهُمُ الْعَبِيدُ، وَأَخَذَ عُهْدَهُمْ وَمَوَائِقَهُمْ، وَكَتَبَ ذَلِكَ فِي رَقٍّ، وَكَانَ لِهَذَا الْحَجَرِ عَيْنَانِ﴾

وَلِسَانٌ، فَقَالَ لَهُ افْتَحْ فَاكَ، قَالَ: فَفَتَحَ فَاهُ فَأَلْقَمَهُ ذَلِكَ الرَّقَّ وَقَالَ: اشْهَدْ لِمَنْ وَأَفَاكَ
بِالْمُؤَافَاةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِنِّي أَشْهَدُ لَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:

{ يُؤْتَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِالْحَجَرِ الْأَسْوَدِ، وَلَهُ لِسَانٌ ذَلِقٌ، يَشْهَدُ لِمَنْ يَسْتَلِمُهُ
بِالتَّوْحِيدِ }^{١٢}

لماذا قال ذلك سيدنا عمر؟ لأنه كان حوله أناسٌ حديثي عهد بالجاهلية ولا يزالون
عندهم هواية وغواية في عبادة الأوثان، فيريد أن يُخرجهم من هذا الأمر.

فسيدنا علي ؑ وكرم الله وجهه قال له: يا أمير المؤمنين إنه ينفع ويضر بإذن الله، أما
علمت أن الله حين أخذ العهد على الذرية كتبه في رِقٍّ - يعني في كتاب - ثم ألقمه هذا
الحجر فهو يشهد لكل من استلمه بالوفاء عند الله يوم القيامة، ولذلك ورد أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ
عند استلامه الحجر قال:

{ اللَّهُمَّ إِيْمَانًا بِكَ وَتَصْدِيقًا بِكِتَابِكَ وَوَفَاءً بِعَهْدِكَ وَاتِّبَاعًا لِسُنَّةِ نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ ﷺ }^{١٣}

يعني أنا أُوِّفِي بالعهد الموجود في هذا الحجر، حجر صغير لكن فيه كاميرات غريبة
التكنولوجيا يقول فيها ﷺ:

{ لَيَبْعَثَنَّ اللَّهُ الْحَجَرَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَهُ عَيْنَانِ يُبْصِرُ بِهِمَا، وَلِسَانٌ يَنْطِقُ بِهِ، يَشْهَدُ بِهِ
لِمَنْ اسْتَلَمَهُ بِحَقٍّ }^{١٤}

كل من يقف أمامه يأخذ له صورة، أين تحفظ هذه الصور؟! ومتى تنحضر؟! هذا
علمٌ مكنوز، ورمزٌ من الرموز، لا يعلمه إلا الحي القيوم الذي لا تأخذه سنةٌ ولا نوم.

فظاهره حجر، لكن فيه كنزٌ من كنوز الأسرار الإلهية، لأن الله استودع فيه العهد الذي
أخذه على الذرية أجمعين في هذا اليوم.

سيدنا الإمام علي ؑ وكرم الله وجهه سأله أحد الناس وقال له: يا أمير المؤمنين أتذكر

١٢ الحاكم في المستدرک والبيهقي عن أبي سعيد الخدري ؓ

١٣ السنن الصغرى للبيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما

١٤ مسند أحمد والترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما

يوم الميثاق؟ قال: (نعم وأعلم من كان فيه عن يميني، ومن كان فيه عن يساري)

الذي كان على اليمين أعلم من هو، والذي كان على اليسار أعلم من هو.

لأنه الذي يصاحب إنساناً هنا ويستريح له، لماذا؟ لأنه كانت بينهما مودة هناك،

والنبي وضح هذه الحالة وقال فيها:

{ الأرواحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ وَمَا تَنَازَرَ مِنْهَا ائْتَلَفَ }^{١٥}

لا يريد أن يرى هذا الرجل، ولا يريد أن يعرفه أو الجلوس معه، مع أنه لم يجلس معه من قبل، لماذا؟ لأن السابقة حاکمة .. فكانت هذه أحوال ونحن نعيدها في الحياة الدنيا لتتذكر العهد والميثاق الذي أخذه علينا الكريم الخلاق تبارك وتعالى.

الإنسان يأتي في الدنيا لكي يستقيم على ما عاهد عليه الله تبارك وتعالى، ومع ذلك من إكرام الله لنا أن أنزل لنا نبياً رءوفاً رحيماً يُذَكِّرُنَا، ويُوضِح لنا ما ينفعنا، ويبين لنا ما يبعدنا، حتى لا يكون لنا حُجَّة عند الله ﷻ.

لأنه من الجائز أن نقول: نسينا، لذلك بعث إلينا بالمدكّر ولذلك حضرة النبي اسمه في القرآن: ﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ﴾ (الغاشية) ليس معلم، ولكن مدكّر، بماذا يُذَكِّرُنَا؟ يذَكِّرُنَا بالعهد القديم الذي أخذه علينا ربنا: ﴿ فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعْتَ الذِّكْرَى ﴾ (الأعلى).

الذكرى تنفع المؤمنين، ولكن الآخرين أخذ ينادي عليهم ويدعوهم وفي النهاية قال له الله: ﴿ إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْكَلِمَاتِ ﴾ (الأنمل) لم يكونوا ميتين، ولكن قلوبهم ميتة، أجساد تسير على الأرض ولكن القلوب التي فيها ميتة، والقلب الميت لا يسمع شيء.

فمن فضل الله علينا وإكرام الله لنا أن الله اختارنا في الأزل القديم وجعلنا كما قال في كلامه الكريم: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ (آل عمران) لم يقل: تكونون، ولكن قال: (كنتم) أي منذ هذا اليوم وأنتم أفضل أمة أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ؛ أمة المسلمين؛ أمة سيد الأولين والآخرين ﷺ.

الملائكة في كل مراحل الإنسان إن كان من أهل ولاية الله في الدنيا، وإن كان من أهل

^{١٥} صحيح مسلم وأبي داود عن أبي هريرة ﷺ

الاستقامة على قدره فيكون عند لحظة خروج روحه، وفي الحياة البرزخية، وعند خروجه للحياة الأخرية.

بشريات المؤمنين

هؤلاء الملائكة يُرسلهم الله في خدمته، ينزعوا منه الهم والغم والخوف:

﴿ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا ﴾ :: والإنسان يخاف على ما فات، يقول: يا ترى ما فات مني

ماذا سيحصل فيه؟ الذنب الذي عملته في يوم كذا، والمصيبة التي ارتكبتها يوم كذا، فيطمئنهم الله أن لا يخافوا على الذي فات، ولا يجزنوا على المستقبل، ماذا سيكون فيه مصيري؟ فلا يخافون على ما مضى، ولا يهتمون بما هو آت، لأنهم في عناية الله ﷻ ... وماذا يتمنون؟ الجنة، فيبشروهم: ﴿ وَأَبشُرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ .

يقولون: نحن نتعرض لما لا قبل لنا به، فنقول لهم الملائكة: ﴿ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ

الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴾ يعني نحن أنصاركم وأحبابكم، هل في الآخرة فقط؟ لا، بل في الدنيا أولاً، ثم الآخرة.

وبعد ذلك: ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴾ فمن يشتهي

الطعام والشراب يجده هناك: ﴿ وَفِيهَا مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴾ ﴿ وَحَمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴾ (الواقعة) ومن يشتهي الحور يجد الحور، ومن يتمنى أن يكون في جوار حضرة النبي ينال جوار حضرة النبي، ومن يتمنى أن يتمتع ناظر قلبه بجمال وجه مولاه، أيضاً ينال التمتع بالنظر إلى الله: ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ (القيامة) فكل واحد يأخذ كل ما يتمناه.

علو همة المؤمن

ولذلك المؤمن لا بد أن يُعلي همته، إياك أن تكون همتك كلها لتخرج من هنا وتدخل الجنة لتأكل وتشرب!! فتكون همة دنية جداً، !! لكن الذين همهم عالية عندما يدخلون الجنة ويرون القصور والحور، ويأتون لهم بما لَدَّ وطاب، ويقولون لهم: كلوا، فيقولون: (تركناها أحوج ما نكون إليها ونحن في الدنيا) ... كنا نستطيع أن نأخذ ما نريده ونحن في الدنيا وتركناها، لأنهم يريدون وجه الله تعالى، قال ﷺ:

{ إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ ، قَالَ : يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : ثَرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟
فَيَقُولُونَ : أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا ، أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ ، وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ : فَيَكْشِفُ
الْحِجَابَ ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ }^{١٦}

لقد أتينا إلى هنا وتركنا هذه الممتع في الدنيا، ونحن كل أملنا التمتع بوجه الله، وجوار حبيب الله ومصطفاه صلوات ربي وتسليماته عليه.

لذلك أمرنا حضرة النبي أن نعلي همتنا لأنها ستعيننا على العمل الذي يُبلغنا مُرادنا في الآخرة إن شاء الله، فقال ﷺ:

{ فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفَرْدَوْسَ ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ ، وَأَعْلَى الْجَنَّةِ وَفَوْقَهُ عَرْشُ
الرَّحْمَنِ ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ }^{١٧}

اختر لنفسك مكاناً طيباً لأنه سيدوم، فالذي يُريد أن يبني في الدنيا مسكناً طيباً، يختار مكاناً طيباً، وربما وهو يبني يناديه الموت ويقول له: أنت تبني لغيرك فتعالى، وكم من بني لغيره ولم يسكن فيما بناه!! لكن هناك البناء الدائم الذي فيه: ﴿ حَلِيدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴾ (البينة) لذلك يجب أن تختار دائماً الأعلى والأرقى عند الله تبارك وتعالى.

كان سيدنا يوسف قد حفر بحر يوسف من المنيا إلى الفيوم ليروي أرض الفيوم التي أنشأها، وهذا البحر حفره في ألف يوم ولذلك سموها (الفيوم).

هذا البحر سموه بحر يوسف، وهو فرعٌ من النيل، وبعد أن أنهوا الحفر وقبل أن تصل المياه قال لهم سيدنا يوسف: (إذا متُّ فادفوني في هذا البحر، وعندما يأتي بنو إسرائيل ويخرجون إلى فلسطين تُخرجوني وتدفنوني هناك بجوار أبي يعقوب وجدي إبراهيم) وبمجرد أن وضعوه في الحفرة إذ بالمياه تأتي وتغطيه تماماً، ولم يعرف أحد مكانه.

وعندما أراد سيدنا موسى أن يخرج بني إسرائيل، أراد أن ينفذ وصية سيدنا يوسف، فقالوا له: لا يعرف مكانه غير امرأة كبيرة في السن تعيش منذ عهده، يقول النبي ﷺ عندما

^{١٦} صحيح مسلم والترمذي عن صهيب الرومي

^{١٧} صحيح البخاري وابن حبان عن أبي هريرة

جاءه رجل، فقال له ﷺ:

{ سَلْ حَاجَتَكَ؟ قَالَ: نَاقَةٌ تَرْكَبُهَا، وَأَعْنَزُ يَحْلِبُهَا أَهْلِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَعَجَزْتُمْ أَنْ تَكُونُوا مِثْلَ عَجُوزِ بَنِي إِسْرَائِيلَ؟ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا عَجُوزُ بَنِي إِسْرَائِيلَ، قَالَ: إِنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا سَارَ بِبَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ مِصْرَ، ضَلُّوا الطَّرِيقَ، فَقَالَ: مَا هَذَا؟ فَقَالَ عُلَمَاؤُهُمْ: إِنَّ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، لَمَّا حَضَرَهُ الْمَوْتُ أَخَذَ عَلَيْنَا مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ أَنْ لَا نَخْرُجَ مِنْ مِصْرَ حَتَّى نَنْقُلَ عِظَامَهُ مَعَنَا، قَالَ: فَمَنْ يَعْلَمُ مَوْضِعَ قَبْرِهِ؟ قَالَ: عَجُوزٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَبَعَثَ إِلَيْهَا فَأَتَتْهُ، فَقَالَ: ذَلِّبِي عَلَيَّ قَبْرَ يُوسُفَ، قَالَتْ: حَتَّى تُعْطِيَنِي حُكْمِي، قَالَ: وَمَا حُكْمُكَ؟ قَالَتْ: أَكُونُ مَعَكَ فِي الْجَنَّةِ، فَكِرَةٌ أَنْ يُعْطِيَهَا ذَلِكَ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ: أَنْ أُعْطِيَ حُكْمَهَا، فَانْطَلَقَتْ بِهِمْ إِلَى بُحَيْرَةٍ مَوْضِعَ مُسْتَنْقَعِ مَاءٍ، فَقَالَتْ: أَنْضِبُوا هَذَا الْمَاءَ، فَأَنْضِبُوهُ، فَقَالَتْ: اخْتَفِرُوا، فَاخْتَفَرُوا، فَاسْتَخْرَجُوا عِظَامَ يُوسُفَ، فَلَمَّا أَقْلَوْهَا إِلَى الْأَرْضِ، وَإِذَا الطَّرِيقُ مِثْلَ ضَوْءِ النَّهَارِ {^{١٨}

هذا المرأة طلبت أن تكون مع نبي الله موسى في الآخرة!، لا تريد الدنيا لأنها لا تساوي شيئاً.

ولذلك حضرة النبي ﷺ قال للرجل: (أَعَجَزْتُمْ أَنْ تَكُونُوا مِثْلَ عَجُوزِ بَنِي إِسْرَائِيلَ؟!) يعني اجعل عملك لله، وهذا ما وجّه له أصحابه: ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ ﴾ (١٩ الإنسان).

الذي يُريد أن يكون من أصحاب المنازل العالية، والدرجات الراقية عند الله وفي الجنة، يُمرّن نفسه، ويُعوّد نفسه أن يكون عمله كله لله، إذا تبسّم في وجه إنسان يكون لله، وإذا قال كلمة طيبة تكون لله، وإذا زار مريضاً يكون لله، وإذا شارك في تشييع جنازة يكون لله، وإذا تصدق بصدقة لا يرجو ردها وإنما يرجو بها وجه الله .. يجعل عمله كله لله.

فمن مشى على هذا المنهاج فإنه سيكون في الدرجات العُلى، لأن الله قال في كتابه:

١٨ صحيح ابن حبان والحاكم في المستدرک عن عبد الله بن قيس ﷺ

﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا ﴾ وشرط هذا العمل لكي يفوز بهذه الدرجة: ﴿ وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ (١١٠ الكهف).

يعني لا يعمل هذا العمل لكي يفرح الناس بعمله فيكون رياءً، ولا ليثني عليه الناس ويقولون: أن فلان يفعل كذا وكذا فتكون له شُبهة وشهرة، ولا يعمل حتى تفرح نفسه من نفسه، فيكون إعجاباً بالنفس، لكن يعمل هذا العمل لله، ولا يرجو من ورائه غير رضا الله.

فهذا يبلغ هذه الدرجات العليا عند الله، ويُنزله الله منزلة كريمة يقول فيها الله: ﴿ نُزُلًا مِّنْ غُفُورٍ رَّحِيمٍ ﴾ منزلة سُينزله فيها الغفور الرحيم ﷻ، وله أيضاً مع هذا: ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴾ كل ما يتمناه من مولاه يُعطيه له الله تبارك وتعالى.

الدعوة إلى الله

واستمعوا معي إلى إعلان الرحمن الرحيم: ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴾ (١٢٢ النساء) ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴾ (٨٧ النساء) فأحسن حرفة وأعلى صنعة تؤدي إلى المنازل العالية والدرجات الراقية عند الله، حرفة الدعوة إلى الله:

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ ﴾.

وانظر إلى إعجاز كلام الله، فهذه الآية على قلة حروف مبنها، ضخمة جداً في مغزاها ومعناها، فقد جمعت شروط الداعية الذي يُجبه الله، والذي يُقبل عليه خلق الله في جملة واحدة من كلام الله: ﴿ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا ﴾

وماذا يعني ذلك؟ كما ورد في الأثر: (ادعُ نضك فإن استجابت فادعُ غيرك) لا بد وأن يبدأ بنفسه أولاً، وبعد ذلك يدعو غيره:

أغیر تقیِّ یا أمر الناس بالتقی طیبب یداوی والطیب سقیم

عندما يقول الطبيب للمريض: إياك أن تُدخن السجائر بعد ذلك لأنها ستقضي عليك، والطبيب يمسك بالسيجارة ويُدخنها!!، فهل المريض سينفذ كلامه؟! لا، لأنه يدخن، لذلك لا بد أن يبدأ بنفسه:

ابداً بنفسك فانهما عن غيرها
فهنالك يُسمع ماتقول ويشتقى
لا تنه عن خلقٍ وتأتي مثله
تصف الدواء لذي السقام وذي
فاذا انتهت عنه فأنت حكيم
بالقول منك وينفع التعليم
عار عليك إذا فعلت عظيم
الضنى كيما يصح به وأنت سقيم

فلا بد أن يبدأ أولاً بنفسه، لماذا على مدى الزمان منذ بعثة النبي العدنان إلى يومنا وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها تجد الناس مُقبلة على الصالحين إذا كُلفوا بإبلاغ دعوة الله؟ وغير مقبلين على الدعاة المعينين، والذين يطلبون الدنيا مقابل كلمة الدين؟! من أجل هذا السر.

وهل يوجد أحد الدعاة إلى الله من الصالحين يقوم إلا إذا أمره سيدنا رسول الله بتبليغ الرسالة؟! ولكن بعد أن يدخل الورشة ويُصلح كل أجهزته الباطنية، وعلامة الصلاح أن تصبح هذه الأجهزة واصلة مباشرةً بخير البرية، وتتلقى شفهاً كفاحاً من الحضرة الإلهية.

لا يحتاج إلى وصلات كالإنترنت ليتصل، ولا يحتاج إلى كهرباء، وإنما دخل في قول الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ (٩٦ مريم) سيدخل في الأوداء الذين لهم مودةً من الله، وهم صلة مباشرة مع حبيب الله ومصطفاه.

فلا بد أن يبدأ الإنسان بنفسه أولاً، حتى أن الواحد منا مع أولاده الصغار لو قال للولد أو للبننت لا تفعل كذا، أو افعل كذا، وهو غير ملتزم، فيذهب الولد لأمه ويقول لها: إن أبي يأمرني بعمل كذا وهو لا يعمل! فلا يعجبه هذا الحال، لذلك لا بد أن يبدأ الإنسان بنفسه أولاً.

ولذلك شرط الدعوة إلى الله أن يبدأ بنفسه أولاً: ﴿دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ ونفسه ليس وحده، لكن: (ادع نفسك فإن استجابت فادع غيرك).

أبدأ بمن أنا معهم في البيت، زوجتي وأولادي، وأكون مثلاً للأخلاق الحممدية عندهم، حتى يحنوني إليّ ويشتاقون إليّ، وبعد ذلك أهلي وأحبابي وجيران وأقاربي، فيبدأ الدعوة إلى الله بهذه الكيفية الإلهية التي وضعها لنا بسلوكه وبفعله وبخلقه صاحب الحضرة النبوية صلوات ربي وتسليماته عليه.

مجالس الدعوة

الدعوة إلى الله جمعت كلها في رسول الله ﷺ، فلا يوجد أحد بعد رسول الله استطاع أن يجمع كل أصناف الدعوة، لكن كل واحد يأخذ له باب من أبواب الدعوة، فمنهم من يدعو إلى الله تبارك وتعالى بدعوة الناس إلى توحيد الحميد المجيد، ومنهم من يدعو إلى الله تعالى بجهاد المشركين والكافرين، والنبي قال في هذا الجهاد:

{ جَاهِدُوا الْمُشْرِكِينَ بِأَنْفُسِكُمْ، وَأَنْفُسِكُمْ، وَأَمْوَالِكُمْ، وَأَيْدِيكُمْ }^{١٩}

منهم من يجاهد بالسيف، ومنهم من يجاهد بالقلم، ومنهم من يجاهد بالبيان، ومن يجاهد بالإعلام ... الكل يجاهد ولكن من باب واحد، فلا يستطيع أحد أن يجمع كل هذه الأبواب.

ومنهم من يجاهد في دعوة الله بنشر التشريع الذي أنزله الله على رسول الله، وأوهم وأعظمهم الأئمة الأربعة المجتهدين، فقد بينوا للمسلمين أحكام شرع رب العالمين، وعلى آثارهم علماء الشريعة إلى يوم الدين.

ومنهم من يدعو إلى الله تبارك وتعالى بتعليم المسلمين كتاب رب العالمين، وفيه يقول لعثمان بن عفان ؓ:

{ خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ }^{٢٠}

لا بد أن يتعلمه هو أولاً، ثم يُعَلِّمَهُ لغيره، ومنهم من يجاهد في الدعوة إلى الله بإبلاغ سنة حبيبه ومصطفاه، كما قال ؓ:

{ بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً }^{٢١}

يُذَكِّرُ النَّاسَ بِأَحَادِيثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وهؤلاء أنضر الناس وجوهاً في الدنيا والآخرة، قال ؓ:

^{١٩} مسند أحمد وسنن النسائي والدارمي عن أنس ؓ

^{٢٠} صحيح البخاري والترمذي عن عثمان بن عفان ؓ

^{٢١} صحيح البخاري عن عبدالله بن عمرو ؓ.

{ نَضَرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مَقَالَتي فَوَعَاها وَحَفِظَها وَبَلَّغَها }^{٢٢}

وفي رواية أخرى:

{ نَضَرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا شَيْئًا فَبَلَّغَهُ كَمَا سَمِعَ؛ فَرُبُّ مُبَلِّغٍ
أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ }^{٢٣}

ونضّر الله يعني بيّض ولمّع ونور وجهه، ومنهم من يدعو إلى الله بكشف الحجب النفسية والقواطع القلبية، حتى يكشف الحجب عن المرئيين، ويجعلهم يواجهون مباشرة تجليات أسماء الله وصفاته وتجليات ذاته تبارك وتعالى.

صفات الدعاة الصادقين

كل هؤلاء وغيرهم في الدعوة إلى الله تبارك وتعالى، ولا يظنُّ أحد من هؤلاء أنه خير من غيره، لأن الخيرية لا يعلمها إلا ربُّ البرية، والخيرية تعتمد على الصدق، وعلى العطية التي خصّه بها ربُّ البرية تبارك وتعالى.

من الجائز أن يكون هناك رجل يدعو إلى الله ولا يظهر على الشاشات، وليس له موضع من برامج التلفزيون، ولا غير ذلك، لكن له منزلة عند الله، لأن الله أقامه في قول حبيبه ومصطفاه:

{ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ الْغَنِيَّ الْخَفِيَّ }^{٢٤}

يعني لا يعرفه أحد، فالهم أن يكون للمرء باب من هذه الأبواب، يدعو فيه إلى الله تبارك وتعالى... هذا الذي يدعو غيره لا بد وأن يكون قد زكّى النفس، وعلامة زكاة النفس أن يرى كل الناس أفضل منه، وكل الناس خير منه، لأنه لو رأى غير ذلك فإنه لا يزال عنده مرض الكبر ويحتاج أن يتعالج منه، ومن كان عنده مثقال ذرة من كبر لا يدخل الجنة:

ألا من يكن في قلبه بعض ذرة من الكبر والأحقاد ما هو ذائق

^{٢٢} جامع الترمذي عن عبد الله بن مسعود ؓ

^{٢٣} جامع الترمذي وابن ماجة عن عبد الله بن مسعود ؓ

^{٢٤} صحيح مسلم ومسنند أحمد عن سعد بن أبي وقاص ؓ

أي واحد من الأحاب يرى نفسه أنه أفضل من أقل واحد من الأحاب يكون قد سُدَّ عنه باب الفتح الإلهي، فقد كان الشيخ ابن عطاء الله السكندري يقول: **(ادفن نفسك في أرض الثمول، تشرق عليك أنوار الوصول)** لا بد له أن يدفن نفسه ... من كان يُحب الظهور فهو عبدٌ للظهور، وهو في حاجة إلى العلاج من حب الظهور، فلا بد أن يُزكِّي نفسه حتى يكون عبداً لله، لا مراد له ولا اختيار له، ولا أمل له، ولا رجاء له، إلا الذي يختاره المولى تبارك وتعالى والحييب ﷺ له!! فإذا أقامك أعانك، فإذا تكلمت مع هؤلاء الحاضرين، فهل أنا معي مفتاح أفتح به أسماع القلوب؟! لا، فالمفتاح مع الفتح ﷺ، وليس لي شأنٌ بهذه الأسماع الظاهرة، أنا أريد أسماع القلوب، من الذي يفتحها؟ حضرة علام الغيوب ﷺ.

من الذي يفتح الله ﷻ له آذان القلوب؟ الفاني عن نفسه، والفاني عن ذاته، ولا يرى لنفسه حالاً ولا علماً ولا قالاً، وإنما يقول كما قال الشيخ الجيلي ﷺ:

أنا آلة والله جل الصانع أنا قلم والإقتدار أصابع

الإمام أبو العزائم ﷺ وأرضاه كان يُفيض الله عليه بالعلوم التي تُسكر الحاضرين، حتى كانوا يشعرون وهم بين يديه أنهم في الدرجات العالية، وبعضهم كان يشعر أنه في الدار الآخرة، وكان أحياناً يسألهم لئيبين للحاضرين: ما اليوم يا فلان؟ فيقول له: اليوم يوم القيامة! الرجل يعيش في مشاهد القيامة! ويسأل آخر: ما اليوم يا فلان؟ يقول له: اليوم يوم ألسْتُ بربكم!، لأنه يعيش في هذا المشهد.

والإنسان في لحظة التنزلات يكون غائباً عن نفسه، وفي آخر التنزلات الإلهية يرُدُّوه لذاته، يعرف أنه عبد وفقير، وليس هو الذي قال، وليس هو من جلس ولا من تحدَّث، ولكنهم هم الذين أقاموه وأعانوه وقوّوه، ولذلك في النهاية يقول الإمام أبو العزائم:

علم غيب عن شهود	لا بعلمي أو بعلمي
ببل بفضل الله ربي	وبطه خير رُسل
وأنا عبداً ظلوم	أعلموني بعد جهلي
كشفوا لي الحجب حتى	أشهدوني نور أصلي

وعلى هذه الوتيرة في كل أحواله، وعلى هذا النظام الإلهي سار كل أجداده وورثته، نسأل الله ﷻ أن نكون منهم أجمعين.

ولذلك كنت ترى هؤلاء يتدافعون، فتروي كتب السيرة أن الأكابر من أصحاب رسول الله، وكان سيدنا رسول الله ﷺ غائباً ذات يوم، فأخذوا يتدافعون على إمامة العشاء حتى منتصف الليل، يقول سيدنا عمر لسيدنا أبي بكر: تقدّم يا أبا بكر، فيقول له أبو بكر: أنت أفضل مني يا عمر لأني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول فيك كذا وكذا وكذا، فيقول: تقدم يا عثمان، فيقول: أنت أفضل مني يا أبا بكر لأني سمعتُ رسول الله يقول فيك كذا وكذا وكذا، فيقول: تقدم يا علي، فيقول كذلك.

فكلما قال لأحدهم تقدم يذكر حديثاً والكل يتدافع الإمامة، لماذا؟ لأنه قد ملك زمام نفسه، وإذا ملك الإنسان زمام نفسه فاز بالأنس من ربه ﷻ، فيدخل في مقامات الأنس العلية، وتحلّى وتجمّل بالآداب القرآنية، والأخلاق المحمدية التي كان عليها حبيبنا وقرّة عيننا المصطفى صلوات ربي وتسليماته عليه.

أدب الداعي الصادق

ولذلك بعد أن عمل وفاز وجاز وأمر بالإبلاغ، ماذا يقول؟ ﴿ وَقَالَ إِنِّي مِّنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ نزل في أقلّ مقام، لم يُقل من المؤمنين، أو من الحسين، أو من الموقنين، بل يرى نفسه في المقام الأدنى، لأنه يعرف أن هذا كله شرطه للحفاظ عليه هو حفظ رب العالمين ﷻ له ... الصعود صعب، لكن النزول هو السهل، فيخاف المرء أن تبدو منه هفوة فيسقط من عين الله، أو يبدو منه سوء أدب فيسقط من عين رسول الله، فينتهي أمره، ويضيع كل ما معه:

ولا الوصول لأحوالٍ وأقوالٍ	ليس الرُقي إلى العلياً بأعمال
ولا جهاد بأبدانٍ وأمّوالٍ	ولا يعلم به تغوى ولا أملٍ
به تُعدّ جميلاً بين أبدالٍ	لكنه منةٌ من فضل خالقه

الوصول يحتاج إلى الأدب الكامل مع الله تبارك وتعالى، ومع رسوله، وهذا شرطه أن

الإنسان لا يرى لنفسه شيئاً، بل يرى أن ما فيه من فضل ربه عليه، ومن خير الله تبارك وتعالى النازل عليه.

سيدي أبو الحسن الشاذلي رحمته، وكان من أكابر الدعوة إلى الله تبارك وتعالى، ويا ليت أحببنا يطالعوا سيرة هؤلاء الأعظم لكي يتعلموا منهم الأدب أولاً وليس العلم:

خُلِقَ عَظِيمٌ وَإِيمَانٌ وَمَعْرِفَةٌ بِاللَّهِ ذِي الْفَضْلِ وَالْجُودِ وَالْحَالِ إِذَا عَرَفْتَ مَقَامَ اللَّهِ خَفْتَ وَفِي خَوْفِ الْمَقَامِ تَنَالِ الْقُرْبَ بِوَصَالِ

﴿ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَخَشَوْتُهُمْ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ ﴾ (الأحزاب)

كان بعض الناس يُثني على الشيخ أبي الحسن الشاذلي بما أفاض الله عليه، فبعض الجماعة الصغار يغيظون منهم ويريدون منعهم من هذا المدح، وهم لا يعرفون أن الشيخ لا يرى من هذا المدح شيئاً، فيقول لهم: (دعوهم يُثنون على الله فيما رأوه علينا من إحسانه) هم لا يثنون عليّ، ولكن يثنون على الجمال، والجمال لصاحب الجمال تبارك وتعالى وليس لي أنا.

فهذه هي الدعوة إلى الله تبارك وتعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ

صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾

عقبات في طريق الدعوة

فلا مانع من ذكر جزئية عصرية تُخفف بها هذه النزلات العلية: الأئمة السابقين - حتى الشرعيين - في المساجد ونحن عاصرناهم كانوا مؤدبين ومهذبين، عندما كان يجد أحدهم ضيفاً من العلماء يقول له: تفضّل للإمامة، فيسأله: لماذا؟ يقول له: قال النبي ﷺ:

{ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ }^{٢٥}

وإكرام الضيف هنا أن أقدمه ليصلي، أو أقدمه ليتكلم، وأنا موجود مع الناس كل يوم أو كل ساعة، فكانوا يفعلون ذلك، وكانوا حريصين حرصاً شديداً على هذا الأمر.

^{٢٥} البخاري ومسلم عن خويلد بن شريح رضي

أما الأئمة الحداث نتيجة فساد الأخلاق الذي نشره أهل الشقاق المتشددين هنكوا ستر الأدب مع العلماء، وأخذوا يقدحون فيهم، ويذمُّون فيهم، ويشتمون فيهم، فإذا أردت أن تستأذن لضيف من العلماء ليتكلم، يقول لك: هل سيقول غير الذي أقوله؟! وهل هو أحسن مني؟! ويرفض.

وإذا كان مؤدباً بعض الشيء يقول لك: إن الأوقاف منعت ذلك، ولا بد أن يكون معه تصريح من وزير الأوقاف حتى يتكلم.

لكن السابقين كانوا مهذبين ومؤدبين، حتى كان تعاملهم مع المستمعين والمصلين بالأدب، لكن هذا يشد مع هذا، وينهر هذا، ويريد أن يتجاوز الحد في الخطاب مع هذا!!

لماذا يا أخي؟! الدعوة قال لك فيها الله:

﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾ (النحل: ١٢٥).

الدعوة إلى الله إذا كانت بالقول تحتاج إلى الحكمة أولاً، والموعظة الحسنة، التي ليس فيها إساءة ولا تجريح ولو حتى بالتلميح بعد ذلك.

وإذا حدث من أحد المصلين حادث ما، فهل يتكلم في الميكروفون في خطبة الجمعة عن هذا الحادث ويجعل الناس كلهم ينظرون للرجل الذي عمل هذا الحادث؟! لماذا تفعل ذلك؟! أهكذا كان يعالج رسول الله ﷺ مثل هذه الأحداث؟! أبداً، كان ﷺ معه الحكمة الإلهية في كل أقواله وأفعاله وتصرفاته.

الدعوة إلى الله لمن أراد أن يتعرَّض لها لا بد وأن يعمل بقوله تعالى: ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾ (١٠٨ يوسف) فإذا لم أنل البصيرة، ولم يعطوني شهادة بأني صاحب بصيرة، فهل أخدع نفسي؟! أو أخدع الناس من حولي؟! لأني لا أراهم ولا أعرف عنهم شيئاً، لكن النبي قال: ﴿ ادْعُوا إِلَى اللَّهِ ﴾ وهذه الدعوة الخاصة ﴿ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾ (١٠٨ يوسف) ومن يمشي خلفي إلى يوم القيامة.

فهذه الدعوة إلى الله، وأبوابها واسعة جداً، ولا بد أن يكون لكل واحد منا باباً فيها، وليس شرطاً في الدعوة إلى الله أن تخطب على المنابر، أو تعمل دروساً في المساجد، لكن أنا أريد منك أن تدعو إلى الله بأخلاقك وسلوكياتك وأحوالك.

فعندما يرى الناس الأخلاق القرآنية فيك، والأحوال النبوية فيك، والتصرفات القرآنية فيك، سينجذبوا إلى الله تبارك وتعالى بدون كلام، ولا شرح، ولا توضيح.

الناس في زماننا هذا لا يفتقدون الكلام، ولكن يفتقدون القدوة، يحتاجون إلى رجل إذا قال فعل، لكن الخطباء كثير، وما شاء الله المفقوهين أكثر من الكثير، ويظل يخطب ساعتين ولا يكمل لسانه، لكن تسأل الحاضرين ماذا سمعت؟ يقول لك: لم أنتبه، لماذا؟ لأن الكلام من اللسان لا يتجاوز الآذان، يسمع من هنا، ويخرج من هنا.

فماذا يريد الناس؟ القدوة، وهي في إمكان كل واحد منا أن يكون داعياً إلى الله ﷻ بأخلاقه وأحواله وسلوكياته وتصرفاته بين إخوانه المسلمين، وهي الدعوة التي نحن مُلزمين بها أجمعين.

أخلاق الداعي

الذي سيكون على هذه الشاكلة ما شرطه؟ ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ لا بد أن يبلغ في مقام الأخلاق المستوى الأعلى والأفخم الذي كان عليه الإمام الذي مدحه الله لكمال أخلاقه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (٤ القلم).

ولكي يبلغ هذا المقام أعطاه الله رoshنة صغيرة أخذها وبلغها لنا، لنكون معه، وذكرها سيدنا أبو ذر رضي الله عنه فقال:

{ أَوْصَانِي خَلِيلِي أَبُو الْقَاسِمِ رضي الله عنه بِسَبْعِ خِصَالٍ، فَلَنْ أَدَعَهُنَّ حَتَّىٰ أَلْقَاهُ، أَمَرَنِي بِحُبِّ الْمَسَاكِينِ وَمُجَالَسَتِهِمْ، وَأَنْظُرُ إِلَىٰ مَنْ هُوَ دُونِي، وَلَا أَنْظُرُ إِلَىٰ مَنْ هُوَ فَوْقِي، وَلَا أَسْأَلُ النَّاسَ شَيْئًا، وَأَنْ أَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَنِي، وَأَصِلَ مَنْ قَطَعَنِي، وَأَنْ أَقُولَ الْحَقَّ وَإِنْ كَانَ أَمْرٌ مِنَ الصَّبْرِ، وَلَا تَأْخُذْنِي فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَائِمٌ، وَأَنْ أَكْثَرَ مِنْ قَوْلٍ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ }

هذه هي الشروط لمن أراد أن يفوز بهذا التشريف، ويقوم بأعباء هذا التكليف،

ويكون له أوسمة ربانية يُنعم عليه بها الله يوم الدين: ﴿مَعَ الَّذِينَ اتَّعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشَّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ (٦٩ النساء).

فلان عمل في كذا وكذا ولا أستطيع أن أعفو عنه، فعليّ أن أدخل الورشة أولاً وأجاهد نفسي إلى أن تتخلّص من خُلُق الصدّ والصدود والهجر والتباعد، وتتحوّل إلى خُلُق الوُد والوداد وتعفو عن الذي أخطأ في حقي أو أساء حتى أصل إلى هذا المقام، فإذا لم أستطع سأظل كما أنا.

لأن هذا هو الجهاد الأعظم الذي يجاهد فيه كَمَل الرجل في كل زمان ومكان: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾ (١٩٩ الأعراف) يأمر هنا نفسه وليس غيره بالمعروف الذي تعارف عليه الأنبياء والمرسلين والخلّص من عباد الله الصادقين: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (١٩٩ الأعراف) الذي يدّعي النصح ويقول لي: كيف تكلم فلان وقد فعل بك كذا وكذا؟ أو كيف تُصلحه وقد أساء إليك بكذا وكذا؟! فهؤلاء شياطين الإنس.

لكن المؤمن مُطالب بأن يُحسن إلى من أساء إليه، وليس يعفو فقط، فمن يعفو عمن أساء إليه فهذه درجة، ولكن أحسن إلى من أساء إليك فهذه الدرجة الأعلى والتي يريدّها أهل المقام الأكرم، والمنصب الأفخم بجوار الحبيب المُكْرَم صلى الله تبارك وتعالى عليه وعلى آله وسلّم، وهذا جهاد أهل المقامات لمن أراد أن ينال هذه الدرجات.

بعض الأحباب تأثراً ببعض الأحباب السالكين في المناهج القديمة - وليس المنهج العصري الذي نحن عليه - يظنُّ أن المقامات العُلى بالعبادات والخلوات وذكر الأسماء بالمئات والآلاف.

لكن إذا كان الإنسان يُقيم الليل كله، ويصوم الدهر كله، ويذكر الله بالأسماء بمئات الآلاف، ولكنه لا يستطيع أن يعفو عمن ظلمه، فهل يبلغ هذا المقام؟ لا، وإذا لم يستطيع أن يصل من قطعه فهل يبلغ هذا المقام؟ لا! وهو إن عفا عنه فليس لخوف منه، لأن الله هو الذي طالبه بالعفو، ولأنه يعفو عنه طامعاً أن ينال عفو الله بسبب عفو عنه، ونحن جميعاً في حاجة إلى عفو الله، وكذلك يصله لا طمعاً في شيءٍ دانٍ منه، ولكن طمعاً في وصال حضرة الله، ووصال حبيب الله ومصطفاه.

فلو علينا الهمة، ورفعنا النية، ستتحقق الأمنية لأننا سنستطيع أن نتغلب على النفس، ونعمل هذه الأفعال التي تجعلنا من كُمل الرجال الذين يدخلون في هذا المجال.

وأنتم تعلمون جميعاً كيف كان سيدنا رسول الله يُربي أصحابه على هذه الأخلاق العلية، لكي يبلغوا هذه الدرجات الشهودية.

﴿ وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ ما الأحسن؟ الحسن، والأحسن هنا كما وضحنا وكما بينا، أن أعفو عن ظلمي، وأصل من قطعني، وأعطي من حرمني، لماذا؟ الله تبارك وتعالى.

فلو عاملت السيئة بالسيئة: ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا ﴾ (الشورى) وهنا وقف، وجزاء سيئة سيئة فأصبحت مثلها، فلو أن رجلاً عاملني معاملة سيئة وأنا ردّيت عليه مثلها فأصبحنا مثل بعضنا!!! لكن المؤمن الذي يقصد المقام العالي، وهو يطلب مكاناً كريماً عند حضرة القدوس، هل ينتزّل ليتعامل مع الهالكين والظالمين أو من كان في مقام سيطرة النفوس؟! لا، فيقول لنفسه: لا، وكل إناء بما فيه ينضح.

فإذا كان هو قد رضي بهذا لنفسه، لكن أنا لا أرضى أن أفعل ذلك لأني أريد أن أكون مع رسول الله، وصحابته المباركين، وورثته من الأولياء والصالحين، نسأل الله أن نكون معهم أجمعين.

فعندما يمشي الإنسان على هذا المنوال: ﴿ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ سيكون صاحب وفيّ، وينتهي الأمر على ذلك.

سيدنا علي زين العابدين عليه السلام سلط عليه بعض حُساده من يؤذيه - وكل ذي نعمة محسود - لأنه كان حليم، ويريدون له أن يخرج عن حلمه، فمشى هذا الرجل خلفه يسبّه ويلعنه ويشتمه، وهو لا يلتفت إليه، إلى أن اقترب من الشارع الذي يسكن فيه، فالتفت إليه وقال: يا هذا إن كان بقي عندك شيء فهاته، حتى لا يسمعك أحد الأولاد فيؤذيك، فاستحى الرجل، وكان من سلطوه يمشون خلفهما، فاستحوا هم أيضاً، فسلم عليه الرجل وقبّل يده وقال: إنكم حقاً بيئُ النبوة معدن الصدق والوفاء، فهم دائماً على هذا المنوال، ما هذا؟! قال:

يخطبني السفيه بكل قُبْح فأكره أن أكون له مجيباً
يزيد سفاهةً وأزيد حلماً كعود زاده الإحراق طيباً

ولذلك أنا أعجب أحياناً كثيرة عندما أرى أحد الأحباب وقد استفزّه آخر، فأجده قد خرج عن شعوره، ولم يتمالك نفسه، وانطلق مدفعه الرشاش بقذائف لا عدّها لها ولا حدّها!! مع أن هذا ليس حال المؤمنين، ولكن حال المؤمنين: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَمًا﴾ (٦٣ الفرقان) ويرجع بعد ذلك ويقول: أنا لا أعرف كيف قلت هذا؟! ولا كيف فعلت هذا؟! لا أعرف ماذا قلت؟! كيف يا أخي؟! فلماذا تنتسب للصالحين وتمشي معهم!!؟.

إذا مشيت مع الصالحين فيجب أن تكون على الخلق الأعلى الذي كان عليه سيد الأولين والآخريين صلوات ربي وتسليماته عليه، لأن هذا الميزان الذي يقوّم به الله، ويقوّم به رسول الله، ويقوّم به الناس الرجل الصالح.

إذا كنت في جُنْح الظلام مع الله، فليس لهم شأنٌ بذلك، أو صائم الدهر، فهذا لنفسك وليس لهم شأنٌ بك، لكنهم يريدون أن يعرفوا كيف يكون لسانك معهم؟ وعصبيتك كيف تكون معهم؟ وأخلاقك معهم كيف تكون؟ وهذا ما يريدونه منك، وهذا ما يحكمون به عليك.

لكن هل تقول لهم: أنا أسهر طوال الليل في العبادة؟! لا شأن لهم بذلك؟ ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ﴾ (١٥ الجاثية) فأنت تعمل لنفسك لا لنا، تغضب وتقول: أنا اليوم صائم، وهل الصيام يجعلك تغضب؟! إذا كنت ستصوم ولا تستطيع السيطرة على نفسك فلا داعي لهذا الصوم، وبكفيك صيام رمضان، والصيام الحقيقي:

إذا ما المرء صام عن الخطايا فكل شهره شهر الصيام

هذا هو الجهاد الأعظم الذي علينا أن ننزله إذا أردنا علو المقام، والقرب من الحبيب المصطفى على الدوام، ماذا يحتاج هذا المقام؟ ﴿وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ عكازك الذي ستعتمد عليه في هذا الجهاد هو الصبر؛ الصبر على جهاد النفس، والصبر على إيذاء الغير، والصبر على الأعمال التي كلفك بها الله، والصبر على منع الجوارح عن النواهي التي هناك

عنها الله .. تحتاج إلى صبر طويل لتنال هذا المقام:

﴿ وَمَا يُلْقِنَهَا ﴾ وهي درجة القرب من الحبيب، ودرجة محمد رسول الله والذين معه
﴿ إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا ﴾ على الجهاد في هذه الأخلاق الإلهية القرآنية.

وتحتاج في نفس الوقت استمداد على بساط الضعف، وعلى بساط العبودية من
الحضرة الإلهية، لأنني بغير مدد من الله لن أستطيع أن أتحمّل ولا أن أصبر على أي أذية.

ما الذي يُعيني؟ الله، متى يعيني؟ إذا استشعرت بالعجز والضعف أمام حضرتي،
وليس أمام الخلق، وقلت له: أنا واقف على بساط (لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم)
إذا تجملت بهذا الحال، فلن أستطيع أن أردُّ، أو أن أدافع عن نفسي، بل أترك الأمر لربي
ﷻ وهو يتولى ذلك بذاته، وهو القائل في محكم كلماته: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ
ءَامَنُوا ﴾ (الحج ٣٨) يدافع عنك، وهذا بالنسبة للخلق، وفي القراءة الثانية: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ ﴾
يعني يدفع عن الذين آمنوا المصائب والنكبات والكوارث.

إذاً أنا محتاج للصبر الطويل، والاستمداد من الله ﷻ لكي أدخل في قول الله لحبيبه
ومصطفاه: ﴿ وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ﴾ (النحل ١٢٧) فلو لم يُعطينا الله جرعة من الصبر فهل
يستطيع أحدٌ منا أن يصبر على شكّة إبرة؟! لا يقدر أحد منا على ذلك.

﴿ وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ حظ عظيم من فضل الله، ومن عطاء الله، ومن
إكرامات الله، ومن نظرات حنان وعطف سيدنا رسول الله ﷺ.

نسأل الله ﷻ أن يُكرّمنا بالاستقامة، وأن يجعلنا في الدنيا من أهل الاستقامة، وفي
الآخرة من أهل الكرامة، وأن يوفقنا لعمل الصالحات، والثبات على النوافل والقربات،
ويجعل عملنا كله خالصاً لوجهه الكريم، وأن يحفظنا من ليم النفس ورعونتها، ويحفظنا من
الأهواء والشهوات ما ظهر منها وما بطن، ويُعلي هممنا ويرقي درجاتنا، ونسأله تعالى أن
يُجملنا بالأخلاق العالية، وأن يرفعنا إلى الدرجات الراقية، وأن يُعيننا على جهاد أنفسنا حتى
نصل إلى ما نبعيه، ونكون مع الحبيب ﷺ وأصحابه وذويه في الدنيا ويوم الدين، ويجعلنا مع:
﴿ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ
رَفِيقًا ﴾ (النساء ٦٩).

الكتاب افضل المطبوع تفسير آيات المقربين
الشيخ فوزي محمد فوزي

d d

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

d d

١: أهل الإستقامة والكرامة (٣٥) تفسير الآيات (30-٣٥) من سورة فصلت

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ
اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ
أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ
الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ خُنْ
أَوْلِيَاؤَكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي
الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى
أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣٧﴾
تُزَلَّأَنَّ مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ ﴿٣٨﴾ وَمَنْ
أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ
وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ

الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ
وَلَا السَّيِّئَةُ أَدْفَعُ بِأَلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ
فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ
كَأَنَّهُ وَليٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلْقِيهَا
إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا ذُو
حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ (فصلت)

٢. إكرامات أهل الاستقامة^{٢٧}

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - الحمد لله الذي اختارنا وأهلنا وجعلنا من أهل القرآن، وأثلج صدورنا بسماع القرآن، ووفق جوارحنا وأجسامنا للعمل بالقرآن، ونسأله ﷺ أن يدخلنا في قول النبي العدنان ﷺ:

{ أَهْلُ الْقُرْآنِ هُمْ أَهْلُ اللَّهِ وَخَاصَّتُهُ }^{٢٨}

اللهم صلِّ وسلم وبارك على من أنزل الله على قلبه القرآن، وجعله في كل أنفاسه بأعماله وأحواله موضعاً لمراد الرحمن في القرآن .. سيدنا محمد وآله الذين اتبعوه على هذا النهج الكريم، وأصحابه الذين آزره وعاونوه على هذه الخطى السديدة، وكل من نتج على هديه إلى يوم الدين، وعلينا معهم أجمعين .. آمين يارب العالمين.

نريد أن نعرف أولياء الله - نرجوا الله ﷻ أن يدخلنا في جمعهم أجمعين - وما أوصافهم؟ وما الجمال الذي يتجلى به الله ﷻ لهم في الدنيا وفي الآخرة؟ وبم يصلون إلى ذلك؟ وبم تتفاوت الدرجات فيما بينهم؟ بأسلوب سلس مبسط سهل يبسر العمل بكتاب الله، نبعث عن الفلسفة والإفراط في الشطحات الصوفية التي يقولها البعض، والدخول في المتاهات الفقهية والبلاغية واللغوية، عيننا على ما يريده منا رب البرية ﷻ، فقد قال إمامنا ابو العزائم ﷺ: (ليس الشأن أن تفقه القرآن، ولكن الشأن أن تفقه مراد الله منك في القرآن).

ليس المهم أن تفهم أنت، لأنه من الجائز أن يكون فهمك لا يوافق ما يريده الله، الذي يصيب الحق هو الذي يهديه الله بإلهامه إلى ما يريده الله ﷻ في الآيات التي نزلت في كتاب الله ﷻ، وهذا يحتاج أن يكون فيه وراثه ولو قليلة لحضرة النبي ﷺ.

فلا يقرأه لهوى في نفسه، ولا لشئ مسبق يريد أن يثبتته في شخصه، ولا لهدف يرجوه من وراء الخلق .. لا يريد إلا رضاء الواحد الأحد الحق ﷻ.

٢٧ بورسعيد - مسجد الغفران ٥ من ذي القعدة ١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥/٨/١٩ م
٢٨ مسند أحمد والحاكم في المستدرک عن أنس ﷺ

قالوا ربنا الله

أولياء الله في هذه الآية، وكل آية تتحدث عنهم؛ تتحدث عن طائفة منهم، لأنهم طوائف لا تعد ولا تحدد، من هؤلاء؟ يقول الله ﷻ لنا فيهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا﴾ ونحن جميعاً قلنا ذلك، فإن الله ﷻ عندما خلق الأرواح قبل خلق آدم والأشباح جمعهم في جمعية كبريائية لا يعلم زمانها ولا مكانها ولا توقيتها ولا تفصيلها إلا رب البرية، وأخذ علينا - وكنا جميعاً حضوراً فيها - العهد والميثاق، وسجلها وكتبها في رق - أي في كتاب - وألقت في حجر من أحجار الجنة، وأنزله ووضعته في البيت الحرام، وجعله مبتدأ الطواف لمن ذهب إلى هذا البيت الكريم، وقال الله ﷻ منبهاً لنا عن هذا اليوم: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿٣٩﴾﴾ (الأعراف) إن شئت تسميه يوم الميثاق، وإن شئت تسميه بما ورد في الآية يوم ألت بربكم، وإن شئت تسميه يوم العهد الأول الذي عاهد الله ﷻ فيه الخلق جميعاً في مقام الربوبية وليس في مقام الألوهية (ألت بربكم)، ولذلك الآية تُذكر بمقام الربوبية (إن الذين قالوا ربنا الله).

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ في هذا اليوم في مواجهة الله جل في علاه، ولذلك قالوا: ﴿بَلَىٰ شَهِدْنَا﴾ (١١٧٢ الأعراف) لم يقولوا (بلى سمعنا) ولكن شهدوا جمال الله بالعين الروحانية الربانية التي خلقها فيهم الله، حُجبت عين الرأس في الدنيا بظلال الأكوان وبالأنواء وبالشهوات وبالغفلات، لكن إذا وفق الله الإنسان وجلى هذا القلب وفتحت عين البصيرة يشاهد هذا اليوم وهو في الدنيا بعين البصيرة، ولذلك قالوا للإمام علي عليه السلام وكرم الله وجهه: أتذكر يوم الميثاق؟ قال: نعم، وأعلم من كان فيه عن يميني ومن كان فيه عن شمالي.

أهل الاستقامة

﴿قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ في مواجهة حضرة الله، ثم جاء دورهم في الحياة الدنيا، وخلق الله الأجسام، وأسكن فيها الأرواح، وخلق الدنيا بما فيها من زهرات فانية، وشهوات دانية، وإغراءات لا عد لها ولا حد لها، ليعلم الذين صدقوا وليعلم الكاذبين، الذين صدقوا القول مع الله والتزموا هؤلاء استقاموا على هذا العهد الذي أخذوه، والتزموا بالنهج الذي من

حضرة النبي ﷺ تعلموه، فمشوا على المنهاج، ومشوا على الصراط المستقيم، والمنهج القويم الذي جاء به الرؤوف الرحيم ﷺ.

إذاً ولاية الله في هذه الآية فيها عناية و فيها رعاية .. عناية من الله في الأزل، فهو الذي اختارنا، وهو الذي وفقنا، وهو الذي واجهنا، وهو الذي اصطفانا وجعلنا أهلاً لهذا الجمع الكريم على الله ﷻ.

وفيها رعاية في الحياة الدنيا؛ أن ينوي الإنسان بنيتة ويعقد العزم على طاعة الله، وعلى التأسى بحبيب الله ومصطفاه، والله ﷻ لا يطلب منك غير هذا، فإذا عقدت العزم بقوة وحزم قواك الله، وأعانك الله، وأمدك بالحول والطول الله جل في علاه، لأنك عازمت، يقول ﷻ: ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ (٣الطلاق).

إذاً لا بد أن يكون عندك العزيمة، والعزيمة تدفعها الرغبة في المقامات الكريمة التي تريد أن تخرج بها من الدنيا وتكون عليها يوم لقاء الله ﷻ، هؤلاء القوم دائماً عندما يخلو أحدهم بنفسه يقول: الدنيا إلى زوال والآخرة هي المآل، ماذا أعددت لنفسك فيها عند الواحد المتعال؟! ماذا جهزت لنفسك؟! هذا الأمل هو الذي يدفعك للعمل، إذا فقد الأمل لا يستطيع أن يتحرك الإنسان، ولا يستطيع أن يدفع جوارحه ولا أعضائه إلى العمل.

جماليات الأولياء

إذا مشى الإنسان على هذا المنوال يكون من أولياء الله الذين ذكر الله لهم بعض الجمالات والكمالات في هذه الآية الكريمة.

أول هذه الجمالات ﴿ تَنْزَلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ ﴾ لم يقل تنزل، ولكن (تَنْزَلُ) بالمضارع المستمر، يعني تنزل باستمرار، التنزل في البداية يكون عن طريق الإلهام، فإن الله ﷻ يقوي ملك الإلهام ليكون له الهيمنة على قلب هذا العبد، ويحفظه من وساوس الشيطان ونزغات النفس.

فهناك ثلاثة يحاولون السيطرة على القلب، ملك الإلهام يحضه على الخير والبر والمعروف والعمل الصالح وطلب ما يرضي الله جل في علاه.

والشيطان يوسوس دائماً في النفس يريد الكبر في الأرض، ويريد العلو والفساد في الأرض، ويريد حب الظهور، إذا لم يستطع أن يسوي ذلك بنفسه يسول له الأحقاد والأحساد والفتن والإحن والمكر والدهاء .. كل هذه بضاعة الشيطان لكي يصل لما يريد، وهو إذا كان يريد منصباً دنيوياً، أو يريد أن يكون من أغنياء الدنيا وإن كان من طريق حرمته الله ﷻ فيسول له الشيطان ذلك.

والنفس تريد أن توقع الإنسان في معصية الرحمن بأي كيفية كانت، وسلاحها الشهوات التي يجبها الإنسان؛ شهوة الجنس، وشهوة الطعام، وشهوة الشراب، وشهوة الملبس، وشهوة المسكن .. كل هذه الشهوات من النفس.

لكن إذا عزم الإنسان بصدق فإن الله ﷻ يقوي جنده وملائكته ليُلهموه، فإذا أراد الشيطان يكون العبد بين أمرين: إما أن يُحصنه الله بحصونه الإلهية، وينطبق عليه قوله في آياته القرآنية: ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَنٌ ﴾ (٤٢ الحجر) فلا يجد الشيطان مدخلاً يدخل منه لهذا العبد، وإما أن يكون من الذين يسعفهم الله فوراً عند نزغات الشيطان ووسوسته ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَئِيفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴾ (الأعراف).

تنزل الملائكة

إذاً نزول الملائكة عن طريق ملائكة الإلهام، وقد ورد أن لكل عبد ملك على قلبه يلهمه بالخير وشيطان يوسوس له في الشر.

وأما إذا قويت روحانيته وتشبه بالملائكة الكرام في طاعة الله، وأصبح حاله مطابقاً لقول الله: ﴿ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ (التحریم) تقوى شفافيته، وتزيد روحانيته فيرى ما لا يراه الناظرون؛ يرى الملائكة الكرام بعين وهبت له من ذي الجلال والإكرام ﷻ، ليس بعين الرأس الفانية، هذه العين لا ترى إلا المحسوسات، لكن في القلب عين يرى بها الإنسان - إذا فتحها الله ﷻ - الأرواح السارية في الكائنات، ومن جملتها أرواح الملائكة الكرام.

فيراهم ويسمع حديثهم بأذن في قلبه، تستطيع أن تستمع إلى كلامهم، وترجم أصواتهم ولغتهم، ويتحدث معهم بلسان الفهوانية الذي يتفضل به عليه رب البرية، فيفقه كلامهم، ويسمع حديثهم، ويجالسهم، ويستفيد منهم علوماً ومعارف، ويعينونه على أمور دينه ودنياه، ويكونون له رفقاء صدقٍ حتى يصل إلى ما يريد عند الله جل في علاه.

كان سيدنا عمران بن الحصين رضي الله عنه وأرضاه من الثلة المباركة الذين حضروا سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في إحدى مجالسه، وكان يقول صلوات ربي وتسليماته عليه:

{ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفًا بغيرِ حِسَابٍ، قَالُوا: مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: هُمُ الَّذِينَ، لَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ، وَلَا يَكْتُمُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ }^{٢٩}

وأصيب بعد انتقال النبي صلى الله عليه وسلم إلى الملاء الأعلى بداء البواسير، وآذته إيذاءً شديداً، وعرض نفسه على الأطباء لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال لنا:

{ يَا عِبَادَ اللَّهِ، ثَدَاوُوا، فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَضَعْ دَاءً إِلَّا وَضَعَ لَهُ شِفَاءً }^{٣٠}

فيجب أن لا يقول أحد أن الصالحين لا يتداوون، فيكونوا بذلك خالفوا كلام النبي، بل يجب عليهم أن يذهبوا للأطباء تنفيذاً لكلام النبي حتى لو لم يكونوا في حاجة إلى العلاج، لأن ذلك يكون تنفيذاً لأمر النبي صلى الله عليه وسلم، لأنهم قدوة يقتدى بهم وهداة يهتدى بهديهم.

ولأنهم إذا إمتنعوا عن الذهاب إلى الأطباء قد ينساق إلى ذلك بعض الضعفاء الذين يمشون حولهم ويتلمسون لأنفسهم حُججاً ومعاذير، لماذا نذهب إلى الأطباء وشيخنا فلان لا يذهب إلى طبيب؟ فنكون بذلك حاربنا سنة الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم في التطبيب.

فعرضوا عليه العلاج وقالوا: لا دواء له إلا الكي بالنار، وبعدما اكتوى زاد مرضه فقال له أخوه: إنني تعجبت من أمرك كنت أظن أنك بعد شفاءك من البواسير سترد إليك صحتك وعافيتك، فما بالك؟ قال يا أخي الحمد لله قد شفيت من البواسير، لكن كانت تأتيني الملائكة فتجالسني وتحادثني ولما اكتويت امتنعت عن الإتيان إليّ ومجالستي فهذا الذي

٢٩ صحيح مسلم ومسند أحمد عن عمران بن حصين رضي الله عنه
٣٠ جامع الترمذي وسنن أبي داود عن أسامة بن شريك رضي الله عنه

أمرضني ... لكي نعرف أن الملائكة كانت تنزل لهؤلاء الناس، وهذا أصل ثابت في ما ورد عن أصحاب الحبيب في كتب السنة المعتمدة، وأنتم تعرفون أن الملائكة نزلت معهم في غزوة بدر ونزلت معهم في كل المعارك والغزوات لكي يبشروهم ويثبتوهم.

لماذا تنزل عليهم الملائكة؟ ﴿أَلَا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾ الإنسان يخشى العواقب فيما يأتي ويخاف على الذين يعولهم ويخلفهم من ورائه، فأمن الله ﷻ هؤلاء من الناحيتين، لا يخافون من العواقب لأن الله ﷻ يبشرهم وتولى أمرهم، ولا يحزنون على ما خلفوا لأن الله ﷻ ضمن لهم: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ (٢١ الطور).

أو يخاف الإنسان في قول آخر من المستقبل، ودائماً الصالحين يخافوا مثلما كان سيدنا أبو بكر رضي الله عنه يقول: (لا آمن مكر الله ولو كانت إحدى قدمي في الجنة) يخافون من مكر الله، والمكر هنا ليس معناه مكرأ كما في المفهوم العام بالنسبة للأنام، وإنما المكر بالنسبة لله هو حسن التدبير... فلا تعلم نفس ما قُدر لها غداً، ولا تعلم نفس ما يحتتم لها به عند لقاء الله، وأنبياء الله ورسله بذاتهم كانوا يسألون الله ﷻ أن يحسن لهم الختام، سيدنا يوسف عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام كان يقول: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ (١٠١ يوسف) وأنتم كلكم تعلمون مسيرة يوسف، وكيف كانت عفته وحفظ الله له وصيانته وطاعته لمولاه وبره بأبويه وعفوه عن أساء إليه، ومع ذلك كل هذه الخلال لم تشفع له من الخوف من ذي الجلال والإكرام ﷻ.

والصالحون يخافون مما ارتكبه من الذنوب والآثام لأنهم لا يدرون هل تاب الله عليهم وعفا عنهم أم سيحاسبهم عليها، فإن الله ﷻ لو حاسبنا على ذنب واحد هلكننا جميعاً، فأمنهم الله في هذا المقام، ألا تخافوا مما هو قادم لكم من الأيام، فإن الله سيتولى توفيقكم ورعايتكم وربّ يدخلكم الله في أهل بدر فقد قال فيهم الحبيب رضي الله عنه:

{ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَكُونَ قَدْ أَطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ، فَقَالَ: اْعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ }

يعني يتولاهم الله بما يسمى بالحفظ، فالأنبياء لهم العصمة والأولياء لهم الحفظ، وإذا

حفظ الله عبداً من المعاصي والذنوب كلها وقاه وحماه: ﴿ فَأَلَّه خَيْرٌ حَفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ (٦٤ يوسف).

وسرهم الله ﷻ بأن لا يحزنوا على ما فاتهم من الذنوب، ويعلموا علم اليقين أن الله أدخلهم في قوله في قرآنه الكريم: ﴿ فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ﴾ (٧٠ الفرقان) قد يلهمهم الله ﷻ بذلك فيفرحوا ويستبشروا، وقد يكشفهم الله ﷻ باطناً بحقيقة ذلك فيحمدوا الله ﷻ على توفيقه ويستغفروه... وإذا كان القوم من الذين أقامهم الله ﷻ لهداية الخلق إليه، فإن الله ﷻ يقول لهم: لا تخافوا على أحببكم الذين أخذتم بأيديهم، لأننا سنعطيكم الشفاعة فيهم يوم الدين، فقد قال ﷻ:

{ يَشْفَعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلَاثَةٌ الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الْعُلَمَاءُ، ثُمَّ الشُّهَدَاءُ }^{٣٢}

فيشفعون كما ورد في الأثر: (إذا كان يوم القيامة يقال لأهل العبادة: ادخلوا الجنة، ويقال للعلماء: اهبطوا إلى أرض الموقف فكل من قدم إليكم معروفاً من أجلي وكل من واساكم من أجلي فخذوا بيده وأدخلوه معكم الجنة)

وورد في أثر آخر: (إذا ضاق بالعبد الأمر ولم يجد له مخرجاً تسأله الملائكة هل عرفت عالماً من علماء الدنيا الصالحين؟ فيقول: لا، فيقولون له: هل جلست مجلساً واحداً مع عالماً من الصالحين؟ فيتذكر، ويذكره الله فيقول: فلان، فيقولون له: اهتف باسمه ثم يبلفون العالم ويقولون له فلان يهتف باسمك ويطلب منك أن تشفع له فيشفع له، فيشفعه فيه الله ﷻ)

﴿ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا ﴾:

لا تخف على الذين هم معك هناك، ولا من ستركهم هنا، لأنه ما دمت هديتهم إلى المنهج القويم القائم على شرع العزيز الحكيم، والموافق لسنة الرؤوف الرحيم، ودعوتهم إلى ذلك، ولقنتهم ذلك، فثق أنهم إن شاء الله ناجون.. مادام علم وعمل، وفي الآية كلام لانستطيع عده ولا حصره، ونكتفي بهذا القدر حتى نتقل إلى غيره.

٣٢ سنن ابن ماجة عن عثمان بن عفان

بشريات الأولياء

﴿ وَأَبشُرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ ﴿٤٥﴾ كل واحد يعطيه الله مناه، ويحقق له الله الأمل الذي يراوده في صدره إذا صدق مع مولاه، إذا كان هو في الدنيا يريد أن يكون من أهل العلم اللدني سيكشف الله ﷻ له عن ذلك، لكن بعد أن يحصنه من المهالك، لأنه إذا أفاض عليه العلم اللدني والنفس مازالت حية فستلدغه بسُمَّها، وسيسعى للظهور، أو جلب الدراهم، أو للفخر والرياء، ويدخل فيما حذر منه أمير الرسل والأنبياء في قوله ﷺ:

{ مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِيُمَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ، أَوْ لِيُبَاهِيَ بِهِ الْعُلَمَاءَ، أَوْ لِيَصْرِفَ وُجُوهَ النَّاسِ إِلَيْهِ، فَهُوَ فِي النَّارِ }^{٣٣}

إذاً يجب التحصين أولاً، وأنا أقول ذلك لأن كثير من المريدين المتلهفين يريدون أن يأخذوا العطايا قبل التحصين، ولا يجوز ذلك عند الصالحين المتمكنين، فلا بد من أن تحصن النفس أولاً من المعاطب، وتجنبها المهالك، وتصحح القصد في كل نفس لكي يمنحك ويعطوك ويؤهلك ويضمنوك أنك لن تسعى بذلك إلى ما يخالف شرع الله جل في علاه.

وعندنا نماذج وأمثلة لا تعد ولا تحصى في هذا الباب، إذا كان يريد مطالب الصالحين في الحياة الدنيا وهي لا تعد ولا تحد، منهم من يطلب الكشف الإلهي، ومنهم من يطلب الإطلاع على الأنوار الربانية السارية في كل الكائنات العلوية والسفلية، ومنهم من هو على قدره يطلب الرؤيا الصادقة المنامية، ومنهم من يطلب أن يكون على الدوام كل ليلة مع الحضرة الحمديّة .. كل هذه الأشياء الله ﷻ يعطيها لهم لأنه قال في شأنهم: ﴿ هُمْ مَّا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ (الزمر ٣٤) وأعلى مرتبة من الجنان تسمى جنة المعرفة بالله ﷻ، قيل في ذلك: إن لله جنة عاجلة من دخلها لا يحتاج إلى الجنة الآجلة ألا وهي المعرفة بالله تعالى.

وإذا كان يريد الجنة في الآخرة فالله ﷻ يعطيه أي منزل من منازل الآخرة، وأرقى المنازل وأعلها وأبهاها هي رؤية وجه الله ﷻ.

﴿ وَأَبشُرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ ﴿٤٥﴾ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي

﴿ لِيُحَسِّنَ أَهْلُ الْجَنَّةِ بَعْدَمَا يُجَاوِزُونَ الصِّرَاطَ عَلَى فَنَطْرَةٍ، فَيُؤْخَذُ لِبَعْضِهِمْ مَنْ بَعْضٍ مَطَالِمُهُمُ الَّتِي تَطَالَمُوهَا فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا هُدُّوا وَتَقُوا، أُذِنَ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ، فَلَأَحَدُهُمْ أَعْرَفٌ بِمَنْزِلِهِ فِي الْآخِرَةِ، مِنْهُ بِمَنْزِلِهِ كَانَ فِي الدُّنْيَا ﴾^{٣٦}

لست محتاجاً أن تأخذ العنوان وتطلب أن يوصلك أحد، لكن: ﴿ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا هُمْ ﴾ (٦٦مخ) يجب أن تعرفها وأنت هنا، فيكشفوها لك، ويورونك إياها، فتعرف طريقها، وتعرف إلى أين أنت ذاهب، سيدنا عمرو بن الفارض رضي الله عنه وأرضاه في سكراته الأخيرة كاشفه الله سبحانه بمنزله في الجنة، فقال مخاطباً ربه سبحانه:

فإن تك منزلتي في الحب عندكم ما قد رأيت فقد ضعيت أيامي

إن كانت منزلتي القصور العالية التي في الجنة هذه فإن أيامي كلها ضاعت، إذا فماذا تريد؟! أريد وجهه: ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾ (٥٢ الأنعام)، ماذا تريد؟ وجه الله سبحانه ورفقة الحبيب صلى الله عليه وسلم، فتدخل في قوله سبحانه: ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ ﴾ (٢٩ الفتح) وتكون في هذا المقام، ماذا تريد؟ ﴿ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ﴾ (٦٩ النساء) هذا الذي تشتتهيهم أنفسهم، ولذلك كان الرجل الصالح يقول:

فنظرة منك يا سؤلي ويا أملِي أشهى عليّ من الدنيا وما فيها

كل ما أريده نظرة واحدة منك، ولذلك أعطى الله لهم شئ عظيم وعجيب وغريب: ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴾ سمعت مولانا الشيخ محمد علي سلامة رضوان الله عليه يقول:.. أن هذه الآية أعظم من: ﴿ هُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ (٣٤ الزمر) فلهم ما يشاءون تعني أن ما يريدونه سيأخذوه، لكن ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴾. يعني حتى الذي لم يكن ليخطر ببالهم ويريدونه فسوف يأخذوه، فما سوف يدعوه مع حال في الدنيا فسوف يأخذوه، فإذا بشروا أحد ببشرى عظيمة فإن الله يلبسها لهم، وإذا بشروا أحد بمنزلة كريمة فإن الله يقرها لهم، وإذا بشروا أحد بتوبة فإن الله يقبل توبته....

٣٦ الحاكم في المستدرک عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

ولذلك قال ﷺ في سيدنا أبو لبابة عندما ربط نفسه بسارية المسجد وقال:

{ لا أبرح مكاني حتى يثوب الله عليّ مما صنعت، وعاهد الله لا يطأ بني قريظة أبداً، ولا يراني الله في بلد حنت الله ورَسُولُهُ فِيهِ أَبَداً، فلَمَّا بَلَغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَبْرَةَ، وَأَبْطَأَ عَلَيْهِ، وَكَانَ قَدْ اسْتَبْطَأَهُ، قَالَ: "أَمَا إِنَّهُ لَوْ كَانَ جَاعِي لاسْتَعْفَرْتُ لَهُ. أَمَا إِذْ فَعَلَ مَا فَعَلَ، فَمَا أَنَا بِالَّذِي أَطْلَقُهُ مِنْ مَكَائِهِ، حَتَّى يَثُوبَ اللَّهُ عَلَيْهِ" }^{٣٧}

هذا الكلام كله منزلة وليس حال، لأن دوام الحال من الحال:

﴿ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴾ كل هذه العطاءات منزلة ثابتة يقينية لهم عند الله ﷻ، ثم شملهم الله ﷻ باسمين عظيمين من أسماء الله يجعلونهم في بشرى دائمة من حضرة الله، لأن اسم الغفور ملاحظ لهم، وهذا يجعلهم لا يخشون ما اقترفوه ولا ما فعلوه، واسم الرحيم قرين لهم، لأن الله يقبل الشيء الصغير منهم ويضاعفه لهم أضعافاً كثيرة.

تحدثنا عن أولياء الله، وأحباب الله، والصالحين وأوصافهم وأخلاقهم وأحوالهم وما جهزه الله ﷻ لهم من أنواع النعيم وأصناف التكريم، وما ذكرناه ينطبق على أتباع الصالحين وأحباب الصالحين والمعنيين والمؤازرين والمساعددين للصالحين في كل وقت وحين.

أوصاف أئمة الصالحين

إذاً فمن يريد أن يكون إماماً من أئمة الصالحين؟

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾

ليس هناك أفضل ولا أرقى ولا أعلى ولا أجهى من الذي يدعوا الخلق إلى الله ﷻ، وأعظمهم وأكرمهم وأستاذهم ومعلمهم هو سيدنا رسول الله ﷺ، تنطبق الآية على حضرته وتنطبق أيضاً على ورثته.

فإن الوارث له حكم مورثه، كيف نعلم أن هذا الرجل وارثاً لرسول الله ﷺ فنتبعه ونُسَلِّمُ إِلَيْهِ؟ عندما يكون أوصاف الحبيب ﷺ التي ذكرها في قرآنه ظاهرة لنا فيه، فكأنه

صورة صغيرة جداً جداً مجملَةً بجمال رسول الله ﷺ، لا يدعوا إلى الآخرة ولا يدعوا إلى الجنة فقط وإنما يدعوا إلى الله، وهذه أعلى المقامات.

هناك دعاةٌ للشريعة يُعلِّمون الناس شرع الله، وهم علماء الشريعة، ويقال لهم الفقهاء، وهناك دعاةٌ إلى الجنة وهم العباد؛ الذين يتفنون في العبادة على نهج رسول الله، ليكون لهم درجات عالية في الجنة، وهناك دعاةٌ للنجاة من النار وهم الزُّهاد؛ الذين يزهدون في الدنيا وطيباتها وشهواتها حتى يضمنوا عدم الدخول في جهنم وبئس القرار، وهناك دعاةٌ إلى عمل البر والخير .. لكن أعلى هؤلاء مقاماً الذي يدعوا إلى الله جل في علاه، إلى جمال الله، وإلى كمال الله، وإلى جلال الله، وإلى مراقبة الله، وإلى خشية الله جل في علاه .. وهذا المقام الأعلى الذي كان عليه رسول الله ﷺ وورثته: ﴿ إِنَّمَا تَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الَّذِينَ عَلَّمُوا أَنْ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ (٢٨ فاطر).

هؤلاء هم العلماء الذين على الحق اليقين: ﴿ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ ﴾ (٣٩ الأحزاب) ويدعون إلى الله بأفعالهم وأحوالهم قبل أقوالهم، فإن الدعوة إلى الله بالحال فوق الدعوة إلى الله بالمقال، وقد قيل (حال رجل في ألف رجل خيرٌ من كلام ألف رجلٍ في رجل واحد) من أجل ذلك قال تعالى: ﴿ وَعَمِلْ صَالِحًا ﴾.

ومع أنهم وصلوا إلى أعلى مقامات خشية الله، وتقوى الله، والخوف من جلال الله، وكبرياء الله، ويدعون إلى الله بحالهم وبأعمالهم؛ إلا أنهم لا يرون لأنفسهم لا حالاً ولا قالاً ولا ظهوراً، ويجعلون أنفسهم في غمار المسلمين: ﴿ وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ المسلمين المسلميين لله ﷻ في كل وقت وحين، فلا يعترضون على قضاء، ولا يجزعون عند بلاء، ولا يشتطون في معادات الأعداء، بل يمشون على نهج سيد الرسل والأنبياء ويسلموا لأمر الله جل في علاه، هذا حالهم مع الحق.

أما حالهم مع الخلق:

﴿ وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾:

أخلافهم مع الخلق تكون كما قال أبو ذر رضي الله عنه:

{ أوصاني خليلي أبو القاسم عليه السلام بسبع خصال، فلن أدعهن حتى ألقاه، أمرني بحب المساكين ومجالستهم، وأنظر إلى من هو دوني، ولا أنظر إلى من هو فوقني، ولا أسأل الناس شيئاً، وأن أغفو عمن ظلمني، وأصل من قطعني، وأن أقول الحق وإن كان أمر من الصبر، ولا تأخذني في الله لومة لائم، وأن أكثر من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله {^{٣٨}

من لم يدخل نفسه بنفسه بجهاد نفسه في هذه المقامات فليس له في الدرجات العليا نصيب، لأن هذه التي قال الله عز وجل لحبيبه فيها: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ (الأعراف ١٩٩) فقال عليه السلام لما نزلت هذه الآية:

{ مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَغْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَكَ، وَتُعْطِيَ مَنْ حَرَمَكَ، وَتَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ {^{٣٩}

ولذلك لو وجدت رجلاً في عداد أحباب الصالحين يحاسب أحابيه وإخوانه على الصغيرة والكبيرة، والهفوة الصغيرة يجعلها كبيرة فاعلم أنه ليس منهم، إذاً فما بال أحباب الصالحين؟ اسمع للإمام أبو العزائم ماذا يقول فيهم:

وستراً لعورات الأحبة كلهم وعفواً عن الزلات فالعفو أرفق

إذا وجدت أحد كلما تكلم يتحدث عن هذا وذاك تعلم أنه شيطان وسط الأحباب، وهذا مفرق بين الأحبة، إذا تحدث معك عن أن فلان قال عنك كذا وكذا، ألا تتغير القلوب؟! ألا تتغير الصدور؟! وهذا ليس حال أهل النور.. أهل النور أهم ما يحرصون عليه سلامة قلوب جسد الإخوان.

الإخوان جسد واحد، تسري فيهم روح واحدة هي روح المحبة الإلهية، وروح الأسرار النبوية، وروح الأخلاق والذات الحمديدية المصطفوية، فالذي يسعى فيها بالنميمة يكون شيطان، ويكون مقرون بالشيطان، وليس له نصيب في وراثة النبي العدنان عليه السلام.

٣٨ اتحاف الخيرة المهرة للبوصيري

٣٩ جامع البيان عن تأويل أي القرآن، وتفسير ابن أبي حاتم

﴿ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾

عندما يمشي الإنسان بهذه الأخلاق فإن أعداءه سيصبحون أحب الناس له، مثلما كان يحصل مع حضرة الحبيب، وأصحاب الحبيب، ومن حاربوا الصالحين وانقلبوا إلى عاشقين بأحوال الصالحين مما رأوا من أخلاقهم في كل وقت وحين.

وهنا توجد زلة كبيرة جداً يقع فيها كثير من المحبين، وهو لا يدري أنها زلة، مع أنها عمل خسيس من أعمال الشيطان الرجيم..:

مع زوجته في البيت كلما يجلس مع زوجته، يقول لها أختك قد فعلت كذا وكذا، وأخوك فعل كذا، وأبوك صفتة كذا، وأمك كذا، ويريد أن يستأثر بها لوحده ويقطعها عن أهلها .. هل يصح هذا الكلام؟! هل هذا ذكر الله الذي أمرت به؟! لماذا لا تقرأ معها كتاب الله؟! أو تذكر معها في سيرة الصالحين من عباد الله؟!

لماذا لا تذكرها بسير السلف الصالح؟!.

لا يمشي المرید في طريق الله أمثلة إلا إذا منع نفسه عن قيل وقال حتى مع زوجته، هل عندك الوقت لقيل وقال؟! إنما قيل وقال فقط تكون عند قال الله، وقال رسول الله، وقال الصالحين من عباد الله، لكن هل عندي وقت للأقوال الغير لائقة الهابطة المنافية للأدب؟! وهذا الذي ضيَع الأمة الإسلامية والمجتمع الإسلامي ومجتمعات الصالحين في هذا الزمان.

فالناس مفتحة الأعين على أخطاء الآخرين، ولو لم يجد خطأ يتلمس أخطاء!! في حين أنه من المفروض أن تكون عدساته كلها على نفسه، وأخطاء الناس وراء ظهره، فما لي أنا وما لهم؟! وهل سأحاسبهم؟ الذي سيحاسب الكل هو رب الكل، وأنا يجب أن أكون مثل رسول الله: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ (الأحزاب) السَّمْح، السَّمْح، العفو، الصفح .. أليست هذه أخلاقه؟! إذا لم تكن سنتخلق بها فمن الذي سيتخلق بها؟!.

الجهاد الأعظم

من يريد أن يكون من ورثة رسول الله ﷺ عليه أن يصل من قطعه، ويعطي من حرمه، ويعفو عن ظلمه .. لكن سيجعل نفسه كبيراً، فإن نفسه ستقول له: كيف تذهب

لتصالحه؟! يجب أن يأتي هو ليصالحك، إذا سبق مثلما أنت في حزب الشيطان، لأن حضرة النبي ﷺ قال:

{ وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ }^{٤١}

وأنت لا تريد أن تدخل في هذه الخانة، إذا كيف تريد أن تكون وارثاً لرسول الله؟! أليست هذه أخلاق الإسلام؟! أخلاق تحتاج عزيمة قوية لكي يتفضل الله ﷻ بها على العبد، يتفضل عليه بالأخلاق الإلهية، وبالدرجات الوهبية التي يقول لنا فيها الله في آياته القرآنية: ﴿ وَمَا يُلقِنَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا ﴾ صبروا على ماذا؟ صبروا على جهاد النفس، هذا هو الصبر الأعظم، فالصبر على الحرب سهل، والصبر على المُر سهل، لكن الصبر الأعظم هو الصبر على جهاد النفس: ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ﴾ (٧٨ الحج) ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا ﴾ ليس في الحرب!! ﴿ لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ السُّبُل خاصتنا التي تؤدي إلى جمالنا وكمالنا وعلومنا ولأحوالنا العلية وكشوفاتنا القدسية، وهؤلاء أين أقلهم؟

﴿ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٦٩ العنكبوت) يجب أن يكون في مقام الإحسان.

﴿ وَمَا يُلقِنَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلقِنَهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ والحظ هنا يعني عناية

من الله، فأصل الولاية عناية في خبا الأيام ادَّخرها الله ﷻ لمن أحب من الأقوام، واطَّلَع عليهم الحبيب المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام، وأمره أن يواليهم بنظرات العطف والحنان والشوق والإكرام، حتى يتربوا التربية النورانية فيكونوا دائماً وأبداً لا يغيبون عن الله ﷻ، ولا يغيب عنهم الله ﷻ طرفة عينٍ ولا أقل...!!!

فجهاد النفس هو السبيل الأوحد لتكون مع الأحبة:

جاهد نفوساً فيك بالشرع الأمين واحذر قوى الشيطان في القلب كمين
غل وحرص من حسود جاهلٍ ظلم العباد بنية في كل حين

هذه القصيدة أخذنا سنوات في تطبيقها لكي نفوز ونجوز، لأني وضعتها في لوح القلب، فأخذ في ترديدها، ويحاول أن يتخلص من الصفات التي أشاروا إلينا لنا فيها.

٤١ البخاري ومسلم عن أبي أيوب الأنصاري ﷺ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿ فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّعُ
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ
وَأَبْقَى لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ
يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَالَّذِينَ سَجَّتْ بُونَ
كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ وَإِذَا مَا
غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ
اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ
وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا
رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ إِذَا
أَصَابَتْهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾

وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ
عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ
إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾ وَلَمَنْ
أَنْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا
عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ ﴿٤٢﴾ إِنَّمَا
السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلُمُونَ
النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ
الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ
أَلِيمٌ ﴿٤٣﴾ وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ
ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿٤٤﴾

(الشورى)

٣. أهل عنديّة الله^{٤٣}

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - الحمد لله الذي أنزل لنا القرآن شفاءً ورحمةً للمؤمنين، ويا ليت كل مؤمن يتناول من هذا الشفاء جرعة كل يوم، فإنه يعيش حياته كلها بلا داء ظاهرٍ أو باطنٍ، ويجعله الله من الأتقياء الأنقياء، ويُتَوَجَّهُ بتاج ولايته يوم العرض واللقاء، اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على سيدنا مُحَمَّد الذي جعل الله قلبه محلاً لتنزل القرآن، ولسانه أول لسان ينطق بالقرآن، وبدنه أول جسم يقوم بالعمل بما جاء به القرآن، وأخلاقه وأوصافه ترجمة عملية لما طلبه حضرة الرحمن، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، والداعين بدعوته، والمتشرفين بالإنسحاب إلى أمته، واجعلنا معهم ومنهم أجمعين .. آمين آمين يا رب العالمين.

مناع الحياة الدنيا

سيدنا رسول الله ﷺ هدَّده الروم بأنهم سيرسلون جيشاً كبيراً يستأصل المسلمين أجمعين بما فيهم نبي الأمة ﷺ، وقالوا أن هذا الجيش سيكون عدده مائتي ألف، فماذا يصنع؟ فأعلن النبي ﷺ الخبر على أصحابه، ودعاهم إلى التبرُّع بما يستطيعون بالنفس وبالمال وبالزاد وبالمركوب - الإبل والخيول التي يركبونها - وبالسلاح ليُجهَّز جيشاً يستطيع به أن يقابل هؤلاء الأعداء.

وجلس في المسجد، والمسجد كان مقرّ البرلمان، ومقرّ رئاسة الجمهورية، ومقر حضرة النبوة، ومقر مجلس الشورى، ومقر حلقات العلم وحلقات الذكر، وكل شيء كان يتم في بيت الله تبارك وتعالى.

فعرَّفهم ودعاهم إلى التبرُّع، وجاء كل واحد بما تجود به نفسه، سيدنا عمر يقول وافق هذا وفرّة عندي في المال، فجنّت بنصف مالي، وظنّ أنه لن يسبقه أحد، فسأله النبي ﷺ والجميع يسمع:

{ مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟ فَقَالَ: مِثْلُهُ }^{٤٤}

جاء بنصف ماله، وأبقى لأهله النصف الآخر، ثم جاء سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه، والنبي بالبصيرة الإلهية صلوات الله وسلامه عليه يعلم بعلم ربه علم اليقين ماذا سيصنع أصحابه المباركين، يعلم أن هذا الرجل لن يترك شيئاً وسيأتي بكل شيء، ولذلك لم يقل له: بماذا أتيت؟ ولكن قال له:

{ يَا أَبَا بَكْرٍ مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟ قَالَ: أَبْقَيْتُ لَهُمُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ }^{٤٥}

يعني أتى بكل ما يملك لله ورسوله، وكعادة البشر، العادة التي أمرنا بالتخلص منها سيد البشر، دائماً الناس يحبون التدخل فيما لا يعينهم، فقال لنا:

{ مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَغْنِيهِ }^{٤٦}

مثلاً لو اشترى أحد محمول غال، يسأله أحدهم: من أين اشتريته؟! وبكم؟! ولماذا؟! فهذه الأسئلة لا ينبغي أن تُقال، فهل أنت ولي أمره؟! فحتى لو أنك محاسب لن تسأله هذا الأسئلة... فالمؤمن يجب أن لا يتدخل في أمور غيره، إلا إذا كان على سبيل النصيحة بالطريقة الصحيحة.

فأخذ البعض يلومون سيدنا أبو بكر: لماذا أتيت بمالك كله؟ ولماذا لم تترك شيئاً لأولادك؟ وهذا يكلمه، وهذا يكلمه، فنزل قول الله تبارك وتعالى: ﴿فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ كل ما معك في الدنيا، إن كان مال أو أرض أو عمارات أو فيلات أو صحرة أو شهادات أو منصب أو جاه.. كل هذا ما دام في عالم الفناء فيكون إلى الفناء، متاع فان: ﴿فَمَتَّعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾.

ولماذا يعمل المؤمن يا رب؟ ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ أنتم تلومون هذا الرجل الذي يعمل لأنه يريد أن يكون في درجة عليّة هنيئة عند رب البرية، المفروض أن تلوموا من شغلته الدنيا الدنية عن طاعة الله، ولكن نحن نلوم الذي يستكثر من الخير، ويفتح أبواباً للبر ليصل إلى درجة العندية.

٤٤ جامع الترمذي وأبي داود

٤٥ جامع الترمذي وأبي داود

٤٦ جامع الترمذي وابن ماجة عن أبي هريرة رضي الله عنه

حضرات القرب العلية

فدرجات القرب مع حضرة الله منها درجة اللدنية وهي للأنبياء والمرسلين:
 ﴿وَأَنَّكَ لَتَلَقَى الْقُرَّاءَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾﴾ (النمل ٦) ويصل إليها أحياناً كُمل
 الوارثين: ﴿ءَاتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ (٦٥ الكهف)

الدرجة التالية لها هي درجة الصديقين، واسمها درجة العندية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ
 لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ﴾ (٢٠٦ الأعراف) عند الله بأرواحهم وقلوبهم، وهي درجة عالية.

وهناك درجة المعية لأهل الإحسان:

﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ (١٢٨ النحل).

فدرجة المعية لأهل مقام الإحسان، ودرجة العندية لأهل مقام الإيقان، ودرجة اللدنية
 لمن تجاوز المقامات وفات الدرجات، وأصبح ليل نهار في المشاهدات والمواجهات لإكرامات
 الله تبارك وتعالى.

مقام العندية درجة راقية، وهي التي اختارها الله لسيدنا أبو بكر الصديق رضي الله
 تبارك وتعالى عنه، وهي الدرجة الباقية.

هل يوجد رجل يكون عند الله صديقاً ويُحال إلى المعاش، أو يتم عزله؟! لا، فالدرجات
 التي في الدنيا كلها حتى ولو كان رئيس جمهورية فهي دورة، وقد ينتهي قبل الدورة فتقوم
 عليه ثورة، أو يقدم استقالة أو غيره، وكذلك كل الدرجات الدنيوية.

لكن الدرجات الباقية الراقية هي الدرجات الأخروية عند الله تبارك وتعالى، والمؤمن لا
 بد أن يحرص في دنياه أن لا يخرج من هنا إلا إذا حصّل منزلة كريمة عند مولاه، لأن
 التحصيل من هنا، مثل الإنتخابات، هل لو انتهت الإنتخابات يترشح أحد آخر؟ لا، فقد
 انتهى الأمر.

فإذا انتهت الحياة الكونية بالنسبة له لم يعد هناك عمل...!!

ولا يستطيع أن يُحقق من الأمل إلا ما يوافق ما عمله من عمل، فإذا كان يريد أملاً
 أكبر من ذلك، فلم لم تعمل له!؟.

أمل المؤمن في حصة القريب

ولذلك المؤمن الكيس الفطن دائماً يوطن نفسه من الدنيا، ما الدرجة التي يريد أن يخرج عليها من الدنيا ويلقى بها الله؟ فيبحث عن هذه الدرجة وما الأعمال التي توصل إليها؟ وما الأحوال التي تجعل الإنسان يكتسبها؟ وما المنافع التي تعود على الإنسان من رقيه إلى هذه الدرجة؟

لكن الذي لم يحدد في ذهنه ولا قلبه درجة يخرج بها من الدنيا . يعيش في الدنيا بلا معنى، وعند خروجه من الدنيا يقول: ﴿ يَحْسَرُنِي عَلَىٰ مَا قَرَّطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ ﴾ (٥٦ الزمر) سيتحسر لأنه لم يجد ما كان يتمناه، نفرض أنه كان يتمنى درجة ولكنه وقف عند التمني، ولم يبحث عن الأعمال التي توصل إليه فيعملها، ولا الأحوال التي تجعله ينزل فيها فيتجمل بها:

{ لَيْسَ الْإِيمَانُ بِالْتَّمَنِيِّ وَلَا بِالْتَّحَلِّيِّ ، وَلَكِنْ مَا وَقَرَ فِي الْقَلْبِ
وَصَدَقَهُ الْعَمَلُ }^{٤٧}

فلا بد أن أحدد الدرجة في مَهْجَة فؤادي، وأستعين بكتاب الله، وأنظر إلى المواصفات التي تؤدي إلى هذه الدرجة.

مقام العندية

من الذي يريد أن يكون من أهل مقام العندية؟ ... ننظر من الذي سينزل فيه: ﴿ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ لمن؟ ﴿ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾

أول صفة الإيمان الصادق، فهو الذي يُوَصِّل إلى مقام التوكل، والإيمان الذي يُوَصِّل إلى مقام التوكل إيمان عالٍ، لأنه يجعل المرء بما في يد الله أوثق منه بما في يد نفسه، لا يخاف أن تضيع الدنيا منه، ولا يفرح إذا جاءته، كما كان سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وربنا مدحه وقال له: ﴿ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ﴾ (٢٣ الحديد) لأن كل ما عنده ينفقه في سبيل الله، فلم يحزن عليه! فهذا يطمئن أنه باق له يوم لقاء الله تبارك وتعالى.

٤٧ دليل تاريخ بغداد لابن النجار عن أنس رضي الله عنه

سيدنا رسول الله ﷺ أعطى حتى نساءه درساً عملياً في هذا الباب الهام، ذبح شاة وأمر السيدة عائشة رضي الله عنها، وتركها وخرج وبعد أن رجع سألها:

{ مَا بَقِيَ مِنْهَا؟ قَالَتْ: مَا بَقِيَ مِنْهَا إِلَّا كَتْفُهَا، قَالَ: بَقِيَ كُلُّهَا غَيْرَ كَتْفِهَا }^{٤٨}

{ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ } (٩٦ النحل) الباقي الذي تُعطيهِ الله تبارك وتعالى، لكن ما كان عندك لو عشت مائة سنة أو عشت ألف سنة، فسيأتي يومٌ من الأيام سيقال لك: اترك هذا كله وتعالى فلم يعد لك فيه شيء ولكنه ملكٌ للورثة، وحتى ليس من حَقِّك أن تتدخل في توزيعه، فنحن نوزعه بما أنزل الله في كتاب الله، وبما بين ووضح سيدنا رسول الله صلوات الله وسلامه عليه.

سيدنا أبو بكر من شدة إيمانه قال فيه النبي ﷺ:

{ لَوْ وُزِنَ إِيمَانُ أَبِي بَكْرٍ مَعَ إِيمَانِ النَّاسِ لَرَجَحَ إِيمَانُ أَبِي بَكْرٍ }^{٤٩}

إيمانه يساوي إيمان الأمة كلها، فما برهان هذا الإيمان؟ وما دليل هذا الإيمان عند الله وعند الخلق؟ التوكل على الله ﷻ: { وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ } وهي الصفة الثانية، فقد كان متوكلاً توكلاً تاماً على رب العباد ﷻ، فقد أتى بما عنده كله، ولم يخش أن يجوع أولاده، أو يحتاجون، لأنه يعرف أن الرزاق لن ينسأهم، ولن يتركهم لغيره طرفة عين ولا أقل.

ولكن هذا العمل يحتاج إلى يقين: { وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ } (١٩٩ الحجر) يحتاج إلى إيمان يصل إلى درجة اليقين، ويحتاج إلى حُسن التوكل في كل الأمور على رب العالمين ﷻ.

والتوكل لا ينافي الأسباب، لكن أنا أسعى في الأسباب، وأعتمد في النتيجة على رب الأرباب ﷻ، والنتيجة التي يأتيها بها أرضى بها، ولا أعترض عليها، ولا أتمنئ، ولا أتغير، لأنني بذلتُ ما في وسعي، وأعرف أن الله ﷻ يختار لي الأفضل والأقوم والأحسن في الدين والدنيا والآخرة.

٤٨ جامع الترمذي ومسنَد أحمد عن عائشة رضي الله عنها
٤٩ الفوائد المجموعة للشوكاني

كَبَائِرُ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ

الصفة الثالثة: ﴿وَالَّذِينَ سَجْتَنُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ﴾ وهناك قراءة أخرى: ﴿وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ﴾ إذا أخذنا بالقراءة (كبير الإثم) فأكبر إثم في الدنيا هو الشرك بالله تعالى، قال ﷺ:

{ أَلَا أُنبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكِبَائِرِ؟ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، وَجَلْسَ وَكَانَ مُتَكِنًا، فَقَالَ: أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ {^{٥٠}

والشرك قد يكون ظاهر جلي، كالكافرين والجاحدين، وقد يكون شرك خفي كالذي يقع فيه المؤمن، والذي قال فيه ﷺ:

{ إِنَّ أَحْوَفَ مَا أَحَافُ عَلَيْكُمْ الشُّرْكَ الْأَصْغَرُ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الشُّرْكَ الْأَصْغَرُ؟ قَالَ: الرِّيَاءُ {^{٥١}

وهو أن الإنسان يعمل للعمل للشهرة وللسمعة، ولكي يعرف الناس أنه عمل كذا وكذا، وهو نوع من أنواع الشرك ولكنه شرك خفي، ولذلك يقول فيه الله: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ (١٠٦ يوسف) فأكثرية المؤمنين بالله عندهم هذا الشرك وهو الرياء، والإعجاب بالنفس؛ يفرح بنفسه ويرى أنه ليس أحد مثله.

وهناك مصيبة من المصائب التي نهانا عنها سيدنا رسول الله واسمها العُجب، أي الإعجاب بالنفس، لأن المؤمن لا يُعجب أبداً بنفسه، لأنه غير مطمئن إلى قبول الأعمال، فقبول الأعمال في غيب الغيب عند الواحد المتعال تبارك وتعالى.

والفواحش هي الكبائر التي إذا ارتكبتها الإنسان تُقام عليه الحدود الشرعية، كالزنا، وقتل النفس التي حرم الله، وكشرب الخمر، وكأكل الربا، كل هذه كبائر تستوجب الحد لو طبقت الأحكام الشرعية.

هل معنى ذلك أن هذه الآية تُبيح للمؤمن أن يعمل الصغائر؟! لا، لكن معناها أنه لو

٥٠ البخاري ومسلم عن أنس ﷺ

٥١ معجم الطبراني عن رافع بن خديج الأنصاري ﷺ

اجتنب هذه الفواحش الكبيرة وحافظ على الصلاة يُشره مولاه بأنه سيغفر له الصغائر كما بشرنا في كتاب الله: ﴿ إِن تَجْتَبُوا كِبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ ﴾ (٣١ النساء).

سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال في معنى هذه الآية: (إن تجتنبوا كبائر ما تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ الصغائر بالصلاة) لأن النبي ﷺ قال:

{ الصَّلَاةُ الْحَمْسُ، وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ، مُكْفَرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الْكِبَائِرَ }^{٥٢}

وهذا المعنى الظاهر لكن العارفين والصالحين لهم غوص في بحار المعاني القرآنية، يلتقطون لآلئ ومرجان من المعاني الحسان التي يُلهمهم بها حضرة الرحمن في آيات القرآن، فقالوا: كبائر الإثم التي تمنع المرید من الترقِّي في الدرجات، ومن المشاهدات والمكاشفات، ومن علوم الفيض والإلهامات؛ الذنوب التي تكون في القلوب وهي الحقد والحسد والغل والكُره والبُغض.

ما دام الإنسان السالك في طريق الله في قلبه واحدة من هؤلاء فلا ينتظر الفتح من الله، ولا ينتظر علم إلهام، ولا ينتظر حتى رؤيا صالحة، ولا ينتظر مكاشفات، ولا تنزلات، ولا مؤانسات، لماذا؟ لأن كل هذا يكون بالقلب، والشرط: ﴿ إِلَّا مَنْ أتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ (٨٩ الشعراء) لا بد وأن يطمئن أن القلب ليس فيه شيئاً من هذه الأمور نهائياً.

ولذلك الذي يُريد أن يمشي معهم شرطه أن يعرض قلبه على الأشعة النورانية التي مع أهل الحضرة الإلهية ليتأكدوا من قول رب البرية: ﴿ وَتَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴾ (٤٧ الحجر) فيتحققون أن هذا الرجل لم يعد في صدره شيء لأحد، فيسمحون له بالمشاهدات والتنزلات والإلهامات والدرجات الوهية العلية الإلهامية.

فإذا تبقي شيء من هذه الاهواء، عليه أن يجاهد نفسه جهاداً شديداً في هذا الأمر.

أما الفواحش فقالوا: هي الذنوب التي تُرتكب عن طريق الجسم والجوارح.

إذاً الذنوب التي تكون بالقلب هي كبائر الإثم التي تمنع القرب من القريب ﷺ،

٥٢ صحيح مسلم ومسنند أحمد عن أبي هريرة ؓ

أما الحالة الثانية، فإن المؤمن غير حقوق، ومن أين يأتي الحق؟ أن الإنسان يغضب من إنسان، ويحمل هذا الغضب في صدره ولا يُفرغه، ويريد أن يُنقث عن هذا الغضب بأي عمل أو فعل أو قول ليستريح، فالحقود هو الجمل، والمؤمن ليس حقوقاً كالجمل، فالجمل لو أهانه أحد حتى ولو كان صاحبه يُخزّن، ويسكت شهراً أو سنة أو أكثر لكن لا بد أن يأخذ حقه.

صفاء قلب المؤمن

لكن المؤمن غير ذلك، فالمؤمن معه العفو والصفح والمغفرة، فغضبه دائماً وقتي، فعندما يحدث الحدث أمامه فلا بد أن يتغير لأنه بشر، ولكن عندما تمر لحظات الحدث ترجع نفسه وقد انتهى الأمر، وتجده كأن شيئاً لم يكن، لنقاء صدره، وصفاء قلبه، وحرصه على التواصل مع ربه تبارك وتعالى على الدوام، والتواصل مع الله يحتاج إلى قلب نقي على الدوام، لأنه يريد القلب السليم.

فطبيعة المؤمن أن لا يحمل شيئاً في قلبه نحو أحد من خلق الله، ولو لليلة واحدة، لأن هذا لا يجوز، حضرة النبي يُوصي سيدنا أنس رضي الله عنه - ونحن كلنا أنس إن شاء الله - فيقول له:

{ يَا بُنَيَّ إِنْ قَدَرْتَ أَنْ تُصْبِحَ وَتُمْسِيَ لَيْسَ فِي قَلْبِكَ غِشٌّ لِأَحَدٍ فَافْعَلْ،
يَا بُنَيَّ وَذَلِكَ مِنْ سُنَّتِي، وَمَنْ أَحْيَا سُنَّتِي فَقَدْ أَحْبَبَنِي،
وَمَنْ أَحْبَبَنِي كَانَ مَعِيَ فِي الْجَنَّةِ }^{٥٤}

إن استطعت أن تبيت وليس في قلبك غلٌّ ولا غشٌّ ولا حقدٌ لأحدٍ من المسلمين فافعل، لأن الذي يُريد أن يكون مع النبي ﷺ؟ ماذا يفعل؟ يحرص في كل ليلة قبل أن ينام أن يكون قلبه خالي وفارغ وجاهز لتنزلات الملك العلام ﷻ.

فَرِغَ الْقَلْبَ مِنْ سَوَانَا تَرَانَا يَا مَرِيداً جَمَالَنَا وَبَهَانَا

لكن إذا شغلت القلب وجعلت فيه ركن للحقد على فلان، وركن آخر للحقد على فلان، وركن ثالث للحقد على فلان، وقد يتحوّل الحقد إلى حسد، يعني يريد أن تزول

النعمة من عند أخيه، فكيف ينتزل الله بخيره وبره في هذا القلب!!؟.

فشرط نزول المعاني الإلهية، والإكرامات الربانية، والعطاءات الإلهية أن يكون القلب قلب سليم: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ (٨٩ الشعراء).

ولذلك أنا أعجب عندما أسمع أحد من الذين يسمون أنفسهم سالكين في طريق الله يقول: أنا لم أتم طوال الليل، وطوال الليل أتقلب يميناً وشمالاً لأني متضايق من فلان!!، وهل القلب لهذا الكلام!!؟ القلب أنت حارس عليه أن لا يدخل فيه غير مولاه، ولذلك الحزن يكون وقتياً، ولو انتهى الوقت ينتهي الأمر، وليس في الصدر غل و لا حقد ولا حسد ولا كره ولا بغضاء ولا شيء من هذا القبيل أبداً.

الاستجابة لله

الصفة الخامسة: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ﴾ الاستجابة لآيات كتاب الله، والاستجابة لما بلغنا به رسول الله، والاستجابة هنا يعني العمل بها، من الذي استجاب؟ الذي أناب، ورجع إلى الله، وعمل بما جاء في السنة والكتاب، لكن أقول أنا استجبت ولا أنفذ، فهذا كمن قالوا سمعنا وعصينا والعياذ بالله، لكن الاستجابة لا بد أن يكون معها التنفيذ.

ولذلك كثير من الأحاب يقول: أنا لي عشرين سنة أو ثلاثين سنة في طريق الله، وأسمع بعض الأحاب يذكر رؤيات صالحة، ومنهم من يذكر مشاهدات، ومنهم من يذكر أنواراً يراها يقظةً أو مناماً، ومن يرى رسول الله، وأنا لم أرى شيئاً، لماذا؟! أقول له: لأنك لم تستجب لما استمعت إليه من أقوال الصالحين، فأنت تجلس وتقوم من المجلس كأنك لم تجلس نسياناً لهذا الكلام.

لكن الذين يريدون أن يدخلوا في هذه الرحاب، يخرج من مجلس الصالحين ويظل يعيد الشريط الذي سمعه في قلبه وفؤاده حتى يطبقه فعلياً ويطبقه عملياً، وبعد أن يطبقه ينظر إلى شريط آخر، أو حكمة، أو درس آخر ليعمل به، والله قال لنا في القرآن ذلك: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ احْرَجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيثًا ﴿٦٦﴾ وَإِذْ لَا تَئِنَّبُهُمْ مِن لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا﴾

(النساء) تنزل لهم الأجور من عالم اللدنية، وليس في الجنة.

وما الأجور التي من عالم اللدنية؟ علماً من لدنا، ونوراً من لدنا، وكشفاً من لدنا، فهذه الأجور التي تنزل من عالم اللدنية، وهي نتيجة الاستجابة، والتي هي الإنابة وأن يفعل الإنسان فوراً ولا يؤجل ما استمع إليه من كلام الصالحين الصادقين، لأنها تكون تنزلات من سما فيض سيد الأولين والآخرين ﷺ.

إقامة الصلاة

الصفة السادسة: ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ وهي أن يحافظ الإنسان على أدائها في وقتها في الأذان الأول في جماعة في بيت الله، إلا لعذر شرعي جاء في الأعذار التي ذكرها سيدنا رسول الله ﷺ.

لكن لا يجوز لأي واحد منا أن يكون جالساً في البيت أو جالساً في الشارع ويسمع الأذان ويؤخر الصلاة!! ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾ (النساء ١٠٣) لماذا تؤخرها؟! ما الفتوى التي أفتيت بها نفسك لتؤخر هذه الصلاة؟! لا بد للإنسان المؤمن عندما يسمع (حي على الصلاة، حي على الفلاح) يقبل على الصلاة ويقبل على الفلاح ويُلبي نداء الكريم الفتح تبارك وتعالى لكي يحظى بالعطاءات الإلهية والتفضلات الربانية.

الشورى

الصفة السابعة: ﴿وَأْمُرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾:

وهؤلاء أيضاً ليس عندهم تمسك بالرأي، إن كان في المنزل مع الزوجة والأولاد، أو مع رفقائه في العمل، أو في مجالس الأحاب، وإنما كما قال الله في المنهج الذي اختاره لنا ولحبيبه ومصطفاه: ﴿وَأْمُرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾.

وشورى بينهم يعني يشتركون، وكل واحد يقول رأيه، ولا نستهزئ برأي أي أحد، ولا نُسفه، بل نسمعه وربما يكون فيه وجهة نظر صحيحة غير منتبهين لها: فأمر يتخذه المسلم يتشاور فيه: إن كان في بيته يشاور زوجته ويجعل لها كيان، ويشاور أولاده الذين كبروا ليُدربهم على الشورى، في أي أمر صغير أو كبير أدرهم على هذا الأمر.

هذا، ووجهة نظر هذا، وستأخذ بالرأي الأصوب.

فالإسلام ليس فيه دكتاتورية، حتى في الحياة العائلية، فيقول بعضهم: أنا قلتُ كذا وكذا وانتهى الأمر، وهذا يحدث من كثير من الرجال، إن كان ذلك للزوجة أو للأولاد حتى المتزوجين منهم، فيكون ابنه متزوجاً ومعه أولاد ويهدده ويقول له: نَقَدْ ما أقول وإلا لن تكون ابني ولا أعرفك، فهل الخلاف في الرأي يجعلك تُخرجه بسرعة من النسب والحسب؟!.

لماذا لا نتعوّد على منهج الله؟! والذي كان عليه سيدنا رسول الله، والذي كان عليه - ولا يزال - الصالحون أجمعون من عباد الله في كل أمر صغير كان أو كبير.

حتى أن الشورى تجعل الإنسان يتكلم بهدوء وسكينة واطمئنان، وليس عنده عجلة ولا تسرع، ولكن في وقت الغضب يتسرع الإنسان في إصدار الأوامر، ويتسرع في بيان ما يُريد، ويمكن أن يُخطئ، لكن الشورى ليس فيها خطأ أبداً لأن الإنسان يستعين بآراء الآخرين أجمعين، وهذا المنهج الإسلامي في الشورى.

الإِنْفَاقُ

الصفة الثامنة: ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ الباب الأعظم لمن أراد أن يُكرم في أي

مقام، وفي أي زمان ومكان؛ الإِنْفَاقُ.

والإِنْفَاقُ شرطه أن يكون لوجه الله، فلو أعطيتُ أحداً شيئاً لأن لي مصلحة عنده، فهل يكون ذلك إِنْْفَاقاً؟! لا، أو أُعطي جاري هدية لأنه سبق وأن أعطاني هدية، فهل هذا إِنْْفَاقاً؟! لا، لكن شرط الإِنْفَاق أن يكون لوجه الله، ولا أطلب أجره إلا من الله، ولا أنتظر حتى كلمة شكر من خلق الله، لأني أعمله لله تبارك وتعالى.

من أي شيء أنفق؟ إن كان معي مال فلا بد أن أنفق جزءاً من هذا المال لفقراء الله تبارك وتعالى الذين ذكرهم في كتاب الله: ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا ﴾ (٢٧٣ البقرة) أبحث عن هذا الصنف، لأن هناك أناس تمدهم يدها، وهؤلاء يأخذون من الكل، ولكن أنا أبحث عن الذي قال فيه النبي ﷺ:

{ لَيْسَ الْمَسْكِينُ الَّذِي يَطُوفُ عَلَى النَّاسِ تَرُدُّهُ اللَّقْمَةُ وَاللُّقْمَتَانِ وَالشَّمْرَةُ وَالشَّمْرَتَانِ ، وَلَكِنَّ الْمَسْكِينُ الَّذِي لَا يَجِدُ غَنَى يُعْطِيهِ ، وَلَا يَفْطَنُ بِهِ فَيُتَّصَدَّقَ عَلَيْهِ ، وَلَا يَقُومُ فَيَسْأَلُ النَّاسَ }^{٥٥}

ويقول فيه أيضاً:

{ إِنْ اللَّهُ ﷻ يُحِبُّ عَبْدَهُ الْمُؤْمِنَ الْفَقِيرَ الْمُتَعَفِّفَ أَبَا الْعِيَالِ }^{٥٦}

رجل عنده أولاد كثيرين ودخله لا يكفي الضرورات، وعنده عزة الإيمان التي ينبغي أن يكون عليها كل مؤمن، فلا يطلب ولا يرضى أن يأخذ من أحد إلا إذا كان أعطاه بحرفة أو بحيلة لطيفة، ولذلك أنا أحتاج إلى حيلة لطيفة لأعطيه، لأني لو أعطيته مباشرة فلن يرضى لأن عنده عزة نفس، والإسلام أمرنا أن نكون على عزة الله: ﴿ وَاللَّهُ الْعَزِيزُ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٨ المناقون).

لو أعطاني الله شيء من العلم، يجب أن أبلغ به، وليس شرطاً أن أبلغ في مسجد أو من على منبر، ولكن كلما جلست مع واحد أو أكثر، بطريقة لطيفة أغير مجرى الحوار إلى حوار ديني وأبلغهم شيء من كلام الله ومعناه، أو شيء من حديث رسول الله، أو شيء من أحكام شرع الله، أو أحكي لهم عن شيء من أحوال الصالحين الصادقين.

وكل هذا يحتاج الجلسات الحوارية، وهي التي تكون أكثر تأثيراً في الناس، لأن هذه الدروس فيها نقطة جوهرية سأكشفها لكم، فهذه الدروس كل واحد يسمع فيها ما يريد، وما تقبله نفسه، والباقي يسدُّ أذنيه عنه ولا يسمع منه شيئاً، لكن عندما نجلس مع بعضنا ونأتنس ببعضنا فتكون الأذان كلها صاغية، والقلوب كلها شفافية، ويكون الحديث أقرب وأجدى في تقريب هذا العبد إلى مولاه، أو رجوعه عن غيه وعن صنعه القبيح الذي يخالف به الله ﷻ ورسوله صلوات ربي وسلامه عليه، إذاً فلا بد أن أنفق بشيء من العلم لله تبارك وتعالى.

كذلك لو كنت أستطيع أن أنفع بعض المحتاجين الذين لا جاه لهم، كان يكون لي

٥٥ البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ

٥٦ سنن ابن ماجة والطبراني عن عمران بن حصين ﷺ

معرفة ببعض الناس الذين لهم وجهة ويستطيعون قضاء حوائج الناس، فلا يوجد بابٌ للتقرب إلى الله والتحجب إلى رسول الله أعظم من هذا الباب، وهو أي أقضي حوائج الناس، وأيسرها لهم ابتغاء وجه الله، لماذا؟ لأنه كثر المخادعين، والذين يزعمون أنهم يقضون الحوائج ولكن بالأجر، لذلك عندما أقضي حاجة الناس لوجه الله يكتفيني أي أدخل في قول رسول الله ﷺ:

{ مَنْ سَعَى لِأَخِيهِ الْمُسْلِمِ فِي حَاجَةٍ قُضِيَتْ لَهُ، أَوْ لَمْ تُقْضَ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، وَكُتِبَ لَهُ بِرَاءَةٌ مِنْ النَّارِ، وَبِرَاءَةٌ مِنْ النَّفَاقِ }^{٥٧}

وفي حديث آخر:

{ مَنْ قَضَى لِأَخِيهِ حَاجَةً كُنْتُ وَأَقْفًا عِنْدَ مِيزَانِهِ، فَإِنْ رَجَحَ وَإِلَّا شَفَعْتُ لَهُ }^{٥٨}

مثلاً: امرأة مسكينة توفى زوجها وليس لها معاش، فتأخذ أوراقها وتذهب للشئون الاجتماعية ليتم عمل معاش لها، فيا هناك عند الله، فهذا أفضل من قيام الليل لسنوات، لأنك أسررت مؤمنة، وقد قال ﷺ:

{ مَنْ سَرَّ مُسْلِمًا بَعْدِي فَقَدْ سَرَّنِي فِي قَبْرِي، وَمَنْ سَرَّنِي فِي قَبْرِي سَرَّهُ اللَّهُ ﷻ يَوْمَ الْقِيَامَةِ }^{٥٩}

كثير من الناس حالياً في زمننا هذا، وفي هذه الضوائق يحتاجون إلى من يقضي لهم هذه المصالح ابتغاء وجه الله تبارك وتعالى.

فالمؤمن يسعى في الإنفاق بكل ما أوتي، وكل ما يستطيع، والله تبارك وتعالى لم يجعل لمؤمن عذر في الإنفاق المالي مهما كان فقره، لأنه لم يحدد أحداً معيناً: ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ بما تجود به نفسه، ما قدر الإنفاق يا رسول الله؟ قال:

٥٧ فوائد ابن شجاع عن ابن عباس رضي الله عنهما

٥٨ حلية الأولياء لأبي نعيم عن ابن عمر رضي الله عنهما

٥٩ البر والصلة لابن الجوزي عن عبدالله بن مسعود ﷺ

{ اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ يَشِقُّ ثَمَرُهَا }

هل يعجز إنسان أن يتصدق ولو بشق تمرة؟! ولذلك عندما تكلم الله في أهل الجنة قال: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (آل عمران) ما أول صفة من أوصافهم؟ ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ ﴾ (آل عمران) هل أحد من المسلمين له عُذر بعد هذه الآية؟! في اليسر والعسر، وفي الغنى والفقر، المهم أن الإنسان يُعوِّد نفسه على الجود، لأن الله كريمٌ جوادٌ يُحب كل جواد.

أما الممسك لا يُحبه الله، فيريد أن يجود الإنسان المؤمن ولو بشيء قليل، ونحن نرى في هذا الزمان - والحمد لله - مهما يشتكي الناس لكن فضل الله معهم، فهل يعجز أن يجود ولو بجنيه، وما قيمة الجنيه في هذا الزمن؟! ولكن ليعوِّد نفسه على الإنفاق: ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾.

عزة الإيمان

الصفة التاسعة: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ ﴾ ماذا يعني ذلك؟ لا يرجو بالدينية في دين الله ﷻ، فلو أن دولة كافرة ظلمتهم، أو ظلمتهم فئة غادرة، لا يرضون بالضميم ولا بالدُّل، فالؤمن لا بد أن يحاول أن يدفع عن نفسه بكل ما أوتي من قوة، ولو صدق الله لصدقه في المعونة الله، وقد يمدُّه بجنود من عنده تُحقق له ما يتمناه، ما دام قد صدق مع الله تبارك وتعالى.

ولنا أسوة في رسول الله ﷺ ومن معه، كان ذاهباً لغزوة بدر ومعه ثلاثمائة رجلاً، وفي إحدى الروايات ثلاثمائة وإحدى عشر، وفي الرواية الثالثة ثلاثمائة وثلاثة عشر، والكافرين كانوا ألف رجل، ولم يكن مع المسلمين غير أربعة من الخيول، وسلاح الفرسان كان هو السلاح الأساسي في تحقيق النصر، والكافرين كان معهم كل أنواع العتاد الحديث، والأسلحة الجيدة، لكن هؤلاء لأنهم لم يرضوا بالضميم ولم يسكتوا على الدُّل حصل النصر من عند الله تبارك وتعالى: ﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ (البقرة ٢٤٩).

الغزوة التي تكلمنا عنها في بداية الحديث غزوة تبوك، حضرة النبي جهَّز ثلاثين ألفاً، والروم كانوا قد جهَّزوا أربعون ألفاً، وتحركوا من بلاد الشام واتجهوا إلى الجزيرة العربية، فلما سمعوا أن حضرة النبي معه جُنْدٌ وخارج لهم، أصابهم رعبٌ من عند الله، ورجعوا مرة ثانية وخافوا مع كثرة عددهم ورجلهم!!.

فلما وصل حضرة النبي إلى تبوك لم يجد منهم أحداً!!، فمكث خمسة عشر يوماً منتظراً، فمن الجائز أن يراجعوا أنفسهم ويرجعوا، لكن لم يرجعوا، لماذا؟ لأنه كان ﷺ يقول:

{ نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ }^{٦١}

يعني كان بينه وبين الأعداء مسيرة سفر شهر، وحدث عندهم الرعب فتحلوا عن الحرب وتركوه ﷺ وشأنه من الرعب الذي قُذِفَ في صدورهم من الله تبارك وتعالى.

ونفس هذا السلاح موجود مع المؤمنين: ﴿ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ ﴾ (٢٦ الأحزاب) ما دام يصدق الإنسان في عدم الرضا بالدينة.

﴿ وَجَزَأُوا سَيِّئَةً سَيِّئَةً مِّثْلَهَا ﴾ وهذا تهذيب عالٍ للمؤمنين، فلا يوجد مؤمن أبداً يقابل السيئة بالسيئة، فنفع كما كان يقول أصحاب حضرة النبي: (من عصى الله فيك، فاجتهد أن تطيع الله فيه) لو أنه عصى الله وأذاك أو هجأك أو سبَّك فهل تقابله بالمثل؟! سيكون مثلك مثله، لكن تفعل كما قال الله:

﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ﴾

فهذه الدرجة الأعلى أن يعفو ويصفح لوجه الله، ورجبة في إرضاء الله، وتشبهاً بحبيب الله ومصطفاه ﷺ.

ويعلم علم اليقين أن الله كما قال في قرآنه: ﴿ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾ فلا بد أن يأخذ لك بحقك كاملاً من الظالمين، ما دام أنك قد عفوت لله، وفوضت الأمر لله، وهذه فيها قصص في سير الصالحين لا تُعد ولا تُحَد.

ما دام الإنسان يعفو لله تجد الله ﷻ يأتي لك بحقك من أي وجه قد لا تشعر به قبل

٦١ البخاري ومسلم عن جابر ﷺ

ذلك، ولا تفكر فيه قبل ذلك، لكن ما دمت قد لجأت إلى الله فالله يتولاك: ﴿ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴾ (١٩٦ الأعراف) وهو المقام الأعلى.

الحصول على الحق

الذي يُريد أن يردّ بشرط أن لا يتجاوز الحد، فهذا مقام أقل، وذكره الله لكي يُبين لنا درجات العفو: ﴿ وَلَمَنْ آتَتْكُمْ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِّن سَبِيلٍ ﴾ ليس عليه شيء لو انتصر لنفسه، ولكن باللطف واللين ولم يتجاوز الحد، يعني مثلاً حدثت مشكلة بينه وبين رجل آخر، وتدخل الناس للصلح ولكنه لم يقبل الصلح، وأصر أن يشتكيه ليأخذ حقه، ومعه شهود.

لكن لا أحضر شهادة طبية مزورة مثلاً، أو آتي بشاهد زور يقول حقائق ووقائع غير التي حدثت، فهنا أكون قد ظلمت، لأن المؤمن واجب عليه في أي زمان ومكان أن لا يتعدى حدود الله: ﴿ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ﴾ (١١ الطلاق).

وأظن أن هذا المرض قد استشرى وزاد عن الحد في مجتمعنا، فما أكثر الشكاوى الكيدية التي ليس لها أساس!!، وما أكثر الشهادات الزور مع أنها من أكبر الكبائر!!، وما أكثر التقارير الطبية المزورة!!، وما أكثر الرشاوى التي تُغير بها المحاضر في نقاط الشرطة!!، وما أكثر الرشاوى إلى كُتّاب الجلسات في المحاكم ليغيروا الأقوال التي يستمع إليها القاضي، ويطمئنون إلى أن القاضي من كثرة عمله لا يستطيع أن يقرأ المحاضر كلها وإنما يُوقع على ما كتبه السكرتير!!.

مشاكل زادت عن الحد في هذا الزمان، كم قاضي يطّلع على الحكم الذي سيصدره والذي كتبه الكاتب، وهو كل يوم يحكم في قضايا كثيرة؟! بعضهم عُقلاء وحكماء ويشقُّ على نفسه ويأخذ هذا الأورق ليراجعها مرة ثانية، لكن القاضي يقول شيء، والكاتب يقول شيئاً آخر، وهي مصيبة موجودة في المجتمع، ما علاجها؟ ليس لها علاج غير الضمير الحيّ المملوء بمراقبة الله تبارك وتعالى، وهو الحل الوحيد لهذه المشاكل، ولذلك حذرنا الله من الظلم: ﴿ وَلَمَنْ آتَتْكُمْ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِّن سَبِيلٍ ﴾ :

ما دام قد ظلم يأخذ حقه، وليس عليه شيء بشرط أن لا يتجاوز.

فمن الذي يؤاخذ؟

﴿ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ :

حتى يأخذ حقه - في زعمه - لا بد أن يظلم، ويقول: الحق لا يأتي إلا بذلك، فلا بد أن أزرور لأنال حقي!!، وهذا لا يجوز، لكن أنا لا أريد حقي بهذه الطريقة نهائياً، حتى لا أكون مزوراً عند الله ﷻ.

لأن هؤلاء ما لهم؟ ﴿ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ :

العذاب الأليم أنه يوم القيامة لا بد لكل حق أن يرجع لصاحبه، وكل محاكمة حُكم فيها ظلماً في الكون ستعادل محاكمة في الاستئناف يوم الدين، والقاضي أحكم الحاكمين، والشهود الملائكة الكرام الكاتبين والجوارح والأرض: ﴿ هُنَالِكَ الْوَلِيَّةُ لِلَّهِ الْحَقِّ ﴾ (٤٤ الكهف) وليس هناك محامين فاسدين، ولا كتبة مُزورين، وإنما كل إنسان سيأخذ حقه، لأن القاضي رب العالمين تبارك وتعالى.

ورجع الله واختار لنا الأفضل والأحسن لمن أراد أن يكون من أهل هذه الدرجة العلية، فالأحسن له: ﴿ وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ :

فالذي يُريد أن يكون في هذه الدرجة العلية يوطن نفسه طالما هو في الدنيا على الصبر، وعلى العفو والصفح على الدوام، حتى يتولاه الله بولايته، ويحظى بقربه وعنايته، ويكون من أهل العندية عنده، ويلحق بالصدِّيق وأمثاله وأشباهه، ويكون في معية حبيبه ومصطفاه.

إذاً الذي يُريد أن يكون في درجة العندية يحتاج إلى مراجعة هذه الأوصاف ويُطبقها، فإذا طبقها فيها هناه، سيرزقه الله مقام العندية، ويتلقَّى العطاءات الإلهية من هذا المقام.

نسأل الله ﷻ أن يؤهلنا لهذا المقام، وأن يُكرمنا بالعطاءات الإلهية، والإكرامات الربانية، والنظرات النبوية

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿ الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ
لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾
يَعْبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ وَلَا
أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿ ٧٦ ﴾ الَّذِينَ
ءَامَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا
مُسْلِمِينَ ﴿ ٧٦ ﴾ أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ
وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿ ٧٧ ﴾ يُطَافُ
عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ
وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ
الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ

وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٧١﴾
وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا
كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا
فِيكِهِةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾
(الزُّخْرَف)

٤. أخلاء الصفا والوفا^{٦٢}

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الحمد لله الذي أنزل لنا القرآن تبياناً لكل شيء وهدى ورحمةً للمؤمنين، وخصنا بالنبي العدنان ﷺ، طيباً وجراحاً ربانياً يُعالج كل مشاكل المجتمعات، ويجعلها مجتمعات تقيّة نقيّة تُؤسّس على قول رب البرية: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ (١٠ الحجرات) اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد الذي قوله شفاء، ومُخالفته داء، والافتداء به سبيل السُّعداء، صلى الله عليه وعلى آله الأتقياء، وأصحابه الأتقياء، وكل من مشى على هديهم إلى يوم الدين، واجعلنا منهم ومعهم أجمعين بمنك وجودك يا أكرم الأكرمين.

علاج مشاكل المجتمعات

كثير منا الآن يسمع في كل مجلس وفي كل مكان عن المشكلات التي زادت عن الحد في مجتمعنا بين المسلمين الإخوة في الدين ؟؟؟ والذين ربُّهم واحد، ونبِيهم واحد، وكتابهم واحد، ونهجهم واحد، لكن بينهم خصام وشتائم وقذائف وخصومات تملأ المحاكم تحتاج لسنين طوال للفصل فيها!!! وهذا غير الأمراض التي تُدمر المجتمع كمرض الحقد، وداء الحسد، وداء الطمع، وداء البُغض ... هذه الأمراض التي تُدمر في المجتمعات، وتمنع البركة التي يُنزها الله للقضاء على كل المشكلات.

والله ﷻ ضرب لنا مثلاً عملياً طبَّقه حضرة النبي في مجتمع كان أشد من المجتمعات التي نحن فيها الآن بألاف المرات، لكن ما الذي عمله رسول الله ﷺ؟ وهذا ما نحتاج أن نجدّه مرة ثانية مع بعضنا، والذي ذكره لنا الله في كتاب الله.

الأخوة في الله

ماذا فعل؟ جمع المؤمنين وآخى بينهم، ولم يكونوا من عائلة واحدة، بل كانوا من

عائلات شتى، ومن بلدان شتى، ومن فصائل وأجناس شتى، فحلّصهم من كل ذلك وجعلهم إخوة متحابين متآلفين في الله تبارك وتعالى.

وكلنا نعجب عندما نرى الأخ الداخل للمدينة، وسكان المدينة الذين شرح الله صدورهم للإسلام يذهبون لحضرة النبي وكل واحد منهم يريد أن يُصيّقه، وقد لا يكون في بيته شيء، لكن الصدر منشرح، والقلب مُنفتح، ويأخذه برضا نفس وطمأنينة بال ويقول له: يا أخي هذا البيت أقسمه نصفين، والأرض نصفين، والتجارة نصفين، وإذا كان غير متزوج يقول له: أنا متزوج من اثنتين فاختر ما تعجبك أطلقها وبعد انتهاء عدتها تتزوجها! هل هذا أخ شقيق؟! أبداً، إنه أخ في الله، والأخوة في الله قال فيها ﷺ:

{ أَوْتَىٰ عُرَىٰ الْإِيمَانِ، الْحَبُّ فِي اللَّهِ، وَالْبُغْضُ فِي اللَّهِ } ٦٣

جعل الوصل بينهم هو العمل لله، والتوجه لله، والرغبة فيما عند الله تبارك وتعالى في الدنيا، ويوم لقائه يوم الدين إن شاء الله.

هذه الأخوة كانت خالصة لله، ليس فيها مصلحة إلا رضا الله، وليس فيها منفعة زائلة، وليس فيها مصلحة فانية، لأنهم كلهم علواً عن الدنيا وما فيها، وأصبح قصدهم الدار الآخرة ووجه الله تبارك وتعالى، وطبقوا قول الله:

﴿ الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾

نحن نسمع الآية كثيراً، ونسمع تفسيرها كثيراً، فما الفرق بيننا وبين أصحاب البشير النذير ﷺ؟ كانوا عندما يسمعون آية من كتاب الله يقولون: إن الله يُكلمنا، فيقولوا: سمعنا وأطعنا، فينفذ فوراً، لا يتردد ولا يتأخر ولا يترك لنفسه فرصة حتى أنه يبحث أو يفكر، بل يُسارع في تنفيذ أمر الله تبارك وتعالى.

ونحن نسمع ولكن لا نُنفذ، ونتيح للنفس فرصة للتأويل فتقول: إنهم كانوا في زمان ونحن في زمان آخر، أو تقول: هم كان معهم حضرة النبي ونحن ليس معنا حضرة النبي، وهل حضرة النبي فقد في الكون لحظة؟! ألم تسمعوا قول الله: ﴿ وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ ﴾

(٧ الحجرات) هل هذه الآية للصحابة فقط أم لنا نحن أيضاً؟ للصحابة، ولنا، ولمن كان قبلنا، ولمن يأتي بعدنا إلى يوم الدين، لأنه خاتم الأنبياء، ولا يجوز أن يكون عصر في الكون بدون نبي يُقيم الله ﷻ به الحجة على الخلق.

فالنبي ﷺ وإن توارى بجسده الشريف، ولكن النبوة ليست بالجسد، وإنما النبوة بالقلب والروح والمعاني العلية، وهذه الحقائق العلية في حياة قدسية أكمل من حياة الشهداء التي أشار إليها المولى تبارك وتعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ (١٦٩ آل عمران).

لماذا الشهداء أحياء عند ربهم يُرزقون؟ لا يتابعهم حضرة النبي، فالأولى بهذه الحياة حضرة النبي ﷺ، ونحن نعرف أنه المحامي الذي يدافع عنا يوم القيامة، ولا بد أن يرى الملفات، وتعرض عليه كل الأعمال والأحوال والملابسات، حتى إذا أراد أن يدافع عنا ويشفع لنا يوم الدين يعرف ما حدث، ولذلك قال ﷺ:

{ حَيَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ تُحَدِّثُونَ وَيُحَدِّثُ لَكُمْ، وَوَفَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ تُعْرَضُ عَلَيَّ أَعْمَالُكُمْ، فَمَا رَأَيْتُمْ مِنْ خَيْرٍ حَمَدْتُ اللَّهَ عَلَيْهِ، وَمَا رَأَيْتُمْ مِنْ شَرٍّ اسْتَعْفَرْتُ اللَّهَ لَكُمْ }^٤

والقرآن واضح: ﴿ وَقُلِ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾ (١٠٥ التوبة) أليس هذا كلام الله؟! من يرى عملي وعملك؟ الله، والملائكة بأمر الله تعرضه على سيدنا رسول الله، ويرى المؤمنين الذين معنا ويعيشون معنا وحولنا في هذه الحياة لأن لهم شهادة مُستحقة علينا جميعاً عند الله تبارك وتعالى.

فكانوا إذا سمعوا سارعوا إلى الطاعة، فسيدنا رسول الله ﷺ كان واقفاً يوماً على منبره الشريف وقال: اجلسوا، فسمعه أحد الصحابة وهو ذاهب إلى المسجد في الطريق، فجلس في مكانه، فلما انتهى النبي من الحديث خرج الناس من المسجد فرأوه، فسأله: لم تجلس هكذا؟ قال: سمعتُ حضرة النبي يقول: اجلسوا، فجلستُ ولم أسمعهُ يقول: قوموا، فلم أقم!! سمع وطاعة مطلقة.

٦٤ مسند البزار واتحاف المهرة عن عبد الله بن مسعود ﷺ

وما ضيَّع المؤمنون في هذا الزمان إلا أننا أدخلنا الأهواء فسدَّت علينا باب الاتباع لسيد الأولين والآخريين ﷺ، والنفوس تتدخل وتُفصِّل كل شيء على حسب هواها، وتؤوِّل وتفسر كل شيء، ولكنهم لم يكونوا هكذا، كانوا إذا سمعوا وعوا، فقد كان يقول لهم: (أيها الناس اسمعوا وعوا) وعوا يعني نفذوا بعد ذلك مباشرة.

وكانت بينهم الصداقة والأخوة والمودَّة والمجالس والتزاور والتوادد والإشترار في أي عمل لله تبارك وتعالى.

لغة المصالح جاءتنا عدوى من الأمم الغربية ونحن في غفلة، فهؤلاء لا يوجد عندهم أحدٌ يعمل عملاً لله، حتى أنه لو بلغك سلام - مع أنه مجرد مجرد كلام - لا بد أن يكون له مصلحة من وراءه!!، فإذا لم يكن له مصلحة لا يسلم.

لكن بالنسبة لنا لا يجوز ذلك، فقد علمنا حضرة النبي أن كل حركاتنا وسكناتنا تكون لله، فنحن كلنا لله، أنفسنا وأموالنا وأولادنا وكلنا لله تبارك وتعالى، والذي يمشي على هذا المنهاج انظر ماذا يقول فيه حضرة النبي؟

{ مَنْ أَعْطَى لِلَّهِ وَمَنَعَ لِلَّهِ وَأَحَبَّ لِلَّهِ وَأَبْغَضَ لِلَّهِ وَأَنْكَحَ لِلَّهِ فَقَدِ اسْتَكْمَلَ إِيمَانَهُ }^{٦٥}

العمل لله

من أراد أن يكون ولياً لله لا بد أن يكون عمله كله لله، إما إذا صاحبها بعضهم لمصلحة دنية، أو لمصلحة زائلة، فسيأتيان يوم القيامة وهما أعداء، فيختلفا مع بعضهما يوم الدين، فيقول أحدهما: أنت غررت بي، والآخر يقول له: أنت غررت بي، وهذا يقول له: أنت جعلتني أخالف شرع الله، والآخر يقول: أنت جعلتني أخالف هدي رسول الله، وكل هذا لا ينفع في هذا اليوم، لأن المؤمن بناه الله، وأكمل تربيته رسول الله، على أن يكون العمل لذات الله تبارك وتعالى.

سيدنا الإمام عليّ ﷺ، ووزوجته بنت النبي السيدة فاطمة ﷺ، نذرا أن يصوما لله ثلاثة أيام إذا شفا الله أبناءهما من المرض، فشفاهم الله، وذهب سيدنا علي ليعمل، وكان

^{٦٥} جامع الترمذي ومسنَد أحمد عن معاذ بن أنس

الكتب الفل المصنوع نفيساً رايط المقربين (شرح فزري محمد فوزير)

d d

يعمل بيده، فاستأجره رجلٌ وفي آخر اليوم اشترى بأجره بعض الشعير، والسيدة فاطمة طحنته بالرحاية، وعجنته، وخبزته رغيفاً واحداً، تُفطر هي وسيدنا علي والحسن والحسين على هذا الرغيف، وليس معه شيء آخر، لا لحم ولا شحم ولا غُموس!!.

لأنهم انشغلوا بطاعة الله عن شهوات الدنيا التي فتنتنا، وجعلتنا نرتكب المحرمات في سبيل الحصول عليها، وهل البطن تشبع؟! فطبيعة الإنسان لا من كثير يشبع، ولا من قليل يقنع، لأن النفس دائماً تقول: هل من مزيد.

وجاءهم مسكين، وجاءهم يتيم، وجاءهم أسير، قبل الإفطار، فكانوا يتصدقون بالرغيف ويُفطرون على الماء، ويتسحرون على الماء، وينوون الصيام في اليوم التالي: ﴿ وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ (١٩ الحشر).

هل يريدون من هؤلاء ثمن الرغيف، أو عوضاً، أو مكسباً؟ لا، لكن: ﴿ إِنَّمَا نَطْعِمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴾ (١٩ الإنسان).

هذا عصب صلاح المجتمع، إذا تربى الناس على هذا النهج، أنه يعمل لله ولا يطلب مقابل، ولا يطلب الأجر والثواب إلا من الله، فهذا مفتاح النجاح والصلاح للمجتمعات الإيمانية التي أقامها سيدنا رسول الله ﷺ.

سيزور أخ له فلا ينتظر رد الزيارة، لانه يزوره ويعرف أن الأجر من الله، لأنه لو انتظر ردّ الزيارة سيُحرم من الأجر، ولو شيع جنازة إنسان مؤمن يكون لإرضاء الله تبارك وتعالى، أو يساعد إنسان في الطريق يحمل حملاً ثقيلاً ولا يستطيع أن يمشي به، فيساعده لوجه الله، يسمح دمة يتيم لله، أو يُطعم فقير لله، وأي عمل يعمل ينتظر الأجر من الله.

ومن ينتظر الأجر من الله فما حكمه؟ ﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾ (١٣٠ الكهف) لم يقل: إنا لا نضيع أجر من عمل، ولكن من أحسن العمل، وأحسن العمل يعني عمله تأسياً بالحبيب، وقصده ونيته بهذا العمل وجه الله، يعمل العمل كما كان يعمل سيدنا رسول الله، فينظر في الحكم الشرعي فيه أولاً، وبعد ذلك أهم شيء يكون قصده ونيته وجه الله تبارك وتعالى.

d d

كنوز البركة

الذين يمشون على هذا المنهاج - نسأل الله ان نكون منهم أجمعين، وتكون أعمالنا كلها خالصة لله رب العالمين - فهؤلاء أسعد السعداء يوم الدين، وفي الدنيا لا يتركهم الله لغيره طرفة عين ولا أقل، كأصحاب رسول الله، إن كانوا فقراء سيغنيهم، وإن كانوا جُهَّال سيُعلمهم علماً من عنده، وإن كانوا ضُعفاء سيُقويهم بقوته، وإن كانوا على أي وضع مهين سيجدوا العزة والرعاية والنصرة والتمكين من رب العالمين تبارك وتعالى.

أصحاب رسول الله الأولين كانوا خُفَاءَ عِراءَ، وبعد ذلك أصبحوا أمراء ووزراء وولاة وقادة يهزون الأرض، وتفتخر بهم البشرية إلى يوم الدين للعبقرية التي أظهرها الله على أيديهم، لماذا؟ لأنهم عملوا بما طلب الله، فدخلوا في قول الله: ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ (الطلاق) رزقٌ قادمٌ من باب خصَّصه الله للمؤمنين.

خصَّص للناس كلهم الرزق نتيجة السعي والعمل والكدِّ، يعمل في الأرض يأخذ رزقه، ويعمل في التجارة يأخذ رزقه، لكن المؤمن له باب مفتاحه التقوى: ﴿ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (البقرة ٢١٢) ليس له شأنٌ بهذه الحسابات.

وما هذا الرزق؟ هو البركة التي لو نزلت علينا ستحل كل مشكلاتنا، فلا نمد أيدينا لأحد، ولا نستدين من أحد، ولا نحتاج لأحد، لأن البركة لو نزلت من عند الله فكل شيء يفيض ويكفي ويزيد عن حاجتنا بأمر الله تبارك وتعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ (٩٦ الأعراف) لم يقل: لفتحنا عليهم خيرات، لأن الخيرات موجودة، ولكن (بركات) كما قال حضرة النبي:

{ طَعَامُ الْوَاحِدِ يَكْفِي الْاِثْنَيْنِ ، وَطَعَامُ الْاِثْنَيْنِ يَكْفِي الْارْبَعَةَ ، وَطَعَامُ الْارْبَعَةِ يَكْفِي الثَّمَانِيَةَ }
٦٦

فتأتي البركة في الأجسام، وتأخذ حماية من الله من الأمراض، فيُوقِّر الدواء والكشوفات والعمليات وأخطارها وأضرارها وما شابه ذلك.

وتأتي البركة في العلاقات الزوجية، فتكون الحياة بين الزوجين فيها وفاق، وفيها اتفاق، وفيها رضا، وفيها اجتماع وألفة على الدوام، فلا يحدث كما سمعنا أن مصر هي الأولى في العالم في نسبة الطلاق، كيف ونحن مسلمين؟! و ٤٦% من حالات الطلاق في السنة الأولى من الزواج! أي بعد شهرين أو بعد ثلاثة أو بعد خمسة أو بعد ستة أشهر، هل يصح هذا الكلام بين جماعة المؤمنين؟!.

سبب ذلك قلة البركة، والهمل كله في المظاهر إن كان في الأثاث وفي الرياش، وفي حفلات الزفاف، وفي الشكليات، أما العلاقات الزوجية فليست على الأسس القرآنية، ولا على أسس المبادئ النبوية، فيحدث الخلاف والشقاق سريعاً ويحدث الطلاق.

ولكن لو أن البركة موجودة، سيظل الرجل مع زوجته حتى يلقي الله وتقول: لا أتزوج أحداً بعد فلان أبداً، لأنه كان يسعدني، وهو كذلك إذا ماتت قبله يقولون له: نريد أن نزوجك، فيقول: لا وهل أنا أستطيع أن أعوض فلانة، قال النبي ﷺ:

{ إِنَّ مِنَ السَّعَادَةِ الزَّوْجَةَ الصَّالِحَةَ }^{٦٧}

الزوجة الصالحة كنزٌ من كنوز الجنة، ومن أين آتي بكنز من كنوز الجنة مرة ثانية؟! كل هذا يأتي من البركة، والبركة تأتي من طاعة الله، وتقوى الله، وأن يكون العمل خالصاً لوجه الله تبارك وتعالى.

بشريات المخلصين

في الآخرة سيكون هؤلاء هم المنظورين لأهل الموقف أجمعين، وانظر معي إلى رب العزة تبارك وتعالى ماذا يقول لهم؟ أول شيء يقوله لهم: ﴿يَعْبَادُ﴾ لذة هذا النداء لا يسمعه ولا يتلذذ بها إلا السعداء، من الذي ينادي؟ ملك الملوك ﷻ، وجعلنا عباده، فلم يقل: يا أيها الذين آمنوا، ولكن قال: ﴿يَعْبَادُ﴾.

خذوا هذه البشريات: ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ﴾ والإنسان دائماً يخاف من المستقبل القادم، هل سنستطيع العيش؟ هل المبلغ الذي معنا سيكفل نفقة الشهر أم لا؟ هل القمح

٦٧ معجم الطبراني عن سعد بن أبي وقاص ﷺ

الذي عندنا سيكفي السنة أم لا؟ المستقبل، فطمأنهم الله، حتى لا يحملوا همَّ هذا الأمر.

وهم يخافون أيضاً من الماضي، ويقولون: ستحاسنا على ما عملناه وعلى ما ارتكبناه، وهذا كله مثبت في محاضر، والمحاضر لا توجد شاردة ولا واردة إلا وهي مسجلة بالصوت والصورة فيها، والشهود كثير، وأول الشهود المرافقين لنا وهم الكرام الكاتبين، يسجلون بالفيديوهات الإلهية بالصوت والصورة، ولم يسجلوا الملامح الظاهرة فقط، ولكن النوايا الباطنة، وهذا فرق بين تصوير الملائكة وتصويرنا نحن، فيُظهر على الصورة كيف كانت النبوة، لأنه في الدنيا قد يقول: أنا نبيتي كانت كذا، أو كنتُ أقصد كذا، لكن هناك هل سيقول ذلك لرب العزة تبارك وتعالى؟ لا، فلا بد وأن تظهر الحقائق الباطنية في الصورة.

والأرض التي نحن عليها تسجل كل حركاتك وسكناتك منذ وجودك على ظهرها إلى أن تلقى الله تبارك وتعالى، والجوارح التي معك أيضاً - سبحان الله - تسجل كل شيء، هذه الأصابع كيف تُسجَل ما عملته؟! وأين الكاميرات التي فيها؟! وأين الأفلام التي فيها؟! لكن قدرة القادر لا يُعجزها شيء!!، وهناك يحاول أن يتكلم فيشار إلى لسانه فيتوقف، وتنطق الجوارح: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٢٤ النور) كل الجوارح: ﴿وَقَالُوا لَجُلُودِهِمْ لَمْ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ (٢١ فصلت) الجلد سيشهد، مثلاً يقول: يا رب كان في المكان الفلاني وأخذ يضايق امرأة ويُحسِّس على جسمها، وأنا شاهد عليه، وحضرة النبي حدَّثنا وقال:

{ لَأَنْ يُطْعَنَ فِي رَأْسِ رَجُلٍ بِمَخِيطٍ مِنْ حَدِيدٍ؛ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَمَسَّ
امْرَأَةً لَا تَحِلُّ لَهُ }^{٦٨}

لأن كل المؤمنات في كل أقطار الأرض أخواتي ويجب أن أحافظ عليهن ...، فإذا طلبت نفسي الشهوة فلا مانع من أتزوج، لأن الإسلام لم يُحرِّم شيئاً ولكن جعل له طرقاتاً شرعية، فإذا لم تكفي واحدة أتزوج بأخرى، فلو لم تكفي أتزوج بثالثة ورابعة، ولا يوجد أحدٌ يحتاج أكثر من أربعة أبداً مهما كانت قوته وشهوته، لحكمة الحكيم العليم تبارك وتعالى، لكن لا بد من:

٦٨ معجم الطبراني والبيهقي عن معقل بن يسار

{ عَفُوا نِعْفُ نِسَاؤِكُمْ }^{٦٩}

فستشهد هذه الأعضاء، وهذا غير أن حضرة النبي اطلع وشاهد، والله تبارك وتعالى فوق الجميع كل لفظ نقوله فهو أول السامعين، وكل عملٍ نعمله فهو أول الرائين: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيَّنَمَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (٤ الحديد).

لكن هؤلاء اكراماً لهم يغفر لهم ما قد فات، ويصفح ويعفو عنهم الله تبارك وتعالى، وهذه البشرية الثانية أنهم سيظمنوا لمغفرة الغفار، وعفو العفو، ومسامحة الله ﷻ لهم في هذا الأمر.

فضل الله علينا في الآخرة

ولذلك سيدنا رسول الله ﷺ بشر هذه الأمة، فنحن آخر أمة نزلت إلى الأرض، وكان من المفروض أن يكون الحساب أولاً لآدم وأمه، وشيث وأمه، ونوح وأمه، ونحن في الآخر، لكن حضرة النبي قال:

{ نَحْنُ الْآخِرُونَ، الْأَوْلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ }^{٧٠}

نحن أول من يُحاسب، وأول من يدخل الجنة، لأن الله خصنا بحساب اسمه الحساب بالفضل، والآخرين الحساب بالعدل على حسب اللوائح والقوانين، والحساب بالعدل لا بد وأن يكون أمام الجميع فيراه كل أهل الموقف ويشهد المحاكمة، وهذا خزّي وفضيحة، سيدنا إبراهيم لما اطلع على هذه المواقف الأخروية قال: ﴿ وَلَا تُخْزِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴾ (٨٧ الشعراء) يا رب عافني وحدي، ولا تفضحني هناك، لأن الحساب أمام الخلائق يكون فضيحة، واکراماً لسيدنا النبي وبدون طلب منه قال له الله: ﴿ يَوْمَ لَا تُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ ﴾ (٨ التحريم).

هل الذين آمنوا معه في زمانه كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي فقط؟ لا، فالآية واسعة، فكل من آمن به حتى يوم القيامة، ينطبق عليهم هذا القرار الإلهي، وهذا الذي يُحاسب.

لكن عندما نراجع آيات كتاب الله نجد أن معظم الأمة سيدخلون الجنة بغير حساب،

٦٩ معجم الطبراني عن عائشة بنت أبي بكر
٧٠ صحيح مسلم ومسند أحمد عن أبي هريرة

ونأخذ مثلاً واحداً فقط، فما من أحد منا إلا وتعرض لأمر يقتضي فيه أن يصبر لله، ولا يشكو الله لخلق الله، فلا يقول: لماذا أصابني بكذا؟! ولماذا ابتلاني بكذا؟! ولكن يرضى بقضاء الله تبارك وتعالى، فما موقفه إذا رضي يوم القيامة؟ ﴿ إِنَّمَا يُوفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (١٠ الزمر) قال ﷺ:

{ إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا وَأَرَادَ أَنْ يُصَافِيَهُ صَبَّ النَّبَاءَ عَلَيْهِ صَبًّا، وَتَجَّهُ عَلَيْهِ تَجًّا، قَالَ: وَتُنصَبُ الْمَوَازِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُؤْتَى بِأَهْلِ النَّبَاءِ، وَيُؤْتَى بِأَهْلِ الصَّلَاةِ فَيُؤْتَى أَهْلُ الصَّلَاةِ أَجُورَهُمْ بِالْمَوَازِينِ، وَيُؤْتَى بِأَهْلِ الْحَجِّ، فَيُؤْفُونَ أَجُورَهُمْ بِالْمَوَازِينِ، وَيُؤْتَى بِأَهْلِ النَّبَاءِ، فَلَا يُنصَبُ لَهُمْ مِيزَانٌ، وَلَا يُنشَرُ لَهُمْ دِيوَانٌ، فَيُصَبُّ عَلَيْهِمُ الْأَجْرُ صَبًّا بِغَيْرِ حِسَابٍ، قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿ إِنَّمَا يُوفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾، حَتَّى يَتَمَنَّى أَهْلُ الْعَاقِبَةِ أَنَّهُمْ كَانُوا فِي الدُّنْيَا تُقْرَضُ أَجْسَادُهُمْ بِالْمَقَارِيضِ مِمَّا يَذْهَبُ أَهْلُ النَّبَاءِ مِنَ الْفَضْلِ { ٧١

وهل يوجد أحدٌ في المسلمين لم يُصبه ولو مرة بلاء؟ فكلنا معرضين له، لماذا؟ محبة من الله لئُخرجنا من الدنيا إلى الجنة على الفور.

ما المسلم الذي يُضَيِّع نفسه؟ الذي يشتكي الله إلى خلق الله، ولا يرضى بقضاء مولاه، ويظل عنده ضجر، وقد نجد بعض المسلمين - نسأل الله الحفظ والسلامة - نفسه تضحك عليه ويترك الطاعات المفروضات، فتسأله: لم لا تُصلي يا فلان؟ يقول لك: أنا زعلان من ربنا!، وهل الله يحتاج لصلاتك يا أخي؟! ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ﴾ (١٥ الجاثية)، فأنت مسكين نفسك ضحكت عليك، وهل ما تفعله - حاشا لله - سيؤثر على الحضرة الإلهية؟! أبدأً، فقد ورد في الأثر: (من لم يرض بقضائي، ويصبر على بلائي، فليخرج من تحت سمائي، وليتخذ ريباً سواي) وقال ﷺ:

{ مَنْ لَمْ يَرْضَ بِقَضَاءِ اللَّهِ، وَيُؤْمِنُ بِقَدْرِ اللَّهِ، فَلْيَلْتَمِسْ إِلَهَا غَيْرَ اللَّهِ { ٧٢

٧١ كتاب المحن للقيرواني عن أنس ﷺ

٧٢ معجم الطبراني وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي عن أنس ﷺ

يبحث له عن مكان آخر، وعن إله آخر، قال ﷺ:

{ إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ
السَّخَطُ }^{٧٣}

فهؤلاء الذين سيُحاسبون ليسوا بأهل الأفضلية، لكن أهل الأفضلية هم الذين سيدخلون الجنة بغير حساب، ومع ذلك من يُحاسب أكراماً لحضرة النبي سيُحاسبون حساباً يسيراً، كيف يكون هذا الحساب يا رسول الله؟ قال:

{ إِنَّ اللَّهَ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ، فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتَرْهُ، فَيَقُولُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا، أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا، فَيَقُولُ: نَعَمْ، أَي رَبِّ، حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ، وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ، قَالَ: سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ، فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ }^{٧٤}

يضع عليه ستائر حتى لا يعرف أحد ماذا يحدث له، ويُقرره بذنوبه، وكيف يُقرره بالذنوب؟ كل واحد يقرأ كتابه، فكيف يقرأه؟ لا يقرأه باللسان، ولكن يراه، فترى فيملك من البداية إلى النهاية، ترى نفسك وأنت تُصلي، وأنت تفعل كذا، وأنت تفعل كذا، ترى كل حركاتك وسكناتك، وبعد أن يقرره الله بذنوبه يغفرها له ويدخله الجنة برحمته... فهذا حساب أمة محمد، ما عدا صنف واحد وهو الذي فضح نفسه، وقال فيه حضرة النبي:

{ كُلُّ أُمَّتِي مُعَافَى إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ }^{٧٥}

يجلس في أي مكان ويتباهى بالمعاصي، ويقول: أنا فعلتُ كذا، وأنا عملتُ كذا، يا أخي سترك الله فلماذا تفضح نفسك؟! عليك أن ترجع إلى الله، وتندم إلى الله، وتُتوب إلى الله، لكي لا تخلع ستر الله الذي طلبه لك رسول الله ﷺ.

والله غفورٌ رحيمٌ وتوابٌ كريمٌ، ما دُمت أنت لم تفضح نفسك، ولم تباهي بما فعلت.

٧٣ جامع الترمذي وابن ماجة عن أنس ﷺ

٧٤ البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما

٧٥ البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ

حقيقة وصف الجنة

بعض السادة العلماء الأجلاء من السلف كانوا أحياناً يأتون بأحاديث ضعيفة، أو يرجعوا لكتب أهل الكتاب من التوراة والإنجيل ويبحثوا عن وصف الجنة، وأحياناً يتخيلوا، لكن مادام حضرة النبي قال عن الجنة:

{ فِيهَا مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبٍ بَشَرٍ }^{٧٧}

فلا نبحت في هذا الكلام، ومن أراد مشاهدة الجنة فليطهر القلب، ويضرع إلى الله، ويديم على ذكر الله إلى أن يفتح الله ﷻ له عين البصيرة، وهي الوحيدة التي تستطيع أن يرى بها وهو في الدنيا ما لا يراه الناظرون من غيوب رب العالمين تبارك وتعالى: ﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴾ ﴿ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴾ (التكاثر) تراها وأنت هنا، ولكن بعلم اسمه علم اليقين!! وعلم اليقين لا يؤتى إلا من أهل اليقين، لا من الكتب، ولا من المكتبات، ولا من الفيديوها، وهذا الذي يريد أن يحظى ولو بنفس من نعيم أهل الجنة ليرى ويطمئن إلى نعيم الجنة وهو هنا في الدنيا، لكن لا نحاول أن ندخل الحرافات والخزعبلات والإسرائيليات في ذكر الجنة، ونحافظ على الكمال الذي قال فيه الواحد المتعال: ﴿ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾.

صفات أهل الجنة

﴿ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِّنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ﴾ الصحاف هي الأطباق الكبيرة، والأكواب للشراب، والأطباق للطعام، والطعام والشراب غير الذي هنا، لأنك أنت نفسك سيكون جسمك هناك غير الجسم هنا، فهنا الجسم يمرض ويشيب ويهرم، ويصاب بالمرض والتعب والغم والهمل، لكن الجنة ليس فيها هذا، قال ﷺ:

{ إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَأْكُلُونَ فِيهَا وَيَشْرَبُونَ، وَلَا يَثْفُلُونَ، وَلَا يَبُولُونَ، وَلَا يَنْعَوُطُونَ، وَلَا يَمْتَخِطُونَ قَالُوا: فَمَا بَالُ الطَّعَامِ؟، قَالَ: جُشَاءٌ وَرَشْحٌ كَرَشْحِ الْمَسْكِ }^{٧٨}

^{٧٧} صحيح مسلم ومسنند أحمد عن سهل بن سعد

^{٧٨} صحيح مسلم ومسنند أحمد والطبراني عن جابر

إن أهل الجنة لا يموتون ولا ينامون ولا يتبولون ولا يتغوطون ولا يسقمون ولا يهرمون، بل يظلون فيها شباباً ما شاء الله... وطعام الدنيا يحتاج إلى إخراج، لكن طعام الجنة لا يحتاج إلى إخراج، ولذلك لا يتبول ولا يتغوط فيها.

وهواء الجنة لا يجلب مرضاً: ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمَهْرِيرًا﴾ (١٣ الإنسان) التكيف أحياناً يُصيب بالمرض، لكن الجنة ليس فيها ذلك لأنها نظام رباني.

إذا فالجنة فيها ما فيها من نعيم الله، وترك هذه الأشياء حتى يكشفها لنا الله، أو سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ.

وماذا في الجنة كلها؟ ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ﴾ ما تشتهيهِ النفس إن كان في الطعام أو الشراب أو النكاح ولذته.. كل شهوات النفس موجودة هناك ولكنها أعلى وأرقى.

﴿وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ﴾ ألد شيء للعين لأهل الجنان أن يحظوا برؤية الجنان المنان تبارك وتعالى، ويحظوا بجوار النبي العدنان ﷺ، وهذا مختصر نعيم الجنة.

ثم طمأنهم الله وقال لهم: ﴿وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ يعني لن تخرجوا منها أبداً، والجنة لها ثمانية أبواب، قال ﷺ:

{ لِلْجَنَّةِ ثَمَانِيَةُ أَبْوَابٍ بَيْنَ كُلِّ مَصْرَاعَيْنِ مِنْ أَبْوَابِهَا مَسِيرَةُ أَرْبَعِينَ سَنَةً }

يعني عرض كل باب مسيرة سفر أربعين سنة، وورد أن سيدنا علي قال: موجود على باب الجنة عينان، قال فيهما الله: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾ (٦٦ الرحمن) عندما يذهب إلى العين الأولى تُخرج له شربة يشربها فكل الهم والغم والكرب الذي كان في الدنيا يذهب، ويقول: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ﴾ (٣٤ فاطر) يعني لم يعد هناك حزن ولا هم ولا غم، وإنما متع دائمة في جوار الدائم تبارك وتعالى.

ويشرب من العين الثانية فتظهر عليه نضرة النعيم على الفور، فيدخل الجنة بهذه الكيفية الإلهية التي قال لنا فيها الله: ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ سنأخذ الجنة ميراثاً، يعني لن نتركها.

وهل الدنيا فيها ميراث؟ لا، لأنه لو كان لهم ميراث سيكون باقياً، لكن الذي يرث أرضاً فإنه قد ورثها من فلان، وفلان هذا ورثها من فلان، ولو أتينا بكل السجلات وأنطق الله هذه الأرض لتبلغنا بمن ورثها من أول آدم إلى يومنا هذا، فكيف يكون طول هذه السجلات؟! وبعد أن أنهى مدتي في الدنيا فهل تكون باسمي؟ لا، لأنه بمجرد أن يخرج من الدنيا فإن الأرض تذهب لفلان، ويتحوّل هذا البيت لفلان، ويتحول هذا المال لفلان، ولم يعد له شيء من ذلك! ولو حاولنا أن نتصرف فيه بغير ذلك نحاسب، لأننا خالفنا اللوائح الإلهية.

فكيف يكون الميراث إذاً؟ باقي لا يزول، ولا يوجد ميراث باقي غير ميراث الجنة، ولذلك المؤمن عليه قبل أن يخرج من الدنيا أن يشتري له قطعة في الجنة، ويعقد العقد مع ملك الملوك، حتى إذا ذهب إلى هناك يجد موضعه الذي اشتراه وورثه من الله ﷻ في جنة الله ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾ (١١١ التوبة).

الذي يريد الجنة لا بد وأن يشتري، أنت همك كله في الدنيا أن تبني لك بيتاً في مكان، وتشتري لك شقة في مكان آخر، وقد تسعى لتبني لك شقة في الساحل الشمالي، ولا مانع من ذلك ما دام أعطاك الله وسعة، لكن هل جعلت لنفسك شقة في جنة عدن؟! أو هل بنيت لك قصراً في الفردوس الأعلى!؟

فاجعل هذه تمشي هذه: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (المؤمنون) وبعد أن ذكر الله أوصاف المؤمنين قال: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾ (الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون) (المؤمنون) هل هناك سكن للإيجار؟ لا، يعني من لم يكن له سكن فلن يجد في الجنة سكناً ولو بالإيجار، وكم أجر هذا السكن؟ هل يوجد من يستطيع أن يهرّب معه دفتر شيكات ويضعه في كفه؟! سيذهب للتراب ويبلى، هل يستطيع أن يأخذ عقوده المسجلة في الشهر العقاري؟! لن تنفعه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ (٤٠ مريم).

فلا بد للإنسان أن يكون حريصاً أن يكون له موضعاً في الجنان، ويشتريه وهو في الدنيا ويعرفه قبل أن يخرج من هنا، والحق ﷻ تكفل لمن يشتري موضعاً في الجنة قبل أن

يخرج من الدنيا يُعرِّفه قصوره وعنوانها، والحي الذي هي في.

فهل تختار حي (مُحَمَّد رسول الله والذين معه) وهذا سعره مرتفع، وتجد سعره في كتاب الله لأن كتاب الله يعرض كل شيء، أو تختار لك قطعة صغيرة تسكن فيها بجوار سور الجنة، وتكون مع المخلوقات التي أكرمها الله ككلب أهل الكهف، وناقاة صالح، وغيرهم، وهذه أجرها بسيط، ولكن لا بد من الأجر.

فكل واحد يختار ما تتوق نفسه إليه، مع العلم أنها الحياة الباقية، والحياة الباقية لا بد للإنسان أن يستعد لها من هذه الحياة الدنيا:

لا دار للمرء بعد الموت يسكنها إلا التي كان قبل الموت يبنيها
فإن بناها بخير طاب مسكنه وإن بناها بشر خاب بانيها

والرحمن تبارك وتعالى أراحك، فقد كَلَّفَ لك المقاولون، وهم الذين يبنون لك القصور، وهم الذين يزرعون لك الجنات والحدائق، وهم الذين يجهزون لك كل شيء، ولكن كل ما عليك أن ترسل لهم التموين، وما التموين؟ ذكر الله، وطاعة الله، والأعمال الصالحة التي تتقرب بها إلى الله تبارك وتعالى.

فإذا أخذت راحة في فترة من الفترات، فالشركة تتوقف عن العمل، وهم الملائكة، فيمُرُّ عليهم رضوان ويسألهم: لماذا لا تعملون؟ فيقولون: حتى يأتينا زاد!، لذلك لا بد أن تضع في حساباتك هذا الأمر.

نسأل الله تبارك وتعالى أن يجعل لنا عُرفاً مبنيةً في الجنان، في جوار النبي العدنان، وأن يرزقنا فيها بالخيرات الحسان، وأن يجعلنا من المصطفين فيها للنظر إلى وجه حضرة الرحمن، وأن يجعلنا من الذين لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِي

جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِنْ

سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٥٣﴾

كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ نَحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾

يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ ﴿٥٥﴾

لَا يَذُقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ

الْأُولَىٰ ۗ وَوَقَّعْنَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾

فَضلاً مِّن رَّبِّكَ ۗ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ

الْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ

لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ (الدخان)

٥. المقام الأمين^{٧٩}

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - الحمد لله الذي بيده الملك، وبيده الملكوت، وبيده كل شيء، وهو على كل شيء قدير، يعز من أطاعه ويجعله في الدنيا مشمولاً برعاية الله، وفي الآخرة في جوار الذين أنعم عليهم الله من النبيين والصدقيين والصالحين والشهداء وحسن أولئك رفيقا.

والصلاة والسلام على مسك الختام، ومصباح الظلام، والشمس الإلهية المضيئة لقلوب من اصطفاهم الملك العالم؛ سيدنا محمد وآله الكرام وصحابه العظام، وكل من اقتدى بهم ومشى على هديهم إلى يوم الدين، وانظمتنا في عقد معيتهم أجمعين، واجعلنا معهم أجمعين تحت لواء سيد الأولين والآخرين ... آمين آمين يا رب العالمين.

كلما نقرأ في آيات القرآن نجد المولى تبارك وتعالى يطلب منا طلباً واحداً، إذا حققناه وتحققنا به أصلح الله لنا كل أمور ديانا وأسعدنا في أحرانا؛ أن نتق الله؛ أن يصل العبد لمقام تقوى الله تبارك وتعالى.

ولكي لا يظن أحداً أنه بريء من هذا الخطاب وجّه الله في جلالته هذا الخطاب مباشرة لنبيه مع كماله وجماله وما كمله به ربه في كل الأحوال، وقال له: ﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ اتَّقِ اللَّهَ﴾ (الأحزاب) لأن هناك بعض الناس عندما تقول له (اتق الله) يحزن ويأخذ موقف منك، مع أنها نصيحة!!

تقوى الله

وتقوى الله التي يذكرنا بها الله في كتاب الله في كل آية لها مقام، ولها شرح، ولها تفصيل، بينها اللطيف الخبير تبارك وتعالى

وتقوى الله في هذا المقام الذي نعيشه الآن: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾ أن يرتفع الإنسان من درجة الإسلام، إلى درجة الإيمان، حتى يصل إلى درجة الإحسان، فيمشي في

الكون ينظر بعين فؤاده، ويراقب بعين قلبه مولاه كأنه يراه.

هذا المقام وهو مراقبة الله - أن تعبد الله كأنك تراه - يمنعه من معاصي الله، ويدفعه إلى العمل الصالح الذي يطالبه به مولاه.

لو كان في خلاء أو في ملاء لا بد أن يكون أمام بصيرته: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ^ع وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (الحديد) وأكثر من ذلك أنه يرى أنه يطلع على خفايا الصدور، وما يدور في خلجات النفوس، فيستحي من الله تبارك وتعالى أن يُحدِّث الخلق ويبيدي لهم نية غير النية التي عقد عليها قلبه، وينظر إليها ربه تبارك!.

الذي يصل إلى هذا المقام يبشره الله، لأنه راقب الله، ومن شدة مراقبته لله حفظه الله من كل المعاصي التي نهي عنها الله، ولا يفعل إلا ما يري الخير فيه لنفسه أو لإخوانه المسلمين طلباً لمرضات الله تبارك وتعالى، فيدخل في قول الله تعالى يوم الدين: ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا ءِيمَنَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ ءَالَمٌ ءَامِنٌ وَهُمْ مُهُتَدُونَ ﴾ (الأأنعام) يكون يوم القيامة من الآمنين.

فلا يفرغ مع من يفرغ، ولا يهلع ولا يجزع عند أهوال القيامة، ولا ينتابه خوف عند تطاير الصحف، ولا يهاب عبور الصراط، لأن الله ^ع أعطاه لواء الأمان، ولا تحدث له حتى رهبة من النار، لأنه أخذ ضمان من الله، أن الله حفظه من كل ما يخافه ويخشاه من الأحداث التي تحدث في القيامة لمن عصى الله ومشى في الدنيا على هواه، فيكون يوم القيامة من الآمنين، وهؤلاء هنيئاً لهم، نسأل الله أن نكون منهم أجمعين.

هؤلاء يجعلهم الله في الدنيا موفقين، لا يجلسون إلا في المجالس التي يجها رب العالمين، في مجالس الصديقين، أو في مجالس الصالحين، أو في مجالس العلماء العاملين، أو في مجالس الذاكرين المخلصين، أو في مجالس البر وعمل الخير للناس أجمعين ... تجده يتقلب من طاعة إلى طاعة، وما أحسن هذه البضاعة، كلها مجالس ترضي من يقول للشئء كن فيكون.

فيكون في الدنيا موفق، ودليل توفيق الله تبارك وتعالى للبعد أن يحفظه من مجالس أهل الزيف والضلال، ويجعله دائماً في مجالس الموفقين لطاعة ذي الجلال والإكرام، وهذا دليل التوفيق أن الله تبارك وتعالى هو الذي يصونه بصيانتته من الوقوع في خطيئة تغضب الله، أو

حتى تتنابه غفلة تجعله يغفل عن ذكر الله تبارك وتعالى طرفة عين ولا أقل، وهذا ميزان يجب على كل واحد منا أن يزن نفسه به.

سألوا أحد الصالحين: كيف نعلم أن الله ﷻ يحبنا؟ فقال: إذا أقامك في الطاعات، وحفظك من المعاصي والمخالفات، فهذا دليل على أن الله اجتبك واصطفاك وجعلك من أهل الرضا والدرجات العلا في الجنات إن شاء الله.

وآخر سأل أحد الصالحين يقول له: إني خائف، هل الله راضياً عني أم لا؟ وأريد أن أعرف مقامي عند رب العزة تبارك وتعالى؟ قال له: إذا أردت أن تعرف عند الله مقامك فانظر فيما أقامك.

أنت في أي شيء في الدنيا، إذا كنت قائماً بكتاب الله آناء الليل وأطراف النهار فقد دخلت في قول المختار ﷺ:

{ أَهْلُ الْقُرْآنِ هُمْ أَهْلُ اللَّهِ وَخَاصَّتُهُ }^{٨٠}

إذا كنت تحرص على مخالطة الذاكرين في أي وقت وحين فتعرف أن مقامك: ﴿ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (٣٥ الأحراب).

إذا جعلك الله دائماً في الدنيا تصدق القول، وكره إليك قول الزور والكذب حتى المباح الذي يبيحه البعض، فتعلم أن الله ﷻ جعلك من الصادقين الذين يدلون الخلق على أن يذهبوا إليهم وقال عز وجل في شأنهم: ﴿ يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ (١١٩ التوبة).

إذا التقوى علامتها في الدنيا أن الإنسان يحفظ نفسه وجوارحه من المعاصي والمخالفات خوفاً من مولاه، لا خشية من خلق الله، ويقبل على الطاعات طمعاً في مرضات الله، لا رياءً ولا سمعه ولا شهرة بين الناس في هذه الحياة، ويجد نفسه دائماً وأبداً يتقلب مع الصالحين ومع المتقين ومع رجال الله العاملين فيما يرضي الله تبارك وتعالى في كل وقت وحين. وهؤلاء وعدهم الله في الدنيا - ما دام وصل إلي هذا المقام - أنه لا توجد شدة تقف

^{٨٠} مسند أحمد والحاكم في المستدرک عن أنس ؓ

أمامه، ولا يوجد كرب ينزل به ولا يجد له حل، ولا توجد أي مشكلة تعوقه في دنياه، لأنه دخل ومعه مفتاح الله الذي يقول فيه في كتاب الله: ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ (الطلاق).

فيكون معه مفتاح من الفتاح يفتح له كل أبواب الصلاح والأرزاق والإكرامات والنجاح في حياته الدنيا، ولو كان ضعيفاً ليس له سلطان، وليس له ما لأهل الدنيا من الصولجان لأنه معه مفتاح حضرة الرحمن تبارك وتعالى.

وهذا السلاح الذي سلَّح به حضرة النبي أصحابه المباركين، وهذا الذي نحتاجه في هذا العصر لكي تنتهي كل مشاكلنا، فإلخاض لكل ما نحن فيه تقوى الله ومراقبة الله: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَأَتَّقُوا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ (الأعراف).

شبابنا وبناتنا في حاجة إلى أن نُسلِّحهم بهذا السلاح، من الذي يدرهم ومن الذي يسلحهم؟ الأب والأم، ولا يجوز لأحد أن يهرب من المسؤولية ويقول أنه سيذهب إلى المدرسة أو المعهد!، فأنت تذهب به للمدرسة لكي يتعلم العلوم الدينية فقط، ولن يتعلم العلوم الأخروية... فهو لو درس الحساب كله من أوله إلى آخره هل سيصل إلى مراقبة الله؟! لا!.. ولو دَرَسَ الإنجليزي بكل اللهجات هل سيصل إلى مراقبة الله؟! لا!!.. فهذه علوم دينوية، لكن العلوم الأخروية تعليمها مسئوليتك أنت:

﴿ قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾ (التحريم) التقوى هي الوقاية، تقى أولادك وبناتك وأهلك النار، أي تقيهم من العمل الذي يُدخل النار، وتعلمهم العمل الذي يرفع شأنهم في الجنة في الدار الآخرة إن شاء الله... فنكون مثل صحابة رسول الله المباركين، منذ بدء الطفل أعلمه تقوى الله، ومراقبة الله، لا يوجد أحد يُدَرِّسُ درس المراقبة للابن أو البنت إلا الأب والأم.

الرجل الذي كان يقوم الليل، وكان له أخت توفي زوجها، ومعها ابنها طفل صغير لم يتجاوز السابعة اسمه سهل التستري، وكانا يعيشان معه، كان هذا الصبي عندما يري خاله يصلي في الليل يقف بجواره، وكان يقلده في حركات الصلاة، فقال له خاله: يا سهل قل ثلاث مرات كل ليلة: (الله معي، الله ناظر إليّ، الله شاهد عليّ) وطلب منه التمعن فيهم.

واظب الابن على هذا، بعد فترة زاد له في الدواء وقال له: يا سهل قل كل ليلة إحدى عشرة مرة (الله معي، الله ناظر إليّ، الله شاهد عليّ) ليجعله يدخل في مقام المراقبة، وواظب عليهم، وبعد مدة قال له: يا سهل واظب على هذه الكلمات عمرك حتى تخرج من الدنيا ولا تقطعها أبداً.

هذه الأحوال التي نحتاج أن نربي أولادنا عليها: ﴿ مَا يَكُونُ مِنْ حُجْوَى ثَلَاثَةَ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةَ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ﴾ (المجادلة) هذه التقوى والحبل الأقوى الذي ينجيهم من كل الشدائد، ومن كل المضائق، ويجعل لهم من كل ضيق مخرجاً لأنهم أصبحوا على صلة بمن يقول للشيء كن فيكون تبارك وتعالى

لأن الكثير اعتقد أن العلوم الدنيوية هي الغاية، فهذه العلوم الدنيوية مثلها مثل تعليم أي صنعة أو مهنة، سيخرج مثلاً مُدرّس لغة إنجليزية فهي مهنة، أو أن يكون مترجماً في أعلى الجهات ولو في رئاسة الجمهورية فهذه مهنة وهكذا قس على ذلك.

لكن أنا أريد أن يكون على صلة بالله، فهذه مسئولية الآباء، أراقبه وأتابعه إلى أن يتحقق بهذه الصفة الإلهية، وهذه لو انتشرت في المجتمع انتهت المشكلات، وحلت كل المعضلات وأصبح الناس جميعاً في رعاية الله وعنايته على الدوام.

وصف الجنة

﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴾ أين هؤلاء؟ ﴿ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾ :

والجنة أولادنا لم يعد أحد يُحدّثهم عنها لكي يجوها ويستعدوا لها ويعملوا العمل الموصل إليها، يكفي أن الجنة ليس بها ليل ولا نهار ولا نوم ولا مرض ولا تُخامة ولا تبول ولا تغوط ولا هرم ولا موت خالدين فيها أبداً، قال ﷺ:

{ إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَأْكُلُونَ فِيهَا وَيَشْرَبُونَ، وَلَا يَتْفُلُونَ، وَلَا يَبُولُونَ، وَلَا يَتَغَوَّطُونَ، وَلَا يَمْتَخِطُونَ قَالُوا: فَمَا بَالُ الطَّعَامِ؟

قَالَ: جُشَاءٌ وَرَشْحٌ كَرَشْحِ الْمَسْنِكِ ٨١

وفي رواية أخرى: { لَا يَنْبَلَى شَبَابُهُمْ } ٨٢

وهنا يقف الكلام، لأن ما بعده لا يعلمه إلا حضرة الله تبارك وتعالى، نحن الآن كل الذي يسمعه أولادنا أن الجنة في الساحل الشمالي ويريد أن يراها،!!! أو الجنة التي في الإسكندرية ويريد أن يراها، وغير ذلك، وهل هذه جنان؟! هي جنان من نوع آخر تُسمى جُنَّة.

لكن الجنان العالية التي ليس لها مثيل من الذي يحكي لهم عنها؟! ومن الذي يشوقهم إليها؟! لا بد أن نشوقهم للجنات العالية

﴿ فِي جَنَّتٍ وَعُيُونٍ ﴾ عيون يخرج منها ماء غير آسن، ولبن لم يتغير طعمه، وخمر لذة للشاربين، وعسل مصفى، وكل ما يطلبون ويتمنون وما يشاءون: ﴿ هُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾ (٣٥ق).

كيف يدخلونها؟ وكيف يعرفون ما فيها؟ لا بد أن يجالسوا أهل الجنان الذين أشار إليهم النبي العدنان في حياتهم الدنيا، لكي يعرفوا هيئة هذه الجنان، وهل يوجد جنة في هذه الدنيا؟ نعم، كالتي نحن فيها الآن، قال ﷺ:

{ إِذَا مَرَرْتُمْ بِرِيَاضِ الْجَنَّةِ فَارْتَعُوا، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا رِيَاضُ الْجَنَّةِ؟ قَالَ: مَجَالِسُ ذِكْرِ اللَّهِ ﷻ وَحَلْقُ الْقُرْآنِ } ٨٣، وفي رواية أخرى: { مَجَالِسُ الْعِلْمِ } ٨٤

وارتع يعني اترك الدنيا والمشاكل والمشاكل واجلس فيها، إن كان حلق ذكر، أو مجالس علم، أو مجالس قرآن، فكل هذه جنان في عالم الأكوان، لأن الإنسان عندما يعيش فيها ينسى الهم وينسى المشاكل، ويخرج منها مغفوراً له الذنوب والآثام، وكل ما يطلبه من ربه يجيبه في الحال، وهذا حديث سيدنا رسول الله ﷺ الذي قال فيه:

٨١ صحيح مسلم ومسند أحمد والطبراني عن جابر ﷺ

٨٢ مسند أحمد والطبراني عن أبي هريرة ﷺ

٨٣ الثاني والعشرون من المشيخة البغدادية لأبي طاهر السلفي عن أنس ﷺ

٨٤ المعجم الكبير للطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما

{ إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً سَيَّاحِينَ فِي الْأَرْضِ فَضُلًا عَنِ كُتَابِ النَّاسِ، فَإِذَا وَجَدُوا أُمَّةً أَوْ قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَنَادَوْا: هَلُمُّوا إِلَيْنَا بُغْيَتِكُمْ، فَيُحِثُّونَ فَيُحْفُونَ بِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَقُولُ اللَّهُ: عَلَى أَيِّ شَيْءٍ تَرَكْتُمْ عِبَادِي يَصْنَعُونَ؟ فَيَقُولُونَ: تَرَكْنَاهُمْ يَحْمَدُونَكَ، وَيُحْمَدُونَكَ، وَيَذْكُرُونَكَ، قَالَ: فَيَقُولُ: فَهَلْ رَأَوْنِي؟ فَيَقُولُونَ: لَا، قَالَ: فَيَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي؟ قَالَ: فَيَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْكَ لَكَانُوا أَشَدَّ تَحْمِيدًا، وَأَشَدَّ تَمَجِيدًا، وَأَشَدَّ لَكَ ذِكْرًا، قَالَ: فَيَقُولُ: وَأَيُّ شَيْءٍ يَطْلُبُونَ؟ قَالَ: فَيَقُولُونَ: يَطْلُبُونَ الْجَنَّةَ، قَالَ: فَيَقُولُ: وَهَلْ رَأَوَهَا؟ قَالَ: فَيَقُولُونَ: لَا، قَالَ: فَيَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوَهَا؟ قَالَ: فَيَقُولُونَ: لَوْ رَأَوَهَا كَانُوا لَهَا أَشَدَّ طَلَبًا، وَأَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصًا، قَالَ: فَيَقُولُ: فَمِنْ أَيِّ شَيْءٍ يَتَعَوَّذُونَ؟ قَالُوا: يَتَعَوَّذُونَ مِنَ النَّارِ، قَالَ: فَيَقُولُ: هَلْ رَأَوَهَا؟ فَيَقُولُونَ: لَا، فَيَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوَهَا؟ فَيَقُولُونَ: لَوْ رَأَوَهَا كَانُوا مِنْهَا أَشَدَّ هَرْبًا، وَأَشَدَّ مِنْهَا خَوْفًا، وَأَشَدَّ مِنْهَا تَعَوُّدًا، قَالَ: فَيَقُولُ: فَإِنِّي أَشْهَدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ، فَيَقُولُونَ: إِنَّ فِيهِمْ فُلَانًا الْخَطَاءَ لَمْ يُرِدْهُمْ إِثْمًا جَاءَهُمْ لِحَاجَةٍ، فَيَقُولُ: هُمْ الْقَوْمُ لَا يَشْقَى لَهُمْ جَلِيسٌ }^{٨٥}

الملائكة يبحثون في الأكوان عن مجالس الذكر، ومجالس العلم كالذي نحن فيه الآن، فهل نترك هؤلاء؟! أنت تجلس مع السعداء الذي إذا جالسهم أحد سعد ولا يجد شقاوة أبداً، فهذه هي الجنات التي جعلها الله في الأرض لنا لكي نبلغ بها الجنات العالية عند ربنا تبارك وتعالى.

﴿ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾ ما العيون التي في الجنات؟ فيها عيون من العلم الإلهامي الذي يفيضه الله ﷻ على الأتقياء منهم، ويروون الباقيين، وفيها عيون من الأحوال النبوية التي تفاض من الله تبارك وتعالى على الصالحين منهم ثم تغشى الآخرين جوداً وفضلاً من رب العالمين، وفيها عيون من العمل الصالح المقبول، وعندما يحضر الواحد منا معهم فسيضمن عملاً صالحاً مقبولاً عند رب العالمين تبارك وتعالى ... عيون لا عد لها ولا حد لها.

هناك من يكون عنده عين من الحكمة، وهناك من يكون عنده عين من العلوم اللوحية، وهناك من يكون عنده عين من العلوم النبوية .. عيون كثيرة يوزعها الله ﷻ على الصالحين من عباد الله !!

هذه العين ماذا تروي؟ تروي القلوب لا الأجسام، تروي القلوب من ظهور المشروب الذي يقول فيه علام الغيوب: ﴿ وَسَقَلَهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴾ (٢١ الإنسان) لأنه هو الشراب الذي يطهر القلب من الأغيار ولكي يكمل من الأنوار، ويطهر القلب من الأكدار لكي يتنزل فيه عطاء الواحد القهار، ويطهره من الهم والغم والحزن لكي ينزل فيه السرور والفرح والنور من حضرة الغفور تبارك وتعالى .. هذه عيون جعلها الله ﷻ للمؤمنين على الدوام، ولذلك قال ﷺ:

{ إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يَقُولُ: إِنِّي لَأَهْمُ بِأَهْلِ الْأَرْضِ عَذَابًا فَإِذَا نَظَرْتُ إِلَى عُمَارِ بُيُوتِي، وَالْمُتَحَابِّينَ فِيَّ، وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ صَرَفْتُ عَنْهُمْ }^{٨٦}

هؤلاء رجال إذا همَّ الله بأهل الأرض عذاباً نظر إليهم فصرف العذاب عن أهل الأرض، وطالما نحن نلتف حولهم، ونتلقى منهم لوجه الله يصلح الله ﷻ أحوالنا وأحوال الكون كله بأمر الله، وبسر سيدنا مولانا رسول الله ﷺ.

أهل الجنة العالية الذين يدخلون هناك: ﴿ يَلْبَسُونَ مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ ﴾

السندس هو الحرير الطري الناعم، عن أنس بن مالك ﷺ قال:

{ أَهْدِي لِلنَّبِيِّ ﷺ ثَوْبَ حَرِيرٍ، فَجَعَلْنَا نَلْمُسُهُ وَنَتَعَجَّبُ مِنْهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: أَتَعْجَبُونَ مِنْ هَذَا؟ قُلْنَا، نَعَمْ، قَالَ: مَنَادَيْلُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنْ هَذَا }^{٨٧}

لأن سيدنا رسول الله ﷺ في ليلة المعراج دخل الجنة لكي يطمأن علينا ويري ماذا لنا هناك، ويسأل الله ﷻ لنا المزيد، فرأى قصورنا وجناننا وكل النعيم الذي أعدَّه الله لنا، ولذلك يوم القيامة فإن الجنة تفتح برسول الله، قال ﷺ:

٨٦ شعب الإيمان للبيهقي عن أنس ﷺ

٨٧ البخاري ومسلم عن أنس ﷺ

{ آتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَاسْتَفْتِحْ ، فَيَقُولُ الْخَازِنُ : مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ : مُحَمَّدٌ ، فَيَقُولُ : بِكَ أُمِرْتُ ، لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ }^{٨٨}

فهو مفتاح الجنة، وعندما يقف أمامها تفتح بأمر الله، ومع هذا لا يدخلها، لماذا؟ لكي يطمأن على الأمة كلها، وقد جهّز له منبر من نور على يمين عرش الرحمن تبارك وتعالى ينظر منه لمن يذهب إلي الجنة، لكنه يطلب أن يكون له منبر ينظر منه لمن يذهب إلى النار، لأن الذي يذهب إلي الجنة فقد نجا، أما الذي يذهب إلي النار يريد أن يشفع فيه ليأخذ تخفيض في المدة، أو عفو عام من الملك العلام ﷻ.

وعند تطاير الصحف يأتي لكي يطمأن علينا، وعند الميزان يقف عنده لكي يطمأن علينا، وعند الصراط يظل واقفاً حتى آخر واحد من أمته يمر على الصراط، لكي يطمأن علينا صلوات الله وتسليماته عليه.

وقبل هذه الأشياء كلها أخذ تفويض عام من رب العزة أن يطلب الذي يريده ولا يرد، فأنزل عليه: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ (الضحى) سيعطيك الله كل ما تريد إلي أن ترضي، وسيدنا جعفر الصادق ﷺ قال: **(ولا يرضي ﷻ وواحد من أمته في النار)** فيظل تحت العرش يسجد ويتضرع إلى الله أن يستجاب له، فيشفع في أهل جهنم من المسلمين، فهناك من يتم تخفيض مدته من العذاب، وهناك من يعفو عنه الله بعد أن أخذ حكماً ودخل جهنم!! لأن الله وعده بذلك في محكم القرآن، صلوات ربي وتسليماته عليه.

﴿يَلْبَسُونَ مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ والإستبرق هو الحرير الغليظ، فلبسوا هذا وهذا، مع أن الجنة لا يوجد فيها حر ولا برد: ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمَهْرِيرًا﴾ (١١٣ الإنسان) لا يوجد فيها شمس فكيف تنير؟ بنور الله، ونور رسول الله، ونور الصالحين والمؤمنين بالله تبارك وتعالى، فلا يحتاجون شمس ولا قمر ولا كهرباء ولا شيء من هذا القبيل، لأن: ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ (٤٠ النور).

فكيف يكون حالهم في الجنة؟ **(مُتَقَبِّلِينَ)** وجههم في وجه بعضهم في حلقات ملتفين حول واحد من الصحابة الأجلاء، أو واحد من الرسل والأنبياء، ولذلك طلب منا

حضرة النبي أن نكون في مجالس الذكر ومجالس العلم حلقات لكي نكون مثل الجنة.

أما في الصلاة فلا بد أن ننظر للأمام، لكي نتذكر النظر إلى وجه الله، لأننا كلنا سنكون في صف واحد، ومعلقين عين البصر والبصيرة على حضرة الواحد تبارك وتعالى، ونجمع كل ما في خواطرنا وما في نفوسنا وما في قلوبنا وممتفرغين بالكلية للنظر إلي وجه الله تبارك وتعالى. ال الزوجة والخور العين

﴿ كَذَلِكَ وَرَوَّجْنَهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴾ الخور تطلق على النساء واسعة العين، والتي تجعل المرأة أكثر جمالاً، لوئها أحمر على أبيض وعينها واسعة، لو ظهرت قدم إحداهن لاختفى نور الشمس من شدة جمالها!!.

بعض السادة العلماء عندما رأى هذه الآية والآيات التي مثلها في القرآن، فأرادوا أن يشوقوا الناس للخور العين، حتى أن بعض الناس يظن أن الخور العين أعلى في المقام من الآدميات، لكن المرأة التي أنت متزوجها إذا كانت صالحة ستأخذ يدها بيدك وتدخلها معاً الجنة، فأنت صاحب مملكتك في الجنة، وهي سيدة القصور، أنت تحدمك الملائكة، وهي يخدمها الخور، فالخور في خدمة النسوة الصالحات المتزوجات في الجنات، وقد ورد في بعض الآثار: أن المرأة الصالحة في الجنة خير من كذا وستين حورية!!.

لماذا؟ لأن مقامها عال عند الله، فقد جاهدت في الدنيا، وتحملت وصبرت وقاست الآلام، وصلت في الليل والناس نيام، وغير ذلك من الأعمال الطيبة، لكن الخور لم يجاهدوا هذا الجهاد، فالمرأة التقية النقية أعلى من الخور، لأن بعض الرجال عندما تحدث مشكلة له مع زوجته فيقول لها: إن شاء الله سوف يعوضني عنك في الجنة من الخور العين، لكنها ستكون أحلي وأجمل وأبهي من الخور العين آلاف المرات، فليس كما تراها الآن، لكنها ستتغير وستكون صورة أخرى، فكما أنت ستتغير كذلك هي ستتغير وتبديل ما دامت في الدنيا من الصالحات: ﴿ مَن عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ ﴾ (٩٧ النحل) الرجال مثل النساء في العمل الصالح، كما قال ﷺ:

{ إِنَّمَا النِّسَاءُ شَقَائِقُ الرِّجَالِ }^{٨٩}

٨٩ جامع الترمذي وأبي داود عن عائشة رضي الله عنها

النساء شقائق الرجال في العمل الصالح، وأحياناً يكون النساء أكثر من الرجال، مثل النساء الذين مدحهم الله وأثنى عليهم في القرآن.

الذي لم يتزوج في الدنيا يتزوج من الحور العين في الجنة، والذي تزوج في الدنيا ستكون معه زوجته، ومعه تصريح من رب العزة أن يفعل ما يريد بالحور العين، لأنها دار النعيم المقيم، لكن لا نريد أن نشغل بالنعيم عن المنعم، فيكون عيننا دائماً على المنعم تبارك وتعالى فهذا هو الأساس الذي نريده.

غذاء أهل الجنة

﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ﴾ الغذاء الأساسي في الجنة وفي الدنيا الفاكهة، حتى عندما عدّد الله الأنواع قال: ﴿وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ﴾ ﴿٩٠﴾ و﴿حَمِيمٍ طَيِّبٍ مِّمَّا يَشْتَبُونَ﴾ ﴿٩١﴾ (الواقعة) ذكر الله الفاكهة أولاً، لماذا؟ كما قال ﷺ:

{ إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَأْكُلُونَ فِيهَا وَيَشْرَبُونَ، وَلَا يَتْفَلُونَ، وَلَا يَبُولُونَ، وَلَا يَتَغَوَّطُونَ، وَلَا يَمْتَخِطُونَ قَالُوا: فَمَا بَالُ الطَّعَامِ؟، قَالَ: جُشَاءٌ وَرَشْحٌ كَرَشْحِ الْمَسْكِ }^{٩٠}

أي أن الأكل ليس له فضلات، فلا يحتاج الإنسان إلى دورة مياة أو غير ذلك، والفضلات تخرج كرشحات العرق، رائحتها كرائحة المسك، .. والله تبارك وتعالى أشهد المؤمنين في عصر النبي الأمين وهم في الدنيا ذلك، كيف؟ رأوا ذلك في رسول الله، فكان شديد العرق، وكان عرقه أطيب من رائحة المسك!. وهذا هو حال الجنة، فالنبي - وهو في الدنيا - كان في الجنة العالية، ولذلك عندما كان يريد أصحابه أن يتابعوه في صيام الوصال فقال لهم:

{ إِيَّاكُمْ وَالْوِصَالَ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، قَالُوا: فَإِنَّكَ تُوَاصِلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: لَسْتُمْ فِي ذَلِكَ مِثْلِي، إِنِّي أَيْتُّ عِنْدَ رَبِّي يُطْعِمُنِي رَبِّي وَيَسْقِينِي }^{٩١}

كيفية يكون شكل هذا الطعام؟ لم يصفه لهم، لأنهم لا يعقلوه ولا يعرفوه، لأنه طعام

٩٠ صحيح مسلم ومسنند أحمد والطبراني عن جابر
٩١ بحر الفوائد للكلاباذي عن أبي هريرة

رباني، وشراب رباني من الله تبارك وتعالى.

فكان ﷺ رائحة عرقه أشد من رائحة المسك، وكان يذهب عند السيدة أم سليم أم سيدنا أنس ابن مالك رضي الله عنه ويقيم عندها، فذات يوم استيقظ من نومه وكان شديد العرق عند نومه، فوجدها تأخذ من عرقه بمناديل وتعصره في زجاجة فقال لها:

{ يَا أُمَّ سَلِيمٍ، مَا هَذَا الَّذِي تُصْنَعِينَ؟ قَالَتْ: هَذَا عَرَقُكَ، نَجَعَلُهُ فِي طَيْبِنَا، وَهُوَ مِنْ أَطْيَبِ الطَّيْبِ }^{٩٢}

وكن نساء الأنصار يأتونها فيطلبن عرق النبي ﷺ، لأن العطر الذي ليس له رائحة نفاذه يضعون عليه قطرات من عرق النبي فيصبح من أطيب الطيب الذي ليس له شبيه ولا مثيل... طيب الجنة هذا كان مع حضرة النبي على الدوام، حتى أنه صلوات ربي وتسليماته عليه كان عندما يسير في طريق يترك أثراً من رائحته، فإذا أراد شخص حضرة النبي يتبع ريح حضرة النبي فيعرف مكانه، لأنها تظل في هذا الطريق.

ولو سلم عليه أحد فإن الرائحة تظل في يده ثلاثة أيام!! لأنه عطر من عطور الجنة، وهذه الرائحة يشمها الصادقون والصالحون ونحن هنا في الدنيا، فيعرف أن سيدنا رسول الله مر على هذا المجلس، أو حضر في هذا المجلس، لأنها رائحة مميزة ليس لها شبيه ولا مثيل، خصه بها المولى تبارك وتعالى.

﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ أَمِينٍ﴾ كل فاكهة تخطر على باله تأتيه، فكل ما في الجنة له بصيرة يري بها ما في نفسك بدون أن تتحدث أو تنطق بكلمة، فإذا اشتهيت فاكهة معينة، فإن الشجرة تنزل لك فروعها في حرك، وتنزل الثمرة التي تطلبها بإذن من يقول للشيء كن فيكون.

ولو نظرنا للصالحين نجد أن طعامهم الأساسي في الدنيا هو الفاكهة، الإمام أبو العزائم رضي الله أراد أن يعطي أولاده السالكين درساً فقال لهم: الفاكهة طعام العارفين، فقالوا له: لماذا؟ فقال لهم: سهلة الهضم، وفيها كل المواد الغذائية التي يحتاجها الجسم، وتحفظ الإنسان

٩٢ البيهقي والطبراني عن أنس رضي الله عنه

الطائع لمولاه مما يعكر عليه صفوه في المعدة من الريح وغيره لأنها خفيفة ولطيفة.

ثم أعطاهم مثال، فأتى سيرهم رأوا كلباً فرمى له بقطعة لحم فسعد بها الكلب وأكلها، ثم رمى له تفاحة فتركها وجرى، فقال لهم ﷺ: اللحم يشبع منه الكلاب لكن الفاكهة لا يأكلها إلا أولوا الألباب!!.

يستطيع الإنسان أن يعيش على الفاكهة ويستغني بها عن باقي الطعام، ويظل محفوظاً من الأمراض، ومحفوظاً من الأعراض، لأن هذا هو الغذاء المفيد.

فالمريض الذي يُجري عملية جراحية عندما يبدأ يأكل يقول له الطبيب لا تأكل إلا فاكهة فقط لكي يحرك الأسنان والمعدة.

لهذا ذكّرنا الله بأن طعام الجنة الفاكهة، وأهل الجنة في الدنيا ليعلموا علم اليقين أن الخير لهم أن يكون طعامهم: ﴿ وَفَلِكِهَاتٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴾ (٢٠ الواقعة) وحضرة النبي عندما أوصي بطريقة الطعام على المائدة فقال:

{ يَا غُلَامُ، سَمَّ اللّٰهُ وَكُلَّ يَمِينِكَ وَكُلَّ مِمَّا يَلِيكَ }^{٩٣}

لكن الفاكهة قال الله فيها: ﴿ وَفَلِكِهَاتٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴾ (٢٠ الواقعة) تختار الذي تريده، لو أمامك طبق من التمر فتختار التمرة التي تريدها.

السيدة رابعة العدوية سألت رجلاً فقالت له: هل تحسن الطعام؟ قال لها: نعم، قالت: كيف تأكل؟ قال أسم الله، وأكل بيمينني، وأكل مما يليني، قالت له: إنك لا تحسن الطعام، قال: كيف أحسن الطعام؟ قالت: كُلُّ حَلَالاً طَيِّباً وَكُلَّ كَيْفَ شِئْتَ!! لأن ما ذكرته سنن ولكن الفريضة أن تأكل حلالاً طيباً

﴿ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَبِكِهَاتٍ ءَامِنِينَ ﴾ آمنين من الأمراض، وآمنين من الهم والغم، وآمنين من الخروج منها، وآمنين من انتهاء أملها، لأن أهل الجنة لو عرفوا أنهم سيظلون فيها فترة معينة ويخرجوا فلن يتنعموا ولن يتهنوا، لكنهم آمنين من كل ذلك.

والموت؟ لا يوجد موت: ﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَّعَهُمْ^ط

٩٣ البخاري ومسلم عن عمر بن أبي سلمة ﷺ

عَذَابَ الْجَحِيمِ هي موته واحدة فقط، وهي الموتة التي قال فيها الله: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ (٥٧ العنكبوت) مرة واحدة عند خروج روحه من الدنيا إن كان من العوام، أو عند موته الموتة الاختيارية إذا أكرمه الله بنظرات الحبيب المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام.

وهل هناك من يموت في الدنيا ويظل بيننا يذهب ويأتي؟ نعم، نقرأ كلام الله: ﴿أَوْ مَن كَانَ مَيِّتًا فَأُحْيَيْنَاهُ﴾ احتيا بالله ﴿وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾ (١٢٢ الأنعام) وهل نحن لسنا بأحياء؟! نسأل القرآن؟ هناك أناس عائشين، وهناك أناس أحياء في الدنيا.

فمن الذين يعيشون؟ غير المؤمنين أو الغافلين من المؤمنين عن طاعة وذكر رب العالمين تبارك وتعالى: ﴿وَمَن أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ (١٢٤ طه) فهل يوجد بعد هذا البيان بيان؟! فكلما تتصعب علينا الحياة وتضيق علينا نعرف أن السبب هو تكاسلنا في طاعة الله، وتكاسلنا في ذكر الله، وتكاسلنا في العمل بكتاب الله.

ومن الأحياء يا رب؟ يقول: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ (٢٤ الأنفال) يخاطب المؤمنين، ومن الحي هنا؟ الذي استجاب لله ورسوله، فالذي استجاب وأتاب يكون قلبه حي، والحياة هنا في كتاب الله يقصد بها حياة القلب.

أما الآخرين أجسامهم أفضل منا، وقد لا يتعاطون أدوية مثلنا مثل الأمريكان والأوروبيين وغيرهم، ومثلهم من كانوا في الجزيرة العربية من عتاة الظالمين والمشركين، فكان حضرة النبي يذهب لهم ويعظهم ويكلمهم، فقال الله له: ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى﴾ (٨٠ النمل) قلوبهم ميتة، والعبرة بالقلوب عند حضرة علام الغيوب ﷺ.

فالحي في نظر الله، وفي كتاب الله، وعند سيدنا رسول الله، الذي استجاب للقرآن، ولسيدنا رسول الله، وعاش في ظلال القرآن على الدوام بالحياة الطيبة التي بشرنا بها الله فقال: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَتَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيٰوةً طَيِّبَةً﴾ (٩٧ النحل) بسبب الإيمان والعمل الصالح الذي عمله.

﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ﴾ سيدنا رسول الله قال:

{ إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ }^{٩٨}

﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ سيدنا جعفر الصادق يقول: لو لم يبسر الله لنا تلاوة القرآن ما استطعنا تلاوته، فالله قال لنا في القرآن: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ ﴾ (٤٠ القمر).. عندما تذهب للحرم المكي أو النبوي في أي زمن تجد أناس مسلمين لا يعرفون من اللغة العربية حرفاً، تقول له: السلام عليكم، يقول: وعليكم السلام فقط، وتجده يُمسك المصحف ويقرأ بلسان عربي مبين، والأهم أن الدموع نازلة من عينيه، دليل على أنه يفهم ما يقرأه!! وهذا هو تيسير الله: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾ (٤٠ القمر).

والقرآن كما نعرف غالب لا مغلوب، فالذي يريد أن يصاحب القرآن دائماً يطلب المساعدة من الرحمن، ويطلب المعونة من الله على الدوام.

وإلا لو حفظه حفظاً جيداً ونسي نفسه وتهاى له أنه لا يوجد أحد مثله، فسيجد نفسه في محفل من المحافل العظمى يقرأ الآية وينسى بها كلمة أو أكثر!!، وهذا يحدث حتى للقرءاء الأكابر الذين يقرءون القرآن ويراجعون على الدوام!!.

لذلك لا بد أن يستعين الإنسان بالله على تلاوة القرآن، لأنه لو حتى قرأت باللسان فالعبرة بالفهم، ومن أين يأتي الفهم؟ معونة من الله، وفضل من الله، فيعمل المؤمن دائماً بقول رب العالمين: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ (٥ الفاتحة).

نسأل الله تبارك وتعالى أن يوفقنا للعمل بالقرآن، وأن يجعلنا من التالين لكتاب الله آناء الليل وأطراف النهار، وأن يحفظنا بالقرآن ظاهراً وباطناً حتى يكون أنيساً لنا في قبورنا، وشفيعاً لنا عند حشرنا، ورفيقاً لنا في كل حياتنا، ونسأل الله تبارك وتعالى أن يجعلنا من عباده الأتقياء الأتقياء الأتقياء الأصفياء، وأن يُفَرِّجَ عنا كل كرباتنا، وأن يديم علينا شرح صدرنا، وأن يهيبى لنا على الدوام من أمرنا رشداً، وأن لا يتركنا لانفسنا ولا إلى غيره طرفة عين ولا أقل، وأن يغنيننا بخيره وبره وفضله عن الخلق أجمعين، وأن يجعلنا في غنى بذاته وبكتابه عن كل ما في الدنيا وأهلها أجمعين.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ
اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ
يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُولَئِكَ أَصْحَابُ
الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ
بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا ۗ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا
وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۗ وَحَمَلُهُ وَفِصْلُهُ
ثَلَاثُونَ شَهْرًا ۗ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ
وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي

أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ
وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا
تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي
تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾
أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ
مَا عَمِلُوا وَتَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي
أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَّ الصَّدَقِ الَّذِي
كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾ (الأحقاف)

٦. مقام لا خوف عليهم ولا يحزنون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - الحمد لله الذي أهّلنا في الأزل القديم لتنزل كلامه الذي أنزله على قلب نبينا الرؤوف الرحيم، وشرفنا بأن جعلنا أهلاً للقرآن، ورفع شأننا بأن جعلنا أمة القرآن، وجعلنا في الدار الآخرة لنا الشرف الأعلى يوم القيامة إذا عملنا بالقرآن، اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على سيدنا محمد قرآن الله الحيِّ فيما بيننا، الذي كان يقرأ القرآن بلسانه، ويؤمن أعمال القرآن بأعماله الظاهرة، حتى كان قيامه بالقرآن، وعوده بالقرآن، ومشيه بالقرآن، ونومه بالقرآن، وحُلُّقه بالقرآن، وكل أحواله بالقرآن؛ سيدنا محمد وآله وصحبه والناهجين على سبيله أجمعين، واجعلنا منهم ومعهم .. آمين يا رب العالمين.

القرآن مآذبة الله

القرآن مآذبة الله تعالى في الأرض، فهو الوليمة التي أنزلها لنا الله سبحانه وتعالى، ولكن لا تأكل منها الأجسام، ولكنها وليمة خاصة بالقلوب التي طهرت من الشرك والعيوب، وتتناول من مائدة حضرة علام الغيوب من كلام الله تبارك وتعالى ما يصلحون به دنياهم، وما ينالون به السعادة في أخراهم.

ولذلك كما أن الإنسان منا لا بد له لصلاح الجسم يأكل كل يوم وجبتين على الأقل، إما فطور وغذاء، وإما فطور وعشاء، وإما يأكل الثلاثة، فأيضاً رب العزة تبارك وتعالى جعل لنا خمس وجبات كل يوم، نأكل فيهم من القرآن، ويسقينا تبارك وتعالى إذا رزقنا الإخلاص فيهم من شراب معاني القرآن.

فيقرأ القرآن وتتوالى عليه من الرحمن إلهامات القرآن، وأنوار القرآن، وأسرار القرآن، وهذه تجعل الحياة هينةً ليننةً سهلةً في نظره، فلا يحدث له ما يحدث لأعداء الله مما نراهم في عصرنا وفي غيره من العصور، قال ﷺ:

{ مَنْ قَامَ بِعَشْرِ آيَاتٍ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ ، وَمَنْ قَامَ بِمِائَةِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْقَائِمِينَ ،

وَمَنْ قَامَ بِالْفِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْمُقْنَطِرِينَ { ١٠٠

فرفع عنا الغفلة أجمعين بالصلوات الخمس، فكلنا نُصلي ونقرأ في كل ركعة على الأقل سبع آيات من القرآن، وهي الفاتحة أم الكتاب، فهي مُوجز الكتاب كله، فيها كل ما في الكتاب من علوم وحكم وأنوار وأسرار، حتى يكون المؤمن على صلة مباشرة بالواحد القهار تبارك وتعالى.

وجعل الله تبارك وتعالى القرآن كتاب حياة، وليس كتاباً للتعبد فقط، ولكن لا بد أن نسمعه أو نقرأه ونتدبره ونعمل بما فيه، فمن يقرأ القرآن ليل نهار ولن يُطبق عملاً ما قرأه من كلام الرحمن فهذا قد يكون له عند الله حسنات، وقد تكون الحسنات مضاعفات، لكن لن يتغير ظاهراً ولا باطنياً إلا إذا أتم العمل بكتاب الله كما طلب منا المولى تبارك وتعالى، فالأساس كله العمل بالقرآن.

سيدنا رسول الله ﷺ كان منهجه مع أصحابه في القرآن أن من يأخذ آيات لا ينتقل منها إلى آيات أخرى حتى يُقننها عملاً، بعد أن يعمل بما فيها يذهب لرسول الله ويقول له: أريد آياتاً أخرى، لماذا؟ ليتدبر ويعمل بالقرآن، فيفيض الله تبارك وتعالى عليه الحياة النورانية القرآنية التي تجعله ظاهراً وباطناً في خير حال على الدوام.

ولذلك سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما كان يقول: **(كان الذي يحفظ سورة البقرة من أصحاب رسول الله ﷺ يُدعى عظيماً) يأخذ لقب عظيم.**

من الذي يأخذ لقب عظيم؟ الذين يحفظ سورة البقرة، ويعمل بها، فلا ينتقل من آية إلى آية إلا إذا عمل بالأولى وأتم وأحكم العمل، ثم ينتقل إلى الآية الأخرى، فهذا هو المنهج الذي كان عليه رسول الله ﷺ مع أصحابه الكرام.

لأن الله عاتب المؤمنين الذين يتلون القرآن ولا يتدبرون فيه، وقال لنا: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ﴾ (٨٢ النساء) لماذا لا تتدبرون القرآن؟! والتدبر يعني التمعن والتفكر في معاني كلمات الله تبارك وتعالى.

وإياك أن تظن أن التدبر والتفكير يحتاج إلى قراءة كتب تفسير، أو الحصول على دورات تخصصية، لأن أصحاب حضرة النبي من الذي كان عنده منهم كتاب تفسير؟! لم تكن وُجدت كتب التفسير بعد، ومن الذي كان عنده منهم مكتبة فيها مراجع وكتب؟! لم يكن لأحد منهم ذلك، فما المطلوب؟

هم أهلوا أنفسهم لقراءة القرآن، فالقرآن يحتاج إلى طهارة القلب مما سوى الله عند بدء التلاوة في آيات كتاب الله، إذا طُهرت القلوب من العيوب لم تشبع من كلام عالم الغيوب!! ويفتح الله ﷻ لك لهذا الرجل عيناً في قلبه، يُفاض منها له في هذا الكلام علوم إلهية، وأسرار ربانية، وأنوار قدسية لا حد ولا عد لها، لم يسمعها من عالم، ولم يقرأها في كتاب، وإنما تأتية فورياً من حضرة الكريم الوهاب تبارك وتعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ (البقرة ٢٨٢) من الذي يُعلِّمه هذه العلوم؟ الله تبارك وتعالى، بلا واسطة ولا وسيلة، لأن خالق الخلق تبارك وتعالى قدير، وينزل ما يريد من المعاني على أي مؤمن ولو كان في نظرنا صغير، حتى نجد له مكانة بين القوم يحسده عليها الأكابر.

سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: كان غلاماً صغيراً، وكان سيدنا عمر يعقد مجلس الشورى، ويصير على أن يحضر هذا الغلام معه، وكان يختص هذا الغلام يأخذ برأيه، فالكبار في السن قالوا له: لم تُفَضِّل هذا الغلام؟ فيقول لهم: إنه ولدٌ مُعلِّم، أي موهوب العلم، فكان رضي الله تبارك وتعالى عنه يسمونه من كثرة فهمه في تفسير ومعاني وعلوم كتاب الله (ترجمان القرآن) نحن نقرأ القرآن مثل غير العرب الذين لا يفهمونه، وهو الذي يُترجم لنا المعاني الإلهية الموجودة في آيات كتاب الله الربانية... فالقرآن يحتاج إلى التمعن والتدبر أثناء التلاوة لكتاب الله، ثم العمل به بعد ذلك طلباً لإرضاء الله تبارك وتعالى.

صفات الأولياء

الآيات التي معنا قدمت لنا خطاباً مختصراً من ملك الملوك، إذا عمل أي مسلم بما فيه يصبح من أولياء الله الصالحين، ومن أهل الجنة العالية يوم الدين ويخلد فيها أبداً

ما الطلبات التي يُريدها منا الله لنصبح أولياء لله؟ ونكون من أهل الجنة العالية؟ طلب بسيط: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا﴾:

كلمتان اثنتان فقط، قالوا ربنا الله، وبعد ذلك استقاموا عليها.

وكيف يستقيموا عليها؟ يعملون بما أمر الله، وينتهون عما نهى عنه الله، ولا يحاول واحدٌ منهم أن يتفلسف في الأوامر الصريحة الواردة في كتاب الله، ويدّعي أن الله يُريد كذا في هذه الآية، ويخرج عن القصد الذي قصده ملك الملوك في الآية كالفلاسفة الذين كثروا في هذا الزمان، فعندما يقع في مأزق يؤوّل القرآن على هواه، ويُفسّر القرآن على وفق ما يريد، لكن أنا أفسّره على وفق ما يُريده منا الحميد المجيد، فهو كتاب الله الذي أرسله لنا.

نحن كلنا موظفين، فلو جاءنا قرار أو كتاب دوري من الجهات العليا، فهل ننفذه كما نريد أم كما تُريده الجهات العليا؟! كما تريد الجهات العليا، والجزئية التي تختلف فيها نقوم بكتابة خطاب للجهات العليا لنعرف ما مقصودهم فيه لننفذه، لكن لو كل جهة من الأعمال نفذت ما تريد فلم يعد هناك قانون.

ولله المثل الأعلى، فإن رب العزة أرسل إلينا الكلام الذي به النجاة في الدنيا، والذي به الفوز يوم الزحام، ولكن كيف ننفذه؟ كما يريد الله لا كما نريد نحن.

ولذلك كان الرجل الصالح يقول: **(ليس الشأن أن تفهم القرآن، لكن الشأن أن تفقه مُراد الرحمن في القرآن)** ماذا يريد منك؟ لا بد أن تعرف هذه.

فالله سبحانه وتعالى أنزل إلينا القرآن تبياناً لكل شيء، وتعهّد بذاته أن يُيسر لنا تلاوته، وأن يُنزل لنا بياناته، ولذلك لم يبينه حضرة النبي ﷺ، فكل واحد له بيان مخصوص، وكل زمن فيه بيان لآيات القرآن، وكل جماعة مطلوبٌ منهم أمراً خاصاً يذهب إليهم بالإلهامات الإلهية في القرآن.

ولذلك لكل واحد منا مَلَك على القلب يأتي لي بما يريدُه الرحمن ويلهمه به، لكي نصل إلى فهم القرآن بحسب ما يريد حضرة الرحمن تبارك وتعالى.

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقِيمُوا﴾ ومن حلم الله تركنا في مرحلة الاستقامة نستقيم بالتدرّج فجاء لنا بـ (ثُمَّ) وثم في اللغة العربية للتراخي، يعني لا يقرأ اليوم ويستقيم فوراً، المهم أن نحاول أن تستقيم على ما أمرك به الله تبارك وتعالى.

فمن ينفذ ما جاء به القرآن من أحكام وتشريعات بدون تدخل هوى النفس، وبدون قصد دنيوي، ولكن قصده رضاء المولى العلي، فهؤلاء فوراً الواحد منهم سيكون من أولياء الله، وما علامات الولاية؟ ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٦٢ يونس).

نفس الأوصاف في الآيات التي معنا: ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ فهذه علامة الولاية لله سبحانه وتعالى، ومم يخاف الإنسان؟ يخاف من المجهول في المستقبل القادم، هل عندما أموت سأخذ حُسن الخاتمة أم لا؟ والموت أقرب إلينا من أنفسنا، بل ومن النَّفْس الذي يتردد بداخلنا، فالإنسان أنفاس، نَفْسٌ يخرج ولا يرجع، ونَفْسٌ يدخل ولا يخرج، وينتهي الإنسان.

فعلى أي شيء يخرج؟ هذه هي المهمة، ومن شدة أهميتها حتى الأنبياء كانوا يطلبون من الله أن يُخرجهم في هذه اللحظة على النسق الذي يُحبه الله ويرضاه، سيدنا يوسف نبي الله يقول: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ (١٠١ يوسف) وحضرة النبي ﷺ قال لنا:

{ إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ أَصْبَعِينَ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ } ١٠١

القلب بين أصبعين من أصابع الرحمن يُقلبه كيف يشاء، مع تنزيه الله عن الحركات والمصنوعات والإشارات، ليس كمثلته شيء.

والزمن الذي نحن فيه جعل من علامات الساعة - نَسأل الله على الثبات على الإيمان أجمعين - أن يبيت الرجل مؤمناً ويُصبح كافراً، ويُصبح الرجل كافراً ويبيت مؤمناً.

لماذا؟ لكثرة الفتن الموجودة في هذا الزمان، من الذي يستطيع أن يحفظ قلبه؟ لا يوجد إلا الذي خلقه تبارك وتعالى، فقد كان حضرة النبي ﷺ بعد كل صلاة يدعو ويقول: ﴿رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ (٨ آل عمران) فأخوف ما يخاف منه أي مؤمن الخاتمة، كيف ستكون؟ لأن النبي ﷺ يقول:

{ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّىٰ مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ

الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُ النَّارَ { ١٠٢

واطمئنوا فلا أحدٌ منا داخل في هذا الحديث، ولكن هذا للمنافقين الذين يعملون الأعمال ليس لوجه الله، ولكن للفخر والتظاهر والمداراة بين الناس، حتى يقولوا عنهم صالحين، أو طيبين، لكن هو في ذاته وفي قلبه غير مخلص في هذا العمل لرب العالمين. وفي نفس الوقت قال ﷺ في المذنبين الذين يرجعون بصدق ويقين لله تائبين:

{ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّىٰ مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ } { ١٠٣

إذا أهم شيء يخاف منه الإنسان هو الخاتمة، والنبي قال:

{ يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَىٰ مَا مَاتَ عَلَيْهِ } { ١٠٤

هؤلاء الذين استقاموا على ما أمر الله، وانتهوا عما نهى عنه الله، طمأنهم أنهم: ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ أي لا خوف عليهم من الخاتمة، فقد ختم لهم ربهم بالإيمان، ولا خوف من حساب القبر لأنهم سيدخلون في قول الرحمن: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ (٢٧ إبراهيم) يثبتهم عند الخروج من الدنيا، ويثبتهم في الآخرة من أول القبر.

ولا خوف عليهم من يوم القيامة، ولا من الحساب، ولا من الميزان، ولا من الصراط، لأنهم تولاهم الله بولايته، وضمن لهم أن يكونوا من أهل جنته.

﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ الإنسان يحزن على ماذا؟ خائف مما عمله، ويقول: لقد ارتكبت كذا من المعاصي والذنوب، فهل سيتوب الله عليّ منها أم سيحاسبني عليها؟ وخائف مما تركته من الأوامر التي أمرني بفعلها الله وأنا أهملت في القيام بها.

وخائف على أولادي الذين تركتهم في الدنيا ماذا يفعلون من بعدي؟ وماذا سيحدث

١٠٢ البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود ﷺ

١٠٣ البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود ﷺ

١٠٤ صحيح مسلم ومسنند أحمد عن جابر ﷺ

لهم؟ فطمأهم الله على كل ذلك، فلا تحزن عليه لأن الله سيجبرك في ذلك كله، فإذا كانت ذنوباً سيغفرها، وإن كان تقصيراً سيجبره، وإذا كان الأولاد والزوجة فلا تحمل همهم لأنهم سيكونوا في رعاية الله، ويتولاهم الله بولايته، والله أحنُّ عليهم منك، وأكرم عليهم منك، فلا تحزن على ما فات، ولا تخش عليهم شيئاً مما هو آت، فماذا يحتاج الإنسان بعد ذلك؟!..

وأيّن يكون هؤلاء في الجنة؟ هل سيأخذون سكناً بالإيجار؟! لا، بل سيتملك، ومن الذي سيملكه؟ صاحب الجنة تبارك وتعالى

﴿ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ﴾ :

فهم أصحابها.

ولذلك بعض الدعاة يريدون أن يخوفوا المؤمنين، ويهيبى لهم أن هذا هو المنهج السديد!، فعندما يُصلي بالناس يقرأ آيات جهنم لكي يخاف الناس، وكلما خطب خطبة أو ألقى درساً يأتي بوصف العذاب والعقاب، والنار ومن في النار.

لكن ما شأن المؤمنين بذلك؟! فهؤلاء أصحاب الجنة، والله أمرنا أن نُعرّفهم الجنة: ﴿ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا هُمْ ﴾ (٦٦ محمد) فمن الذي يُعرّفنا بها؟ العلماء العاملين والصالحين حتى يبشرونا بفضل رب العالمين تبارك وتعالى علينا.

فلا شأن لنا بجهنم، لأنها للكافرين والمشركين، حتى أن العصاة والمذنبين منا لو دخلوها فستكون لفترة يسيرة، ويأتي حضرة النبي فيطلب لهم العفو ويخرجهم، فليس لنا فيها شيء، وليس لنا فيها أملاك ولا نزول.. لكن عندما نريد أن نشاهدها يأمر الله الملائكة بأن يأخذونا وفد وراء وفد، فيشاهدونها حتى يعرفوا فضل الله عليهم.

فعندما نزل النار، فإن النار تتكلم ...

، فهي ليست كنار الدنيا، ولكنها تتكلم وتفهم، فنار الدنيا تحرق أي شيء تضعه في طريقها، حتى لو وضعت فيها مصحف تأكله، لكن نار الآخرة عندما يدخل المؤمن تقول له: جُز بسرعة يا مؤمن فقد أطفأ نورك هبي، يعني أسرع لأن نورك يُطفئني، ولذلك يقولون: النار لا تحرق مؤمن، وهي نار الآخرة، لأنها عاقلة ليست كنار الدنيا.

ميراث المؤمنين في الآخرة

فنحن ليس لنا شأنٌ بالنار نهائياً، لكن أخذ لنا حضرة النبي تعهدٌ مع ملك الملوك أن هذه الجنة لنا نحن، يعني ميراث خاص بنا، وذكر لنا أن الجنة واسعة، وبها أحياء كثيرة، وكل واحد عليه أن يرى الإعلانات التي في القرآن، والتي تنادي على أرض الجنان، وتنظر إذا كنت تريد أن تسكن في الفردوس الأعلى فانظر ما الثمن، وما الملف الذي تجهزه لتدخل ويكون لك فيلاً في الفردوس الأعلى.

تريد أن تدخل جنة عدن، فانظر إلى إعلانها في القرآن، وانظر ماذا فيها؟ وما مواصفاتها؟ وما الملف الذي تجهزه لكي تأخذ به مكان في هذه الجنة.

وكذلك جنة المأوى، وكذلك جنة الخلد، فهي جنان كثيرة، وحضرة النبي يُبين بعضها، فيتكلم عن الحيّ الخاص بالمجاهدين في سبيل الله فقط، ما مساحة هذا الحيّ؟ قال:

{ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ مِائَةَ دَرَجَةٍ، بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ } ١٠٥

مائة درجة في الجنة، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض!! وأين الجنان الباقية؟ ليس لها حدٌ ولا عدٌ، ولكن المؤمن الحكيم لا بد وأن يختار، ويتعاقد مع العزيز الغفار.

اكتب عقداً وسجله مع الله، ومن الذي يبيع؟ أنت، ومن المشتري؟ الله، وما الثمن؟ أنت بجهدك وجهودك في طاعة الله، ومالك لا يُنفق إلا في البنود التي أباحها كتاب الله، ووضحها سيدنا رسول الله.

وما صيغة العقد؟ ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١١١ التوبة) من المشتري؟ الله، ومن البائع؟ المؤمن، وماذا يبيعون؟ ﴿أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ﴾ (١١١ التوبة).

وكيف يبيعون النفس؟ يجعل مجهوده كله من لحظة قيامه حتى لحظة نومه في عمل يُرضي من لا يغفل ولا ينام، وهذا كل ما في الأمر، أنت تعمل لنفسك وليس لأحد آخر، ولكن يوافق العمل رضا الله تبارك وتعالى.

والمال لا بد قبل أن أخرجه أن أنظر إلى البند في القرآن هل يسمح أن أضع فيه هذا المال أم لا؟! وبعض الناس يقول: مالي وأنا حرٌّ فيه، فطالما أنت حرٌّ فيه، فلم يحاسبك عليه؟! هذا مال الله وأعطاه لك الله، وأعطاك هيئة الحساب والإنفاق في كتاب الله، والذي لا تفهمه تراجع توضيحه في سنة رسول الله: ﴿ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ﴾ (الحديد) ﴿ وَعَاثُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ ﴾ (النور).

فالمال مال الله، وأعطاه لك وديعة عندك لينظر ماذا تفعل فيه؟ هل تنفقه في المخدرات والمسكرات والمنكرات، وتقول: إنه مالي وأنا حرٌّ فيه؟! فتكون قد خسرت الدنيا والآخرة، لأنك خالفت الله وأمره تبارك وتعالى في كتاب الله، وهذا معنى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنْ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ ﴾ (التوبة).

وما الثمن؟ ﴿ بِأَنْ لَهُمْ الْجَنَّةَ يُقْبَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ﴾ (التوبة) وأين يُسجّل هذا العقد؟ ﴿ وَعَدَا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ ﴾ (التوبة) وهذه مكاتب السجل الإلهي التي يتم فيها التسجيل، وليس الشهر العقاري.

فكل من في الشهر العقاري يأتي يوم القيامة ويأمرهم أن يجمعوا كل هذه العقود: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴾ (مرم) ما الذي يوزعوه؟ وما هذه العقود؟ وماذا يسجلوا؟ كل واحد كان له أرض في الدنيا فهي له، وبعد ان تنتهي مهلتها يسلمها لغيره كما يريد ملك الملوك تبارك وتعالى، وليس من حقه أن يتصرف فيها كما يريد.

لكن العقد الذي مع الله هو ما نحتاجه كلنا: ﴿ وَعَدَا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ ﴾ (التوبة) ومن يكتب العقد يقال له: اطمئن: ﴿ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنْ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (التوبة).

لا بد أن يكون لك عقد مع الله!!

وتحدد فيه المكان الذي ستسكن فيه هناك، لأنه لا يوجد سكن في الجنة إلا لمن حجزه في الدنيا، وحتى لو أن هناك سكن للإيجار، فمن أين الإيجار!! ليس معك شيء، لكن هناك ملك يملكه لك الله من الدنيا.

دار الخلود

﴿ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ﴾ كم سنة يمكثوا فيها؟ طمأننا الله فقال: ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا ﴾

وخالدين فيها يعني ليس فيها موت، وليس لها نهاية، وليس فيها نوم، ولا ليل، ولا نهار، ولا يوم، ولا مرض، ولا هم، ولا غم، ولا حزن، وإنما نعيمٍ مقيم في جوار الله تبارك وتعالى، وفي جوار الرءوف الرحيم سيدنا محمد ﷺ.

ولكي نعرف عظمة العظيم سبحانه وتعالى، أيضاً جعل لنا قيمة فذكر أن هؤلاء استحقوا الجنة بتعبهم ومجهودهم وعملهم الصالح: ﴿ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ مع أنه لا يستطيع أحد منا أن يعمل عملاً إلا بمعونة الله، ويتوفيق الله، وبحول من الله، وبطول من الله، لكن الله تعهد لنا في كتاب الله فقال: ﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾ (٣٠ الكهف).

آية واحدة في كتاب الله فيها كل ما تتمناه، فيها الغاية وهي الجنة، وفيها الوسيلة وهي الاستقامة، وفيها التكريم جزاءً بما كانوا يعملون، ويكرمك هناك، وينشر لك الأعلام أمام أهل الموقف، ليُفرحك بأنك كنت من المجدين ومن المجتهدين في الدنيا.

وفيها الطمأنينة من كل خوف، وفيها إكرام الأبناء بصلاح الآباء، مادمت أنت صالح فاطمئن أن أولادك في عناية الله ورعاية الله، إياك أن تحمل همهم وتقول: كيف أتركهم ولا يزالون أطفالاً صغاراً؟! الله توكل لك لأنه هو الكفيل، وهو الذي سيقوم بكل ما يحتاجون إليه، وهو أكرم الأكرمين تبارك وتعالى، هذه آية واحدة، فكيف إذا استرسلنا في كتاب الله؟! ماذا نرى؟ نرى أشياء أخرى ذكرنا بها الله، وطلب منا أن نتنبه لهذه الأمور، حتى لا يكون هناك عائق يعوق من دخول الجنة.

حقوق العباد

إذا أنت استقيمت ونفذت أوامر الله، وانتهيت عن المعاصي التي نهى عنها الله، فما الذي يجرمك من الجنة؟ شيء واحد فقط لو لم تنتبه إليه، وهي حقوق الناس من حولك.

إذا اطمأننت أنك محافظ على الصلاة، ومحافظ على صيام شهر رمضان، ومحافظ على تلاوة القرآن وذكر الله، ولكن أهملت أصحاب الحقوق الذين تكفل الله سبحانه وتعالى

الثالثة، قَالَ: بُعْدًا لِمَنْ أَدْرَكَ أَبَوَاهُ الْكَبِيرَ عِنْدَهُ أَوْ أَحَدَهُمَا، فَلَمْ يُدْخِلْهُ الْجَنَّةَ،
قُلْتُ: آمِينَ { ١٠٨

وكلمة آمين يعني اللهم استجب، فمن يُدرك أحد الوالدين ولا يدخل الجنة به، أي بخدمته له والقيام بمهامه له، والحرص على شئونه، فهذا شقي والعياذ بالله، كما قال ﷺ.

وفي الرواية الأخرى قال:

{ وَرَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ أَدْرَكَ عِنْدَهُ أَبَوَاهُ الْكَبِيرَ فَلَمْ يُدْخِلْهُ الْجَنَّةَ } { ١٠٩

يعني بُعد من رحمة الله من أدرك والديه أو أحدهما فلم يُدخلاه الجنة، فكأن من يُدخل الإنسان الجنة والوالدين.

وماذا يريد منا الله؟ ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا ﴾ يُدَكِّر كل واحد منا، لأننا كنا صغار ولم ننتبه، فلم ير أحدٌ منا نفسه وهو في بطن أمه، وكيف تعبت من الحمل وهو في بطنها؟! ولم ير نفسه وهي تلده وكيف كان مدى تعبها؟! ولم ير نفسه في فترة الرضاعة وكيف كانت مهمومة به!؟.

وبعد ذلك عندما يكبر في السن فإن الله يُعطينا فرصة لندُّ لهم بعض ما أدَّوه لنا في الصغر، حتى يُعَلِّم المؤمن الشكر لله تبارك وتعالى، والشكر لخلق الله على أي نعمة قدموها لنا، قال ﷺ:

{ إِذَا حَشَرَ اللَّهُ الْخَلِائِقَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، قَالَ لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِهِ، اصْطَنَعَ إِلَيْهِ عَبْدٌ مِنْ عِبَادِهِ مَعْرُوفًا: هَلْ شَكَرْتَهُ؟ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ عَلِمْتُ أَنَّ ذَلِكَ مِنْكَ فَشَكَرْتُكَ عَلَيْهِ، فَيَقُولُ: لَمْ تَشْكُرْنِي إِذْ لَمْ تَشْكُرْ مَنْ أَجْرَيْتَ ذَلِكَ عَلَى يَدَيْهِ } { ١١٠

تظنُّ أنك تُصلي وتصوم وينتهي الأمر عند ذلك؟! لا، كل من أجرى الله لك نعمة على يديه فلا بد وأن تشكره على هذه النعمة، وكيف أشكره؟ لا أقول له شكراً فقط، ولكن

١٠٨ الحاكم في المستدرک والطبرانی عن كعب بن عجرة ﷺ

١٠٩ جامع الترمذي وابن حبان عن أبي هريرة ﷺ

١١٠ معجم الطبرانی وابن عساکر عن عائشة رضي الله عنها

الخدمة التي أذاها لي أحاول أن أؤدي له مثلها.

وهل يوجد أحدٌ منا يستطيع أن يؤدي للوالدين وللأم بصفة خاصة بعض الذي أدته لنا؟! لا، سيدنا عمر كان في الحج وأثناء الطواف بالبيت، رأى رجلاً ومعه أمه كبيرة في السن، ووضعها في فُفَّةٍ ويحملها على كتفه ويطوف بها البيت، ثم ذهب إلى سيدنا عمر وقال له: يا أمير المؤمنين هل أنا قد أدَّيتُ حقها بذلك؟ قال: ولا بطلقة واحدة!!.

كل ما تعمله لا يساوي طلقة واحدة لحظة الولادة، فأنت لم تر هذه الأمور، وشبابنا غير منتبهين، فإن العلم الحديث يُؤيد كلام رب العزة تبارك وتعالى، فمعظم نساتنا بعد سن الأربعين تنتهي أرجلهم، لماذا؟ قالوا: أثناء الحمل فإن الله تبارك وتعالى يبدأ في تكوين الهيكل العظمي للجنين، وهذا العظم يحتاج إلى كالسيوم ليتكوّن ويكبر.

وفي العادة يكون عند النساء أثناء الحمل عدم قبول للطعام، لذلك فإن الجنين يأخذ من كالسيوم عظام الأم، فيتحلل في عظامها ويذهب للجنين، لذلك نجدها بعد بلوغ سن الأربعين تشتكي من رجليها، ومن الذي سبب لها تعب الرجلين؟ أنت وإخوتك، وقد تقول له: أريد أن أذهب للطبيب، فيقول لها: أنا مشغول!! أنت السبب في هذا الداء، فحاول أن تردّ لها شيئاً لكي تكون قد شكرتَ الله ﷻ على هذه النعمة التي أوصى الله بها في آيات القرآن في أكثر من موضع.

﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا ﴾ :

امرأة من الصالحات، وكانت معها ابنها، وكانت كبيرة في السن، فجاءها ضيفٌ قريبٌ لهم، وبعد أن سلّم عليها وعلى ابنها قال له: يا بنيّ استوصي بأهلك خيراً، فقال له: نحن ضيوفٌ عندها، فقالت له: أنت كنتَ ضيفاً عندنا وأنت صغير، لكن الآن نحن ضيوف عندك أنت، فقال لها: كيف؟ قالت: آيات القرآن تقول ذلك: ﴿ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاهُمْ ﴾ (الإسراء) وكان هذا الكلام وهم صغار، يأتي الرزق على الأب والأم والأطفال داخلين فيه، وبعد الكبر: ﴿ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ﴾ (الأنعام) فقد كانوا متكفلين بنا ونحن صغار، فالمفروض أن نتكفل بهم ونحن كبار، لنردُّ بعض الجميل، كيف أردُّ جميل الوالدين؟ قال ﷺ:

{ لا يَجْزِي وِلْدًا وَالِدًا، إِلَّا أَنْ يَجِدَهُ مَمْلُوكًا، فَيَشْتَرِيهِ فَيُعْتِقَهُ } ١١١

لا تستطيع ردَّ جميلهما إلا إذا كانا عبيدين يباعا ويُشترى فتعتقهما وتجعلهما أحراراً، يعني الأمر يحتاج إلى جهاد كبير.

﴿ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا ﴾ وفصاله يعني

فطامه، وهي آية تُثبت الإعجاز العلمي في كتاب الله، الرضاعة سنتين، فيكون أقل الحمل ستة أشهر، يعني من الممكن أن تحمل المرأة ستة أشهر والمولود ينزل سليماً، وقد تصل إلى سبعة أشهر، لكن ابن الثمانية غالباً لا يعيش، لحكمة يعلمها الله تبارك وتعالى.

ولذلك سيدنا عثمان ؓ وأرضاه جاءه رجلٌ وقال له: أنا متزوج منذ ستة أشهر وزوجتي ولدت اليوم فقال: جهزوا لنقيم عليها الحدّ، فجاء سيدنا علي وقال له: ماذا تصنع يا أمير المؤمنين؟! لقد قال الله في القرآن: ﴿ وَحَمَلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا ﴾ وقال في الآية الأخرى: ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضَعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ﴾ (٢٣٣ البقرة) فعندما نظر الحولين من الثلاثين شهر فيكون الناتج ستة أشهر، ويكون أقلّ الحمل ستة أشهر، فقال ؓ: لولا عليّ لهلك عثمان، لأنه كان سيقتل امرأة بدون ذنب.

منهج القرآن في صلاح الآباء والأبناء

يمكنك الرجوع للتفصيل في كتابينا (تربية القرآن لحبل الإيمان) و(إصلاح الأفراد والمجتمعات في الإسلام)

وضع الله تبارك وتعالى لنا منهج كريم فيه إصلاحٌ للآباء، وصلاًحٌ للأبناء، وصلاًحٌ للذرية، وحياة طيبة في الدنيا، وسعادة أبدية يوم الدين، وأظن أننا كلنا نحتاج إلى هذا المنهج.

الذي يريد أن يسعده الله في والديه، وفي نفسه، وفي أولاده، وفي أحفاده في الدنيا وفي الآخرة؟ عليه بهذا المنهج، فهو لم يترك شيئاً أبداً .. أعطانا الله هذا المنهج في آية قرآنية، ومعها نموذج عملي، كان سبباً في نزول هذه الآية، وطُبقت عليه هذه الآية، والدعاء الذي كان يدعوه، من هذا النموذج؟ هو سيدنا أبو بكر الصديق ؓ.

سيدنا أبو بكر ؓ كان قد ذهب مع سيدنا رسول الله برحلة تجارية كالتالي يقوم بها

أهل مكة، وكانا شاباً، سيدنا رسول الله كان عنده عشرين سنة، وأبو بكر كان عمره ثماني عشرة سنة، أي أن النبي أكبر منه بسنتين.

فلما ذهب إلى هناك قابلهم راهب، ورأى علامات النبوة وذكرها لسيدنا أبي بكر، وقال له: لا تترك هذا الرجل حتى تكون أول من يؤمن به، ولذلك عمل بالوصية، فعندما بُعث سيدنا رسول الله كان في سن الأربعين، وكان أبو بكر عمره ثمانية وثلاثين سنة، فكان هو أول من آمن برسول الله ﷺ من الرجال.

ولما آمن وصدق - وهو الصديق - طلب من الله طلبات أجابه فيها كلها مولاه، فبعد أن دخل في الإسلام، وذاق حلاوة الإيمان، وشعر بانسراح الصدر للإسلام في خلال سنتين، وكان عمره أربعين سنة دعا بهذه الدعوات الطيبة:

﴿ حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً ﴾ :

وأشده يعني تمام القوة، ففي سن الأربعين يكون كمال قوة الإنسان الذهنية والعقلية والجسدية... قد يكتمل الجسم في قواه قبل ذلك، لكن العقل يكتمل في سن الأربعين!

وانتهوا لأنه ربما البعض يسمع أن الرُّسل كلهم كان ينزل عليهم الوحي وهم في سن الأربعين، لكن ليس الكل، فسيدنا عيسى نزل عليه الوحي، ورفِع إلى السماء وكان عمره ثلاثة وثلاثين سنة، وسينزل في آخر الزمان ليُكمل، فلم يكن قد وصل إلى سن الأربعين.

وسيدنا يحي كان نبياً من الأنبياء ومات ولا يزال شاباً، يعني ليست قاعدة عامة في الأنبياء، صحيح أن إمام الأنبياء والمرسلين ﷺ نزل عليه الوحي في سن الأربعين، ولكن ليس كل الأنبياء على هذه الشاكلة وعلى هذه الوتيرة.

سيدنا أبو بكر يُعلِّمنا كيف ندعو الله؟ والواحد منا عندما يصل إلى سن الأربعين لم يُعد له من العمر قدر ما مضى، لأنه من الذي يصل إلى الأربعين ويعيش أربعين أخرى؟ قلّ وندر، لقوله الله ﷻ:

{ أَعْمَارُ أُمَّتِي مَا بَيْنَ السُّتَيْنِ إِلَى السَّبْعِينَ، وَأَقْلُهُمْ مَنْ يَجُوزُ ذَلِكَ } ١١٢

يعني الغالبية ما بين الستين والسبعين، والذي يتجاوز إلى الثمانين قليل، والذي قبل الستين قليل، فماذا يفعل الإنسان؟ إذا كان في فترة الشباب مشغول بالدينا، ومشغول ببعض الملهي، ومشغول ببعض الأشياء التي تُبعده عن مولاه، فلا بد أن يكون له وقفة عند سن الأربعين، فقد انتهى الصبا والصبوة، وانتهى الطيش، وانتهت الغفلة، وأنا أحتاج إلى اليقظة لكي أستعد للقاء الله تبارك وتعالى، والبركة في حُسن الختام.

سيدنا أبو بكر دعا الله وقال:

﴿ قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ ﴾ وأوزعني يعني ألهمني، فإذا لم يُلهم الله الإنسان بالطاعة، فهل سيُطيعه باجتهاده وبمهارته وحدها بدون معونة الله؟! أبداً، فكلنا محتاجين لمعونة الله، ولتوفيق الله، ولعناية الله تبارك وتعالى.

فطلب سيدنا أبو بكر من الله أن يمدّه بمدده وعونه لكي يكون من عباده الشاكرين على نعمه: ﴿ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ ﴾:

بماذا يشكره؟ جعل الله لنا الصلوات الخمس شكراً لله على النعم المتجددة التي يُجددها للعبد في كل يوم، كيف؟ يعني لم يُعطني الله ضماناً للأعضاء والجوارح أنها تظل سليمة طوال الحياة، فكفوني أصبح وأجد العين ما زالت ترى، فأحتاج أن أشكر الله أنه ما زال محافظاً لي على نعمة البصر.

وإذا أصبحت ووجدت الأذن ما زالت تسمع فأحتاج أن أشكر الله على نعمة السمع، وإذا كان اللسان ما زال ينطق فأحتاج أن أشكر الله على نعمة النطق، وإذا كان العقل ما زال سوياً ويفكر ولم يذهب، فأحتاج أن أشكر الله على نعمة العقل، ولا توجد نعمة أغلى من نعمة العقل، وإذا كان الجسم ما زال يتحرك، والمفاصل سليمة وأذهب وأتحرك فأحتاج أن أشكر الله على نعمة الحركة والتحرك.

أشكر الله على هذه النعم كلها، والله جعل الصلاة نعمة فيها شكر لله على النعم المتجددة، ولذلك نصليها كل يوم، لأن هذه النعم لا توجد نعمة منها لمدة سنة، ولكنها تتجدد على الدوام، ففأحتاج لكي أجددها أن أشكر الله: ﴿ لِيَنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ (٧ إبراهيم).

سيدنا أبو اليزيد البسطامي عليه السلام وكان من كَمَل الصالحين، كان عندما يستيقظ من النوم في الصباح يمسح بيده ويحسّس على وجهه وعلى أعضائه في الوجه، فتلاميذه لاحظوا هذا الفعل، فسألوه: لماذا تفعل هذا كل يوم؟ فقال لهم: أخاف أن يحاسبني الله على ذنوبي مرة فأصبح وأجد نفسي خنزيراً أو قرداً!!.

لأن الله ذكر ذلك في القرآن، فعندما أمر الله جماعة من اليهود أن لا يصطادوا في يوم السبت ولكنهم كالمعتاد أن الحرام يحلو للعين فخالفوه واصطادوا يوم السبت!!.

هؤلاء القوم كانوا مقيمين في العقبة الآن في الأردن حول خليج العقبة، فيصبحون في يوم السبت فيجدون السمك كثير جداً، وفي الأيام العادية يضعون الشباك فلا يجدون السمك، فماذا يفعلون؟ أرادوا أن يتحايلوا على الله، فصنعوا أحواض وعملوا فيها فتحات، ويوم السبت يتوقفون عن الصيد، لكنهم يفتحوا هذه الفتحات، فينزل السمك ويجسوه وفي اليوم التالي يصطادوه!!، وهذا تحايل على القوانين الإلهية، فأصبحوا في يوم من الأيام فوجدوا أنفسهم كلهم وقد مسخوا إلى قردة وخنازير.

قد يسأل البعض عن ذريتهم؟ ليس لهم ذرية، لأن الممسوخ لا يتناسل، فيظل إلى أن يموت وينتهي أمره، فليس هذا شكله الطبيعي، ولا يخرج منه نسل على هذه الهيئة، لأن هذا عقاب له وحده فقط، ومن يأتي بعده ليس له شأن بهذا الأمر: ﴿لَمَسَخْنَهُمْ عَلَىٰ مَكَاتَتِهِمْ فَمَا اسْتَبْعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ﴾ (٦٧يس).

فكان الرجل في الصباح يمسح بيديه على وجهه خوفاً أن يحاسبه الله على الذنوب، فلا يغفرها ويمسحه مثل هؤلاء اليهود، مع أنه يعرف أنه لا مسح في الأمة المحمدية: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ (١٣٣الأنفال) لكنه خائف من قول الله: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾ (٦١النحل).

لكن الله تبارك وتعالى يعاملنا بلطفه وكرمه ورحمته ومغفرته على الدوام، لذلك يجب علينا كل يوم أن نشكر الله ما دامت أعضاؤنا التي خلقها وسوّاها الله ما زالت على هيئتها، وفيها الحياة، وفيها ما نحتاجه لقضائه بها، وهذا فضل الله: ﴿ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا

﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ ﴾ والأرزاق كيف أشكر الرزاق عليها؟ أن أخرج حق الزكاة، وأخرج منها بعد الزكاة صدقة للفقراء والمساكين، حتى أن النبي ﷺ جعل لنا في كل شيء زكاة، البيت الذي أسكن فيه هل له زكاة؟ نعم، قال ﷺ:

{ إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ زَكَاةً وَزَكَاةَ الدَّارِ بَيْنَ الضِّيَافَةِ } ١١٣

زكاة الدار أن يكون فيه مكان للضيف، فكل فترة أدخل ضيفاً في بيتي وأطعمه، وخاصة لو كان غريباً، أو أسقيه شيئاً لأن هذه بركة البيت، وزكاة البيت التي حددها رسول الله ﷺ.

والجسم الذي أحياه الله، فما زكاة هذه الحياة؟ قال ﷺ:

{ لِكُلِّ شَيْءٍ زَكَاةٌ، وَزَكَاةُ الْجَسَدِ الصَّوْمُ } ١١٤

هذه زكاة عن الجسد حتى يحفظه الله بتمام صحته وقوته، ولذلك منهج الصالحين، ومن وراءهم من أتباعهم الصادقين أنه لا يكتفي بصيام شهر رمضان، لكن لا بد وأن يكون له ولو ثلاثة أيام في كل شهر، أو يوم في كل أسبوع، حتى يشكر الله على نعمة الصحة والعافية والجسد.

ومن يفعل ذلك، يحفظ الله ﷻ هذا الجسد من الأمراض والأعراض وإن طالت به الحياة!، إلا أشياء قليلة يسر الله لها الدواء، ويسر الله لها العلاج، ويمن عليه فيها بالشفاء، لأنه يحافظ على سنة سيد الرسل والأنبياء ﷺ.

﴿ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ ﴾ طلب سيدنا أبو بكر من الله أن يدخل أباه وأمه في دين الله، ولذلك فهو الوحيد الذي أسلم أبوه وأمه، فأبوه لم يسلم إلا في فتح مكة سنة ثمانية هجرية، وهذه الفترة كلها كان معارضاً ولم يدخل في الإسلام، ولما فتح الله على حضرة النبي مكة ودخل البيت الحرام هداه الله إلى الإسلام، وكان قد كُفَّ بصره

١١٣ الجامع لأخلاق الراوي وتاريخ جرجان للسهمي عن أنس ﷺ

١١٤ سنن ابن ماجة عن أبي هريرة ﷺ

وكبر في السن، فجاءه سيدنا أبو بكر وقال له: تعالى لتسلم على يد حضرة النبي، فلما جاء به إلى النبي - وانظر إلى رحمة ورافة النبي ﷺ - قال:

{ هَلَّا تَرَكْتَ الشَّيْخَ فِي بَيْتِهِ حَتَّى أَكُونَ أَنَا آتِيَهُ فِيهِ } ١١٥

أدب رسول الله وذوقه العالي، من أجل سنه، ومن أجل كف بصره، لكن أبو بكر ﷺ، ومن مثل أبي بكر؟! مثال الذوق والأدب الرفيع، قال:

{ يَا رَسُولَ اللَّهِ، هُوَ أَحَقُّ أَنْ يَمْشِيَ إِلَيْكَ مِنْ أَنْ تَمْشِيَ إِلَيْهِ } ١١٦

هو المحتاج أن يأتي إليك لكي ينال الهداية ويأخذ العناية، وهذا أدباً من سيدنا أبو بكر مع رسول الله.

وفي اللحظات الأخيرة لرسول الله ﷺ قال:

{ مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ } ١١٧

فدخل أبو بكر القبلة، وسيدنا رسول الله استند على كتف سيدنا علي وسيدنا العباس، وذهب ليصلي، فأحس أبو بكر برسول الله، فخرج من القبلة فوراً، مع أن الآداب الشرعية التي علمها لنا حضرة النبي أنه إذا دخل إنسان القبلة فلا يدخل أحد آخر، حتى ولو كان أعلم منه، لكن سيدنا أبو بكر كان ذوقه عالي ورفيع، فقال له رسول الله:

{ يَا أَبَا بَكْرٍ، مَا مَنَعَكَ أَنْ تُثْبِتَ إِذْ أَمَرْتُكَ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: مَا كَانَ لِابْنِ أَبِي قُحَافَةَ

أَنْ يُصَلِّيَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ } ١١٨

فأبوه أسلم، وأمه أسلمت، وأولاده كلهم أسلموا، فلم يبق واحد منهم على الكفر، وكذلك أحفاده كلهم أسلموا.

{ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ } :

١١٥ مسند أحمد وابن حبان عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها

١١٦ مسند أحمد وابن حبان عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها

١١٧ البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها

١١٨ البخاري ومسلم عن سهل بن سعد ﷺ

تعلّموا من سيدنا أبي بكر ماذا تطلب من الله؟ يريد من الله أن يُلهمه شكر النعم، ويوفقه للعمل الصالح، ويوفقه لبر الوالدين، وأكبر بر للوالدين أن يأخذهم إلى طريق الهداية، فهل هناك برٌّ أكبر من ذلك؟!.

باب التوبة والاستغفار

ولم ينس أولاده وذريته:

﴿ وَأَصْلَحَ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ :

سيدنا أبو بكر رضي الله عنه يُعلّمنا أن الإنسان مهما يعلو في مقام القرب عند الله، ومهما يرفعه في الصالحات مولاه، إلا أنه يحتاج دوماً أن يقف على باب التوبة ويتوب إلى الله، ولا يغترّ، فرما وقع في أمر ظنه ثواب، وفيه إغصاب لله تبارك وتعالى!!.

ولذلك الصالحون كانوا يوصوننا ويقولون: **(لا تُحقر معصية فعسى أن يكون غضب الله فيها، ولا تُحقر صالحاً عسى أن يكون رضا الله فيه)** إياك أن تقول أن هذا الذنب صغير وبسيط وسيسأخني الله فيه، وما الذي أدراك؟! من الجائز أن يكون الحق ﷻ كان ينظر عليك وقتها، فتبوء بغضب الله سبحانه وتعالى، وكذلك العمل الصالح الذي تستخف به ربما يكون محلّ رضا الله تبارك وتعالى فيه.

فالإنسان لا يصغر ذنباً، ولا يُصغر عملاً صالحاً، بل الذنوب كلها صغيرها وكبيرها يمتنع عنها بالكلية، وخوفاً من السهو ومن النسيان يُديم التوبة إلى التواب على الدوام، دائماً المؤمن يُكثر من الاستغفار والتوبة إلى العزيز الغفار على الدوام.

ويكفي أن الذي غفر الله له ذنبه ما تقدّم منه وما تأخر ﷻ كان يقول:

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ تُوبُوا إِلَى اللَّهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ، فَإِنِّي أَنُوبُ إِلَى اللَّهِ، وَأَسْتَغْفِرُهُ فِي كُلِّ

يَوْمٍ مِائَةً مَرَّةً } ١١٩

فالمفروض أن لا تقل توبتنا لله عن مائة مرة في اليوم كما كان يفعل سيدنا رسول الله،

وخاصة أن الاستغفار لا يحتاج إلى وضوء، ولا يحتاج إلى مسجد، ولا يحتاج حتى إلى الاتجاه إلى القبلة، فيجوز الاستغفار وأنا أمشي، ويجوز الاستغفار وأنا نائم، ويجوز بغير وضوء .. وقد قال ﷺ:

{ مَنْ لَزِمَ الاستِغْفَارَ ، جَعَلَ اللهُ لَهُ مِنْ كُلِّ ضَيْقٍ مَخْرَجًا ، وَمِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجًا ، وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ }^{١٢٠}

فكيف أتركه!!؟

فالمؤمن دائم الاستغفار لله تبارك وتعالى آناء الليل وأطراف النهار.

وفي زمان سابق كنا نعمل شيئاً طيباً، وآباؤنا كانوا محافظين عليه، لكن الناس في هذه الأيام تأثراً بالمشددين على الناس، وتعجلاً للخروج من المسجد تركوها، وهي أننا كنا إذا أقمنا الصلاة نقول وبصوت عالي: (نستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم ونتوب إليه) بصيغة الجماعة، وآباؤنا وأجدادنا كانوا يحافظون عليها، وكانوا لا يفعلون شيئاً إلا إذا كان هناك نصٌّ عليه في دين الله تبارك وتعالى، لأن الحديث الصحيح يقول فيه ﷺ:

{ مَنْ اسْتغْفَرَ اللهُ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، فَقَالَ : اسْتغْفِرُ اللهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ ، غُفِرَتْ لَهُ ذُنُوبُهُ وَإِنْ كَانَ فَرًّا مِنَ الرَّحْفِ }^{١٢١}

يعني لو حتى أنه فر من ميدان القتال وهي كبيرة من الكبائر، فإن الله يغفر له هذه الذنوب! فهل نترك الاستغفار!!؟

لذلك يجب أن نرجع مرة أخرى لمنهج السلف الصالح، ونجدد لنا وللناس: (نستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم ونتوب إليه).

الذي سيمشي على هذا المنهج الصديقي للصديق، ويمشي على هذه الأدعية وهذه

١٢٠ سنن أبي داود وابن ماجة عن ابن عباس رضي الله عنهما

١٢١ معجم الطبراني والمطالب العالية لابن حجر عن البراء بن عازب ﷺ

الأعمال فجزاءه وأجره عند الله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا﴾:

يقبل منهم الله الأعمال الصالحة التي عملوها كلها.

والذنوب والمعاصي؟ ﴿وَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ لماذا يا رب؟

لأنهم: ﴿فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ﴾ فهؤلاء من أصحاب الجنة، ولأنهم أصحاب الجنة فإن الله يتجاوز عن هذه الذنوب، ويصفح عن هذه العيوب ويسترها، لأنه وعد بذلك، وهو لا يُخلف الميعاد: ﴿وَعَدَ الصِّدِّيقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾.

سيدنا أبو بكر هو القدوة والأسوة بعد النبي ﷺ لشباب الأمة وشيوخها ورجالها.

ولماذا ذكر الله أبو بكر؟

لأن النبوة هبة من الله، وعندما قال لنا الله:

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ (الأحزاب) قد نقول أنه نبي وبهبه الله

ما يشاء، لكن كيف لنا أن نُحِصِلَهُ؟!

فأتى لنا الله بنموذج مثلنا وهو الصديق رضي الله تبارك وتعالى عنه، حتى لا يكون

لأحد منا حُجَّة عند الله تبارك وتعالى.

الصديق إمام أهل الطريق، وخير رفيق لمن أراد أن يكون:

﴿فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ

وَحَسَنَ أَوْلَئِكَ رَفِيقًا﴾ (النساء: ٦٩).

نسأل الله ﷻ أن يُكرمنا بهذا المقام، وأن يُبَلِّغنا هذا المرام، وأن يفتح لنا أبواب فضله

وكرمه وجوده على الدوام، وأن يحفظنا بحفظه من جميع الذنوب والمعاصي والآثام، وأن يبارك

لنا في أجسادنا وأسماعنا وأبصارنا، وأن يغفر لوالدينا ويجعلهم راضين عنا، وأن يبارك لنا في

أولادنا وبناتنا وذرياتنا وأحفادنا، ويجعلنا كلنا مسلمين، ويرزقنا جميعاً صُحبة النبي الصادق

الوعد الأمين

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ
فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ
مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ
خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ
مُصَفًّى وَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ
وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي
النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ
أَمْعَاءَهُمْ ﴿١٥﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ
إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ
قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ

ءَانِفًا أُؤَلِّتِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى
قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴿١٦﴾ وَالَّذِينَ
أَهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَتْهُمْ
تَقْوَاهُمْ ﴿١٧﴾ (محمد)

٧. مثل الجنة ١٢٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - الحمد لله الذي شرح الصدور، بما أنزله على قلوبنا من هذا النور، وجعلنا أهلاً لطاعة الله ﷻ ونيل مغفرته على مر الدهور، والصلاة والسلام علي من علمه مولاه، وآتاه علوم الأولين وعلوم الآخرين، ثم قال له: ﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ (١١٤ طه) سيدنا محمد أعلم العلماء بالله، وأحكم الحكماء في إبلاغ دعوة الله، وقائد الغر المحجلين الذين نرجوا أن نكون منهم يوم لقاء الله، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الطيبين، وصحابته المباركين، وكل من اهتدى بهديه إلى يوم الدين، واجعلنا معهم ومنهم أجمعين آمين يا رب العالمين.

يقول سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: (كل ما ذكر عن الجنة لا يشترك مع حقيقة الجنة إلا في الاسم) لكن ما في الجنة على الحقيقة لم يُعابنه أحدٌ، ولم يطلع الله عليه أحد إلا الحبيب المختار عندما أخذه ربه تبارك وتعالى في رحلة المعراج، وأدخله الجنة وأراه ما أعدّه فيها لعباده المؤمنين.

لأننا في الدنيا لا نستطيع واحدٌ منا مهما أوتي من راحة عقل، وجودة فكر أن يتحمّل وصف الجنة على الحقيقة.

فأراد رب العزة تبارك وتعالى أن يُقرب لنا حقيقة الجنة:

فجاء لنا بمثل، فعندما يكون مدرس يشرح لتلاميذه مسألة وهم غير قادرين على فهمها، فيأتي لهم بمثال حتى يصلوا لمعرفة هذه الحقيقة، فلذلك قال لنا الله:

﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ ﴾ :

مثلها وليس حقيقتها، فحقيقتها فيها ما تشتهيها الأنفس وتلذُّ الأعين، وليس بحسب ما هي في الدنيا، ولكن بحسب حالها الذي ستكون عليه عندما تدخل الجنة ويفتح عليها الفتح العليم تبارك وتعالى.

جنة الرفاهية

لكن هل يوجد أحدٌ منا يستطيع لو أعمل خياله أن يتخيّل ما في الجنة؟! وأضرب مثلاً: أصحاب النبي المباركين أجمعين رضوان الله تبارك وتعالى عليهم أجمعين، من منهم كان يتخيّل أن الجنة كالحياة التي نعيشها الآن؟! تكييفات وثلاجات وسيارات وطائرات وبوتاجازات وكل هذه الأشياء الموجودة، من منهم كان يتخيّل في أيامهم أن الجنة فيها هذه الأشياء؟! لا أحد، ولم تأت على فكرهم، ولم تمرّ على خواطرهم.

ولذلك أهل هذا الزمان غير متنبهين أنهم في نعيم لم يحظ به البشوات الذين كانوا من زمن قريب قبل الثورة، فلم يتمتعوا بهذا النعيم الذي نحن فيه الآن، أي واحد من هؤلاء البشوات الكبار والذي كان عنده إقطاعات وقصور فخمة، هل كان عنده سخان يسخن المياه؟! لا، لم يكن عندهم غير الطست، والتسخين إما على الكانون أو على وابور الجاز، فلم يكن عندهم حتى بوتاجاز!!.

منّ منهم كان معه تليفون يحمله بيده ويتكلم فيه؟! لم يكن عندهم غير التليفون الكبير الذي يعمل بالمانوفيل، بل كانت البلد كلها لا يوجد فيها تليفون غير تليفون عمدة هذه البلد، لأنهم لا يقدرّون على اقتنائه، لكن الآن أولادنا معهم تليفون في يده، ويستطيع على التليفونات الحديثة أن يرى من يكلمه ومن يكلمه يراه.

منّ منهم في العصر القريب الماضي كان يتخيّل أن المساجد فيها تكييف، والبيوت فيها تكييف، فلم يكن عندهم حتى مروحة، كانت المروحة عبارة عن بعض الريش المثبت في عصا، وواحد من الخدم يُحركها من فوقه.

والملوك المشهورة على مرّ التاريخ لم يكن عند أحد منهم شيء من هذه النعم التي نحن فيها، الملوك والخلفاء العباسيين الذين كانوا يحكمون العالم كله وبغداد كان حرها شديد في الصيف، واحدٌ منهم أراد أن يُخفّف الحرّ عن نفسه قليلاً، فشاور من معه، فقالوا له: نضع لك بُحيرة، ونضع فيها خشب طويل ونضع على هذا الخشب مرتبة، وتنام على المرتبة، وتحتك المياه لتخفف عنك هذا الحرّ!!، هذا الرجل لو رأى هذا التكييف الذي عندنا فماذا يقول؟! وهذه النعم العظيمة التي تفضّل علينا بها المولى تبارك وتعالى، وهذا ما يقول فيه الله

لنا، والباب لا يزال مفتوحاً: ﴿وَمَخْلُوقٌ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٨ النحل).

فلا يزال في كل يوم نجد أشياء جديدة يلهم الله بها الإنسان في أي زمان ومكان، ليُظهر فضل الرحمن تبارك وتعالى على الإنسان لعله يشكر الله تبارك وتعالى.

ولو استفضنا في هذا الموضوع سنجد فيه العجب العُجاب، وهذا دليل على أننا في نعم عظمى أعطها لنا المولى تبارك وتعالى، ولكننا غير منتبهين وطامعين، والمفروض أن نطمع في فضل الله، ولا نطمع بشدة في الدنيا التي سنتركها، وسنرجع إلى حضرة الله تبارك وتعالى، لذلك واجب علينا أن نشكر الله تبارك وتعالى على عطايه التي نتمتع بها الآن.

تقريب وصف الجنة

مثل الجنة التي جهزها الله وهياها لعباده المتقين، ووعدهم بها، ماذا فيها؟

﴿ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ ﴾ :

مياه طعمها لا يتغير، ليس فيها طحالب، ولا ميكروبات، ولا عُفونة، ولا شيء مما يغير طعم الماء، لأن مجاري الجنة كلها محفوظة باسم الله تبارك وتعالى الحفيظ.

وحق المياه التي أعطها لنا الله في الدنيا، أعطانا خزان كبير وهي المحيطات والبحار، وخزان أكبر منه احتفظ فيه بالمياه مُثلجة وهو القطب المتجمد الشمالي والقطب الجنوبي، وهما اللذان يخاف منهما الناس الآن ويقولون: لو أن هذه المياه ذابت فستغرق العالم كله وستقوم القيامة.

لأن الله جعل المياه هناك عبارة عن ثلوج، وكلما احتجنا إلى بعض الماء يُسلط عليها الشمس، والشمس لا تطلع في هذه الأماكن إلا ساعتين أو ثلاثة، والجو شديد البرودة، فيُسلط الشمس قليلاً فتُنزل بعض المياه وتمشي في أخاديد أوجدها الحق ﷻ، وتمشي أثماراً، وهي التي تأتي من الثلوج إن كانت في روسيا أو ألمانيا أو غيرها.

المياة التي في البحار من حكمة العزيز الغفار ﷻ يريد أن يحفظها حتى لا تفسد ولا تُعفن، فحفظها بالملح، لأنها خزان المياه التي لنا وكل الآدميين والحيوانات والنباتات وكل الكائنات.

نحتاج إلى المياه يا رب، فيُسلط الشمس على خزان البحار، فتُبخر المياه، وتترك الملح، فيصعد البخار إلى أعلى ويتجمّع على هيئة سحب، فيُرسل الهواء يُسيّر السحاب للجهة التي حددها الكرم الوهاب، وهو الذي حدّد وجعل في كل سحابة شرارة سالبة وشرارة موجبة للطاقة الكهرومائية الإلهية وهي البرق الذي نراه أيام الشتاء.

فإذا أراد الله أن يُنزل المياه في مكان، يُسلط السالب على الموجب فيحتكًا ببعضهما فينتجا طاقة هائلة تُحوّل البخار إلى سائل ينزل من عند من يقول للشيء كن فيكون.

لو نزل على الدوام لآذى من ينزل عليه، إن كان زرع سيهلك، وإن كان الإنسان فلن يتحمّل، وتحدث له آلام وأمراض لا يستطيع تحملها، لكن الله يُنزله ويسلط عليه الهواء حتى يُفرقه إلى قطرات ماء تنزل من السماء فلا تؤذي وجه إنسان، ولا تؤذي ورقة الزرع الخفيفة اللطيفة، ولا تؤذي أي شيء في هذه الحياة، ويأخذ الإنسان منها ما يحتاجه، ويأخذ النبات ما يحتاجه، ويأخذ الحيوان ما يحتاجه، والباقي يرجع مرة أخرى للخزان الذي حفظ لنا فيه الرحمن تبارك وتعالى هذا الماء الذي يحتاج إليه كل كائن حيّ في هذه الحياة الدنيا: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾ (٣٠ الأنبياء).

وهذه المياه في الدنيا، لكن المياه التي في الجنة لا تحتاج إلى هذه الخطوات التي ذكرناها، ولا تحتاج حتى إلى تجايف تسير فيها، ولا تحتاج إلى شمس لأن الجنة: ﴿ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمَهْرِيرًا ﴾ (١٣ الإنسان).

فالجنة ليس فيها حر ولا برد، وكلها مكيفة تكييف مركزي من عند ملك الملوك تبارك وتعالى، فكيف يرى الناس؟! ورد أنهم يرون كما نرى في الصباح الباكر قبل شروق الشمس، عندما يبدأ النهار في الظهور، ونرى بعضنا ونرى الطُرق قبل ظهور ضوء الشمس، فتكون هذه الحالة التي تكون عليها الجنة وأهل الجنة بعناية رب العزة تبارك وتعالى.

سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه يقول في هذه الأثمار: (أثمار الجنة ليس لها أ حدود، وإنما تمشي على أرض الجنة، وتمشي معاً) ليس لها مجرى عميق كالنيل أو الترغ، وتمشي مع بعضها، نهر الماء مع نهر اللبن مع نهر الخمر مع نهر العسل، ولا يختلط هذا بذاك، ولا ذاك بهذا، لأن الحفيظ تبارك وتعالى حفظ لكل شيء خصائصه، وهذا على قدر العقول كما قلت.

﴿ فِيهَا أَنهْرٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنهْرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ ﴾ :

وهل هناك مزارع للألبان؟! والمزارع تُنتج عُبوات، وقد يكون نصيب كل واحد عبوتين أو ثلاثة من اللبن، لكنه قال: ﴿ وَأَنهْرٌ مِّن لَّبَنٍ ﴾ :

فلا تتخيّل ولا تستطيع أن تعقل كيف تَكُونُ هذا اللبن؟! وكيف مشى هذا اللبن؟! وما عناصر هذا اللبن؟! لأن هذا من سر الغيب المصون، والعلم المكنون، الذي ضنَّ به الله ﷻ إلا على عباده المُخلصين، لكن الآخرين لا يستطيعوا أن يعقلوا هذه الأمور.

﴿ وَأَنهْرٌ مِّن خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ ﴾ :

وخلاصة الكلام أن هذه الأشياء خالية من عيوب أشباهها وأمثالها في الدنيا، فالماياه إذا فسدت هل يستطيع أحد أن يشربها؟! لا، ولكنها في الجنة خالية من هذه الأمور، واللبن إذا تغيّر طعمه وراب واشتد فهل يستطيع أحد أن يتناوله؟! لا، ولذلك قال فيه الله:

﴿ لَّمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ ﴾ .

وخمر الدنيا تُذهب العقل، وتجعل الإنسان في غيبة تامة عن كل شيء حوله، لكن خمر الآخرة: ﴿ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴾ (٤٧ الصافات) وغولٌ يعني لا تغتال العقول، فلا تأخذ العقول وتضلّلها وتذهبها، ويُنزفون يعني لا يتيهون بسبب شربها لأنها خمرٌ إلهية، عوضهم الله بما عما تركوه من أجل أحكام شرع الله من أشباهها وأمثالها في الحياة الدنيوية.

العسل عندنا نحتاج إلى أن نصفيه لوجود بعض البقايا به من الشمع، وبعض البقايا من الحشرات، لكن العسل هناك مُصَفَّى بدون شيء:

﴿ وَأَنهْرٌ مِّن عَسَلٍ مُّصَفًّى ﴾ :

هو مُصَفَّى في ذاته، ولم يخرج من بطن نحلة، ولم يخرج من مصنع، وإنما سرٌّ مكنون لا يعلمه إلا من يقول للشيء كن فيكون.

﴿ وَهُمٌ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ ﴾ :

الثمار في الدنيا أحياناً يكون بها بذر، لكن ثمر الجنة كله ليس فيه بذر، في الدنيا ثمرة المانجو بها بذرة كبيرة، وثمره البرتقال بها بذر صغير، وهكذا تتنوع البذور، وهذه البذور

للمحافظة على هذا النبات، فنحن نأخذ هذه البذور ونزرعها مرة ثانية حتى يظل هذا النبات قائماً في الوجود إلى أن يرث الله عز وجل الأرض ومن عليها.

لكن في الجنة وجود هذه الفواكه لا يحتاج إلى بذر ولا حبٍ ولا حدائق ولا زرع، وإنما كل شيء هناك بأمر من فيكون، ما يُريده المكوّن تبارك وتعالى.

فالأسباب في عالم الأسباب الذي نحن فيه الآن، لكن هناك عالم الجمال المطلق الذي لا يحتاج إلى الأسباب، وإنما كل شيء فيه يُسير مباشرة بأمر مُسبب الأسباب تبارك وتعالى.

ولذلك سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطانا مثلاً للفاكهة في الجنة، وموجودة أيضاً عندنا في الدنيا، فعندما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم يطبق فيه تين فآطَل، وَقَالَ لِأَصْحَابِهِ:

{ كُلُوا، فَلَوْ قُلْتُمْ أَنْ فَاكِهَةً نَزَلَتْ مِنَ الْجَنَّةِ يَلَا عُجْمَ، لَقُلْتُمْ: هَذَا التِّينُ } ١٢٣

فاكهة الجنة عجماء يعني ليس فيها نوى ولا حبٍ صغير كالتين، هل يوجد بذور في التين بداخله؟! فضرب لنا المثل ليبين لنا هذه الحقيقة، فتكون فاكهة الجنة كلها بهذه الهيئة وبهذه الكيفية.

فواكهنا وكل ما كولاتنا في الدنيا لها فضلات، فيحتاج الإنسان أن يدخل دورة المياه ليُخرج الفضلات، لكن فاكهة الجنة ليس لها فضلات، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الفضلات في الجنة:

{ جُشَاءٌ وَرَشْحٌ كَرَشْحِ الْمَسْكِ } ١٢٤

فالفضلات تخرج في الجنة كرشحات عرق رائحتها كرائحة المسك، يعني لا نحتاج في الجنة إلى سباكين ولا سيراميك ولا شيء من هذا نهائياً، لأن الإنسان لن يحتاج في الأصل إلى هذه الأشياء؛ أغناه المولى تبارك وتعالى عن كل ذلك.

{ وَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ } :

ما عرفناها وما لم نعرفها، ما أكلناها وما لم نأكلها، ما شهدناها في بلدنا، وما لم

١٢٣ الآثار المروية في الأطعمة العظيمة لابن يشكوال عن أبي هريرة رضي الله عنه

١٢٤ صحيح مسلم ومسنند أحمد والطبراني عن جابر رضي الله عنه

نشهدها، كل الثمرات موجودة لأن نعيم الله ﷻ ممدود للمؤمنين والمؤمنات في الجنة اكراماً لسيدنا رسول الله ﷺ، وشجرة واحدة في الجنة يصفها لنا سيدنا رسول الله فيقول:

{ إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَشَجْرَةً يَسِيرُ الرَّاِكِبُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ عَامٍ لَا يَقْطَعُهَا } ١٢٥

ولذلك الظل هناك كما قال الله: ﴿ وَظِلٌّ مَّمدُودٍ ﴾ (٣٠ الواقعة) تمشي في الظل على الدوام تتنعم بنعيم الحق سبحانه وتعالى إن أردت ذلك، وإن سعيت إلى ذلك بالعمل الصالح الذي يبلغك ذلك.

كل هذه الأمور معها: ﴿ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ﴾:

وكل ما في الأمر أن ننال المغفرة، نسأل الله تبارك وتعالى أن يغفر لنا أجمعين.

أهل النار

ودائماً يُعطينا الله الصورة المقابلة، فالذين سيدخلون السجون الإلهية هل سيشرّبون مثلنا ماء ولبن وخمر وعسل؟ لا، ﴿ كَمَنَّ هُوَ خَلِيدٌ فِي النَّارِ ﴾:

وانظر إلى حكمة العزيز الغفار، يقول هذا الكلام لمن يخلد في النار ولن يخرج منها أبداً، وهم الكافرون والمشركون والضالون، لكن المسلمين حتى الذين سيدخلون النار لينفذوا أحكاماً عليهم يقول فيهم الحبيب صلوات ربي وتسليماته عليه:

{ إِذَا دَخَلَ الْمُوحِدُونَ النَّارَ أَمَاتَهُمْ فِيهَا ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يُخْرِجَهُمْ مِنْهَا أَمْسَهُمْ أَلَمَ الْعَذَابِ تِلْكَ السَّاعَةَ } ١٢٦

إذا أدخل الله الموحدون النار أماتهم فيها، فإذا أراد إخراجهم أحياهم في هذه اللحظة، حتى لا يشعروا بما شعر به الآخرين، فأشد العذاب للكافرين والمشركين الذين خرجوا من الدنيا ولم يؤمنوا برب العالمين تبارك وتعالى.

ولذلك أتى بالشرط في الآية ﴿ كَمَنَّ هُوَ خَلِيدٌ فِي النَّارِ ﴾ يعني الكافر، حتى لا تُعير

١٢٥ البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري ﷺ
١٢٦ بحر الفوائد للكلاباذي عن أبي هريرة ﷺ

مؤمن عاصي بهذا، فهو ليس له شأنٌ بهذا الأمر، لأنه ستشمله رحمة الله إن آجلاً أو عاجلاً بشفاعته النبي ﷺ، يسألون حضرة النبي: شفاعتك لمن؟ قال:

{ شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكِبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي } ١٢٧

هؤلاء لا يتركهم، فبعد أن يأخذوا الأحكام ويتمموا الفترة التي حُكم عليهم بها في النار يشفع لهم لتخفيف الأحكام، أو للحصول على عفو عام من العفو تبارك وتعالى، ويظل يتردد بين النار والعرش يضرع إلى الله، ويستغيث بالله، حتى يُخرج الموحدِين أجمعين من النار شفاعَةً واکراماً لحضرة رسول الله ﷺ.

والآخرين ماذا يشربون؟ ﴿ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴾ مياه شديدة السخونة، لكنه يشربها في البداية باردة، وعندما تنزل في داخله فإنها تُقَطِّعُ أمعاءه وأحشائه انتقاماً لكفره وبُعدِه عن الله تبارك وتعالى.

هل يكون هذا كهذا؟! ﴿ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ (٢٠ الحشر).

من إشارات العارفين

العارفون الذين يُفيض عليهم الله علوم المعرفة الإلهية، يُرسل الله في قلوبهم إشارات عرفانية في آيات القرآن الكريم، لا تتعارض مع المعنى الظاهر، لأنهم لا يعترضون على المعنى الظاهر ولا يُنكرونه، ولكن هذه الإشارات تُقوي الأحوال، وترفع العزائم، وتُنهض بالهمم، حتى يتوجَّه الإنسان بالكلية إلى الله، ولا يفرق في شهوات الدنيا، ولا يُوحل في نعيم الدنيا الفاني كغيره من الكافرين والعصاة والمذنبين، وإنما يكون دائماً يقطع الطريق نحو رب العالمين تبارك وتعالى.

وإشارات العارفين كثيرة، يقول فيها بعضهم: (إن الله يُفيض على قلوب أهل المعرفة سبعون ألف علمٍ من كتاب الله تبارك وتعالى) فما حدود سبعين ألف علم؟!..... لكن نأخذ إشارة واحدة.

فقالوا: هذه الجنة التي ذكرها الله للمتقين هي الإسلام، وهي الإيمان، وهي الدين الذي جاءنا به النبي العدنان، لأنها هذه الجنة هي التي فيها الجنة يعني الوقاية من كل ما يُغضب الله تبارك وتعالى.

وجعل الله لهؤلاء المتقين أربعة أعمار، لأنها أربعة درجات، درجة الإسلام، ودرجة الإيمان، ودرجة الإحسان، ودرجة الإيقان.

الإسلام ظاهر الآيات، والإيمان باطن العلم الإلهي في الآيات، والإحسان النور الذي بَنَى الله سبحانه وتعالى في هذه الآيات، والإيقان المعاينة والمشاهدة على الحقيقة لما قرأه أو سمعه من هذه الآيات.

فيتلقى في مقام الإسلام علوم الشريعة، وهي مثلها مثل الماء الذي لا غنى عنه لبشر، فكما أنه لا يستطيع أحد أن يستغني عن الماء، فكذلك لا يستطيع مسلم أن يستغني عن شرع الله ﷻ.

ويتلقى في مقام الإيمان إذا ارتقى فيه من نهر من لبن، واللبن هو حكمة الشريعة فيعرف حكمة الأحكام، ليتعرف بها على الحاكم تبارك وتعالى.

فنحن نصلي الصبح ركعتين، والظهر أربع ركعات، والعصر أربعة، والمغرب ثلاثة، والعشاء أربعة، وفي كل صلاة ركوع وسجود، لماذا هذا كله؟! ليس لنا شأن، لكن هؤلاء يأخذون دروساً في هذا الأمر، والدروس بعد موت النفوس من حضرة القدوس تبارك وتعالى، وهي التي نسميها اللبن الذي لم يتغير طعمه.

إذا أشرقت عليه الأنوار، يشعشع كشارب الخمر، فيسكر في حب الله، ويغيب في الإقبال على مولاه عن الدنيا والشهوات والحظوظ والأهواء، ويشهد النور أينما حلَّ وأينما ذهب: ﴿ فَأَيَّمَا تَوَلَّوْا فَوَجَّهَ اللَّهُ ﴾ (١١٥ البقرة)، إذا تيقن يعطيه الله مقام العيان، فيشهد حقائق القرآن ظاهرة لعين القلب جليلة، بلا دليل ولا برهان: ﴿ أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ ﴾ (١٥ هود) هذه تلاوة أخرى.. هذه إشارة من إشارات العارفين، لكن الإشارات لا تمنع ولا تُعارض المعاني الظاهرة التي أمرنا الله تبارك وتعالى أن نبدأ بها أولاً، لأنها خطوة أولية في طريق رب البرية تبارك وتعالى.

حلقات السماع للرسول ﷺ

ووضَّح الله بعد ذلك حلقات السماع لرسول الله ﷺ، فعندما كان يجلس مع أصحابه في درس، فهل كلهم كانوا في استيعاب واحد؟ لا، فقد كان جماعة منهم يكونوا جالسين ومُنصتين ومتطلعين وبعد أن ينتهي الدرس، يذهبون مثلاً لسيدنا عبد الله بن مسعود أو لسيدنا علي ويقولون: ماذا قال؟! ﴿ وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَادَا قَالَ ءَأِنفَا ۗ ﴾ وأنفأ يعني الآن، ماذا قال الآن؟ لماذا يا رب؟ ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ۗ ﴾ وهؤلاء هم المنافقون.

فقد كان المنافقون يجلسون في مجلس النبي ﷺ ويقوموا ولم يُحصَلوا حرفاً واحداً من العلوم الإلهية التي ساقها الله تبارك وتعالى على لسان حضرته، مع أنهم كانوا جالسين ومنتبهين ويستمعون بأذانهم، لكن القلوب التي بداخلهم طمسها الله، فلم يُعد عندها استعداد، لأن الإيمان لا يُستمع بهذه الآذان، وإنما يُستمع بأذان القلوب التي يقول فيها علام الغيوب: ﴿ وَتَعْيِبًا أُذُنٌ وَعَايَةٌ ۗ ﴾ (١٢ الحاقة).

الأذن الواعية هي أذن القلب الذي تطهَّر من الأغيار، ومن الدنيا، ومن الشهوات، وأصبح مُقبلاً على سيدنا رسول الله ﷺ بالكلية.

فضرب الله لنا مثلاً للمنافقين حتى لا نتعجب، فهي حلقة واحدة مع رسول الله ﷺ، لكن جماعة من أصحابه كانوا ما يسمعه يعوه من أول مرة، بدون إعادة ولا استذكار ولا تكرار، فمن أول مرة يسمع ويعي.

وكان سيدنا رسول الله ﷺ عندما يقرأ عليهم القرآن، يقرأه ثلاث مرات، فمنهم من يحفظ من أول مرة، ومنهم من يحفظ من المرة الثانية، ومنهم من يحفظ من المرة الثالثة، وهؤلاء الأصحاب المباركين.

أما المنافقون فلو كرَّره عشرات المرات لا يحفظوا، لماذا؟! لأن قلوبهم لاهية، وآذان قلوبهم لاهية، غير صاغية ولا واعية، فمهما يقرأ - والقراءة هنا لآذان الرأس - فلا يسمع ولا يحفظ ولا يستوعب، إن كان درس أو قرآن أو أي شيء يقوله حضرة النبي ألهمه به

حضرة الرحمن تبارك وتعالى.

ولذلك يقول الله في المهتدين: ﴿ وَالَّذِينَ أَهْتَدُوا زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴾

أهل الهداية الذين لهم عند الله تبارك وتعالى عناية، كلما سمع آية يزيد درجة في الولاية، ويرتفع درجات في سُلّم العناية، ويكون له قدرٌ عند الله تبارك وتعالى لأنه يسمع بأذان قلبه بالكلية.

كالرجل الذي قابل سيدنا أبو بكر وهما في طريقهما لحضرة النبي ﷺ، وهو سيدنا حَنْظَلَةُ الْأَسِيدِيّ، فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ:

{ كَيْفَ أَنْتَ يَا حَنْظَلَةُ؟، قَالَ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ، قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ مَا تَقُولُ؟، قَالَ: قُلْتُ: نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُدْكِرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ حَتَّى كَأَنَّا رَأَيْ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ، فَتَسِينَا كَثِيرًا، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَوَاللَّهِ إِنَّا لَنَلْقَى مِثْلَ هَذَا! فَانْطَلَقَا حَتَّى دَخَلَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ حَنْظَلَةُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: وَمَا ذَاكَ؟ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ نَكُونُ عِنْدَكَ تُدْكِرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ حَتَّى كَأَنَّا رَأَيْ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ نَسِينَا كَثِيرًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَيَّ مَا تَكُونُونَ عِنْدِي، وَفِي الذُّكْرِ لَصَافِحَتِكُمُ الْمَلَائِكَةُ عَلَيَّ فُرُشِكُمْ وَفِي طُرُقِكُمْ، وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً .. ثَلَاثَ مَرَّاتٍ " { ١٢٨

يعني عندما يكونوا عند حضرة النبي ويصف لهم الجنة والنار فكأن أمامهم شاشة يرونها، ويسمعوا الوصف من سيدنا رسول الله لما يرونها ويشاهدونه، وهو يريد أن تكون حياته كلها في هذه المشاهدات، ولو كان كذلك سيترك المسئوليات، ولن يقوم بمصلحة الزوجة، ولا مصلحة الأولاد، ولا أصحاب الحقوق، لأنه انشغل بالكلية بالحياة الأخرية، وهؤلاء أشار الله إلى حضرة النبي في القرآن عنهم، وقال في الحلقات في وصفهم:

﴿ وَالرُّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أَخْرَانِكُمْ ﴾ (١٥٣ آل عمران).

عندما يتكلم حضرة النبي معهم لا يكونوا في الدنيا، ولكن يكونوا في الآخرة، هم موجودون بالأجسام، ولكنهم جالسون أمام حضرة النبي والقلوب ساجدة في ملكوت الله في الدار الآخرة...!!!

ولذلك إذا وصف لهم شيء يشاهدوه وبروه رضوان الله تبارك وتعالى عليهم أجمعين، فلذلك قال لهم حضرة النبي:

{ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي، وَفِي الذِّكْرِ لَصَافَحْتُمْ الْمَلَائِكَةَ عَلَى فَرُشِكُمْ وَفِي طُرُقِكُمْ، وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةَ سَاعَةً وَسَاعَةً ثَلَاثَ مَرَّاتٍ } ١٢٩

لماذا؟ للقيام بالمسئوليات التي كلفهم بها الله تبارك وتعالى، وهذا هو الكمال.

الذي شرب الخمر الرباني ولم يرجع إلى دار الدنيا الدنية، ونرى بعضهم، يمشى حافياً، أو يمشى عرياناً وليس عليه إلا ما يستر العورة، أو خرج في القفار والجبال ...

هل هذا يقوم بمسئولية يكلفه بها الله؟! لا، فهذا ليس من أهل الكمال الذي حبينا فيه النبي ودعانا إليه الله.

ولذلك لا يجب أن أتبعه، أو أمشي خلفه، ولا أقتدي به، لأنه ليس من أهل الكمال:

فأهل الكمال الذي يُعطي لكل ذي حق حقه، فيقوم بحق الأولاد وحق الزوجة كما ينبغي، كما كان يفعل حضرة النبي، وحقوق نفسه، وحقوق أهله، وحقوق كل من حوله كما ينبغي، وفي نفس الوقت نفسه لا يغيب بقلبه عن ربه طرفة عين ولا أقل.

لأن الله ﷻ لا يريد منا أن نُحوّل الأجسام إليه، وإنما نُحوّل القلوب إليه، والأجسام عليها أن تقضي المصالح للناس الذين حولنا كما كان يفعل الحبيب المصطفى صلوات ربي وتسليماته عليه.

المشهد الأكمل

كان ﷺ يُوقر لكل واحدة من زوجاته القوت الذي يكفيها لمدة عام، لكي تطمئن

وهو لا ينشغل بها، وكان كل يوم لا ينام إلا إذا مرَّ على نسائه جميعاً، ودخل منزل كل واحدة منهن وجلس معها واستأنس بها، واستأنست به، وتفقد أحوالها.

وبعد أن يمرُّ على الكل يذهب لصاحبة الليلة قياماً بالحقوق والواجبات، هذا مع مشاغل النبوة، ومع متاعب الرسالة، والنبوة لو تعلمون ليس لمن حوله فقط، بل فيها نصيب لعالم الجن، فكانوا يأتوه ليعلمهم، هل كان أحدٌ ممن حوله يرى هذا؟! أحياناً، وكانت النبوة فيها نصيب لعالم الملائكة لأنه رسول الكل: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (١٠٧ الأنبياء).

وكان عنده غنم، وكان عنده خدم قائمين بخدمة هذه الغنم، حتى إذا أتاه ضيفٌ يُطعموه من لبنها، فإذا كانوا كثير يذبحون لهم واحدة، وكان عنده دواجن ونسأؤه كُنَّ قائمات بتربية هذه الدواجن، وكان عنده خيول، وكان عنده جمال.

وكل هذا لم يمنعه من القيام بحق الله تبارك وتعالى، والاشتغال به بالكلية، ليعرفنا أن هذا المنهج الأكمل، والذي يمشي على هذا المنهاج نحن مأمورين بالمشي خلفه واتباعه.

لكن الذين أخذتهم الجذبة، فهو على خير ولكن لنفسه:

لا تقتدي بمن زلت شريعته ولو جاك بالأنبيا عن الله

حتى ولو جاء لكم من اللوح المحفوظ، لكن أنا أتبع من مشى على نهج سيد الأولين والآخرين ﷺ: ﴿ وَالَّذِينَ أَهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴾.

نسأل الله ﷻ أن يفقهنا في ديننا، وأن يُلهمنا رشدنا، وأن يُعلمنا ما لم نكن نعلم، وأن يعيننا على العمل بما علمنا، وأن يجعلنا من عباده الصادقين المخلصين الذاكرين الشاكرين الحاضرين بين يدي حضرته في كل وقتٍ وحين

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾

لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ

وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ

وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٢﴾

﴿ وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيمًا ﴿٣﴾

(الفتح)

٨. الفتح القريب ١٣٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - الحمد لله الفتاح العليم الوهاب الرزاق الكريم، والصلاة والسلام على خير نبي علمه الله تعالي من لدنه وزكاه وطهره وأرسله لنا للتعليم؛ سيدنا محمد وآله وصحبه والناهجين على سبيله إلى يوم الدين، واجعلنا منهم ومعهم بفضلك وجودك يا أكرم الأكرمين.

الآيات التي تتحدث عن سيدنا رسول الله ﷺ في كتاب الله تحتاج إلى انتباه شديد من كل المؤمنين، وخاصة السالكين في طريق الله، والواصلين بالله إلى فضل الله، بل والعارفين المتمكنين في طريق الله، لأن الله ﷻ يُجري على حبيبه الأعظم ﷺ أمور كلنا نتعرض لها، فيعلمنا على يد نبيه كيف نواجه هذه الأمور؟ وكيف نفعل إذا انتابنا هذه الأحداث؟.

ونضرب مثلاً للتوضيح: كل واحد فينا له أمنيات لنفسه ولأولاده في هذه الحياة ويوم لقاء الله، فلو كنت أتمنى شيء من الله، وأخذت بالأسباب، ودعوت الله وألححت في الدعاء، وفعلت كل موجبات الإجابة، ولم يستجب الله لي، فماذا يكون حالي؟ أحزن وأفزع وأهلع، وقد أدخل المنزل وأغلق على نفسي ولا أريد أن أكلم أحد، وقد أحاصم أقرب الناس لي، وأكون مهموم، لماذا؟ لأن الشيء الذي أريده لم يحققه الله لي.

ولكن هل أعلم أين الخير لي؟! لا، لكن رب العزة يعلم، فالمؤمن يتعلم من النبي المختار في هذه الآيات الكريمة درساً عظيماً في مواجهة أقدار الواحد القهار، فالذي علينا الأخذ بالأسباب والباقي على من يقول للشيء كن فيكون.

وهنا يظهر صحة الإيمان وصدق الإيقان، فإذا كنت أنا موقن أن الله لا يفعل لي إلا ما فيه الخير لي في الدنيا والآخرة، فلماذا أحزن؟! لم يحقق الله لي هذه الأمنية لأنها شر لي وأنا لا أراه... والله ﷻ قد أرسل نبي من أولي العزم وهو سيدنا موسى، ومعه ولي من كبار الأولياء وهو سيدنا الخضر، لرجل معه هو وزوجته طفل صغير، فقام سيدنا الخضر بقتل الطفل وسيدنا موسى لأنه متمسك بالشرعية غضب، وقال له: كيف تقتل نفساً بغير حق؟! فقال

له: هذا الطفل إذا كبر سيكفر، وخشينا أن يرهق أبويه طغياناً وكفراً: ﴿ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴾ (٨٠ الكهف) فقتلته لكي يبدلهما الله خير منه رحمة، وأقرب منه قرباً إلى الله تبارك وتعالى.

فهذا الأمر يحتاج من المسلمين أن يكونوا مُسَلِّمين لما يمضيه رب العالمين، فما دمت أخذت بالأسباب، وفعلت ما عليك فلا بد أن ترضي بما قضى الله تعالي وقدر، لأنه أعلم بنا منا، وأولي بنا منا، وأعرف بمصالحنا منا تبارك وتعالى.

لكن أنت ستحمل الهم في قلبك، وتحزن، فهل هذا سيغير شيء؟! لا، قد يغير صحتك فتمرض، لكن هل يغير شيء من الأقدار؟ لا، لأنها أقدار يمضيها الواحد القهار تبارك وتعالى.

رؤيا النبي لعمركم

سيدنا رسول الله ﷺ رأى في رؤيا مناميه أنه وأصحابه ذهبوا إلى مكة محرمين، وطافوا بالبيت الحرام وأدوا العمرة، ورؤيا الأنبياء وحي من الله، فأخبر أصحابه بذلك، وأخبرهم بأنهم سيذهبون لتأدية العمرة إلى البيت الحرام.

لكن الرؤيا التي أتت له من الله لم تحدد الزمن، فلم تحدد هذا الشهر، أو هذا العام، بل تركتها مفتوحة، لكي يحدث القضاء، ويعلمنا النبي ﷺ أن نرضي بالقضاء.

فنادي أصحابه، وخرجوا في ألف وأربعمائة فرد، كلهم لبسوا ملابس الإحرام، وأخذوا معهم الهدى أي الذبائح التي سيدبحونها بعد تأدية العمرة عند البيت الحرام، ولم يكن معهم من الأسلحة إلا السيف لأن الكفار كانوا مسيطرين على مكة وقتها، فعندما يرونهم يعرفوا أنهم لم يأتوا ليحاربوهم بل أتوا ليؤدوا مناسك العمرة فقط.

والقائمين على حراسة البيت الحرام - حتى في الجاهلية - كانوا متعاهدين أنهم لا يمنعوا أي أحد يأتي إلى البيت من الطواف بالبيت، من عصر سيدنا إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام.

فسار سيدنا رسول ﷺ وصحابته إلى أن وصلوا إلى مشارف مكة، وسمع بهم الكفار،

فأرسلوا إليهم، فقالوا لهم: نحن أتينا لنعتمر وليس للحرب، فقالوا: لا يدخل مَجْدٌ علينا مكة عنوة!! وهذه عنجهية الكفر.

ولم تفلح معهم المفاوضات، وأرسل لهم الرسول عدة رسل، إلى أن أرسل إليهم سيدنا رسول الله سيدنا عثمان بن عفان وبعض الصحابة فحجزوهم، وخرجت إشاعة أنهم قتلوا سيدنا عثمان، فقال بعض الصحابة: إن قتلوه فلن نرجع حتى نأخذ بثأره، واتفقوا على هذا وتعاهدوا وبايعوا حضرة النبي تحت شجرة، وسماها الله بيعة الرضوان.

وبعد أخذ ورد قال الكفار لا بد أن ترجع هذه السنة ولا تدخل مكة، والسنة القادمة تأتي ونترك لك مكة ثلاثة أيام تؤدي فيها العمرة، وما دام أننا اتفقنا فلا بد أن يكون بيننا وبينك هدنة مدتها عشرة سنين لا يوجد فيها حرب بيننا وبينك، ووضعوا شرط عسير، فقالوا: الذي يدخل من عندنا في الإسلام ويذهب إليك ترجعه إلينا، والذي يترك الإسلام ويرجع للكفر ترده لنا!!، شروط قاسية وغليلة، والصحابة أنفسهم استاءوا من هذا الكلام وقالوا كيف نرضى بهذا الكلام!!؟ لكن سيدنا رسول الله ﷺ وافق على هذه الصلح لأمر أعلمه به مولاه تبارك وتعالى.

سبب نزول سورة الفتح

فلم يؤدوا العمرة، وأثناء عودتهم نزلت هذه السورة، فلم يدخلوا مكة ولم يعتمروا ولكن الله أنزل عليه: ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾ فحضرة النبي قال لهم:

{ لَقَدْ أَنْزَلْتُ عَلَيْكَ اللَّيْلَةَ سُورَةً لَهَا أَحَبُّ إِلَيَّ وَمَا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ ثُمَّ قَرَأَ: " إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا " } ١٣١

لكن أين الفتح الذي حدث؟! عندما حدث ذلك أصحاب الفتن وأصحاب القلق والجزع قالوا: إن حضرة النبي قد رأى في المنام أننا دخلنا مكة وطفنا، فكيف لم تتحقق رؤيا النبي!!؟ الشخص العادي الذي يري رؤيا ولم تتحقق يحزن، ولكن رؤيا حضرة النبي كيف لا تتحقق!!؟ لكن العقلاء كانوا لا يتركوا هذه الهلاوس في نفوسهم، فقال لهم سيدنا عمر: لا

١٣١ صحيح البخاري والترمذي عن عمر بن الخطاب ﷺ

تضيعوا أنفسكم، لكن نسأل حضرة النبي ونستريح من الأمر، فقال له:

{ أَوَلَيْسَ كُنْتَ تُحَدِّثُنَا أَنَّا سَنَأْتِي الْبَيْتَ فَتَطُوفُ بِهِ؟ قَالَ: بَلَى، فَأَخْبَرْتُكَ أَنَّا نَأْتِيهِ الْعَامَ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فَإِنَّكَ آتِيهِ وَمُطَوِّفٌ بِهِ } ١٣٢

الرؤيا ستتحقق فيما يأتي من الأيام، لكن طبيعة الإنسان التعجل، فعندما يري رؤيا طيبة يريد في نفس اليوم أن يشعر بأثر الرؤيا، ويقول أنا رأيت رؤيا كذا وكذا ولي شهرين ولم يحدث شيء!! لكن لماذا الاستعجال؟! مادام الله بشرك فانتظر الوقت الذي حدده الله لهذا الفرج، لأن الله ﷻ كما قال في كتابه: ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ﴾ (٨الرعد) كل شيء مقدر تقديراً شديداً.

أسباب التسمية بالفتح

كيف يكون هذا فتح ونحن لم ندخل مكة؟! لأسباب كثيرة وعظيمة، فإن الله سبحانه وتعالى رأى المسلمين تعبوا من الحروب، وحضرة النبي يريد أن يفتح بلاد العرب كلها ويدخلهم في الإسلام، وهم لا يستطيعون أن يجاربوا العرب كلهم.

وهؤلاء العرب ما منعهم من الدخول في الإسلام أن عائلته قريش تحاربه، فلما وضعت الحرب أوزارها وهدئت الأمور بدأت القبائل العربية تدخل في دين الله أفواجا، لا بحرب ولا قتال ولا نزال، فهل هذا فتح أم لا؟! فتح عظيم.

وهناك فتح آخر، فقد كان لا يستطيع أحد من المسلمين - حتى اللذين هم من مكة - أن يذهب إلى مكة، لأن الكفار لن يتركوه، لكن عندما حدثت الهدنة بدأ المسلمون من أهل مكة يذهبوا إلى أقاربهم في مكة، ويجلسون معهم ويتكلمون معهم بهدوء وسكينة، فأغلبهم اقتنع بالإسلام ودخل في دين الله تبارك وتعالى، لأن العند هو الذي كان يمنعهم من الدخول في الإسلام، فعندما حدث الوصل وبدأ هذا يذهب، وهذا يأتي دخلوا في دين الله تبارك وتعالى أفواجا، ولم يتبق إلا أقل القليل.

حضرة النبي ﷺ مرسل للناس كافة: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ ﴾ (٢٨سبأ)

فانتبهز حضرة النبي ﷺ هذه الفرصة، وأرسل رسائل لكل الدول التي حوله، فأتي بجماعة من أصحابه، ووزع عليهم الرسائل، أنت تأخذ رسالة لملك الروم تدعوه للإسلام، وأنت تأخذ رسالة لملك الفرس تدعوه للإسلام، وأنت تأخذ رسالة لملك الحبشة تدعوه للإسلام، وأنت تأخذ رسالة وتذهب لملك مصر تدعوه للإسلام، وأنت تأخذ رسالة وتذهب لملك عمان وتدعوه للإسلام، ستة رسل.

هذه البلاد التي يذهبون إليها لا يوجد فيها بلدة تتحدث باللغة العربية، وكل بلد لها لغتها، فكلّموا حضرة النبي فطمأهم، وكل شخص أخذ رسالته، واتفقوا أن يذهب كل واحد منهم بعد صلاة الفجر إلى جهته، ففوجئوا عند اليقظة من النوم أن كل واحد منهم يتقن لغة البلد التي هو ذاهب إليها كأنه من أهلها!! فلم يأخذ درس ولا دورة ولا معلم ولا أي شيء، فمن الذي علّمه؟ العليم تبارك وتعالى.

فبلغ حضرة النبي ﷺ الرسالة إلى كل من حوله لأنه تفرغ لدعوة الله، فعندما كانت الحرب مستمرة كان لا يوجد عنده أي فرصة، فكان دائماً يجهز الجيش ليصد هجوم أعداءه، ولا يوجد وقت، لكن بعد الهدنة أصبح الوقت متاح لفتح لكل الجهات التي حول الجزيرة العربية للدخول في دين الله تبارك وتعالى أفواجاً.

بركة الرضا بالأقدار

سيدنا عمر ؓ لما قرأ بنود الصلح، ووجد الشرط الذي ذكرناه؛ أن الذي يدخل من الكفار في الإسلام ويأتي المدينة يردوه لهم، والمسلم الذي يشرك ويذهب إلى مكة لا يردوه، فقال لرسول الله:

{ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَهُمْ عَلَى الْبَاطِلِ؟ قَالَ: بَلَى، فَقَالَ: أَلَيْسَ قَتَلَانَا فِي الْجَنَّةِ وَقَتْلَاهُمْ فِي النَّارِ، قَالَ: بَلَى، قَالَ: فَعَلَيْ مَا نُعْطِي الدِّيَّةَ فِي دِينِنَا، أَنْرَجِعُ وَلَمَّا يَحْكُمُ اللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ!، فَقَالَ: يَا ابْنَ الْخَطَابِ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ وَلَنْ يُضِيعَنِي اللَّهُ

وهذه التي يعلمها لنا حضرة النبي لكي نسير على نهجها (إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ وَلَكِن يُضَيِّعُنِي اللَّهُ أَبَدًا) أنا متوكل على الله وهو لا يضيعني أبداً، لأن الذي أسلم وخرج من مكة وسيرجه حضرة النبي لن يرضي أن يذهب إلى مكة مرة أخرى، وسيذهب إلى أي مكان آخر، والذي يترك الإسلام ويرجع ماذا نصنع به؟! ، فكونه أنه ترك الإسلام بعدما أسلم لا نحتاج إليه.

ولذلك الذي حدث أن رجل من مكة اسمه أبو بصير، أسلم وذهب إلى حضرة النبي في المدينة، فأخبره النبي بالعهد والشرط، ولا بد من الوفاء به، لأن حضرة النبي يعلمنا أن نوفي بالعهد.

فماذا يصنع الرجل؟! أيرجع مكة؟ سيقتلونه أو يجسوه ويعذبوه، فأتي على طريق التجارة بين مكة وبلاد الشام، وأقام في مكان على البحر الأحمر، وكل رجل يخرج من مكة مسلماً وحضرة النبي يرده يذهب إلى أبو بصير ﷺ و أرضاه، وكثر عددهم إلى أن وصلوا إلى ثلاثمائة رجل، فصنعوا رعباً لتجارة أهل مكة، لأن هذه طريق تجاراتهم، فكل تجارة ذاهبة إلى الشام، أو قادمة من الشام يأخذونها، إلى أن استغاث أهل مكة، وأرسلوا وفداً للمدينة وأعلنوا تنازلهم عن هذا الشرط، حتى يرد هؤلاء الرجال إلى المدينة.

حتى نعلم أن الرضا بالأقدار فيه حسن الاختيار لنا من الواحد القهار ﷻ، من الذي طلب الغاء هذا الشرط؟ هم مع أنهم كانوا متعنتين فيه، وذهب هؤلاء مرة أخرى إلى حضرة النبي ﷺ في المدينة المنورة.

فتح المغفرة

وكان من جملة هذا الفتح؛ فتح أعظم آخر: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ وهل يوجد فتح أعظم من هذا؟! سيغفر الله لك كل الذي مضى، وكل الذي يأتي، لكن النبي ليس له ذنوب!، إذاً ذنوب من هذه؟ هذه ذنوبنا نحن؛ ذنوب أمته، فقد قال

له: ﴿وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيَاكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ (١٩٠) أنت تستغفر لهم.

وإياكم أن تعتقدوا أن أمة النبي من أول بعثته النبي ﷺ، بل أمة النبي من أول آدم إلى قيام الساعة، لأن آدم وما بعده من الأنبياء نواب عن حضرته، حتى أن آدم عليه السلام لما خالف أمر الله وأكل من الشجرة التي نهاه الله عنها أهبط إلى الأرض، فأخذ يبكي واشتد بكائه حتى ألهمه الله ﷻ بشيء فيه توبته فقال كما أخبر سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ عن سيدنا رسول الله ﷺ:

{ يَا رَبِّ، أَسْأَلُكَ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ لَمَا غَفَرْتَ لِي، فَقَالَ اللَّهُ: يَا آدَمُ، وَكَيْفَ عَرَفْتَ مُحَمَّدًا وَلَمْ أَخْلُقْهُ؟ قَالَ: يَا رَبِّ، لِأَنَّكَ لَمَّا خَلَقْتَنِي بِيَدِكَ وَنَفَخْتَ فِيَّ مِنْ رُوحِكَ رَفَعْتَ رَأْسِي فَرَأَيْتُ عَلَى قَوَائِمِ الْعَرْشِ مَكْتُوبًا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، فَعَلِمْتُ أَنَّكَ لَمْ تُضِفْ إِلَيَّ اسْمَكَ إِلَّا أَحَبَّ الْخَلْقِ إِلَيْكَ، فَقَالَ اللَّهُ: صَدَقْتَ يَا آدَمُ، إِنَّهُ لِأَحَبُّ الْخَلْقِ إِلَيَّ ادْعُنِي بِحَقِّهِ، فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ وَلَوْلَا مُحَمَّدٌ مَا خَلَقْتُكَ } ١٣٤

وفي بعض الأثر: (ما نظرت إلى شيء في الجنة إلا ووجدت اسمه بجوار اسمك) الشجر مكتوب عليه (لا إله إلا الله محمد رسول الله) وصدور الحور العين مكتوب عليها (لا إله إلا الله محمد رسول الله) وكل شيء في الجنة مكتوب عليه: (لا إله إلا الله محمد رسول الله).

ولذلك بعض المفسرين قالوا في قول الله: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ ذنب آدم، فالله غفره من أجل رسول الله ﷺ، وهذا تحديد بسيط، لكن كل ذنوب السابقين واللاحقين لا تغفر إلا ببركة النبي المصطفى ﷺ

أما بالنسبة لنا فقال:

{ حَيَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ تُحَدِّثُونَ وَيُحَدِّثُ لَكُمْ، وَوَفَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ تُفْرَضُ عَلَيَّ أَعْمَالِكُمْ، فَمَا رَأَيْتُ مِنْ خَيْرٍ حَمَدْتُ اللَّهَ عَلَيْهِ، وَمَا رَأَيْتُ مِنْ شَرٍّ اسْتَغْفَرْتُ اللَّهَ لَكُمْ } ١٣٥

يطلع على ملفاتنا، لأن المحامي الذي يدافع في قضية لا بد أن يطلع على الملف،

١٣٤ الحاكم في المستدرک والطبرانی عن عمر بن الخطاب ﷺ
١٣٥ مسند البزار واتحاف المهرة عن عبد الله بن مسعود ﷺ

والحامي لكل الأمة المحمدية هو سيدنا رسول الله، فلا بد أن يري الملفات وما فيها.

فيا فرحتنا باستغفار النبي لنا، وخاصة أن الله وعده في هذه الآية بقبول هذا الاستغفار ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ أليس هذا وعد من الله؟! فهذا فتح من أعظم الفتح، عمّ الأمة كلها من آدم إلى يوم الدين، ونحن - والحمد لله - فيه داخلين، وبه مشمولين، فضلا من الله رب العالمين.

تمام النعمة

وهل هذا فقط؟ لا، هناك فتح أعظم: ﴿وَيُتِمَّرَ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ﴾ سيتم عليك النعمة، وتمام النعمة المذكور في القرآن، لأن النبي طلب من الله شيئا، وكان دائما على لسانه أمتي أمتي، فأنزل الله سيدنا جبريل إليه فقال له:

{ يَا جِبْرِيْلُ، اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ، فَقُلْ: إِنَّا سَنَرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ وَلَا نَسْؤُوكَ } ١٣٦

ولم يسكت وظل يقول أمتي أمتي، ولم يقل نفسي أو أهلي بل أمتي أمتي، فأنزل الله تبارك وتعالى له: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ (الصحى) سيعطيك كل ما تريده للأمة إلى أن ترضى.

لكن نحن لم نأخذ بالنا، فنريد من الله أن يعطينا ما نريده في الدنيا من عمارات وأرض ومال وأشياء من هذا القبيل، وهذه يعطيها للكفار والفجار والكل، وحضرة النبي قال:

{ إِنَّ اللَّهَ يُعْطِي الدُّنْيَا لِمَنْ يُحِبُّ وَمَنْ لَا يُحِبُّ، وَلَا يُعْطِي الدِّينَ إِلَّا مَنْ يُحِبُّ، فَمَنْ أَعْطَاهُ اللَّهُ الدِّينَ فَقَدْ أَحَبَّهُ } ١٣٧

فوعده الله سبحانه وتعالى بأن يعطيه حتى يرضى، سيدنا الإمام جعفر الصادق ؑ وكان فقيه آل البيت قال: (ولئن يرضى الله وواحد من أمته في النار).

ولذلك يوم القيامة - من تمام النعمة - أن أعطاه الله الشفاعة العظمى، فيذهب

١٣٦ صحيح مسلم وابن حبان عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما

١٣٧ شعب الإيمان للبيهقي عن عبد الله بن مسعود ؓ

الناس للأنبياء عند كرب الحساب فآدم يقول ليس لي شأن، ونوح يتنصل، وموسي وإبراهيم والكل، وفي النهاية يقولوا لهم عيسي اذهبوا إلى محمد، فيذهبون إليه فيقول:

{ أَنَا لَهَا ، فَاسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فَيُؤْذِنُ لِي وَيُلْهِمُنِي مَحَامِدَ أَحْمَدُهُ بِهَا ، وَأَخْرَلُهُ سَاجِدًا ، فَيَقُولُ : يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ ، وَقُلْ يُسْمَعُ لَكَ ، وَاسْأَلْ نِعْطَ ، وَاشْفَعْ تُشْفَعُ } ١٣٨

يلهمه الله بمحامد في تلك الساعة، ولم يذكرها لأننا لا نستطيع أن نعقلها، فيأخذ إذن في الشفاعة لمن يريد، ومن رحمته وشفقته وحنانته صلوات ربي وتسليماته عليه يقول:

{ شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكِبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي } ١٣٩

يريد أن يشفع في الذين دخلوا جهنم، ويخرجهم منها، ولا يرتاح إلى أن لا يبقى واحد من الأمة في النار، لماذا؟ من شدة الحنان والرحمة التي قال الله لنا فيها في القرآن: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (١٢٨ التوبة).

فالفتح الأعظم؛ الشفاعة والعطاء وقبول الدعاء وتحقيق الرجاء لسيد الرسل والأنبياء، وهو كان لا يطلب شيئاً لنفسه وإنما يطلب للأمة.

نعمة الهداية

﴿ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴾ وهذا أيضا من أكبر الفتوحات، فكل من كان قبله بدّلوا وغيروا في كلام الله الذي نزل على أنبيائهم، وحرّفوا الأحكام الذي أمرهم بها الأنبياء، لكن الدين الوحيد المحفوظ هو دين الإسلام، والكتاب الوحيد المحفوظ هو القرآن: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (٩ الحجر)

وتعجب كيف حفظ الله القرآن، لأن عندما نزل على حضرة النبي لم يكن هناك ورق، فكان يكتبون الآية على جلد، أو على عظمة، أو على جزع شجرة، ولذلك القرآن الذي جمعه سيدنا أبو بكر ووضعها عند السيدة حفصة بنت سيدنا عمر كان يملأ مثل هذا المسجد

١٣٨ البخاري ومسلم عن أنس ؓ
١٣٩ جامع الترمذي وأبي داود عن أنس ؓ

وأكثر، وكانت خطوطهم لا يوجد فيها نقط نهماياً، فالسين مثل الشين، والباء مثل التاء والثاء، والصاد مثل الضاد، والطاء مثل الظاء، والنقطة أتى بعد ذلك بمائة سنة، لكن هل وجدت شخص حرّف آية عن ما نزلت به من عند الله؟ لم يحدث، لم يزد ولم ينقص حرفاً، الحرف الذي وضع كما هو.

صرّح بعض الصالحين وهذه من علوم المكاشفة، فقد كان لا يوجد مطابع، وكانوا يكتبون المصحف بخط اليد، بالريش والدواوية، وهل يوجد شخص يكتب صفحة بيده من غير أن يسهوا بها في شيء؟ لا، فقال الرجل الصالح: كان الله ﷻ يجعل الملائكة تمسك بأيدي كاتبي القرآن حتى لا يتغير منه حرف عن ما أنزله الرحمن.

فلو تركنا الناس كما هي، وأي إنسان سيكتب المصحف هل سيخطئ أم لا؟! هل يستطيع أن يكتب صفحة كاملة من دون خطأ؟! لن يستطيع، سينسى نقطة، أو حرفاً، أو كلمة، لكن كيف وصل القرآن إلينا مكتوباً بخط اليد من غير طباعة ولا ورق؟! لأنه محفوظ بحفظ الحفيظ تبارك وتعالى، فهذه عناية الله بهذه الأمة.

حضرة النبي ﷺ ظهر عليه من المعجزات أكمل وأتم مما ظهر على جميع أنبياء الله ورسله، ولو طالع أحدكم المراجع الكبيرة من السيرة العطرة سيجد أكثر من ثلاثة آلاف معجزة لرسول الله ﷺ، وهذا ما أحصوه فقط، فهناك معجزات لم يحصوها عن رسول الله ﷺ.

الأُمم التي قبلنا رأوا معجزات صغيرة على يد أنبيائهم:

فقال بعضهم هذا إله، وقال الثاني هذا ابن الإله وقال الثالث حل فيه، لكن أمة سيدنا محمد لا يوجد فيها أحد زاد على حضرة النبي أنه عبد الله ورسوله، وقبل أن يقول رسوله يقول عبده، (وأشهد أن محمداً عبده ورسوله) الأول عبد الله تبارك وتعالى، وليس لي شأن بالمختلين عقلياً أو المرضى نفسياً.

فلا يوجد أحد من العقلاء أبداً من الأمة المحمدية من البداية إلى النهاية زاد عن البشرية للذات المحمدية!!!

ولكن مثلما قال بعض الصالحين: عبد علمه مولاه، عبد أكرمه مولاه، عبد تولاه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴿١﴾
لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ
وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ
وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٢﴾
وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيمًا ﴿٣﴾ هُوَ
الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ
الْمُؤْمِنِينَ لِيَزِدُوا إِيمَانًا مَعَ
إِيمَانِهِمْ ۗ وَاللَّهُ جُنُودُ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا

﴿٤﴾ لِيُدْخَلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ
جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفَّرُ عَنْهُمْ
سَيِّئَاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا
عَظِيمًا ﴿٥﴾ (الفتح)

٩. الفتح ١٤٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - نستفتح كنوز الفتح بخير مفتاح أنزله الفتح، وهو الصلاة على النبي ﷺ في المساء والصباح والغدو والرواح، اللهم صلِّ وسلم على مَنْ منه انشقت الأسرار، وانفلقت الأنوار، وزُيِّت الكواكب والدينا والجنة بزينة الواحد القهار؛ سيدنا محمد وآله الأطهار، وصحابته الأبرار، والفانين في دعوته إلى يوم القرار، واجعنا منهم أجمعين بمنك وبفضلك وجودك يا عزيز يا غفار.

﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾ (إنا) من هم؟ حضرة الحق، إنا بجمع أسمائنا وصفاتنا وجلالنا وجمالنا وعزتنا وكبريائنا فتحنا لك فتحًا مبينًا، وهذا الفتح الذي فتحه الله لحبيبه ومصطفاه ومحله قلبه الذي طهره الله وجعله طورًا للتجلي والمناجاة، هل يستطيع أحد أن يعرفه أو يشير إليه من خلق الله؟ كلا وألف كلا.

﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴾ (١٠ النجم) ماذا أوحى؟! ومن الذي يعرف من السابقين أو اللاحقين؟! لا يوجد أحد، لأن الوحي هنا: ﴿ مَا كَذَّبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴾ (١١ النجم) مشاهدات وتجليات ونحن ليس معنا الآلات التي ندرك بها المشاهدات والتجليات، فهذه خصوصية سيدنا رسول الله ﷺ.

وجعله فتحًا مبينًا أي واضح كل الوضوح ليس فيه ألغاز، لكي يجمله الله ﷻ بجمال اسمه الغفار: ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ﴾ (٨٢ طه) ومثلها أيضاً: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾ (٦٤ النساء) لوجدوا الله وليس أنت، بمعاني التواب، ومعاني الرحيم.

فجمله الله ﷻ بجمال اسمه العفو، واسمه الغفور، واسمه التواب، واسمه الرحيم أكرامًا لنا معشر المؤمنين، لما لنا عند الله من الفضل الكبير المبين.....، لكي نعرف معزتنا عند الله تبارك وتعالى.

لا يعرف النبي إلا من أعزه العلي، وأصبح له مقام عزة عند الله: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (٨ المنافقون) والذي لم يعرف النبي - وإن كان يملك الدنيا بما فيها ومن فيها من أولها إلى آخرها - فإنه يموت ذليل ويحيا يوم القيامة ذليل بين يدي الجليل ﷺ، فهذه عزة الله التي أعطاها لنا الله ﷻ.

﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ ذكرنا وجه منها، وهي فيها وجوه لا تعد، ومن جملة الوجوه أن يعصمك الله من الوقوع في الذنب، فلا تحتاج إلى استغفار لأنه عصمك، والعصمة للأنبياء، والحفظ للأولياء.

﴿وَيُنِمَّرْ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ﴾ وتمام النعمة سيكون في هذا الزمان إن شاء الله؛ بأن يحقق الله قوله في كتاب الله: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ (٢٨ الفتح) سيظهر الإسلام على كل الأديان، فهذه بشرى الله حبيب الله ومصطفاه ﷺ في كتاب الله، ولذا قال ﷺ متحدثاً عن آخر الزمان:

{ وَثُمَّلَا الْأَرْضُ مِنَ الْإِسْلَامِ، وَيُسَلَبُ الْكُفَّارُ مُلْكُهُمْ، وَلَا يَكُونُ مُلْكٌ إِلَّا لِلْإِسْلَامِ }^{١٤١}

إذا كان آخر الزمان أفنى الله جميع الملل والتحل ولم يبق إلا الإسلام، وجائز وهذا عن قريب إن شاء الله:

في عن قريب يظهر النصر الجلي والكفر يمحي والدماء بنا تعوم
قد كان طه قبلنا في شدة بين العدا والحق ملكه العموم

فسيحده مثل الذي حدث قريباً إن شاء الله رب العالمين، وأيضاً كما بشرناكم أن مصر كذلك - والحمد لله - سيجعلها الله ﷻ كما كانت تعطي أغنياء الخليج الذين سيصيروا فقراء، ويغنيها بما الله عن جميع الأعداء والأشقاء، بفضل الله وإكرام الله، وبركة سيدنا رسول الله ﷺ.

ولو أنكم تتابعون على أنت أقوال العلماء الكبار تعرفون هذه الحقيقة، فيوجد ما

١٤١ مسند الروياني عن أبي إمامة ﷺ

يسمى بـ (تسونامي) حدث من عدة سنوات بين اليابان واندونيسيا والفلبين، وهو مسلط بأمر الله، فأقي على الجزيرة العربية ونقل البترول والغاز الطبيعي من تحتها وجاء به إلى مصر، ولذلك بدأ يظهر الآن، وقد ذكروا أن الدلتا كلها عائمة على غاز طبيعي، وليس في البحر فقط، وهذا غير البترول، وغير الذهب فقالوا أن هناك خمسة وثلاثين منجم ذهب في مصر، والذي يعمل منهم واحد فقط، فما بالك إذا اشتغل الباقي؟!.

فالخير قادم ولكن يحتاج إلى الصبر الجميل والعمل، وعدم اليأس من رحمة الله، فالشباب الذي استلان البطالة وارتاح لها لم يعد يصلح لشيء أبداً، ولنا أسوة في رسول الله وصحبه الكرام، فكانت حياتهم كلها جهاد في جهاد، فنحتاج إلى ذلك من أجل:

﴿ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴾ ومن أجل: ﴿ وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيمًا ﴾ ونصر الحبيب هو نصر أمته في كل المعارك، وفي كل الجولات قديماً وحديثاً، فهناك نصر سيتحقق لنا على اليهود، ومن يعاون اليهود، ومن يساند اليهود، وكل من يعادي الإسلام سيمحق بهزيمة من عند الله تبارك وتعالى

فعندما نزلت هذه الآيات على حضرة النبي، من عجب القرآن والذي أشار إليه سيدنا أبو بكر رضي الله عنه، وهو كان حكيماً عليماً بالإشارات:

كم جاهل نال علماً من مجالسهم أضحي حكيماً عليماً بالإشارات
أضحي ولياً له قلب ومعرفة يري النبي عياناً حال خلوات

فسيدنا أبو بكر كان من كبار أهل العلم الإشاري، فقال: (يا رسول الله ما خصك الله بشرف في كتاب الله إلا وقد أشركنا فيه) لأنه يعلم أن سيدنا رسول الله كان حريصاً على أمته صلوات ربي وتسليماته عليه.

سيدنا إبراهيم سأل لنفسه فقط: ﴿ وَلَا تَحْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴾ (٨٧ الشعراء) لم يقل أنا وابني إسماعيل، أو أنا وابني إسحاق وهؤلاء أنبياء، أو أنا وأمتي، لكن الله يقول للنبي ﷺ: ﴿ يَوْمَ لَا تَحْزَى اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ ﴾ (٨ التحريم) من الذين آمنوا معه؟ كل الذين آمنوا معه من البدء إلى الختام، هل نحن في هذه الآية؟ نعم، وبذلك قد ضمنا - والحمد لله - عدم الحزني والفضيحة يوم القيامة.

السكينة

فقال أصحاب النبي ﷺ عندما تلا عليهم مقدمة هذه السورة التي شرحناها الآن: يا رسول الله هذه لك فماذا لنا؟ فأنزل الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أدخل معه المؤمنين، فرسول الله فتح له الله فتحاً ميبئناً، وأنزل على المؤمنين السكينة، والسكينة في قلوب المؤمنين تجعل القلب يطمأن بالله، ويعتمد في كل أحواله على حضرة الله، ويتوكل في كل أموره على مولاه، ولا يخشى في الكونين أحد سواه: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَخَشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾ (الأحزاب).

هذه السكينة ما هيئتها؟ هي شيء ينزل من عند علام الغيوب في القلوب، ولا يرى أحد ما في القلوب!! لذلك لا بد أن نُسلم علمه لحضرة علام الغيوب، لكن تظهر آثاره عند الذين ينزل الله عليهم السكينة.

لماذا ينزل الله عليهم السكينة؟ ﴿لِيَزِدَّادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾ ينتقلوا، يعني إذا كانوا في مقام الإسلام يرتقوا إلى مقام الإيمان، وإذا كان الواحد منهم في مقام الإيمان يرتقي إلى مقام الإحسان، وإذا كان الواحد في مقام الإحسان يرتقي إلى مقام الإيقان، وإذا كان في مقام علم اليقين يرتقي إلى مقام عين اليقين، وإذا كان في مقام عين اليقين يرتقي إلى مقام حق اليقين.

فالدراجات التي يرتقي فيها المؤمنون والمؤمنات تحصل بالسكينة التي تنزل على قلوبهم وخاصة عند الشدائد والنوازل، لماذا أقول هذا الكلام؟ إياك يا أخي نفسك تضحك عليك وتحضر لك الهلع والفرع والجزع والشك والارتباب عند نزول نازلة تمزك، لأن الله ما أنزل لك أمر إلا ليرفعك، فلا بد من ذلك ليرفعك، قال ﷺ:

{ إِنَّ اللَّهَ لَيَكْتُبُ لِلإِنْسَانِ الدَّرَجَةَ العُلْيَا فِي الجَنَّةِ، وَلَا يَكُونُ لَهُ مِنَ العَمَلِ مَا يَبْلُغُهَا، فَلَا يَزَالُ يَبْتَلِيهِ اللَّهُ حَتَّى يَبْلُغَهَا } ١٤٢

وفي رواية أخرى:

{ إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيَبْتَلَىٰ بِالْبَلَاءِ، وَذَلِكَ مِنْ كَرَامَتِهِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَإِنَّهُ لَيُبْتَلَىٰ بِالْبَلَاءِ حَتَّىٰ يَنَالَ مِنْهُ مَنْزِلَةٌ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى، لَا يَنَالُهَا دُونَ أَنْ يُبْتَلَىٰ بِذَلِكَ، فَيُبَلِّغُهُ اللَّهُ تَعَالَى تِلْكَ الْمَنْزِلَةَ } ١٤٣

الله ﷻ يرفع العبد المؤمن بالبلاء الدرجة في الجنة، لا ينالها بشيء من عمله، ونحن جميعاً لو وضع عملنا على الميزان الحساس الدقيق لرب العزة سيُلقي به في وجوهنا!! مَنْ فينا يحضر في الصلاة حضوراً كاملاً!! لا يوجد! والله يحبنا ويريد أن يرفع قدرنا، فماذا يفعل؟ يبتلينا لكي يرفع شأننا، والمطلوب الرضا بالأقدار التي يجربها علينا حضرة علام الغيوب، فلا أسخط، ولا أشكو الله إلى خلق الله، ولا أظهر لمن حولي ضيقاً، ولا عندما أراهم أتأفف، ولا آخذ موقفاً منهم، لأنه لا دخل لأحد في الأقدار.

فمُقَدِّر الأقدار إذا قَدَّر قدرًا هل يستطيع جميع الخلق - لو وقفوا - أن يمنعه!! لا، لو قَدَّر الله ﷻ مولوداً من رجل وامرأة وحاولنا بكل السحرة الموجودون في الدنيا، وكل الأطباء الموجودون في الدنيا هل نستطيع أن نمنعه!! لا، لأنه إذا قَدَّر القدير انتهى الأمر.

رجل قَدَّر له القدير أن يتزوج فلانة، من الذي يستطيع أن يقف في طريقه!! لا يستطيع أحد ما دام قَدَّر مقدر الأقدار ﷻ، فما الذي علينا؟ نرضى بمر القضاء كما وصفه سيد الرسل والأنبياء ﷺ.

فالسكينة والطمأنينة ورفع الدرجات تكون من الله في قلوب المؤمنين بالثبات عند الشدائد والملمات، ولذلك كان أصحاب حضرة النبي ﷺ غيرنا، لو كان واحد منهم يسير في الطريق وعثر، فيهنونه لأنه نال درجة عند الله، لكن لو حدث ذلك في هذه الأيام يقولون له: ما الذنب الذي ارتكبته اليوم؟! لكن الذنب إذا كان كافر أو نافر، لكن المؤمن ليس له شأن بذلك.

وانظر إلى الصحابية التي تزوجت من رجل وظل معها عدة سنوات لا يشتكي وجع، ولا يصاب بألم، وهو صحيح سليم، وفي النهاية قالت له يا فلان هيا بنا نذهب لتنتلق، وهما

يسيران عشر زوجها في الطريق، فقالت له هيا بنا نرجع! ما الأمر؟ قالت أنت في السنين التي مرت لم تُصب بأي ألم، فقلت أن الله لا يذكرك، وافتكاره رحمة، وعندما عثرت عرفت أن الله تبارك وتعالى تذكرك، فرأيت أن الأمر لا يستدعي الفراق.

فالثبات عند النوازل والشدائد هو حال المؤمنين، وإذا كان المؤمنين لهم مقام كريم عند الله؛ كلما زادت درجة المؤمن كلما زاد أعداؤه أكثر من أحبائه، هل يوجد أعظم عند الله من الأنبياء؟ لا، لكن قال الله فيهم: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ﴾ (٣١ الفرقان) فهذه سنة الله، ولأن النبي لا يركن إلا لهؤلاء.

سيدنا رسول الله ﷺ عندما سلط عليه أبو جهل قال كما ورد في بعض الأثر: (فرعوني أشد علي من فرعون أخي موسى عليه) كان أشد في الظلم والشدّة على رسول الله. فكلما زاد الإنسان في الدرجات زاد الحساد، والحسد يأتي بعده الأحقاد، والأحقاد تولد العدا، هذا أمر مفروغ منه، لأن هذا أمر خص الله به الأحياء.

جند الله

لكنه يعرفهم أنه لو اجتمع عليهم كل من في الأرض يكونوا واثقين أن لهم النصر ولو بعد حين، لماذا؟

﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ :

جنود السماء والأرض كلها التي يحركها الله، جنود السماء مثل الصواعق، ومثل الفيضانات التي تؤدي إلى الغرق مثل طوفان سيدنا نوح، وفيها جنود الله، واحد منهم وهو سيدنا جبريل لما ضاق لوط بقومه وكانوا سبعة مدن، مكان الأردن الآن، فحملها سيدنا جبريل السبعة مدن بأناسها وحيواناتهم وكلابهم وكل ما يملكون على ريشة من جناحه، حتى وصلوا إلى السماء وسمعت الملائكة أصوات الديكة وصياحها، ونباح الكلاب، وقلبهم، وأصبح مكانهم - كما نرى الآن - بجرأ ميتا ليس به أحياء أبداً، فلا يوجد به سمك صغير ولا كبير، ولا أحياء، ولا يستطيع أحد من الأحياء أن يعيش فيه، لماذا؟ عظة وعبرة من الله تبارك وتعالى.

وهناك جماعة أخرى أهلكهم بالصيحة، فلما سمعوا الصيحة ماتوا جميعاً، فهذا ملك واحد من ملائكة السموات التي يقول فيها ﷺ:

{ مَا فِي السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ مَوْضِعٌ قَدَمٍ وَلَا شِبْرٍ وَلَا كَفٌّ إِلَّا وَفِيهِ مَلَكٌ قَائِمٌ أَوْ مَلَكٌ رَاكِعٌ أَوْ مَلَكٌ سَاجِدٌ } ١٤٤

هذه جنود السموات، وجنود الأرض الزلازل والبراكين، وكل أنواع القلاقل التي تحدث على وجه الأرض إذا أراد مكون الأكوان سبحانه وتعالى أن ينصر جنده وعباده المؤمنين.

وأنتم تعلمون أنه نصر النبي بشيء مثل ذلك، فعندما تجمع الأحزاب حول المدينة، وكانوا أكثر من عشرة آلاف، ونصبوا خيامهم، فما الذي جعلهم يغادرون؟

سَلَّطَ اللَّهُ ﷻ الْأَرْضَ عَلَيْهِمْ فَأَظْلَمَتْ حَتَّى لَا يَرَى الْإِنْسَانُ كَفَّ يَدِهِ، وَسَلَّطَ عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الشَّدِيدَةَ فَقَلَعَتْ خِيَامَهُمْ، وَقَلَعَتْ الْأَوْتَادَ الْمُرْبُوطَ فِيهَا إِبْلَهُمْ وَأَفْرَاسَهُمْ، وَسَيَّرَتْ الْفَرَسَانَ وَالْجُمَالَ هَائِجَةً تَدُوسُ عَلَيْهِمْ، وَأَصْبَحَ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ لَا يَعْرِفُ مَنْ مَعَهُ مِنْ ضَدِّهِ، فَأَمْسَكُوا السِّيُوفَ وَأَخَذُوا يَضْرِبُونَ بَعْضُهُمْ فِي الظُّلَامِ، وَهَذِهِ فِي غَزْوَةِ الْأَحْزَابِ، بَدُونَ حَرْبٍ وَلَا كَرٍّ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ.

﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾

اللَّهُ ﷻ يَتَصَرَّفُ فِي كُلِّ أَمْرٍ بِالْعِلْمِ وَالْحِكْمَةِ، وَعَلِمَهُ لَا يَحِيطُ بِهِ أَحَدٌ، وَحِكْمَتَهُ لَا يَدْرِكُهَا أَحَدٌ، فَعَلِينَا أَنْ نَسَلِّمَ لِلوَاحِدِ الْأَحَدِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي كُلِّ شَيْءٍ وَفِي كُلِّ أَحْوَالِهِ.

صحيح كل واحد منا يريد أن الدنيا تسير كما يريد، وسيدنا أبو الدرداء كان مثلنا؛ يريد أن تسير الدنيا كما يريد، فكان سيدنا أبو الدرداء كلما يسير في طريق لا يجد ما يبيغيه، فقال بيت جعله حكمته يرددها على الدوام:

يُرِيدُ الْمَرْءُ أَنْ يُعْطِيَ مِنْهَا وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا مَا يُرِيدُ

كل واحد يتمنى كذا وكذا، لكن ماذا يأخذ؟ يأخذ الذي قدره القدير، والذي دبره المدبر اللطيف الخبير تبارك وتعالى.

١٤٤ معجم الطبراني عن جابر بن عبد الله ﷺ

إذا المؤمنين ساروا على هذه الأمور ماذا لهم عند الله؟

﴿ لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ ﴾ :

وليس جنة واحدة، كل واحد له جنات هنا، فالذي يخاف من الله له من الجنات أربعة: ﴿ وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ﴾ (٤٦ الرحمن) ثم عاد وقال: ﴿ وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّاتٍ ﴾ (٦٢ الرحمن) وحضرة النبي قال فيهم:

{ جَنَّاتٍ مِنْ فِضَّةٍ أُنِيبَتْهُمَا وَمَا فِيهِمَا ، وَجَنَّاتٍ مِنْ ذَهَبٍ أُنِيبَتْهُمَا وَمَا فِيهِمَا } ١٤٥

فالذي يخاف من الله له أربعة جنات، وليس هؤلاء فقط!! فالجنات بغير حساب:

﴿ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ :

لا ينزل مطر من السماء على هضبة أو جبل ويجري في أخدود، بل الأنهار تجري تحت الجنة مع بعضها ولا تختلط مع بعضها: ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى ﴾ (١٥ محمد) يسيروا مع بعضهم في مجرى واحد، ولا يختلط أحدهم بالآخر، فهذه قدرة القادر تبارك وتعالى.

هذه الجنة عقد الإيجار بها لمدة كم سنة؟ ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا ﴾ لا يخرج منها أبداً، فهي تملك: ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿ (المؤمنون) يخرج لكل واحد منهم عقد تملك: ﴿ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴾ لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَةً ﴿ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿ فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ ﴿ وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ ﴿ وَمَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿ وَزُرَابٌ مَبْثُوثَةٌ ﴿ (الغاشية) وكما قال ﷺ:

{ فِيهَا مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ } ١٤٦

وماذا لهم أيضاً؟

﴿ وَيُكَفِّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ﴾ :

١٤٥ البخاري ومسلم عن عبد الله بن قيس ﷺ

١٤٦ صحيح مسلم ومسنند أحمد عن سهل بن سعد ﷺ

لم يقل يغفر، لأن كلمة (يُكْفِر) معناها يستر، أي يمسحها، فالذي كتبه الحفظة في الملفات التي معهم لا يجدوه، والأرض تصور كل شيء يحدث عليها بالصوت والصورة، فتأتي الأرض لتعرضه فلا تجده، والجوارح كذلك تسجل بالصوت والصورة، فكل شيء عملته اليد من ساعة البلوغ إلى ساعة الموت مسجل في الأيدي بالصوت والصورة، لا تقل أين هذا؟!

فهذا علم إلهي غيبي لكنه موجود، وتأتي هناك لتظهر هذه الأشياء كلها: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ﴾ (٢٤ النور) كلهم سيشهدون!!!!، لكنهم لا يجدون شيئاً، قال ﷺ:

{ إِذَا تَابَ الْعَبْدُ مِنْ ذُنُوبِهِ أَنْسَى اللَّهُ حَفَظَتَهُ ذُنُوبَهُ، وَأَنْسَى ذَلِكَ جَوَارِحَهُ، وَمَعَالِمَهُ فِي الْأَرْضِ، حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَيْسَ عَلَيْهِ شَاهِدٌ مِنَ اللَّهِ بِذَنْبٍ }^{١٤٧}

لا يوجد أعظم من هذا الفضل الإلهي:
﴿وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا﴾

أعظم الفلاح والنجاح يوم القيامة أن لا يوجد ذنب نحاسب عليه، ولا نعاير بين الخلق به، وبعد ذلك يدخلنا الجنات، والجنات بركة سيد السادات، قال ﷺ:

{ مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يُدْخِلُهُ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ، قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَّعَمِدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ }^{١٤٨}

وفي رواية اخرى:

{ إِلَّا أَنْ يَتَّعَمِدَنِي اللَّهُ مِنْهُ بِرَحْمَةٍ وَفَضْلِ }^{١٤٩}

نسأل الله ﷻ أن يغفر لنا كل ما مضى، ونسأله أن يحفظنا فيما بقى

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

١٤٧ التوبة لابن عساكر عن أنس بن مالك ﷺ

١٤٨ مسند أحمد عن أبي هريرة ﷺ

١٤٩ معجم الطبراني عن طارق بن شريك ﷺ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ
بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى
الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾
مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ
أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ
تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا
مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي
وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَٰلِكَ
مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي

الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ
فَعَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى
سُقُوهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ
الْكُفَّارَ ۗ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً
وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٦﴾ (الفتح)

١٠. المعية المحمدية^{١٥٠}

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - الحمد لله الذي بشرنا في كتاب الله ببشريات عظيمة في دين الله، وبشريات كريمة لنا بأن نكون مع سيدنا رسول الله، اللهم صل وسلم وبارك على علم الهداية الربانية، ونور جميع المكنونات الظاهرة والباطنة في العوالم الإلهية؛ سيدنا مُحَمَّد وآله وصحبه وكل من مشى على نهجه إلى يوم الدين وعلينا معهم أجمعين.

كلام الله تبارك وتعالى الذي معنا اليوم ينلج الصدور، لأنها بشريات من الله تبارك وتعالى للمؤمنين، بينما كثير من المتحدثين الكافرين والملحددين والمشركين ويتابعهم ثلة قليلة من المعرضين من هذا الدين يخوضون في الإسلام، ويعلنون على الملأ أنه لا قيامة بعد الآن للإسلام وأنه في اضمحلال وإلى زوال، وإذا بالله تبارك وتعالى يبشرنا بأن كل ما في الأرض من ملل ونحل ستمحى ولا يبقى إلا الإسلام: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ﴾ لا بد أن تتحقق هذه الآية.

ولو تتبعنا التاريخ منذ عصر رسول الله ﷺ لا يوجد زمن عم الإسلام فيه الكفرة الأرضية كلها، ونحن الآن أقل في العدد من إخواننا المسحيين، هذا غير اليهود وهؤلاء قلة قليلة، ويوجد هندوس يعبدون البقر، وغيرهم، حتى أن الهند وحدها يوجد بها أكثر من خمسمائة ديانة، ديانات شتى، وكل واحد متعصب لديانته التي يؤمن بها.

بشائر الله للمسلمين

كل ما حدث في عصر رسول الله ﷺ أن الجزيرة العربية اجتمعت عليه صلوات ربي وتسليماته عليه، لكن الله يقول: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ﴾ فالنبي ﷺ بعد نزول هذه البشريات بينها ووضحها لأن كلام الله يحتاج إلى تبيان، ومن الذي أذن له الله في البيان؟ سيدنا رسول الله ﷺ، فقال ﷺ في حديثه عن آخر الزمان:

{ وَثُمَّلًا الْأَرْضُ مِنَ الْإِسْلَامِ، وَيُسَلَّبُ الْكُفَّارُ مُلْكُهُمْ، وَلَا يَكُونُ مُلْكٌ إِلَّا

للإسلام { ١٥١

إذا كان آخر الزمان - ونحن على مشارفه - أفنى الله جميع الملل والنحل، ولا يبق إلا الإسلام ... الأمريكان والإنجليز وضعوا لنا عقبة كئود في بيت الله في فلسطين، ونحن في حيرة، ماذا نفعل معها؟! لأنهم يقووها ويدعموها، لكن النبي قال:

{ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُقَاتِلُوا الْيَهُودَ حَتَّى ، يَقُولَ : الْحَجْرُ وَرَاءَهُ الْيَهُودِيُّ يَا مُسْلِمُ هَذَا يَهُودِيٌّ وَرَائِي فَأَقْتُلْهُ } ١٥٢

فالمحاولات التي يقولون فيها سلام وغيرها لن تنتهي بسلام، حتى يختبأ أحدهم وراء الحجر فينطق الحجر ويقول: يا عبد الله ورائي يهودي فاقتله، فيقتله، فحجارة فلسطين هي التي ستد لنا على اليهود الغاصبين الماكرين لعنة الله عليهم وعلى من عاونهم أجمعين.

هذه ستكون بداية النهاية لكل من ظلم المسلمين، من الذي ظلم المسلمين؟ أهل أوروبا وأهل أمريكا، فأهل أوروبا كل الأموال التي معهم والحضارة التي عندهم أتوا بها من بلادنا، فهم استعمرونا وأخذوا إرادتنا، وأخذوا ثرواتنا، وذهبوا بها كلها إلى بلادهم، ويصنعونها ويبيعونها لنا بأغلى الأثمان.

ويأتي الأمريكان - كما ترون - بالظلم الشديد، فتجدهم مع اليهود على الدوام، يسلحونهم ويساعدونهم إن كان هنا أو هنا، ويريدون دولة اليهود تظل قائمة، لكن رب العزة أكبر من كل ذلك: ﴿ وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ ﴾ (٢٠ البروج) أحاط بكل تدبيرهم وبكل خططهم وسيبطلها سبحانه وتعالى أكراما للمسلمين لأنه وعدنا بذلك: ﴿ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ (٥٥ النور) الصحابة والخلفاء الراشدين والذين كانوا معهم: ﴿ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ ﴾ (٥٥ النور) سيتمكن الدين في كل أصقاع الأرض: ﴿ وَلَيَبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ﴾ (٥٥ النور) فهذه بشارة رسول الله بالنسبة لدين الإسلام، فأبشروا يا أهل الإسلام فإن النصر في طريقه إلى ربوع المسلمين إن شاء الله رب العالمين.

١٥١ مسند الروياني عن أبي إمامة ؓ
١٥٢ البخاري ومسلم عن أبي هريرة ؓ

أحداث النهاية^{١٥٣}

إذا كان هؤلاء يفتخرون بأن عندهم القاذفات الذرية، والصواريخ عابرة القارات، وغير ذلك، لكن: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (٧الفتح) كل السموات وكل الأرض جنود لله تبارك وتعالى، ولو سلط بعضها ما بقي على الأرض شيء مما هو عليها الآن، لكن الله يعاملهم بقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَمَلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ (١١٨٣الأعراف) يملئهم لأن لله الحجة البالغة، فمن الجائز أن يفيقوا ويرجعوا، ومن الجائز أن يؤمنوا بالله تبارك وتعالى، فيتركهم لينظر ماذا يفعلون!؟.

فلماذا أعطى لهم الإلهامات والمخترعات الجهنمية وغيرها؟ قال: ﴿سَدَسْتَدْرِجُهُمْ مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١١٨٢الأعراف) فهذا استدراج، ولهذا طغوا بما ألهمهم به الله تبارك وتعالى.

لكن كل هذا لن يقف أمام المد الإلهي، وأمام الجند الرباني، وستكون النهاية أن ينتشر دين الإسلام بين ربوع جميع الأنام.

عن عمرو بن أخطب رضي الله عنه قال:

{ صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْفَجْرَ وَصَعِدَ الْمِنْبَرَ، فَحَطَبْنَا حَتَّى حَضَرَتِ الظُّهْرُ، فَنَزَلَ فَصَلَّى ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ، فَحَطَبْنَا حَتَّى حَضَرَتِ الْعَصْرُ ثُمَّ نَزَلَ، فَصَلَّى ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ، فَحَطَبْنَا حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ، فَأَخْبَرْنَا بِمَا كَانَ وَبِمَا هُوَ كَائِنٌ فَأَعْلَمْنَا أَحْفَظْنَا }^{١٥٤}

وفي رواية أخرى عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال:

{ قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَقَامًا مَا تَرَكَ شَيْئًا يَكُونُ فِي مَقَامِهِ ذَلِكَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ، إِلا حَدَّثَ بِهِ حَفِظَهُ مَنْ حَفِظَهُ، وَنَسِيَهُ مَنْ نَسِيَهُ }^{١٥٥}

ثُمَّ قَالَ حَذِيفَةُ:

{ وَاللَّهِ مَا تَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ قَائِدٍ فَنِنَةٌ إِلَى أَنْ تَنْقُضِي الدُّنْيَا يَبْلُغُ مِنْ مَعَهُ ثَلَاثَ

١٥٣ راجع كتابنا (بنو إسرائيل ووعد الآخرة) ففيه تفصيل كامل لهذا الموضوع.

١٥٤ صحيح مسلم ومسند أحمد عن عمرو بن أخطب رضي الله عنه

١٥٥ صحيح مسلم وسنن أبي داود عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه

مِائَةٌ فَصَاعِدًا إِلَّا قَدْ سَمَاهُ لَنَا بِاسْمِهِ وَاسْمِ أَبِيهِ وَقَبِيلَتِهِ { ١٥٦

وكان من ضمن الإعجاز النبوي أن سيدنا رسول الله ﷺ يُلقَى الحديث في مجلس عام، فأهل الخصوصية يثبت الحديث في قلوبهم ولا ينسوه، والآخرون يتبخر الحديث فلا يتذكروه!!.

فحدّثهم ﷺ عن كل شيء سيحدث في أمته إلى يوم القيامة، والإمام أبو داود رحمه الله وضع في نهاية كتابه الصحيح باب اسمه (الفتن والملاحم) يقصد الفتن والأحداث التي تسبق الساعة، وجمع فيه كل ما ورد عن رسول الله ﷺ عن الصحابة الأجلاء في هذا الباب، لأن سيدنا رسول الله عرفهم كل شيء.

ومن جملة هذه الأحاديث التي أشرنا إليها قال ﷺ:

{ طُوبَى لِعَيْشٍ بَعْدَ الْمَسِيحِ (أي بعد هلاك اليهود) يُؤَذَّنُ لِلسَّمَاءِ فِي الْقَطْرِ وَالْأَرْضِ فِي النَّبَاتِ فَلَوْ بُدِّرَتْ حَبَّةٌ عَلَى الصَّفَا لَنَبَّتَتْ وَلَا تَبَاغُضَ وَلَا تَحَاسُدَ حَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ عَلَى الْأَسَدِ فَلَا يَضُرُّهُ وَيَطَأُ عَلَى الْحَيَّةِ فَلَا تَضُرُّهُ { ١٥٧

فهم يقولون القنابل الذرية لا تجعل الأرض تنبت أي نبات بعد ذلك، لكن ليس لهم شأن بقدره القادر ﷻ: ﴿ وَخَلَقْ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (النحل) هناك علوم أخرى.

وقال ﷺ مخبراً عن هذه الأحداث في رواية أخرى:

{ وَتُنزَعُ حُمَةٌ كُلُّ ذَاتِ حُمَةٍ، حَتَّى يُدْخَلَ الْوَلِيدُ يَدَهُ فِي الْحَيَّةِ فَلَا تَضُرُّهُ، وَتُفَرِّغُ الْوَلِيدَةُ الْأَسَدَ فَلَا يَضُرُّهَا { ١٥٨

يتمسح السبع بالمؤمن أي الأسد، ويدوس المؤمن على الحية فلا تلدغه، والحشرات التي بها السموم مثل العقارب والحيات وغيرها سينزع منها السم، فلمن السم؟ لكي تؤذي به الكافرين والظالمين والمبغضين، ولكن لم يعد في الأرض إلا المسلمين وكأنها جنة يجيا عليها

١٥٦ الشفا بأحوال المصطفى عن حذيفة بن اليمان ﷺ

١٥٧ أبو نعيم في الحلية عن أبي هريرة.

١٥٨ سنن ابن ماجة ومسند أحمد عن أبي امامة ﷺ

المؤمنين، قال ﷺ:

{ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكْتُرَ فِيكُمْ الْمَالُ فَيَفِضَ، حَتَّى يُهَمَّ رَبُّ الْمَالِ مَنْ يَقْبَلُ
 صَدَقَتَهُ، وَحَتَّى يَعْرِضَهُ، فَيَقُولَ الَّذِي يَعْرِضُهُ عَلَيْهِ لَا أَرَبَ لِي } ١٥٩

الكل سيغنيه الله بغناء الله تعالى، وتكثر الخيرات ويبارك الله عز وجل فيها، قال ﷺ:

{ وَتَكُونُ الْأَرْضُ كَفَانِثُورِ الْفِضَّةِ، تُنْبِتُ نَبَاتَهَا بَعْدَ آدَمَ، حَتَّى يَجْتَمَعَ النَّفَرُ عَلَى
 الْقِطْفِ مِنَ الْعَنْبِ فَيُشْبِعَهُمْ، وَيَجْتَمِعَ النَّفَرُ عَلَى الرُّمَانَةِ فَتُشْبِعَهُمْ } ١٦٠

يجتمع الجماعة على الرمانه فلا يستطيعون أكلها، ويجتمعون على قطف العنب فلا
 يستطيعون أكله!! فهذه ستكون حياة المؤمنين التي وعدنا الله سبحانه وتعالى بها بعد هلاك
 الكافرين والقضاء على اليهود ومن عاونهم أجمعين

هذا الكلام أوشك على الظهور، ومسرح الكون يُعد لذلك ويُجهز لذلك، لكي يظهر
 الله تبارك وتعالى الإسلام على الدين كله.

المسلم النقي المحافظ على طاعة الله وحفظ نفسه من مخالفة معاصي الله هو
 الذي يتمتع بهذا الهناء العالي، أما الذي يجيد عن ذلك فسيضيع: ﴿ وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا
 بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (٦١ الزمر)

هذه البشري الأولى، والكلام فيها كثير، ونكتفي بهذا النذر اليسير لأن الكلام فيها
 خطير، وكله جاء عن البشير النذير ﷺ.

﴿ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾ :

يكفي أن الله ﷻ يشهد على هذه الأقوال لتتحقق بصدقها، لأنه: ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ
 اللَّهِ قِيلًا ﴾ (١٢٢ النساء) ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴾ (٨٧ النساء) فإياك أن تتشكك في كلام
 الله، أو يصيبك قليل من الشك في كلمات كتاب الله تبارك وتعالى، لأن كلام الله لا بد أن
 ينفذ لأنه كلام من يقول للشيء كن فيكون.

١٥٩ البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ
 ١٦٠ سنن ابن ماجه ومسند أحمد عن أبي امامة ﷺ

خَمْسِينَ رَجُلًا يَعْمَلُونَ مِثْلَ عَمَلِكُمْ، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَجْرُ خَمْسِينَ مِنَّا أَوْ مِنْهُمْ؟
قَالَ: بَلْ أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْكُمْ لِأَنَّكُمْ تَجِدُونَ عَلَى الْخَيْرِ أَغْوَانًا وَلَا يَجِدُونَ عَلَى الْخَيْرِ
أَغْوَانًا { ١٦٢

عملنا مضاعف، لأن الفتن في الزمان مضاعفة، وكانت الفتن في أيامهم قليلة، لم يكن هناك تليفزيون ولا نت ولا الأشياء التي تغري الشباب والكبار بمعصية الله، ولهذا عملنا مضاعف.

صلاة النبي على المؤمنين

فكلمة: ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾: فتحت الباب لكل من تنطبق عليه هذه الأوصاف الإلهية، فيكون مع حضرة النبي ﷺ كما ذكرنا، قال سيدنا رسول الله ﷺ لأصحابه يوماً:

{ يَتَكَلَّمُ رَجُلٌ مِنْ أُمَّتِي بَعْدَ الْمَوْتِ } { ١٦٣

مر عصر حضرة النبي، وعصر سيدنا أبو بكر، وأتى عصر سيدنا عمر:

وكانت هناك عائلة، كانوا إخوة مجاهدين في سبيل الله، ومن كبار أهل الإيمان في دين الله، وأخ لهم اسمه الربيع بن خراش ﷺ مات، فغطوه وذهب أخوته ليجهزوا الكفن والغسل لكي يغسلوه ويكفونوه ويدفونوه، فعندما رجعوا إذا به يجلس ويرفع الغطاء ويقول:

{ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، فَقَالَ الْقَوْمُ: وَعَلَيْكُمْ السَّلَامُ يَا أَحَا بَنِي عَبَسِ، أُبَعَدَ الْمَوْتِ؟! }
قَالَ: نَعَمْ، إِنِّي لَقَيْتُ رَبِّي ﷻ بَعْدَكُمْ، فَلَقَيْتُ رَبًّا غَيْرَ غَضْبَانَ، وَأَسْتَقْبَلَنِي بِرُوحٍ
وَرِيحَانَ وَإِسْتَبْرَقٍ، أَلَا وَإِنَّ أَبَا الْقَاسِمِ ﷺ يَنْتَظِرُ الصَّلَاةَ عَلَيَّ،
فَعَجِّلُونِي وَلَا تُؤَخِّرُونِي { ١٦٤

أني ليصلي عليه، لأن الله قال لحضرة النبي: ﴿ وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ ﴾

١٦٢ جامع الترمذي وأبي داود عن أبي ثعلبة الخشني ﷺ

١٦٣ دلالة النبوة للبيهقي وحلية الأولياء لأبي نعيم عن عائشة رضي الله عنها

١٦٤ حلية الأولياء لأبي نعيم عن عائشة رضي الله عنها

(١٠٣ التوبة) فهل يصلي على من كان معه فقط ويُحرم نحن؟! لا !!

فالأية صالحة لأخر الزمان مات أحد أصحاب النبي ودفنوه ولم يخبروا النبي لأنه كان نائماً، فلما علم، قال لهم:

{ أَفَلَا آذَنْتُمُونِي؟! } ثم قال: **إِنَّ هَذِهِ الْقُبُورَ مَمْلُوءَةٌ ظُلْمَةً عَلَى أَهْلِهَا، وَإِنَّ اللَّهَ ﷻ يُنَوِّرُهَا لَهُمْ بِصَلَاتِي عَلَيْهِمْ** { ١٦٥

ما الذي ينور القبور؟

صلاة سيدنا رسول الله على المؤمنين إلى يوم الدين.

سيدنا ذا النون المصري ﷺ :

كان في القرن الرابع الهجري أي بعد النبي بأربعمائة سنة، هو من أخميم ولكنه سكن في الجيزة، ولما انتقل إلى جوار الله لم يكن في وقتها تليفونات ولا تلغرافات، وكانت وسيلة الإتصال بين المؤمنين الرؤيا المنامية، وكانت صادقة وقوية، وهي التي تُعرِّف الناس أحوال الناس وأخبار الناس.

فحدث أن سبعين رجلاً من الصالحين كلهم رأوا حضرة النبي في المنام، فسألوه: لماذا أتيت يا رسول الله؟ قال: إن حبيب الله ذا النون يزعم المجيء إلينا وقد جئت لاستقباله!.

أني ليستقبل هذا الرجل، فكل واحد منهم أخذ مريديه وأحبابه وذهب ليحضر جنازة ذا النون، ولذلك عدد مصر في ذلك الوقت لم يكن يتعدى اثنين مليون، لكن جنازته حضرها حوالي مليون، لأنهم رأوا حضرة النبي أتى لكي يصلي عليه، ويستقبله صلوات ربي وتسليماته عليه

لماذا نقول هذا الكلام؟ لكي نعرف أن المعية مفتوحة منذ البعثة النبوية إلى أن يرث الله ﷻ الأرض ومن عليها، ولا يستعظم أحد فينا أن يدخلها، فكلنا سندخلها إن شاء الله رب العالمين، لكن لا بد أن نتحقق بالأوصاف التي ذكرها لنا الله في كتاب الله.

أوصاف أهل المعية ١. التراحم فيما بينهم

فالذي يريد أن يكون من أهل المعية، والمعية أي يكون معه في البرزخ، ومعه في الآخرة، ومعه في الجنة، ومعه في كل المقامات العلية، فماذا يفعل؟ أن يكون كما قال الله: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾

لا يكون عنده شدة ولا غلظة ولا قسوة ولا فجاجة في المعاملة مع إخوانه المسلمين أبداً، والقسوة والغلظة تكون مع من؟ مع الكافرين الظاهرين الذين ظاهرونا بالعداوة، لكن الكافرين الذين بيننا وبينهم سلم يُظهر لهم جمال الدين.

فتكون الشدة في ميدان القتال مع الكافرين، والشدة في أخذ الحقوق إن كانت حقوق للأفراد أو للدولة أو للإسلام من غير المسلمين، لكن مع المسلمين يكون أوصافهم الرحمة والشفقة والمودة والعطف والحنان واللين فهذه أوصاف المسلمين مع بعضهم كما بين الله، وزاد النبي في التوضيح.

النبي ﷺ كان يصلي صلاة الغداة أي الفجر، وتأتي بنت من بنات المدينة وتمسك بيده وتطلب منه أن يذهب معها إلى منزلها لأنهم يريدونه، فلا يقول لها: أنت بنت من؟ ولا أين منزلكم؟ ولا ماذا تريدون؟ بل يسلمها يده ويظل يسير معها إلى أن تدخل به في بيتها الذي يريدونه فيه!! ماذا هذا؟ رحمة تامة عامة لكل الكائنات، ونحن؟ قال لنا:

{ الْمُؤْمِنُونَ هَيُّونَ لِيُنُونَ } ١٦٦

هل يوجد مؤمن شديد مع أخيه المؤمن؟! هل يوجد مؤمن يتعامل بالقسوة والغلظة ورفع الصوت وخذش الحياء مع إخوانه المؤمنين؟! هذا ليس له شأن بالإيمان!! وهذا كيف يكون تعامله مع الكافرين!!؟

ولو كان هناك شخص يريدك في أمر ما، وطلب منك المحييء عنده، فكما قال ﷺ:

{ وَلِيْتُوا بِأَيْدِي إِخْوَانِكُمْ } ١٦٧

فلا تتشبث برأيك وتتحكم، وهذا أخيك المؤمن لا بد أن تجبر خاطره، وأكبر عبادة يتقرب بها عبد إلى الله جبر خواطر إخوانه المؤمنين، وهذه عبادة الصالحين، وأخوك المؤمن لا يريد منك إلا الكلمة الطيبة والمعاملة الحسنة، وهو لا يطمع في مالك، وإن طمع في شيء فالمال كله مال الله، وهو يريد فقط جبر الخاطر، وجبر الخواطر هذه عبادة الصديقين والصالحين التي أسسها لهم حضرة النبي صلوات ربي وتسليماته عليه.

ولذلك كانت أحوال أصحاب رسول الله عجب، ونحن نريد أن نستعيدها مرة أخرى إن شاء الله، فعندما كان يسير أحدهم في الطريق يُسلم على كل من يقابله حتى الأطفال الصغار، لأن رسول الله كان يفعل ذلك عندما يسير في الطريق، فكان يُسلم حتى على الأطفال، وعلى النساء، وكان يضع في جيبه تمر أو حلوى يوزعها على الأطفال لكي يحببهم في دين الله تبارك وتعالى، وقال لهم ذلك حين سأله رجل:

{ أَيُّ الْإِسْلَامِ خَيْرٌ؟ قَالَ: تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ

تَعْرِفْ } ١٦٨

ألق السلام على من عرفت ومن لم تعرف ينشرح صدرك للإسلام، فلماذا لا تلقي السلام إلا على من تعرفه فقط؟! فكل مؤمن أخ لك، وله حق عليك: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ (١٠ الحجرات) كلنا أخوة، من الذي جعل هذه الأخوة؟ رب العزة تبارك وتعالى، لذلك كلما أسير في الطريق ألقى السلام على كل من أراه من إخواني المؤمنين، وإذا صافحته وسلمت عليه فيا هناي ويا هناه لقوله ﷺ:

{ إِنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا صَافَحَ أَخَاهُ تَحَاتَّتْ خَطَايَاهُمَا كَمَا يَتَّحَاتُّ الشَّجَرُ } ١٦٩

كوفي أسلم على أخي المسلم فإن ذنوبي كلها تنزل، وأيضاً ذنوبه، ألسنا بحاجة إلى هذا

١٦٧ سنن أبي داود والطبراني عن ابن عمر رضي الله عنهما

١٦٨ صحيح البخاري ومسلم عن عبدالله بن عمرو ؓ

١٦٩ كشف الأستار والبيهقي عن أبي هريرة ؓ

الأمر؟! وقال أيضا في الحديث الآخر:

{ إِنْ مَاتَ مِثْلُ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا التَّقِيَا مِثْلُ الْيَدَيْنِ تَغَسَّلَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى } ١٧٠

هذا يغسل هذا، وهذا يغسل هذا، لماذا؟ لأن ذلك يوجد الحبة، فألقي السلام وأصافح المؤمنين طالما أنا أسير في طريق، الذي أعرفه والذي لا أعرفه، أسلم على الكبير لأن هذا حق علي والصغير لكي يتعلم أن يُلقي السلام.

حتى أن أصحاب النبي رضوان الله تبارك وتعالى عليهم كانوا عندما يسيرون في المدينة، وكانت المدينة مشهورة بالنخل، وكان النخل في الطرقات، فكانت أحيانا تقابلهم نخلة فيتفرقوا، فجماعة منهم يسيرون من جهة وجماعة من جهة أخرى، وعندما يتلاقون مرة أخرى يضافحون بعضهم البعض، ما هذا؟ كانوا تجار شطار مع الواحد القهار، يريدون أن يأخذوا الأجر مرة أخرى، مع أن الذي فرّقهم نخلة في الطريق، لكنهم كانوا حريصين على العمل بقول الله: ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾.

وكانوا دائما يتحسسون أحوال بعضهم، وكل واحد منهم عالم بحال جيرانه، وحال ذوى أرحامه، وحال أهل شارعهم، وحال أهل بلده، لكي يجبر خاطرهم، لقوله ﷺ:

{ لَيْسَ بِالْمُؤْمِنِ الَّذِي يَبِيتُ شَبْعَانَ وَجَارُهُ جَائِعٌ إِلَى جَنْبِهِ } ١٧١

ليس بمؤمن من بات شبعان وجاره جائع ولم يشعر به، فأنا أكل اليوم لحم وجاري ليس معه رغيف عيش، أيكون هذا إيمان؟! لا بد أن يكون هناك أحاسيس إيمانية.

رجل طلب قرضا من أخيه، فدخل وأتى له بالقرض، وبعدما أعطاه له دخل بيته وظل يبكي، فزوجته قالت له: لماذا تبكي وقد أعطيت له ما يفرج به عسرته؟! قال:

أبكي لأني لم أعطه حتى أتى إليّ ولم أشعر به قبل ذلك!!

هؤلاء الذين قال النبي فيهم:

{ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحِمِهِمْ وَتَوَادِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى عُضْوًا

١٧٠ آداب الصحابة للسلمي عن أنس ؓ

١٧١ الحاكم في المستدرک والبيهقي عن عائشة رضي الله عنها

تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَى { ١٧٢

أنتم تترون أن الفظاظة والغلظة والقسوة زادت بين المسلمين، ويجب أن نرجع مرة أخرى للتراحم والتوادد بين المؤمنين لكي ندخل في معية سيد الأولين والآخرين ﷺ.

٢. المحافظة على الصلاة

﴿ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا ﴾ وهذا كان أحرص ما يحرصون عليه، سأل سيدنا عبد الله بن مسعود سيدنا رسول الله: أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ قَالَ:

{ الصَّلَاةُ لَوَقْتِهَا } ١٧٣

المسلمون في هذه الأيام تهاونوا في إقامة الصلاة في أول وقتها، ففي كل بلادنا تدخل المسجد في ساعة الظهر فتجد خمسة أو ستة، فأين الباقين؟! منهم من يجلس في الشارع يتحدث مع غيره، ومنهم من يجلس أمام التلفزيون، وغير ذلك، وليس معهم مصلحة ضرورية، ولماذا لم يأت لأداء الصلاة لوقتها؟! مع أن هذا أول عمل يدل على علو الإيمان عند الإنسان عند حضرة الرحمن تبارك وتعالى.

سيدنا رسول الله ﷺ كان في سفر، وحن وقت الصلاة، وطلب الماء فلم يجدوا، وكان سيدنا رسول الله ﷺ منظماً ويا ليتنا نتعلم منه النظام في كل صغيرة وكبيرة، ومن جملة النظام كان معه فرقة تسبق الجيش لترى أماكن الماء لكي ينزل الجيش على أماكن الماء، فواحد من هؤلاء قال: يا رسول الله بيننا وبين الماء حوالي كيلو واحد، لكن رسول الله تيمم وقال:

{ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلِّي لَا أَبْلُغُهُ } ١٧٤

ما الذي يضمن لي أي أصل إلى الماء؟! كما يحدث مع الكثير، يكون في بلد أخرى، ويسمع الظهر يؤذن، فيقول في نفسه، سأصلي عندما أرجع إلى المنزل، ولن أنتظر حتى أتوضأ وأصلي هنا، فمن أين تضمن؟! هل معك تصريح من ملك الملوك أن يظل عمرك

١٧٢ صحيح البخاري ومسنند أحمد عن النعمان بن البشير ﷺ

١٧٣ البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

١٧٤ مسند أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما

مدود حتى ترجع وتُصلي؟!..

إذا سمعت الأذان فوراً تلي نداء الرحمن، ما دمت لست في ضرورة قصوى، مثل شخص يركب طائرة، أو شخص يركب القطار أو طبيب في غرفة العمليات، فهل يترك المريض ويخرج للصلاة؟! بل ينتهي من عمليةه أولاً، فهذه تسمى ضرورات قصوى، لكن إذا لم يكن معي شيء فعندما أسمع الأذان ألي نداء الرحمن، لأن الذي ينادي عليك ليس المؤذن، ولكن: ﴿ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ ﴾ (١٠ إبراهيم) يدعوك لكي يغفر لك ذنوبك، ويغسلك فتخرج طاهراً نظيفاً ظاهراً وباطناً، وحضرة النبي نبهنا فقال:

{ **أَوَّلُ الْوَقْتِ رِضْوَانُ اللَّهِ، وَوَسَطُ الْوَقْتِ رَحْمَةُ اللَّهِ، وَآخِرُ الْوَقْتِ عَفْوُ اللَّهِ** }
١٧٥

أنت الآن تجتهد لتجمع درجاتك، فتعرف في أي درجة وضعت نفسك، فالدرجة في أول الوقت درجة الرضوان: ﴿ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ (٧٢ التوبة) والذي يذهب قبل الوقت ولو بخمسة دقائق فهذه الدرجة الأعظم، قال فيها ﷺ:

{ **أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟ قَالُوا: بَلَىٰ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ** }
١٧٦

الذي ينتظر الصلاة إلى الصلاة مثل المرابط في سبيل الله الذي يحرس الحدود ويحافظ على بلادنا من أعداء الله تبارك وتعالى.

ولذلك أصحاب حضرة النبي ﷺ ورضي الله تبارك وتعالى عنهم عندما عرفوا هذا الأمر كان الذي يفوته منهم تكبيرة الإحرام الأولى مع الإمام يظلموا يعزوه ثلاثة أيام على الخسارة التي خسرها، وعلى الفضل الكبير الذي حُرِمَ منه، لأنه حرم نفسه من فضل كبير

١٧٥ سنن الدار قطنى والبيهقى عن أبى محذورة القرشى ﷺ

١٧٦ صحيح مسلم والترمذى عن أبى هريرة ﷺ

وخسر خسارة عظيمة لا يبلغها أبداً يأخذها الجماعة الذين يصلوا في الصف الأول ويكبروا تكبيرة الإحرام مع الإمام.

والذي يصل إلى المسجد بعد أن يسلم الإمام وتفوته صلاة الجماعة يظلوا يعزوه لمدة أسبوع، لأنه فاتته خيرات لا يعلمها إلا الله، وأوها صلاة الجماعة المقبولة، لأنه إذا قبل الله صلاة واحد منهم فإنه يقبل صلاة الجميع من أجله، ومن فينا يحضر في الصلاة من أولها لأخرها؟! لا يوجد، ولو وجد فيكون ذلك فذ، لا يوجد مثله، حضرة النبي قال:

{ صَلَاةُ الْجَمَاعَةِ تَفْضُلُ صَلَاةَ الْفَذِّ بِسَبْعٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً }^{١٧٧}

والفد أي الحاضر في الصلاة من أولها لآخرها، فكيف نترك صلاة الجماعة؟!.

فالذين يريدون أن يكونوا مع رسول الله، ومع أصحاب رسول الله، أول شيء يحرصون عليه بعد الرحمة المحافظة على أداء الصلاة في وقتها في جماعة في بيت الله تبارك وتعالى.

العصور التي قبلنا من آباءنا وأجدادنا كان لهم أعدار، فالمياه كانت باردة، ودورات المياه التي في المساجد غير نظيفة، لكن نحن الآن - والحمد لله - كلنا عندنا مياه ساخنة، حتى الحمامات التي في المساجد فيها مياه ساخنة، وكلها حمامات نظيفة، فما عذرنا في ترك الصلاة لوقتها؟! أي إنسان يترك الصلاة لوقتها يعرف جيداً قوله ﷺ:

{ أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الصَّلَاةَ، فَإِنْ صَلَحَتْ صَلَحَ لَهُ سَائِرُ عَمَلِهِ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَسَدَ سَائِرُ عَمَلِهِ }^{١٧٨}

أول شيء يحاسب عليه المرء عند الله يوم القيامة الصلاة، فإن وجدت كاملة قبلت وسائر عمله، وإن لم توجد كاملة رُدَّت وسائر عمله، لذلك أول شيء لا بد أن نحرص عليه الصلاة لكي ندخل في قول الله: ﴿ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا ﴾.

هذه العبادات ماذا نريد منها؟ لا نريد حب الشهرة ولا حب الظهور ولا الرياء ولا السمعة، ولكن: ﴿ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ﴾ :

١٧٧ البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما

١٧٨ معجم الطبراني عن أنس ﷺ

يريدون فضل الله الذي يتفضل به على المؤمنين والمؤمنات، ويريدون رضوان الله الأكبر، وما الرضوان؟ الجنة أنواع، وكل جنة كما قال ﷺ:

{ إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ } ١٧٩

هذه الجنة الواحدة، فهناك جنة تسمى جنة الخلد، ويوجد جنة تسمى جنة عدن، ويوجد جنة تسمى جنة المأوى، ويوجد جنة تسمى جنة الفردوس .. جنان كثيرة جعلها الله للمؤمنين والمؤمنات.

وفوق الجنان يوجد مقام آخر يسمى مقام الرضوان، هؤلاء الذين يتمتعون بالنظر لوجه الجنان المنان، فعندما يدخلون الجنة يقول لهم الله تبارك وتعالى:

{ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ، فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ، فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لَا نَرْضَى، وَقَدْ أُعْطِينَا مَا لَمْ نُنْغِظْ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، فَيَقُولُ: أَنَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالُوا: يَا رَبُّ، وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ، فَيَقُولُ: أَجَلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلَا أَسْحَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا } ١٨٠

قال ﷺ:

{ إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ثَرِيدُونَ شَيْنًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا، أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ، وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الْجَبَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْنًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ } ١٨١

هؤلاء يقول الله فيهم: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ حَشِيَ رَبَّهُ﴾ (٨ البينة) فمقام الرضوان فوق الجنان، وهؤلاء لا يريدون

الجنة للأكل والشرب والخور، بل يريدون وجه الله، وجوار رسول الله ﷺ، وهذا في

١٧٩ صحيح البخاري وابن حبان عن أبي هريرة ﷺ
١٨٠ البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري ﷺ
١٨١ صحيح مسلم والترمذي عن صهيب الرومي ﷺ

مقام الرضوان الذي فيه سيدنا رسول الله، وفيه الأحباب المحيطين برسول الله، نسأل الله أن نكون منهم أجمعين.

٣. السيميا

هؤلاء كيف يعرفونهم يوم القيامة؟

﴿ سِيَمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ﴾

لهم علامة في الوجه، هل يوجد أحد عندما ندفنه معه بطاقته أو جواز سفره؟! لا، فكيف يعرفونه يوم القيامة؟ كما قال الله: ﴿ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيَمَتِهِمْ ﴾ (٤٦ الأعراف) بعلاماتهم.

هل يوجد أحد من الصالحين يحفظ كل أسماء المريدين وألقابهم؟! أبداً، فكيف يعرفهم؟ بسيماهم، فهؤلاء رجال يعرفون كلاً بالسيميا وهي نور يضعه الله في وجوههم يعرفون به بعضهم بعضاً: ﴿ سِيَمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ﴾.

البعض لجهلهم يقولون أن السيميا هي الزبيبة التي تظهر في وجه الإنسان، لكن هذه الزبيبة تظهر لو أن الإنسان حكَّ وجهه كثيراً!! لكن السيميا نور يظهر، وقد يظهر في الدنيا، قال ﷺ:

{ مَنْ كَثُرَتْ صَلَاتُهُ بِاللَّيْلِ حَسُنَ وَجْهُهُ بِالنَّهَارِ } ١٨٢

من أدام على الصلاة والناس نيام استنار وجهه بين الأنام، ولو ركعتين فقط، وانظر لحديث سيدنا رسول الله:

{ مَنْ اسْتَيْقَظَ مِنَ اللَّيْلِ وَأَيْقَظَ امْرَأَتَهُ فَصَلَّيَا رَكَعَتَيْنِ جَمِيعًا كُتِبَا مِنَ الدَّاكِرِينَ اللَّهُ كَثِيرًا وَالدَّاكِرَاتِ } ١٨٣

لكن المههم في المداومة، فمن الممكن أن نسير على ذلك أسبوع أو شهر وبعد ذلك

١٨٢ سنن ابن ماجة ومسنند الشهاب عن جابر بن عبد الله ﷺ

١٨٣ سنن أبي داود وابن ماجة عن أبي سعيد الخدري ﷺ

نتوقف!، لكن الصالحين بلغوا ما بلغوا بالمداومة، قال ﷺ:

{ أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ } ١٨٤

فهذه الأوصاف من سيتجمل بها سيكون في معية حبيب الله ومصطفاه، ولذلك قال الله لحضرة النبي: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ (١٥٩ آل عمران) الآية واضحة، لكن - سبحان الله!! - في الزمن الذي نحن فيه أناس من المسلمين يأخذون الجزء الثاني ويتركون الجزء الأول في التعامل مع المسلمين، فيعاملون المسلمين بالشدّة والعنف والغلظة والقسوة، وأين الرحمة التي مدح الله بها حضرة النبي؟ لا يوجد، مع أن النبي ﷺ قال:

{ الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمَكُم مِّنْ فِي السَّمَاءِ } ١٨٥

هؤلاء الذين شوّهوا صورة الدين عند الآخرين، وبيّنوا لهم أن الإسلام غلظة وقسوة وقتل وترويع وغير ذلك، لأنهم أخذوا غير سبيل سيد الأولين والآخرين ﷺ.

فالرحمة والمحافظة على الصلوات في أوقاتها إذا واضب الإنسان على ذلك فيبشر نفسه ويبشر غيره ممن مشى على ذلك، لأنه سيدخل في قول الله: ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾ (٦٩ النساء) سيكون مع هؤلاء.

نسأل الله تعالى أن يدخلنا في هذا المقام، وأن يجعلنا بجمال هذه الآية، وأن يكتبنا في ديوان أهل العناية، وأن يتوجنا في الآخرة بتاج الولاية، وأن يجعلنا في الدنيا حاملين لواء الرحمة والهداية، وأن يرزقنا على الدوام حسن التأسّي بسيد الأنام، وأن يجعلنا رحمة للخاص والعام، وأن ينفعنا بما علمنا، وأن ينفع بنا الأنام

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

١٨٤ صحيح مسلم والترمذي عن عائشة رضي الله عنها

١٨٥ جامع الترمذي وأبي داود عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ
عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا
سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا
سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ
ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي
الْإِنْجِيلِ كَرَزَعٍ أُخْرِجَ شَطْعُهُ فَآزَرَهُ
فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوْقِهِ يُعْجِبُ
الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ
الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ
مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿ (٢٩ الفتح)

١١. المعية^{١٨٦}

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - الحمد لله الذي فتح علينا بهداه، وقيّض لنا مفتاح العناية وباب الهداية وجعله نبينا وحيينا؛ سيدنا رسول الله، اللهم صل وسلم وبارك عليه، وامددنا أجمعين بنورك الواصل إليه، واجعلنا أجمعين نستمد منه الأنوار والأسرار والعلوم والأحوال حتى يكون أحب إلينا من أنفسنا وأولادنا وبناتنا وكل شيء لنا .. آمين يا رب العالمين.

بينّا كيف فتح الله لنا من فضله ومن جوده ومن رحمته، ونحن مقصرين في الأعمال، ومقلين في الإقبال على حضرة الواحد المتعال، وضعفاء في طاعة الله، وشغلتنا الدنيا والأموال والأولاد والأهواء، لكن مع ذلك جبر الله كسرنا ببركة حبيبه ومصطفاه، وجعلنا نكون معه، كيف ذلك؟! ومن نحن لكي نكون مع رسول الله؟!؟

ومن قبل كنا ظلاماً جهلاً فصرنا بطه رجلاً فحولاً
أتانا بنور كتاب مبين فأحيا القلوب أعز الذليلاً

صاحب الشفاعة

يا هنانا بحضرة النبي ﷺ، سنكون معه في الآخرة ..

حتى أن بعضنا حضرة النبي سيتنازل له عن بعض خصوصيات حضرته ليتصرف فيها، كيف ذلك؟! خصه الله تبارك وتعالى بالشفاعة، فهو صاحب الشفاعة، والخلق جميعاً يوم الحساب يتوجهون إلي الأنبياء من آدم إلي عيسى يطلبون الشفاعة، والكل يقول: ليس لي شأن بذلك، فيذهبون إلي رسول الله، فيقول:

{ أَنَا لَهَا }^{١٨٧}

لكن لماذا لم يذهبوا إلي رسول الله من البداية؟ لو ذهبوا إلي رسول الله من البداية لقال

١٨٦ إسنا - طنفيس - ديوان الحميرات ١٠ من جماد الأول ١٤٣٩ هـ ٢٠١٨/١/٢٧ م
١٨٧ البخاري ومسلم عن أنس ؓ

الناس لو ذهبنا إلى أي واحد من الأنبياء كان سيقوم بالمهمة، لكن لا بد أن يأخذوا الدورة لكي يعرفوا أنه الوحيد الذي معه تصريح من الحميد الجيد بهذه المهمة: ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ ﴾ (الإسراء) نافلة له فقط، لكن نحن لو صلينا بالليل فذلك حتى نكمل بها الصلاة، فمن منا يصلي صلاة كاملة؟! لا يوجد، والعبد يأتي يوم القيامة ليحاسب عن صلاته فيقول الله:

{ انظروا في صلاة عبدي، فإن كانت تامة كتبت تامة، وإن وجدت ناقصة، قال: انظروا، هل له من تطوع؟ فإن وجد له تطوع ثمّ الفريضة من التطوع } ١٨٨

لكن من الوحيد الذي صلاته كاملة والباقي نوافل؟ سيدنا رسول الله: ﴿ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ ﴾ (الإسراء) لك وحدك، لكن نحن لا نستطيع على ذلك: ﴿ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ (الإسراء) والمقام المحمود أن كل أهل الموقف سيحمدوه ويشكروه لأنه المنقذ والمغيث من أهوال يوم القيامة، قال ﷺ:

{ أنا أول الناس خروجا إذا بعثوا، وأنا خطيبهم إذا وفدوا، وأنا مبشرهم إذا أيسوا، لواء الحمد يومئذ بيدي، وأنا أكرم ولد آدم على ربي ولا فخر } ١٨٩
وفي رواية أخرى:

{ أنا سيّد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وبيدي لواء الحمد ولا فخر، وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي } ١٩٠

كلهم مستظلين بلواء سيدنا رسول الله ﷺ، وفي بعض الأثر: (وأنا إمامهم إذا صلوا) فأول شيء يحدث في أرض القيامة الصلاة، يدعي الناس للصلاة: ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَعْطِئُونَ ﴾ (٤٢ القلم) الكاذبين والمنافقين تطاوعهم الأجسام في الدنيا، لكن يوم القيامة يأتي ليسجد فلا يطاوعه جسمه فينكشف.

١٨٨ مسند أبي يعلى الموصلي عن أنس ﷺ

١٨٩ جامع الترمذي والدارمي عن أنس ﷺ

١٩٠ جامع الترمذي ومسند أحمد عن أبي سعيد الخدري ﷺ

من الذي يصلي إمام بكل الأنام؟

الحبيب المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام، قال:

{ فَاسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فَيُؤْذِنُ لِي وَيُلْهِمُنِي مَحَامِدَ أَحْمَدُهُ بِهَا، وَأَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا،
 فَيَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعُ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشْفَعُ } ١٩١

كل الذي تريده تأخذه إلى أن ترضى: ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴾ (٥الضحى)
 فيكرم سيدنا رسول الله ﷺ المُبرزين والمحبوبين من أهل أمته ويوزع عليهم الشفاعات، وكل
 واحد منهم يأخذ كشفاً يسجل فيه الذي يريد أن يشفع فيهم، سيشفعون في من؟ يقول
 سيدنا رسول الله:

{ الشَّهِيدُ يَشْفَعُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ } ١٩٢

وقال:

{ مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ، وَحَفِظَهُ أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ، وَشَفَعَهُ فِي عَشْرَةٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ كُلُّهُمْ قَدْ
 اسْتَوْجَبُوا النَّارَ } ١٩٣

والعلماء لهم شفاعاة يوم القيامة، وكل مؤمن له شفاعاة لكن على قدره،
 ولذلك قال ﷺ:

{ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَقُولُ فِي الْجَنَّةِ مَا فَعَلَ صَدِيقِي فَلَانَ؟ وَصَدِيقُهُ فِي الْجَحِيمِ، فَيَقُولُ اللَّهُ
 تَعَالَى: أَخْرِجُوا لَهُ صَدِيقَهُ إِلَى الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ مَنْ بَقِيَ: " فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ وَلَا
 صَدِيقٍ حَمِيمٍ " { قَالَ الْحَسَنُ: (اسْتَكْبَرُوا مِنَ الْأَصْدِقَاءِ الْمُؤْمِنِينَ، فَإِنَّهُمْ شَفَاعَةٌ يَوْمَ
 الْقِيَامَةِ). ١٩٤

استكثروا من الإخوان فإن لكل أخ شفاعاة يوم القيامة، كل واحد فينا له شفاعاة من

١٩١ البخاري ومسلم عن أنس ﷺ

١٩٢ سنن أبي داود وابن حبان عن أبي الدرداء ﷺ

١٩٣ سنن ابن ماجة وأحمد عن علي بن أبي طالب ﷺ

١٩٤ معالم التنزيل تفسير البغوي عن جابر بن عبد الله ﷺ

الشفيع الأعظم سيدنا رسول الله ﷺ.

هذا الفضل الكبير الذي حبا بنا به الله ببركة رسول الله لا نستطيع عدده ولا احصاءه ولا حتى الإشارة إليه لأنه أمر خارج عن الطوق، فإن الله ﷻ أعطاه من فضله ما لا طاقة لبشر أياً كان بحصره أو عدده: ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾ (النحل ١٨) لم يقل نِعَمَ الله، ولكن نعمة واحدة، والنعمة التي هنا هي نعمة سيدنا رسول الله، كما قال الله في الآية: ﴿ وَأذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ أي نعمة؟ ﴿ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾ (١٠٣ آل عمران) أصبحتم بنعمته ﷻ إخواناً.

معرفة أهل الكتاب بالنبي وصحابته

هل نستطيع أن نعد هذه النعمة وما فيها من فضل الله وإكرام الله وعطاءات الله تبارك وتعالى؟ أبداً، فمن فضل الله ﷻ علينا أنه تفضل علينا وجعلنا من أهل شفاعته، ومن أهل معيته، وبين الله ﷻ لنا - حتى تطمئن قلوبنا - أنه ذكر ذلك حتى للسابقين، فيما أنزله على موسى في توراته الصحيحة، وفيما أنزله الله على عيسى في إنجيله الصحيح الذي لم يحرف، ذكر هذه الأوصاف، ولذلك كان اليهود العلماء، والنصارى العلماء في عصر حضرة النبي كما قال الله: ﴿ الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ﴾ (١٤٦ البقرة).

هل يوجد أحد لا يعرف أبناءه؟! لا، فهم كذلك كانوا يعرفونه ويعرفون الذين معه، ولو استطردهنا فيما ورد في هذا الباب سنحتاج إلي وقت طويل، لكنهم كانوا يعرفون أبو بكر بأوصافه، وعمر بأوصافه، وعلي بأوصافه.

وسأذكر مثلاً واحداً فقط: سيدنا عمر بن الخطاب عندما كان خليفة على المسلمين وأمر أبو عبيدة بن الجراح قائداً لجيش المسلمين في بلاد الشام، وحاصروا بيت المقدس - الذي سيرجع للمسلمين عن قريب بأمر من يقول للشيء كن فيكون - فالذين كانوا مسيطرين على بيت المقدس من الأحرار والرهبان اليهود والمسيحيين قالوا لأبي عبيدة بدلاً من أن ندخل في حرب طويلة نحن مستعدين أن نسلم البلد لكن يأتي لنا عمر بن الخطاب بنفسه ونحن نسلم له المفتاح.

فأرسل أبو عبيدة إليه، فجاء سيدنا عمر وأخذ معه خادمه، وليس معهما غير ركوبة واحدة، وقال لخادمه: أنا أركب بعض الوقت وأنت تسير، وأنت تركب بعض الوقت وأنا أسير!! هؤلاء رجال ربّاهم رسول الله: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَلُوا تَبَدُّلاً﴾ (الأحزاب ٢٣)

اتصلت بي محبة لنا من السالكات من الخلة الكبرى بالتليفون وقالت لي: أنا رأيت مولانا الشيخ محمد على سلامة ﷺ وأرضاه وهو قادم من عند حضرة النبي، فقلت له: يا مولانا أنت كنت في زمن الشيخ الشعراوي لماذا لم تشتهر مثله؟! قال: الله يقول: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ﴾ أي أخذ شهرته في الدنيا مثل الشيخ الشعراوي ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ﴾ الشهرة في الآخرة!!.

فسيدنا عمر كان من هؤلاء الرجال، ولما وصلوا إلى قريب من بيت المقدس كانت الدنيا أمطرت مطراً شديداً، وصنعت ما يشبه بحيرة من الماء، فكان الذي يسير لا بد أن يخوض فيها، وكان الدور في السير على سيدنا عمر، والرهبان والأخبار منتظرين على الجانب الآخر، فقال الخادم: يا أمير المؤمنين أنا متنازل عن نوبتي في الركوب لأن الرهبان والأخبار منتظرين، قال له: لا، ورفع ثيابه وخاض في الماء، والخادم راكب، والأخبار واقفين معهم التوراة والإنجيل، فقالوا: أين عمر؟ فأشار البعض لهم على الراكب، فقالوا لهم: ليس هذا! عندنا في التوراة والإنجيل أنه يتخوض في الماء حتى يدخل بيت المقدس!! فعندهم حتى كيفية دخوله بيت المقدس، فهي سيرة كاملة أنزلها رب العزة تبارك وتعالى.

﴿ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَرَّعٍ أَخْرَجَ شَطَطَهُ فَعَارَزَهُ فَاَسْتَعْلَظَ

فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سَوْقِهِمْ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ﴾ مثلهم في التوراة الذي ذكرناه، وفي الإنجيل مثل زرع يكون صغيراً في أوله، ثم يُنبِت الزرع ويُخرج الورق ﴿أَخْرَجَ شَطَطَهُ﴾ أي الورق، والورق يكبر ويغلظ وأصبح له ساق، وهذا يُعجب الزراع، أي يكبر رويداً رويداً ليغيظ بهم الكفار.

﴿يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيُغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ وهنا وقفة لا بد منها لنقف عندها أجمعين،

سيدنا الإمام مالك ابن أنس رضي الله تبارك وتعالى عنه صاحب المذهب وكان من الصالحين، فكان عالم وولي، فلما تليت هذه الآية عنده قال: رأيتم تنبيه الله الذي ذكره في الآية؟ قالوا:

ما هذا التنبيه؟ قال: ﴿يُعْجِبُ الزَّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ فكل من لا يعجبه ويستهزأ أو يُنزل من مكانة أصحاب رسول الله يدخل في هذه الآية، فيصبح من الكفار.

لماذا أقول هذا الكلام؟ لأنه استشرى في هذا الزمان قنوات فضائية متخصصة في سب الصحابة، مع أن حضرة النبي قال:

{ إِذَا ذُكِرَ أَصْحَابِي فَأَمْسِكُوا } ١٩٥

يأتي أحدهم ويقول: هل تعلم ما دار بين الإمام علي ومعاوية؟ أنا لم أحضر ولم أره، والذين كتبوا التاريخ كان معظمهم أصحاب أهواء، فالذين مع معاوية قالوا في حق سيدنا علي مالا يليق، والذين مع سيدنا علي قالوا في حق سيدنا معاوية مالا ينبغي أن يقال، لكنهم كلهم وصلوا إلى مقام الاجتهاد، واجتهد إن أخطأ فله أجر وإن أصابه فله أجران.

كان الأمويين يجعلون الخطبة الثانية في زمانهم في سب الإمام علي - سبحان الله!! - فلما جاء سيدنا عمر بن عبد العزيز وقبض الله له أن يتولى الخلافة، فاحتار في هذا الأمر، فرأى في المنام سيدنا رسول الله ﷺ جالس في بهو قصر عظيم، ووراءه ستارة، ووراءها محكمة، وعلى يمينه سيدنا أبو بكر وعلى يساره سيدنا عمر، وبعد لحظات دخل الإمام علي ودخل وراء الستارة، وبعد ذلك دخل سيدنا معاوية ودخل وراء الستارة، وبعد لحظات خرج الإمام علي وقال: قُضِيَ لِي وَرَبِّ الْكَعْبَةِ، وخرج بعده بلحظات سيدنا معاوية وقال عُفِّرْ لِي وَرَبِّ الْكَعْبَةِ، وبذلك يكون قد حُفِظَتِ الْقَضِيَّةُ!، فما شأننا إذا؟!.

وأنا أقول (سيدنا) معاوية لأن بعض الناس يقول: لا تقول سيدنا! لماذا؟! إنه كاتب وحي، ونسب حضرة النبي، لأن النبي كان متزوج من أخته السيدة رملة بنت أبي سفيان، وسيدنا عمر عينه حاكم على بلاد الشام، وكان سيدنا عمر صاحب فراسة فلا يعين إلا الرجل الذي يتفرس فيه ويعلم ما بداخله.

فجمع سيدنا عمر بني أمية، و قال: شيء لم نحضره ولم نشارك فيه بسيوفنا لا نخوض فيه بالسنن، وألغى ما كانوا يقولونه في الخطبة الثانية، وأمرهم أن يقولوا: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ

الكتب قبل المطبوع تفسير آيات المقربين (شرح فزري محمد فوزير)

d d

بدأ السورة بحضرة النبي وقال له: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ (٢ الفتح) وختمها بأصحاب أحباب النبي، ونحن منهم، ووعدنا بالمغفرة والأجر العظيم، والأجر العظيم من العظيم هل يستطيع أحد أن يصفه أو يحده أو يعده أو يعرفه؟!.

الأجر العظيم من العظيم سبحانه وتعالى أعلاه وأرقاه وأبناه هو أن يبيحه النظر إلى جمال وجهه تبارك وتعالى، ويدخل في قول الله: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٦٦﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ (القيامة) وهؤلاء لا يرضوا بغير ذلك.

سيدنا رسول الله وعدنا أن كل مؤمن ساعة الموت سيرى درجته ومنزلته في الجنة لكي يطمأن ويفرح بلقاء الله، فلا يوجد مؤمن يخرج من الدنيا وهو حزين، لأن الحزين هو الآخر الذي يخرج منها بمعاصي ولم يتب منها، ولا يوجد فرصة عنده للتوبة، لكن المؤمن يخرج فرح بلقاء الله ﷻ.

سيدنا عمر بن الفارض ﷺ وأرضاه في اللحظات الأخيرة أروه منزلته في الجنة فقال:

فإن تك منزلتي في الحب عندكم ما قد رأيت فقد ضيعت أيامي
أمنية ظفرت روعي بها زماناً واليوم أحسبها أضغاث أحلامي

أنا لا أريد الجنة، فماذا تريد؟ كل أميبي وجه الله: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ (٢٨ الكهف) ليس جنته، ولكن يريدون وجهه.

فكشف الله ﷻ له الغطاء، بعد أن أعطاه العطاء، الذي يستطيع به أن ينظر إلى مَشِيَّ الأشياء، لأنه لا يستطيع أحد أن ينظر لحضرة الله إلا إذا أعطاه الله من نوره وجماله ما به يتملى بوجه الله جل في علاه، وخرجت روحه على هذه الهيئة وعلى هذه الصفة إن شاء الله.

نسأل الله تبارك وتعالى أن يجعلنا أجمعين من طلاب الوجه العلي، وأن يجعلنا من أهل المزيد عند الحميد المجيد، وأن يجعلنا من الذين لا ينشغلون عن الله طرفة عين ولا أقل، وأن يجعلنا من خيار المقبلين إليه، ومن أحب المقربين لديه، وأن يقيمنا في مقعد الزلفى بين يديه

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

d d

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ
يَدِي اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ
اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ
ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ
صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ ۗ بِالْقَوْلِ
كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ
أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ
الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ
رَسُولِ اللَّهِ ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَمَّحَنَ اللَّهُ

قُلُوبِهِمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ
عَظِيمٌ ﴿٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ
مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا
يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ
تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ۗ وَاللَّهُ
غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ (الحجرات)

١٢. الأدب مع رسول الله^ص

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - الحمد لله الذي أنزل لنا في كتاب الله ما به رفعنا في الدنيا وسعادتنا يوم نلقى الله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد نبي الله ومجتابه، الذي أدبه مولاه فأحسن تأديبه، وبين أنه وصل في مقام الأدب مع مولاه إلى ما لم يصل إليه أحد من خلق الله، حتى أنبياء الله ورسل الله، فقال مثنياً عليه في كتاب الله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (٤ القلم) صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ الطَّيِّبِينَ، وصحابته المباركين، وكل من اهتدي بهديه إلى يوم الدين، وعلينا معهم أجمعين .. آمين آمين يا رب العالمين.

أعلمنا الله تبارك وتعالى في قرآنه، والرسول صلوات ربي وتسليماته عليه في بيانه، أن أحوج ما يحتاج إليه العبد لينال رضا مولاه، ويفوز بالمقام العظيم في القرب من حضرة الله، هو الأدب مع مولاه، والأدب مع رسول الله، والأدب مع إخوانه المؤمنين، والأدب مع جميع خلق الله ... لو كان أقرب ما يتقرب به العبد إلى مولاه هو العبادات والطاعات، فقد بين الله لنا أنه كان هناك عابد عبد الله اثنتين وسبعين ألف سنة، لم يغفل عن الله عز وجل طرفة عين فيها، ولم يترك موضع أربع أصابع في السماوات السبع إلا وسجد فيه سجدة لله، لكنه في لحظة أساء الأدب مع مولاه، فكانت النتيجة أن طرد من رحمة الله في الدنيا والآخرة!!، وهو إبليس، فمن الذي يستطيع أن يعبد الله كهذه العبادة؟ لا يوجد، إذاً العبرة بالأدب.

فضل الأدب

الإمام مالك رحمه الله وأرضاه، وكان من العلماء العاملين، لأن البعض يظن أن التقرب إلى الله بالعلم فقط، فكان له شيخ يتعلم على يديه اسمه الربيع، يقول الإمام مالك: تعلمت على يد الربيع عشرين سنة، ثماني عشرة سنة في الأدب، وستان منها في العلم، ويا ليتها كانت كلها في الأدب.

لأنه عرف أن الغاية كلها في الأدب، وهذا الذي جعل الصالحين أجمعين؛ أهم ما يُركزون عليه في تربية المريدين الآداب التي كان عليها الصحابة والتابعين مع النبي الأمين،

والتي كان عليها الصالحون إلى يومنا هذا، وستستمر إن شاء الله إلى يوم الدين، وكان إمامنا أبو العزائم عليه السلام له الباع الطويل في ذلك، فكان يقول: **(حافظ على الأدب ولو رُقيت إلى أعلى الرتب) حتى ولو كان في أعلى رتبة في القرب من الله وأساء ربما تكون عقوبته الطرد من حضرة الله تبارك وتعالى: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾** (٢٣ الأبياء) أو تكون عقوبته الحرمان أو الصد أو المهجران.

أو - والعياذ بالله - السلب بعد العطاء، كالرجل الذي ضربه لنا الله مثلاً في كتاب الله من قوم سيدنا موسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام: **﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا﴾** (١٧٥ الأعراف) كان يتقرب إلى الله، ويجلو صدأ قلبه، حتى وصل في مقام الكشف إلى أنه كان يطلع على اللوح المحفوظ وهو في مكانه، وكان يُستشفى بدعائه ولا يُردُّ له دعاء، هذه الإكرامات جذبت الطلاب حوله فكان مرديه سبعين ألف مريد!! ولكنه أساء الأدب مع الله تبارك وتعالى، كأنه لم يرض بما قدره عليه مولا، فحكم الله تبارك وتعالى عليه بالطرد من حضرته: **﴿فَأَنْسَلَخْ مِنْهَا﴾** (١٧٥ الأعراف) يعني سلب، فسلبه الله تبارك وتعالى كل ما أعطاه له من عطاءات، وضرب له مثلاً قبيحاً فقال: **﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرَكْهُ يَلْهَثْ﴾** (١٧٦ الأعراف).

وكان هذا عظة وعبرة للعلماء إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ولذلك الإمام أبو العزائم يُبين ما ينبغي أن يكون عليه العلماء، فقال:

العلم يجعلني أخشى من الرب أراقب الله بالأعضاء والقلب
 إن لم أكن أخشى من ربي فمن جهلي وإن علمت علوم الكشف والغيب
 وإن تحصّلت من علمٍ ومن فقهٍ مثل الجبال الرواسي لم يزل حجبِي

فالغاية من العلم الوصول إلى خشية الله: **﴿إِنَّمَا نَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾** (٢٨ فاطر) والأدب قال فيه إمامنا أبو العزائم للمبتدئين وللمنتهين، فقال للمبتدئين: **(الزم الأدب، ولا فانتظر العطب) وقال للمنتهين: (حافظ على الأدب ولو رُقيت إلى أعلى الرتب).**

فكل السالكين والواصلين والعارفين والمتمكنين والأفراد والوارثين، في حاجة ماسة

شديدة إلى الأدب مع الله، ومع حبيب الله ومصطفاه، ومع إخوانهم المؤمنين، ومع خلق الله تبارك وتعالى أجمعين... والرسول ﷺ كان شديد الحياء، كان من شدة حيائه لا يواجه إنساناً بما يسيئه وإن أخطأ، والخطأ ظاهر، فيستحي أن يقول له: أخطأت في كذا، ولكي يُوجهه كان يأتي في مجلس كجالسنا هذه ويقول: ما بال أقوام يفعلون كذا؟! ما بال أقوام لا ينتهون عن كذا؟! فإذا فهم الإشارة فيا هناء لأنه سيفوز، وإذا قال: هذا الكلام ليس لي، هذا الكلام لغيري من الحاضرين وأنا لست منهم، فقد ضاع لأنه لم يفهم إشارة حبيب الله ومصطفاه ﷺ!! فتولَّى الله تبارك وتعالى بذاته تأديب أصحابه حتى يكون قانوناً ثابتاً للآداب الإلهية إلى يوم الدين، وعلمهم كيف يتأدبون مع حضرة النبي في الجلوس بين يديه؟ وكيف يتأدبون في زيارته؟ وكيف يتأدبون في الحديث معه؟ وكيف يتأدبون إذا دعاهم إلى طعام؟ كل الآداب التي يحتاجون إليها ذكرها الله تبارك وتعالى.

فجاء السادة العلماء الحكماء العرفاء وقالوا: أدب الصحابة الأجلاء مع حضرة النبي هو ما ينبغي أن يكون عليه المرید السالك مع الشيخ الولي.

نشرب هذه الآداب لأنفسنا لكي نرتقي كما ارتقوا، ونصل إلى ما وصلوا إليه، وإياك أن تتهاون بشيء من الأدب ولو قليل، لأن الأدب عنوان الذوق الرفيع، والفهم البديع والإقبال الأفضل على الله تبارك وتعالى.. الرسول ﷺ علمهم أنهم لا يفعلون شيئاً إلا بعد أن يروا حضرته، لكي يتبعوه ويقلدوه في العمل، أرادوا أن يُصلُّوا، فقال لهم:

{ صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي } ١٩٨

ليس شرحاً نظرياً فقط، ولكن لا بد وأن يشاهدوا المثال العملي، حتى تكون الصلاة مطابقة لما يُحبه الله ويرضاه.

أدب المناجاة

إذا أرادوا أن يعملوا أي عمل لله، فلا بد أن يعملوه على النموذج الأمثل الذي فعله سيدنا رسول الله: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ

فلما نزل قول الله تبارك وتعالى: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَخَرَّ ﴾ (٢ الكوثر) لمن هذا الأمر؟ لرسول الله ومن معه، فما الواجب عليهم أن يعملوه؟ ينظرون ماذا يفعل وينفذون، ينظرون متى يذبح ثم يذبحوا، فلا يسبقوه ولا يتعجلوا، لأن النفس جُبلت على العجلة: ﴿ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا ﴾ (الإسراء ١١١) فماذا نفعل يا رب؟ قال: ﴿ سَأُورِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾ (الأنبياء ٣٧) دائماً سَكِنِ الْعَجَلَةَ الموجودة عند النفس بالتأني والحذر.

فجاء جماعة يوم عيد الأضحى وكانوا متعجلين كعادة الإنسان النفساني، وأسرعوا إلى أضحايتهم وذبحوها قبل أن يُصلي حاضرة النبي صلاة العيد، وقبل أن يذبح حاضرة النبي، فعلمهم الله ﷻ على الفور الأدب: ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ وهذا نداء لكل المؤمنين من بدء الدنيا إلى يوم الدين، لأنهم كما أنهم مخاطبين، فنحن أيضاً مخاطبين؛ أننا لا نقدم رأي ولا عمل إلا بعد أن نتيقن من عمل النبي ﷺ لهذا الأمر.

وهذه كارثة كبيرة ظهرت في زماننا هذا، فكثير من الناس الآن يفتي لنفسه ويفتي لغيره، ولا يعرف صحيح الدين، لكنه يظن أن الموضوع (فهلوة)!! لكن الفهلوة في الدنيا، لأنك تضحك على فلان وتغشسه في كذا، أو تخدعه في كذا، مع أن هذه لها عقاب أليم في الدنيا ويوم الدين، لكن هذه الفهلوة لا تجب مع رب العالمين.

إذا عرفتُ وتأكدتُ أعمل كما كان يعمل النبي، فإذا شككتُ في أمري: ﴿ فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٤٣ النحل) من يتكبر أن يسأل فهذا يسيئ الأدب مع الله، ويقع في خطأ فادح ليس له ردٌّ، لأن المفروض أن لا يعمل شيئاً ويقدمه على ما فعله أو رآه أو أمر به أو نهي عنه سيدنا رسول الله ﷺ.

ولذلك أنا أحذر الأحاب جميعاً ليس لنا شأن بالإفتاء، فلا نفتي أحداً، إلا إذا كانت مسألة أنا متأكد منها، وموضوعات الطلاق إياكم أن تفتوا فيها، ومشیخة الأزهر جعلت في كل مركز لجنة للفتوى، فمن يأتيك قل له: اذهب للجنة الفتوى التابعة لمشیخة الأزهر، وخذ فتواك منهم، ودار الإفتاء يردون على بعض الفتاوي بالتليفون، لكن الفتوى الممنوعة عندهم على التليفون هي فتوى الطلاق، والذي يريد فتوى في الطلاق لا بد أن يذهب إليهم هو وزوجته، حتى يكون الكلام في مواجهتهما، لماذا؟ لأنهم رأوا أن الناس تكذب،

ويريد أن يفتي له المفتي، ويقول: ضعها في رقبة عالم واطلع منها سالم!!!.

لذلك نحن ليس لنا شأنٌ بهذه الأخطاء الشنيعة، كأن يتكلم معك زميل في العمل، في أمر طلاق، فهل تقول له: لا تذهب هنا أو هناك وأنا سأفتيك!! وهذا الكلام يحدث، فتجد مفتين في كل زمان ومكان، وليس معهم شهادة افتاء، وليس معهم علم كامل يؤهلهم لهذا الأمر وهو الإفتاء، وهذه كارثة انتشرت في هذا الزمان وفي هذا العصر والأوان، وأنتم أحسبكم والحمد لله من الثلثة المباركة الذين يقول فيهم حضرة النبي ﷺ:

{ لَا يَزَالُ مِنْ أُمَّتِي أُمَّةٌ قَائِمَةٌ بِأَمْرِ اللَّهِ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، وَلَا مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ } ١٩٩

استفتت دائماً، حتى ولو أنك تعرف رأي فلا مانع من معرفة رأي جديد، أو حكم جديد، حتى يكون عملك كله مُسَدَّد ورشيد على نهج النبي، وعلى كتاب الله الحميد المجيد سبحانه وتعالى ... فهؤلاء عندما ذبحوا قبل حضرة النبي عاتبهم الله تبارك وتعالى فقال لهم: ﴿ لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ لا تقدموا أمراً على أمر الله ورسوله، وهناك قراءة أخرى: ﴿ لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ وهذه ظهرت في هذا العصر من الجماعة المتفرجين، يقول: الدين يقول كذا، ولكن هذا الكلام كان في عصر النبي وعصر الصحابة، لكننا في عصر جديد ونريد أن نغير هذا الكلام!!

فهل أنت من يُغير؟! وهذه مصيبة كبرى ... الإسلام سمته الأساسية أنه صالحٌ لكل زمان ولكل مكان، فكل أحكام الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان، ولكنها تحتاج لرجال علموا وعملوا ففقههم الله سبحانه وتعالى أحكام كتابه، وبين لهم النبي ﷺ في صدورهم أو في أذانهم الحكم الصواب الذي يقتضيه هذا الأمر.. الإنسان فينا لا يقدم عملاً إلا إذا كان قد تأكد أنه على هدي النبي، وأنه يتأسى فيه بحضرة النبي، وأنه يتابع فيه حضرة النبي ﷺ: ﴿ لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَتَّقُوا اللَّهَ ﴾ الذي يخالف هذا الأدب يتقي الله، يعني يخاف من الله، لأنه كيف يخالف رسول الله ﷺ!!! والله ﷻ حذر في القرآن وقال لمن سيمشي خلفه: ﴿ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا ﴾ (٥٤ النور) وقال للمخالفين: ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ

١٩٩ البخاري عن معاذ بن جبل ومسلم عن ثوبان

مُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ (النور).

انذار شديد للهجة من رب العالمين، لمن يخالف هدي النبي، وسنة النبي في أي أمر في حياته الدنيا، إن كان لأمر دينوي تشريعي، أو لعبادة يقصد بها وجه الله، ويريد بها رضاه تبارك وتعالى ... وعرفنا لكي نعرف دائماً أن كل ما ينطق به اللسان، حتى ولو هو، حتى ولو عبث، فأول من يسمعه حضرة الرحمن: ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ إذا عرفت أن كل كلمة تخرج من لساني سيسمعه أولاً الله، فأرعوي وأردع نفسي، فإما أن أقول الحق وإما أن أسكت، إما أن أقول الكلام الذي يُحبه الله، وإما أن أصمت، لأن كل كلمة يسمعه رب العزة تبارك وتعالى ... وهل يسمعه فقط؟ لا، بل عارف وعالم وعليم بالنية المصاحبة للكلمة التي في صدري، فكل كلمة تخرج لها نية، فأنت عندما تريد أن تتبرأ من كلام قلته تقول: كانت نيتي حسنة في هذا الكلام، وهذا للأنام، لكن عند رب العزة ماذا تقول له؟! ﴿وَلِنْ تَبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يُحَاسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ (البقرة ٢٨٤) يعلم ما في حنايا الصدور، ويعلم ما في طوايا القلوب، ويعلم كل شيء تظن أنه خاف على الخلق، لكن لا تخفى على الله فيك خافية: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ (آل عمران).

وهذا هو الأدب الأول الذي علّمه لنا الله، أننا لا نعمل أي عمل إلا إذا تأكدنا من المتابعة فيه لرسول الله ﷺ، فإذا لم نعرف لا نتحرّج أن نسأل، لأن كل إنسان فينا ولو كان عالم العلماء سيظل طالب علم حتى يلقي الله، وحتى رسول الله الذي علّمه الله علوم الأولين والآخرين قال له الله: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ (١١٤ طه) فلا نهاية للعلم، لأنه لا نهاية لحضرة العليم سبحانه وتعالى.

الأدب في مخاطبة النبي ﷺ

موقف آخر يعلمنا كيف أن سيدنا رسول الله ﷺ تحمّل هؤلاء الناس الجفافة الغلاظ فُساة القلوب، الذين كانوا أشد من الوحوش في التعامل فيما بينهم، لكنه تحمّل وصبر إلى أن غيرهم رأساً على عقب وبدلهم من هذه الأخلاق الوحشية إلى أخلاق ملكوتية، فأصبحوا كأنهم ملائكة يمشون على الأرض.

عائلة اسمها (بنو سليم) وكانوا قريبين من المدينة في البادية، وأخلاق البادية لوجود

الجمال والصحاري دائماً يكون فيها جفاء وغلظة، فجاءوا إلى حضرة النبي ﷺ في أمر، ووصلوا بعد أن صلى النبي الظهر بفترة، والنبي كان حريص أن ينام في هذه الفترة وهي فترة القيلولة، وكان يقول للذين يريدون أن يكونوا معه:

{ اسْتَعِينُوا بِالْقَيْلُولَةِ عَلَى الْقِيَامِ } ٢٠٠

هذه القيلولة كان ينام فيها لحظات، لأن الله قال له: ﴿ قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (المزمل) فيأخذ هذه اللحظات ليستعين بها على القيام، فسألوا: أين الرسول؟ قالوا لهم: نائم، فماذا يفعلون؟ والرسول ﷺ كان عنده تسع بيوت بتسع زوجات، فقسّموا أنفسهم كل جماعة تذهب لبيت وينادون بصوت عال: يا محمد يا محمد يا محمد، ما هذا الأدب؟! فالله سبحانه وتعالى علمهم وأمثالهم: ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ ﴾.

لا بد أن يكون هناك فرق بين الأستاذ والطالب، الأستاذ يتكلم بصوت عالٍ ليُسمع الكل، لكن الطالب يتكلم بصوت خافت أدباً مع أستاذه!! كيف تنادون عليه هكذا؟! وكيف توقظوه من النوم؟! وهل من الأدب أن توقظوه من النوم؟! لا، وهذا الكلام أيضاً يحدث مع بعض المريدين مع مشايخهم، كثيرٌ منهم يتصل بالتليفون: أين فلان؟ يقولون له: إنه نائم، يقول لهم: أيقظوه لأنني أريده في أمرٍ ضروري، لماذا لا توجل أمرك هذا ساعة حتى يأخذ الرجل حظه من النوم؟! لكن هذا يكون من عدم التوفيق، فأكبر نعمة يمنها الله تبارك وتعالى على المريء نعمة التوفيق، لأن التوفيق عزيز لم يُذكر في كتاب الله إلا مرة واحدة وعلى لسان نبي: ﴿ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ ﴾ (٨٨ هود).

الموفق علامته قال فيها الإمام أبو العزائم رحمته: (المريد الصادق يفهم إشارة المرشد قبل كلامه) ، فكنا نعرف ماذا يريد الشيخ بدون أن يتكلم، وهذا إحساس رباني نوراني دليل على توفيق الموفق تبارك وتعالى.

عقوبة ترك الأدب

فعاتب الله هؤلاء القوم وقال لهم: ﴿ لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ ﴾ وأيضاً لا

تتكلّموا معه كما تكلمون بعضكم: ﴿ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ ﴾
 فأنتم تنادون على بعضكم: يا فلان يا فلان، ولكن لا تقولون لرسول الله: يا محمد، ولكن
 تقولون له: يا نبي الله أو يا رسول الله أو يا حبيب الله أو يا صفّي الله، لأنه ليس مثلكم، ولا
 بد أن يكون مميزاً!! والذي سيقع في ذلك ستكون مصيبته الكبيرة: ﴿ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ
 وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ وهذه خطورة هذه الآداب، تُحبط العمل، يعني تُبطئه، يأتي العمل يوم
 القيامة فيجعل الله تبارك وتعالى هباءً منثوراً: ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ
 هَبَاءً مَّنْثُورًا ﴾ (٢٣ الفرقان) عندما نزلت هذه الآية فإن الصفوة ومنهم سيدنا أبو بكر قال له:

﴿ وَالَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَا أَكَلِمَكَ إِلَّا كَأَخِي السَّرَّارِ حَتَّىٰ أَتَقَىٰ
 اللَّهُ ﷻ ﴾ ٢٠١

يعني كمن يهمس في أذن صاحبه، ومشى على ذلك، وكانوا إذا ذهبوا إلى بيت حضرة
 النبي ينقرون البيت بأظافرهم، فلا يطرق الباب بيده، ولكن بالأظافر، مع أن أبواب البيوت
 قديماً لم تكن كأبوابنا، بل كانت أبواباً كبيرة، فماذا تفعل فيها الأظافر؟! لكن كان ذلك من
 حرصهم على الأدب مع حبيب الله ومصطفاه، كان رجل من أصحاب رسول الله اسمه ثابت
 بن قيس ؓ، وكان صوته جهوري، وكان النبي ﷺ إذا أراد أن ينادي أمراً في مجتمع كبير
 كالجيش أو ما شابه ذلك فإنه يتكلم وثابت يُبلغ، كالبلاغ في الصلاة، فكان يبلغ في الصلاة
 ويبلغ كلام رسول الله ﷺ في الجموع الكثيرة.. هذا الرجل عندما نزلت هذه الآية قال: أنا
 صوتي مرتفع وقد حبط عملي، وحبس نفسه في حُجرة، وقال لزوجته: ثبتي الباب من الخارج
 بالمسامير حتى لا يفتح عليّ أحد ولن أخرج لأنني ضعت!!، كانت قلوبهم حساسة في الأدب
 مع الله ورسوله.. ولما افتقده النبي ﷺ مدة من الزمن سأل عنه، فقالوا له: صنع كذا، فطلب
 منهم أن يأتوا به، فجاءوا به للرسول، فسأله عن أمره، قال:

﴿ إِنِّي أَمْرٌ جَهِيرُ الصَّوْتِ، وَأَخَافُ أَنْ يَكُونَ قَدْ حَبِطَ عَمَلِي، فَقَالَ: بَلْ تَعِيشُ
 حَمِيدًا، وَتَمُوتُ شَهِيدًا، وَيُدْخِلُكَ اللَّهُ الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ ﴾ ٢٠٢

٢٠١ الحاكم في المستدرک عن أبي هريرة ؓ

٢٠٢ الحاكم في المستدرک والطبرانی عن قيس بن ثابت ؓ

لماذا؟ لأنه كان ينفذ ما يريده الرسول ﷺ، وظل حتى موقعة اليمامة مع سيدنا خالد بن الوليد وحارب في الموقعة، وفعلاً مات شهيداً كما أخبر النبي ﷺ!! حتى قالوا أن سيدنا عمر كان أيضاً صوته جهوري، لكنه كان إذا تكلم مع حضرة النبي لا يستبين النبي كلامه من شدة خفض صوته، فيطلب النبي منه أن يُعيد الكلام ويرفع صوته قليلاً، مع أنه جهوري الصوت!. هؤلاء وأمثالهم قال فيهم الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى﴾ نجحوا في امتحان التقوى.

جزء أهل الأدب

هؤلاء ماذا لهم؟ ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ والأجر العظيم لا يعلمه إلا حضرة العظيم تبارك وتعالى، وهذا كله بالأدب مع رسول الله، وبغض الصوت عند الحديث مع حبيب الله ومصطفاه صلوات ربي وتسليماته عليه.

والذين نادوا من وراء الحجرات قال فيهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ هؤلاء ليس معهم عقول، لأنهم لو كان معهم حتى عقول عادية وذهبوا إلى أي إنسان لمصلحة وعلموا أنه نائم في وقت الظهيرة، يجب أن يتركوه حتى يستيقظ.

سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما كان لا يتحرَّج عن طلب العلم من صحابة النبي، مع أنه ابن عم النبي!!، وكان يذهب إلى الصحابة الأجلاء في وقت القيلولة، وينتظر خارج البيت حتى لا يتركوه وهم ذاهبون إلى الصلاة، والرياح في المدينة في الصيف سموم، والجو شديد الحرارة، وأحياناً الرياح يكون معها رمال، ولكنه يتحمَّل في سبيل أن يأخذ هذا الرجل من البداية ويمشي معه.

وليس ذلك فحسب بل كان يذهب إلى سيدنا زيد بن ثابت يتعلم منه علم الفرائض أي علم الميراث، الذي علَّمه له رسول الله، فكان ينتظر حتى يخرج الرجل، ويأتون له بالبعلة يركبها حتى مسجد رسول الله، فيسحب سيدنا عبد الله البعلة، فيقول له سيدنا زيد: يا ابن عم النبي لماذا تفعل ذلك؟! فيقول: هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا، فيقول له: هات يدك لتسلم عليّ، فيقبِّل يده ويقول له: وهكذا أمرنا أن نفعل مع آل بيت نبينا، أدب مع أدب،

آداب عالية، فكانوا في غاية الأدب مع بعضهم.

فكان طلاب العلم - مع أن العلم فريضة - لا يذهبون إلى علمائهم ليطلبوا العلم في وقت القيلولة، وإذا ذهبوا يجلسون خارج المنزل حتى يتأكدوا أنهم استيقظوا وتهيأوا لصلاة العصر، فيخرجون معهم، لماذا؟ حتى يخرجون من القوم الذين نعى عليهم الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتَأَدُّونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾.

والحجرات هي مساكن زوجات حضرة النبي، لأن كل واحدة منهن كان لها حُجرة واحدة وفيها كل شيء، ولذلك عندما تزوج سيدنا رسول الله السيدة زينب بنت جحش، ودعا أهل الصُّفَّة لياكلوا الوليمة، فماذا تفعل وهم جالسون في الحجرة؟! جلست ووجهها للحائط، وظهرها لهم حتى ينتهوا من الأكل، لكن جماعة منهم كانوا غير مهذبن، فبعد الأكل جلسوا يستأنسوا ويتكلموا!!، وحضرة النبي تركهم وقام حتى يفهموا، ودار على زوجاته وعاد فوجدهم كما هم، فرجع مرة ثانية إلى أن قال لهم أحد الصحابة الأجلاء: ما دمتم قد أكلتم فقوموا، فأنزل الله تبارك وتعالى في سورة الأحزاب آداب الطعام عند رسول الله ﷺ.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾ لو انتظروا حتى تستريح كان ذلك أفضل لهم في الأدب، وفي رفعة المقام، وفي الدرجة عند الله تبارك وتعالى، وفي الخيرات المباركات الكثيرات التي تنزل عليهم ممن يقول للشيء كن فيكون.

ومن عظمة المولى تبارك وتعالى من أجل هؤلاء - مع ما عملوه - حتى لا يجزنوا ولا ينكسروا ولا يبعدوا، قال لهم: ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ لقد ساعناكم هذه المرة، ولكن لا تعودوا لها مرة ثانية، يعني حتى أن الإنسان لو أخطأ فلا مانع ولكن يسارع إلى التوبة، ويسارع إلى المغفرة، ويسارع إلى الإنابة لله تبارك وتعالى، العلماء الأجلاء قالوا: رفع الصوت لا ينبغي أن يكون عند الرسول حياً ولا في روضته.

فعبارتهم التي كتبوها في كتب الفقه لا أحب أن أقولها لأن لنا عبارات خاصة مع رسول الله، يقولون: لا ينبغي رفع الصوت مع رسول الله حياً ولا ميتاً، ولكن هل هو ميت؟! هذا الكلام لا يصح، فنحن نراه حياً دائماً، فمن الذي يردُّ علينا السلام؟ هو، وتعرض عليه

الأعمال، فهو حيٌّ حياة كاملة، ولذلك نقول: لا يجوز رفع الصوت عنده حياً ولا في روضته. حتى أن الإمام مالك رحمه الله أيضاً كره أن يقال: قبر رسول الله، فهو ليس قبر، ولكنه روضة من رياض الجنة، بل هي أعلى من روضات الجنان، بل قال بعض الصالحين والعارفين: إنها أعلى من الفردوس الأعلى.

ولذلك الذين يقرأون في كتب السادة الفقهاء ويذكرون أن الشيخ العتبي كان جالساً في الروضة ورأى أعرابياً دخل الروضة وناجى رسول الله:

يا خير من وضعت في القبر أعظمه فطاب من طيبهن القاع والأكم
نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه فيه العفاف وفيه الجود والكرم

ونحن لا نقول مثلما قال هذا الرجل، ولكن نلتزم الأدب مع رسول الله ونقول:

يا خير من وضعت في الروض أنجمه فطاب من طيبهن الروض والأكم
نفسي الفداء لروض أنت ساكنه فيه العفاف وفيه الجود والكرم

فالعارفون لهم ملاحظ ذوقية في الخطابات الموجهة للحضرة المحمدية، ولا بد أن ينتقوا فيها الكلام الذي يليق مع هذه الذات العلية التي شملها الله تعالى بعطفه وجوده وكرمه، وأعطاه مفاتيح الخير والفلاح والنجاح في الدنيا والآخرة.

﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ﴾

وخير ختام: ﴿ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾

لنعرف كلنا أن رحمة الله الواسعة مفتوحة للجميع، مهما أذنب الإنسان، ومهما ارتكب من جرم، المهم أن يشعر أنه أخطأ ثم يتوب، فإذا شعر أنه أخطأ وتاب يتوب الله تبارك وتعالى عليه، لكن أخطأ ويتمادى في الخطأ ويظن أنه على الصواب، فمن أين تأتيه المغفرة؟!.

نسأل الله تبارك وتعالى أن يرزقنا الأدب مع حضرته، والأدب مع حبيبه ومصطفاه، والأدب مع أولياء الله، والأدب مع إخواننا المؤمنين

الكتاب افضل المطبوع تفسير آيات المقربين
الشيخ فوزي محمد فوزي

d d

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

d d

١٢: الأدب مع رسول الله (٢١٤) تفسير الآيات (١-٥) من سورة الحجرات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمْنَا قُل لَّمْ
تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا
يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ
تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ
أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ
﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ
ءَأْمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا
وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي
سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمْ

الْصَّادِقُونَ ﴿١٥﴾ قُلْ أَتُعَلِّمُونَ
اللَّهَ بَدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي
السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ
بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾ يَمُنُونَ
عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ
إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ
هَدَيْتُمْكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ
﴿١٧﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ
﴿١٨﴾ (الحجرات)

١٣. علامات صدق الإيمان ٢٠٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - الحمد لله الذي حبَّبَ إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، وكرهَ إلينا الكُفر والفُسوق والعصيان، وجعلنا بفضلِهِ ومنه وجوده وكرمه من الراشدين، والصلاة والسلام على مصدر الإيمان، ومنبع الإحسان، وسرُّ الإيقان، ومفتاح الجنان؛ سيدنا مُحَمَّد وآله وصحبه وكل من مشى على نهجه إلى يوم الدين، وعلينا معهم أجمعين .. آمين يا رب العالمين.

الآيات التي معنا اليوم من سورة الحجرات، وسورة الحجرات يجب على كل مسلم أن يقرأها ويقرأ تفسيرها، لأننا نحتاجها كلنا في حياتنا، ففيها كل ما يحتاجه المؤمن لنفسه ليتعامل مع من حوله، وليتعامل مع ربه تبارك وتعالى، وليتعامل مع نبيه ﷺ.

أصحاب المصالح

ككل زمان هناك أناس أصحاب مصالح، يتظاهرون بأنهم مع أهل الإيمان، ومؤمنين مثلهم، ولكن هدفهم ليس الإيمان بالله للدار الآخرة، فالإيمان لم يستقر في قلوبهم، ولكنهم يريدون المنافع الدنيوية، وهؤلاء في كل زمان ومكان.

على سبيل المثال: كل طريقة من طرق الله تبارك وتعالى، وكل عارف من العارفين يذهب إليه أناس صادقين، ويذهب إليه أناس يمشون معه ليستفيدوا من المصالح حول هذا الرجل.

وهؤلاء في كل زمان ومكان، ونحن نراهم، ومعدرةً - من غبائهم - يظنون أنه لا أحد يراهم، ولا يعرفهم، ولا يطلع على نواياهم، لكن هذه سُنَّة الله، ولن تجد لسنة الله تبديلاً.

جماعة من الأعراب، والأعراب هم الذين يسكنون الصحراء ولا يسكنون المدينة، كانوا في الصحراء التي بجوار المدينة وكان إسمهم (بنو سليم).

حدث قحطٌ وقلَّت الأوقات في عصر رسول الله ﷺ، فماذا يفعلون؟ جميعهم أخذوا نساءهم وأولادهم وبناتهم وذهبوا إلى المدينة، وقالوا: يا رسول الله نحن مؤمنون ولم نحاربك كما حاربك الآخرون، فجئناك لتطعمنا وتسقينا وتُعطينا كل الطلبات التي نحتاجها من الدنيا، لكن الله سبحانه وتعالى الذي لا تخفى عليه خافية فضحهم وأنزل: ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمْنَا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا ﴾.

ما الفارق بين الإسلام والإيمان؟ الآراء كثيرة، لكن الرأي الذي أجمع عليه العلماء الأفاضل أهل الوسطية الإسلامية، قالوا: الإسلام هو أن ينطق الإنسان بالشهادتين بلسانه لكي يأخذ مصلحة، أو لينجو في قتال من الذبح أو غيره، وهو لم يستقر الإيمان في قلبه، وهذا نسميه مسلم، لأن النبي قال لأصحابه ﷺ:

{ أَمَرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَمَنْ قَالَهَا فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ، وَنَفْسَهُ إِلَّا يَحْقَهُ } ٢٠٤

من قال لكم: (لا إله إلا الله محمد رسول الله) لا تؤذوه ولا تسلبوه أمواله، لأنه أسلم بحسب هذا الأمر.

أما الإيمان فهو أن الإنسان إذا نطق بلسانه بالشهادتين يتوافق القلب مع اللسان، نسأل الله أن نكون من أهل الإيمان أجمعين.

فالإيمان إذا نطق بالشهادتين بلسانه ولم يوافق القلب فهذا ليس بمؤمن، ولكنه مسلم، وإذا نطق باللسان ومعه القلب فهذا يكون مسلم كامل الإسلام ومؤمن كامل الإيمان، لأنه عبر عما في قلبه بلسانه، والإيمان مستقر في قلبه.

لذلك أمر الله نبيه أن يخبرهم ويعرفهم: ﴿ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا ﴾ لماذا؟ لأنهم فعلوا ذلك ليأكلوا ويشربوا ويأخذوا المعاش من رسول الله فهل ينفع هذا الإسلام؟ لا.

كما يحدث الآن كثيراً، يأتي أحدهم بشهادة لا أعلم من أتى بها؟ ويدور في أنحاء

الجمهورية ويقول: أنا كنت مسيحي وأسلمت، وهذه هي الشهادة، وأريد أن تساعدوني بشيء، وكثير من المسلمين يتعاطف معهم!!.

لكن إن كنت قد أسلمت فهل أسلمت لتسؤل؟! إذا أسلمت وآمنت بصدق فالله ﷻ سيغنيك، ولو وجد في أي مكان واحد بيننا دخل في الإسلام عن يقين فهل سنتركه؟! لا، ولن نجعله يتسؤل، لكنه جعلها سبباً ليحصل على الأموال، لكن الإيمان الصادق صاحبه يتوكل على من يقول للشيء كن فيكون.

﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ كما ذكرنا، الإيمان في القلب غير موجود، وغير مستقر في القلب، وانظر إلى حكمة كلام الله، فلم يقل الله (لم يدخل الإيمان في قلوبكم) لأنه لو قال لك لم يكن لأحد منهم أن يدخل في الإسلام مرة ثانية أبداً، لكن قال: ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ﴾ يعني أعطاهم فرصة ومعناها: راجعوا أنفسكم واقتنعوا وأدخلوا الإيمان في القلوب حتى تصبحوا من المؤمنين.

كلام رب العزة عجيب وغريب: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ (النساء ١٢٢) ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ (النساء ٨٧).

علامة صدق الإيمان

متى تكونوا مسلمين؟ قال لهم: ﴿وَإِنْ تَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ إذا أطعتم الله ورسوله فهذا دليل الإسلام والإيمان الصحيح، لكن يقول أنا مسلم ويخالف رسول الله، ويخالف كتاب الله، فهل هذا يكون إيمانه إيماناً صحيحاً؟! لا.

الإيمان يعني التصديق، يعني أنا أصدق بكلام الله وكلام النبي، وكووني صدقته يعني أنا أتبعه، وأمشي وراءه، وأنفذ ما أمر به، وأنتهي عما نهى عنه، وأعمل بقول الله: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ (الحشر ١٧) وهذه علامة الإيمان السديد السليم عند الله تبارك وتعالى، وعند رسوله، وعند المؤمنين.

ولكي يفتح الله لهم الباب أكثر، وهو رءوف ورحيم ولطيف بكل عباده، قال لهم إذا أطعتم الله ورسوله: ﴿لَا يَلْتَمِسُ مِنْكُمْ مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا﴾ يلتكم يعني يُنقصكم، فكل الأعمال

التي عملتها سنحسبها لكم بشرط أن تؤمنوا بالله ورسوله، وتطيعوا الله ورسوله، فنحسب لكم هذه الأعمال ولا تضع عليكم لأنكم آمنتم بالله ورسوله.

وفتح الباب أكثر وقال لهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ اعرفوا خطاكم، وارجعوا وتوبوا إلى الله، وامشوا وراء رسول الله، وكل أعمالكم السابقة سيحسبها الله لكم، وسيغفر لكم وسيرحمكم الله تبارك وتعالى.

اقتضى كلام رب العزة بعد أن بين أحوال الذين لم يستقر الإيمان في قلوبهم أن يبين أحوال المؤمنين الصادقين، الذين نسأل الله أن نكون منهم أجمعين.

موازين المؤمنين الصادقين

وهذا الميزان الذي وضعه لنا الله في القرآن لنزن أنفسنا به، ونعرف أين نحن؟ من المؤمنين الصادقين؟ ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾ لم يحدث عنده في يوم من الأيام شك في حضرة الربوبية، أو شك في صدق الرسالة المحمدية، بل عنده يقين كامل في أن الله رب الوجود، وهو الخالق لكل موجود، وهو الممد لكل موجود بأرزاقه، والهواء الذي يتنفسه، وكل ما يحتاج إليه في دنياه، وبيده الخير كله وهو على كل شيء قدير.

هذا اليقين هو دليل الإسلام الصادق؛ أن يعلم أن الله واحد أحد، فرد صمد، ليس كمثلته شيء وهو السميع البصير.

الجهاد بالمال والنفس

لكن آمنوا وعندهم يقين، فهل هذا يكفي؟ لا، لا بد أن يجاهد، وبماذا يجاهد؟ ﴿وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ يجاهد بماله وبنفسه في سبيل الله، ولماذا بدأ بالمال قبل النفس؟ لأن الناس دائماً عندهم شح على المال، فالكثير قد يضحى بنفسه ولا يضحى بشيء من ماله!!.

فبدأ بالمال لأن الإنسان إذا كان كريماً ببذل المال، يهون عليه كل شيء في عالم الدنيا،

لأنه صادق في حبه لله، ومتابعته لسيدنا رسول الله ﷺ.

كيف يجاهد بماله وبنفسه في سبيل الله؟ هل الجهاد قاصر على المعارك الحربية؟ لا، يجاهد لكي يأخذ بيد إخوانه الفقراء ويجعلهم لا يتكفون الناس، ولا يسألون الناس إحفاً، ويُغنيهم عن الحاجة.

فلو أن كل جماعة من المسلمين في أي محلّة - إن كان قرية أو عزبة - تجمعوا ويحثوا عن الفقراء عندهم في القرية، الذين ليس لهم مصدر دخل، ولا يستطيعون العمل، لأغنوهم عن الحاجة.

لكن لا أعطي من يستطيع العمل، لأني أرى شباباً كثيراً قوياً ويتسول!!، رأيتُ شاباً في سن التاسعة عشر عند المسجد، وقال: أنا من سوريا ومعني جواز السفر وأريد المساعدة، فقلت له: كيف تسأل وأنت لا زلت شاباً وصحيح وقوي البنيان!!؟ لم لا تعمل!!؟ اذهب وابحث عن عمل، والسوريون النشطاء عملوا مصانع وعملوا محلات، حتى أننا نضرب بهم المثل لأولادنا.

الذي يسأل من يعجز عن العمل، كأن يكون عنده إصابة تمنعه من العمل، أو كبر سنه ولا يستطيع العمل، أو مريض مرض مزمن ولا يستطيع العمل، فهذا من له الحق في أن يسأل.

لكن الشاب الفقي الذي يستطيع أن يعمل فهل يجوز له أن يسأل؟! لا، ونحن لا نعوّد شباب المسلمين علي هذا الكسل، لأن الإسلام دين العزة، وعلمنا أن نكون أعزاء: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (المنافقون) والنبي كان يُحب هؤلاء.

فعندما هاجر سيدنا عبد الرحمن بن عوف إلى المدينة المنورة، وأهل المدينة كانوا أناس كرام ولا يزالون، كانوا عندما يأتيهم مهاجر يسارعون ويتنافسون ويُرِيد كل واحد منهم أن يأخذه عنده، حتى روت كتب السيرة أن المهاجر كان يتنافس عليه أكثر من خمسين رجلاً!!، وكل واحد يريد أن يأخذه عنده فيضيف ضيف رسول الله ﷺ، ويأخذه ويقوم بكل شئونه، ولا يطلب منه شيئاً، بل يكفيه كل طلباته.

فعندما ذهب سيدنا عبد الرحمن بن عوف، آخى الرسول بينه وبين واحد من الأنصار

في المدينة، وكان رجلاً من الأغنياء، وبعد أن جلسا في البيت وقدم له واجب الضيافة، قال له: أنا من أغنياء المدينة، وهذا البيت أقسمه نصفين، واختر النصف الذي يروق لك، ومالي كله أقسمه نصفين واختر النصف الذي يروق لك، وهل أنت متزوج؟ فقال له: لا، قال له: أنا متزوج من اثنتين فانظر إليهما واختر ما تعجبك منهما أطلقها، وبعد انتهاء عدتها تتزوجها.

انظروا إلى الإيمان ماذا يصنع في الصدور؟! إيماناً غريباً!، فماذا قال له سيدنا عبد الرحمن؟ قال له: بارك الله لك في مالك، وبارك الله لك في أهلِكَ، وبارك الله لك في صحتك، ولكن دلني على السوق، يعني أن النبي عرّفني وعلمني أن لا أكون عالة على غيري.

وعندما علم سيدنا رسول الله ﷺ ما حدث منه سعد كل السعادة لأنه يريد هذه النوعية، ودعا له بالبركة، فكان أي شيء يبيعه يكسب فيه أضعافاً مضاعفة.

فذهب سيدنا عبد الرحمن إلى السوق ولم يكن معه شيء عدا شيء قليل، وفتح الله عليه ببركة دعاء النبي ﷺ له، حتى أنه - وانظروا لفضل الله - عندما انتقل إلى جوار الله، وكان متزوجاً من أربعة نسوة، وعنده أولاد، فقسموا التركة، والأربع نسوة نصيبهن ثمن التركة، فكان نصيب كل واحدة منهن أكثر من ثمانين ألف دينار من المال فقط، فانظر إلى البركة بدعوة النبي ﷺ.

لأن النبي يُريد العصاميين الأعرء الذين لا يكونون عالةً على غيرهم، ولكنه ينفع نفسه، ويتصدق على غيره من إخوانه المؤمنين.

فلو كل مكان قام بمن حوله من المحتاجين، فلن يكون هناك أي مسلم فقير في أصقاع الأرض، لماذا؟ لأن أهل كل مكان قائمون بأهل هذا المكان، وهذا ما يطلبه منا دين الله في جهاد الأموال.

وأيضاً نجاهد بالأموال بأن نحج بيت الله الحرام، فالإنسان ينوي الحج ويدخر مبلغاً بسيطاً، وكلما جاءه خيرٌ من عند الله يُكثِّره، فسيأتي في يوم من الأيام يجد عنده نفقة الحج جاهزة إن شاء الله، ويوفقه الله لأداء فريضة الله تبارك وتعالى.

ويجاهد بماله في بناء المساجد، وفي بناء المعاهد، وفي عمل تحفيظ للقرآن، وفي بناء

المصححات والمستشفيات التي نحن في أمس الحاجة إليها، وفي عمل المشاريع الخيرية التي نحتاجها كلنا، كل هذا جهادٌ في سبيل الله بماله.

وكيف يجاهد بنفسه؟ بأن يتخلق بأخلاق النبي، ويعمل بما طلبه القرآن الذي أنزله الله على النبي، فيكون صورة طيبة، فعندما يراها الآخرون يرون صورة الصدق والوفاء والشهامة والمرورة والكلام العفُّ اللطيف، يرون هذه الصورة فيحبون الإسلام ويدخلون في دين الله تبارك وتعالى أفواجاً.

ما الذي نفّر العوالم الأخرى التي حولنا من المسلمين؟

ليس الإسلام، لأنهم ظنوا أن الإسلام هو الذي عليه المسلمون في هذه الأيام، فيقرأ عن الإسلام ويجد أن الإسلام يأمر بالأخلاق الكريمة، ويرى أحوال المسلمين فيجدها كلها مخالفة عما جاء عن الله وعن رسول الله.

دولة من الدول الخليجية أقامت معرضاً كبيراً في لندن تعرض فيه الإسلام، وجهازته بالإمكانات لأن معهم المال، فجاء رجل إنجليزي وكان دارس وقارئ للإسلام، فجاءه أحد المنظمين في المعرض ليريه ما في المعرض، فقال له: ماذا تفعل؟ قال: أريك المعرض، قال: وماذا أفعل بالمعرض؟! أنتم الذين يجب أن تكونوا المعرض للإسلام وليس هذا المعرض الذي صنعتموه، فدينكم يأمر بالصدق وأنتم تكذبون، ودينكم يأمر بالأمانة وأنتم تغشون، ودينكم يأمر بالمرورة وأنتم تخونون، وأخذ يعد له إلى أن سكت الرجل ولم يستطع الرد عليه، وهذه الحقيقة!!

الله عز وجل يقول: ﴿ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ ﴾ (الأعراف) فتجد الكثير من الصنف الآخر، ينقص الكيل وينقص الميزان، وكل ما يأمر به الله لا يسير عليه!!

فماذا يُريد هؤلاء الناس؟ يُريدون رؤية الإسلام مُترجماً عملياً في أخلاق وسلوكيات وتعاملات المسلمين، فلو حدث ذلك لن تجد واحداً في الكون كله يتخلف عن الدخول في دين الله تبارك وتعالى، لكن الآن إذا تعامل تاجر أجنبي مع تاجر مسلم، وهو يعرف أن تجار الإسلام يقول فيهم النبي:

{ التَّاجِرُ الصَّدُوقُ الْأَمِينُ مَعَ النَّبِيِّينَ ، وَالصَّادِقِينَ ، وَالشُّهَدَاءِ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ } ٢٠٥

هذه فكرته عن التجار المسلمين، لكن عندما يتعامل مع أحدهم يجد أن التاجر يريد أن يخونه ويغدر به ويسلب كل أمواله ويُجرِّده باسم الإسلام والعياذ بالله تبارك وتعالى. فنحن نحتاج أن نجاهد في سبيل الله بأنفسنا بأن نُصلح أخلاقنا، ونُصلح معاملاتنا ونجعلها على نسق القرآن، وعلى نهج النبي العدنان ﷺ.

قد يقول البعض: ماذا أفعل وحدي؟! أنا مثلي مثل الناس!! وهذا ما نسمعه، والنبي يعرف هذا الكلام، وقال:

{ لَا تَكُونُوا إِمَّةً ، تَقُولُونَ : إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَمْرًا ، وَإِنْ أَسَاءُوا أَسَاءًا ، وَلَكِنْ وَطَّنُوا أَنْفُسَكُمْ إِنْ أَحْسَنُوا أَنْ تُحْسِنُوا ، وَإِنْ أَسَاءُوا أَلَّا تَظْلِمُوا } ٢٠٦

لا شأن لي بغيري، لأننا سنخرج من الدنيا، ولا نعرف متى الخروج، ويُقال لنا: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ (٢٣ الأحراب).

البعض قد تضحك عليه نفسه ويقول: لو أنا فعلت ذلك فإن الناس سيستغلوني ولن أعرف أن أعيش، كما يفعل التجار مع بعضهم، إذا وجدوا تاجراً أميناً، والناس ترغب في الشراء منه، فيقول له التجار: كيف تعيش كذلك؟! ما ذنب أولادك؟! ويحاولون أن يغيروه بأن يبدل في الصنف، أو يُنقص الوزن، أو يزيد في السعر!!، لكن المؤمن لا يفعل ذلك، لأن المؤمن يتوكل على الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ (٣ الطلاق) يعني يكفيه ويُغنيه، ويجعله لا يحتاج إلى أحدٍ في الدنيا، ويجعله عزيزاً كريماً في الدار الآخرة.

وهذه النماذج الطيبة التي أعطاها لنا الله في الدنيا حتى نعرف أن الإسلام لا زال بخير، وهم الصالحون، فمهما يحدث في الدنيا تجدهم لا شأن لهم بالنصب ولا الاحتيال، ولا الكذب ولا الخداع ولا أحوال النفاق والمنافقين، ونجد أن الله يُعزِّمهم ويغنيهم فلا يحتاجون إلى

٢٠٥ سنن الدار قطني والترمذي عن أبي سعيد الخدري ﷺ
٢٠٦ مسند البزار وجامع الترمذي عن حذيفة بن اليمان ﷺ

أحد بل يُعطون، ويُيسر لهم كل أمورهم بغير طلب من الناس، وإنما يكفيهم رب الناس تبارك وتعالى، لماذا؟ ليكونوا حُجة علينا، كيف؟! لأنك قد تقول: كيف أعيش؟ فيقولون لك: هذا الصالح فلان والصالح فلان والصالح فلان كانوا يعيشون في عصرك وكانوا ملوكاً، والناس كانوا يتهافتون عليهم، لماذا؟ لأنهم صدقوا ما عاهدوا الله عليه.

الذي يكون عنده يقين في الله ورسوله، ويجاهد بماله وبنفسه في سبيل الله:

﴿ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ هؤلاء الذين صدقوا في الإيمان مع حضرة الرحمن، ومع

النبي العدنان ﷺ.

من طبيعة الإنسان الجدل: ﴿ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴾ (٥٤ الكهف) فالذين نزلت فيهم هذه الآيات وهم بنو سليم خرج منهم كثير لحضرة النبي وأخذوا يخلفون أنهم مؤمنون بقلوبهم، وهم يعتقدون أن الأمر كذلك، ولا يعلمون أنه يرى ما في قلوبهم، فقال لهم الله: ﴿ قُلْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ بِدِينِكُمْ ﴾ :

هل تُعلمون الله الدين؟! هو يرى ما في القلوب:

﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ ل:

يس ما في صدوركم وقلوبكم فقط، بل يعلم ويرى كل ما في السموات والأرض:

﴿ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ وعلمه بما كان، كعلمه بما هو كائن، كعلمه بما سيكون، لأنه

سبحانه وتعالى بكل شيء عليم.

النهي عن المن

صنف آخر وقضية أخرى جاءت بها الآيات، وهي موجودة في كل زمان وكان، في أيام حضرة النبي، وتحدث مع الصالحين في كل زمان ومكان، يأتي أحدهم ويصحب الصالحين، ويفعل شيء، مثلاً إذا بنوا مسجداً فإنه يتبرع بمبلغ، هل هذا التبرع لنا أم لله؟

إذا كان لله فيجب أن تنساه.

كذلك إذا دعانا مرة للطعام، فهل نرد له الدعوة أم كانت لله؟ إذا كانت لله يجب أن

تنسى ما فعلت، فإذا عاير ويقول: أنا فعلت للشيخ والأتباع والحبين كذا وكذا، فهل يصح ذلك؟! لا، وهذا صنف موجود، وهذا الصنف حبط عمله، لأن عمله ليس خالصاً لخالق الوجود تبارك وتعالى.

لكن الذي يعمل العمل الصالح كما قال الله:

﴿ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾ (١٠١ فاطر) يرفعه الله، ولا يضعه أمام عينيه، وينظر إليه كل فترة، ويقول: أنا فعلت لك كذا، وأنا عملت لك كذا، فهذا يخسر هذا العمل، واسمع حضرة النبي ﷺ وهو ينوّه لنا على أمر خطير، يقول ﷺ:

{ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ الْعَمَلَ فَيُكْتَبُ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ مَعْمُولٌ بِهِ فِي السِّرِّ يُضَعَفُ أَجْرُهُ سَبْعِينَ ضِعْفًا ، فَلَا يَزَالُ بِهِ الشَّيْطَانُ حَتَّى يَذْكُرَهُ لِلنَّاسِ وَيُعْلِنُهُ فَتُكْتَبَ عَلَيْهِ عِلَابَتُهُ ، وَيُمْحَى بِضَعِيفِ أَجْرِهِ كُلِّهِ ، ثُمَّ لَا يَزَالُ بِهِ الشَّيْطَانُ حَتَّى يَذْكُرَهُ لِلنَّاسِ الثَّانِيَةَ ، وَيُحِبُّ أَنْ يُذَكَّرَ وَيُحْمَدَ عَلَيْهِ فَيُمْحَى مِنَ الْعِلَابَةِ ، وَيُكْتَبَ رِيَاءً } ٢٠٧

يعمل العبد العمل لله فيما بينه وبين مولاه، فلا يزال به الشيطان، ولا تزال به نفسه حتى يحدث به الناس، فإذا حدث به حبط عمله... مثلاً: عملت عملاً لله مع أحد من عباد الله، كان في ضيق شديد وفرجت عنه كربته، فتظل نفسي تُذكّرني به ولا تتركني، فتجعلني جالساً مع جماعة في يوم من الأيام، ويدور الحديث عن مساعدة الناس وتفريج الكروب، فأقول: كان فلان الفلاني ظروفه كذا وكذا، وعملت معه كذا!!، فيضيع العمل على الفور، ولا أجر له: ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ (١١٠ الكهف) ... جماعة من العرب في المدينة جاءوا لرسول الله ﷺ، وقالوا له: نحن قاتلنا معك وجاهدنا معك وعملنا كذا وكذا، ونريد أن تساعدنا مما أفاء الله به عليك، يعني يريدون الأجر في الدنيا، وقد أسلمنا - وهذه المهمة - بدون قتال ولا حرب، فقال الله لحضرة النبي:

﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا ﴾ :

والمُنْ يعني تعداد الأعمال التي عملوها، أو المعاييرة كما نقول.

هداية أهل الإيمان

﴿ قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ ﴾ :

هل يوجد أحدٌ يستطيع أن يهدي نفسه إلا بأمرٍ ربه؟! من يضمن هدايته حتى يلقي الله؟ لا أحد، حتى أن حضرة النبي ﷺ نفسه كان بعد كل صلاة يدعو ويقول:

{ اللهم يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ، ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ } ٢٠٨

ومن هذا؟! حضرة النبي، فهل أحدٌ فينا يضمن عدم تقلب قلبه؟! لا، لأن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن، فالهداية من الله لأنه هو الذي حَبَّبَ إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، فلو لم يُحِبِّ إلينا الإيمان فكيف كنا سنؤمن؟! الإيمان ليس بالمال ولا بالنسب ولا بالشهادة ولا بالجهاد، لكنه فضلٌ من الله تبارك وتعالى.

فالهداية من الله، والإيمان من الله، والنور الذي يدخل في القلب وهو نور الإيمان الذي يهبه هو الله تبارك وتعالى، وحضرة النبي تكلم عنه وجعل له علامات، وقال:

{ إِذَا دَخَلَ النُّورُ الْقَلْبَ انْشَرَحَ وَانْفَسَحَ، قَالُوا: فَمَا عَلَامَةُ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الْإِنَابَةُ إِلَى دَارِ الْخُلُودِ، وَالتَّجَافِي عَنْ دَارِ الْغُرُورِ، وَالتَّأَهُبُ لِلْمَوْتِ قَبْلَ نُزُولِ الْمَوْتِ } ٢٠٩

فشرح الصدر للإسلام من الله: ﴿ أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ ﴾ (٢٢ الزمر).

﴿ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْتُمُورَ الْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ :

ولذلك الصادقون في عصر النبي ﷺ كانوا دائماً ينشدون في رواحهم ومجئهم، ويقولون:

الكتب افضل المطبوع تفسير آيات المقربين (شرح فري محمد فوزي)

d d d d d d d d d d d d d d d d d d

اللهم لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينتنا علينا وثبتت الأقدام إذ لاقينا

إذا فالفضل في الإيمان للرحمن تبارك وتعالى، فهو الذي يُنزل الإيمان، ويُنزل نور الإيمان في القلب، وهو الذي يحفظ القلب من تقلبه بعد دخول الإيمان فيه، ويحافظ على إيماني حتى أفوز بخاتمة الحسن.

من الذي يضمن لنفسه حُسن الخاتمة؟ لا أحد إلا الذي يتولاه مولاه، ويجعله من أهل قُربه ونجواه تبارك وتعالى، ولذلك ما غاية الصالحين وكل المؤمنين والمسلمين؟ ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ (١٠١ يوسف) أن يختم له بالإيمان ويكون مع الصالحين يوم لقاء حضرة الرحمن تبارك وتعالى.

فالذي يعمل عملاً لفقير لا يمينٌ عليه به، ويجعل عمله لله، لكي يأخذ الأجر من الله، ولا يُحبط عمله، وإذا أراد أن يزور مريضاً، يزوره لله، وإذا أخذ له شيئاً يأخذه الله، ولو حدث له مرض فلا يُرسل له ويقول: يا فلان أنا زُرتك في مرضك وأعطيتك كذا، فلمَ لم تأتي؟ فهل يكون هذا العمل لله؟! لا.

يريد أن يساعد أحد الشباب ليتزوج فيساعده الله، فيعطيه ما تيسر ولا ينتظر الرد، صحيح نحن مأمورين بقول الله: ﴿وَإِذَا حُيِّمْتُمْ بِنَحْيَةٍ فَمُحِيوًا بِأَحْسَنِّ مَنَآ أَوْ رُدُّوهُآ﴾ (٨٦ النساء) لكن نفرض أنه لم يُرد، فلا أنتظر الرد، ولا أغضب، لأنني أخرجها لله تبارك وتعالى.

أريد أن أساعد أحد الصالحين، لأني رأيت المريدين كثيرين، وأريد أن أساعده بما تيسر إن كان من المال أو الطعام أو غيره، هو لم يطلب مني شيئاً، وليس هو من يشرب ومن يأكل، لكن نحن نساعد أنفسنا، وكل ما يُحضره المريدون فلأنفسهم، فهم من يأكلون وهم من يشربون.

وماذا يأكل منه الشيخ؟! وهل يُخزن منه شيئاً؟! لا شيء، وإذا بقي منه شيء فهو لهم أيضاً عندما يعودوا مرة ثانية.

d d d d d d d d d d d d d d d d d d

إخلاص العمل لله

لذلك يجب أن أجعل عملي لله، فلا آتي في يوم من الأيام وأقول للشيخ: أنا لي عدة سنوات معك، وأعمل كذا وأعمل كذا، فلماذا لم تجعلني في مقام الكشف؟ أو في مقام كذا أو كذا؟! أنا بذلك أريد الثمن، لكن لا بد أن أجعل العمل لله.

أي عمل تعمله لأي أحدٍ من خلق الله، اجعل تعاملك فيه مع الله تبارك وتعالى، ولا تنتظر رداً، ولا تنتظر حتى كلمة شكر من الخلق.

وهذا الإمام علي عليه السلام، والسيدة فاطمة النبوية رضي الله عنهما، لما نذرا أن الحسن والحسين - وكانا مريضين - إذا شفيا يصومان لله ثلاثة أيام، فشفاهما الله، فصاما، وسيدنا علي كان يعمل بيده، فلم يكن عنده زراعة ولا تجارة، لكن يُصبح في الصباح ويذهب للمكان الذي يتجمع فيه العمال إلى أن يستأجره أحد، فيعمل عنده ويشترى بما أخذه من مال بعض الشعير، فلم يكن عندهم قمح، ويُعطي الشعير للسيدة فاطمة رضي الله عنهما، فتجلس على الرحاية، والرحاية هي التي تطحن الشعير - تطحن الشعير، ثم تعجنه وتخبره وتسويه.

فماذا تسوي؟ رغيّف واحد، لها ولزوجها ولأولادها، وقبل المغرب بدقائق يأتي رجلٌ على الباب ويقول: مسكين يا آل بيت رسول الله ولم أذُق طعاماً منذ يومين، فأعطوه الرغيّف وأفطروا على الماء وصاما اليوم الثاني بدون طعام إلا الماء.

وخرج ليعمل وهو بهذه الكيفية، وصنعت السيدة فاطمة الرغيّف في اليوم الثاني، وقبل المغرب بخمس دقائق جاء رجل وقال: يتيم يا آل بيت النبي ولم أذُق طعاماً منذ ثلاثة أيام، فأعطوه الرغيّف، وفي اليوم الثالث جاءهم أسير.

فماذا قال الله فيهم؟ ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾ (الإنسان) ليس على حب الطعام، ولكنه على حب الله، وإياك أن تقول على حب الطعام فتكون قد أسأت لآل بيت النبي، ولكن على حب الله، وما هدفهم؟ ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴾ (الإنسان) حتى كلمة شكر لا يريدونها.

وهذا حال من يُريد اللحاق بالصالحين، يمشي على هذا النهج، فكل عمل يعمله لله،

الكتب افضل المطبوع تفسير آيات المقربين

d d

إذا كان لمسلم محتاج، أو إذا كان لعالم، أو إذا كان لأخ، أو إذا كان لأخت، لا ينتظر منه دعاء، ولا كلمة شكر، ولا ردّ للجميل، وإنما يرجو الجزاء ممن بيده وحده خير الجزاء وهو الله تبارك وتعالى.

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ :

كل شيء غائب عنا في السماوات والأرض يعلمه الله، وما أكثر الغيوب، نحن معنا من غيوب الله الكثير، أليس لكل واحد منا مجموعة من الملائكة؟ فهل يراهم أحد منا أو يشعر بهم؟ لا، المساجد أليس لها عمارة من ملائكة السماوات؟! ولا يغادرونها ليل أو نهار، أليس يعيش معنا في الدنيا عالم كبير ودول وملوك وجيوش اسمهم عالم الجن؟! يعيشون معنا في الأرض، ولا يراهم أحد.

فكل غيوب الأرض، وكل غيوب السماوات يعلمها عالم الغيب والشهادة تبارك وتعالى.

وأهم شيء ننتبه إليه ما ختم لنا الله به الآية:

﴿ وَاللَّهُ بِصَيْرٍ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ :

كل شيء تعمله بعينك، أو بلسانك، أو بيدك، أو برجلك، وأي شيء يمر على قلبك ولا يخرج، فالله تعالى يعلم السر وأخفى، حتى ما بداخلك يراه ويطلع عليه، حتى تراقب الله سبحانه وتعالى مراقبة من يعلم ويطلع على سره ونجواه.

الذي يصل لهذا المقام وهو مقام المراقبة لله فهذا يكون من أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

نسأل الله تعالى أن يُثبت الإيمان في قلوبنا، وأن يُنزل نوره دوماً في صدورنا، وأن يجعل القرآن أنيساً لنا في حياتنا ونوراً في قبورنا، وشقيقاً لنا في حشرنا، وأن يجعل النبي ﷺ يأخذ بأيدينا على الدوام في الدنيا ويوم الزحام، وأن يجعلنا في الدنيا من أهل الإستقامة، وفي الآخرة من أهل الكرامة

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

d d

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿ وَأَزَلَفْتِ الْجَنَّةَ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ
بَعِيدٍ ﴿٢١﴾ هَذَا مَا تُوْعَدُونَ
لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٢٢﴾ مَنْ
خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ
بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٢٣﴾ أَدْخُلُوهَا
بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ﴿٢٤﴾
هُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا
مَزِيدٌ ﴿٢٥﴾ ﴿ (ق)

١٤. صفات الأوابين ٢١٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - الحمد لله الذي أكرمنا بهداه، وخصنا بخير رسول أرسله إلى خلق الله، وجعلنا أكثر أهل الجنة يوم القيامة إن شاء الله، اللهم صلِّ وسلم وبارك علي سيدنا محمد؛ السابق للخلق بنوره، والحاضر في كل مجالس المؤمنين ببشره وسروره، والشفيع الأعظم يوم الدين لنا وللخلائق أجمعين، صلَّى الله عليه وعلي آله الطيبين، وصحابه المباركين، وكل من اهتدى بهديه إلى يوم الدين، وعلينا معهم أجمعين .. آمين آمين يا رب العالمين.

المؤمنون في هذا الزمان الذي كثرت فيه الهموم، وزادت فيه الغموم، يحتاجون إلى بشريات تبشرهم بإكرام الله، وبإسعاد الله؛ لمن صبر علي أمر الله في هذه الحياه، ولذلك نحن أولى في هذا العصر إلى قول الحبيب ﷺ:

{ بَشِّرُوا وَلَا تُنْفِرُوا } ٢١١

نحتاج إلى البشارة كلنا جماعة المؤمنين، وأعظم بشارة بشرنا بها الله في كتاب الله ﷻ هي دخول الجنة وما فيها من نعيمٍ مقيم، وأنواع من الملذات الحسية والمعنوية، يختار فيها كل لبيب، وكل فصيح، وكل همام، لأن الذي وصفها هو الملك العلام تبارك وتعالى.

فنحن جماعة المؤمنين في هذا الزمان أغلبنا سيخرج من القبور إلى القصور، ما دام يحافظ على فرائض الله، ويحفظ نفسه - بحفظ ربه - من الكبائر، أين هذه البشرية؟ قال الله: ﴿ إِنَّمَا يُوقَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (١٠ الزمر) لا كتب، ولا صحف، ولا ميزان، ولا صراط، لكن على الجنة مباشرة لأن الله ﷻ ابتلاهم في الدنيا فصبروا لأمر الله، ولم يخرجوا عن طاعه الله طرفة عين ولا أقل.

نحن نعلم أن الجنة لها ثمانية أبواب، والباب يقول فيه حضرة النبي:

{ إِنَّ مَا بَيْنَ مِرْآئِي الْجَنَّةِ وَمِقْدَارِ أَرْبَعِينَ عَامًا ، وَلَيَأْتِيَنَّ عَلَيْهِ يَوْمٌ يُزَاحَمُ عَلَيْهِ }

٢١٠ إسنا - ترعة ناصر ٨ من جماد الأول ١٤٣٩ هـ - ٢٠١٨/١/٢٥ م

٢١١ البخاري ومسلم عن أنس ؓ

كَازِحَامِ الْإِبِلِ وَرَدَّتْ بِخَمْسِ ظِمَاءٍ { ٢١٢

ما بين مصراعي الجنة مقدار مسيرة سفر أربعين عام، ومع ذلك فإن أكتاف الرجال تنخلع من شدة الزحام في الدخول!!.

أصناف أهل الجنة

هؤلاء الذين سيدخلون الجنة كم صنف؟ وكيف سيدخلون الجنة؟ جماعه منهم بعد الإنتهاء من الحساب تسوقهم الملائكة إلى الجنة: ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ﴾ (٧٣ الزمر) يسوقونهم إلى الجنة زمراً يعني جماعات، وبعض الناس تعتقد أن هذه الآية للكُمَّل والأكابر، لكنها للناس العاديين من المؤمنين، ويدخلون الجنة في جماعات حتى يأخذ الناجي بيد أخيه، فقد ورد في بعض الأثر أن العبد يؤمر به إلى الجنة فيقول: يا رب أين أخي فلان الذي كان يجلس معي في الدنيا؟ فيقول له الله: إنه لم يعمل بمثل عملك؟ فيقول: يا رب إني كنت أعمل لي وله، فيقول له الكريم ﷺ: خذ بيد أخيك وادخلا معاً الجنة.

وهناك جماعه أخرى أهبى وأرقى، عملهم الصالح سيمثل لهم بصورة ركوبه، لا نستطيع وصفها في عالم الدنيا، إن كان طائرة أو سيارة، فهذه كلها أشياء دنيوية، لا تساوى ذرة من نعيم الله في الجنة في الحياة الأخروية، فالجنة كما قال ﷺ:

{ فِيهَا مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا حُطِرَ عَلَى قَلْبٍ بَشَرٍ } { ٢١٣

فيصبح العمل الصالح للمؤمن ركوبة يركبها، ويذهب كما قال الله: ﴿ يَوْمَ نَخَشِرُهُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفَدًا ﴾ (٨٥مريم) وفداً يعني راكبين، والملائكة ترفههم إلى أبواب الجنة.

وهناك جماعه يقومون من القبور إلى القصور، قال ﷺ:

{ إِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنْبَتَ اللَّهُ تَعَالَى لِطَائِفَةٍ مِنْ أُمَّتِي أَجْنِحَةً فَيَطِيرُونَ مِنْ قُبُورِهِمْ إِلَى الْجَنَّةِ يَسْرَحُونَ فِيهَا وَيَتَنَعَّمُونَ فِيهَا كَيْفَ شَاءُوا، فَتَقُولُ لَهُمُ الْمَلَائِكَةُ: هَلْ

٢١٢ معجم الطبراني عن عبد الله بن سلام ﷺ

٢١٣ صحيح مسلم ومسند أحمد عن سهل بن سعد ﷺ

رَأَيْتُمْ الْحِسَابَ؟ فَيَقُولُونَ: مَا رَأَيْنَا حِسَاباً، فَتَقُولُ لَهُمْ: هَلْ جُرْتُمْ الصِّرَاطَ؟ فَيَقُولُونَ: مَا رَأَيْنَا صِرَاطاً، فَتَقُولُ لَهُمْ: هَلْ رَأَيْتُمْ جَهَنَّمَ؟ فَيَقُولُونَ: مَا رَأَيْنَا، فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: مِنْ أُمَّةٍ مِنْ أَنْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: مِنْ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ، فَتَقُولُ: نَاشِدْنَاكُمْ اللَّهَ حَذَرْتُونَا مَا كَانَتْ أَعْمَالُكُمْ فِي الدُّنْيَا، فَيَقُولُونَ: حَصَلَتَانِ كَانَتَا فِينَا فَبَلَّغْنَا هَذِهِ الْمَنْزِلَةَ بِفَضْلِ رَحْمَةِ اللَّهِ، فَيَقُولُونَ: وَمَا هُمَا؟ فَيَقُولُونَ: كُنَّا إِذَا خَلَوْنَا نَسْتَحِي أَنْ نَعْصِيَهُ، وَنَرْضَى بِالْيَسِيرِ وَمَا قُسِمَ لَنَا، فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: يَحِقُّ لَكُمْ هَذَا { ٢١٤

الخصلة الأولى: (كُنَّا إِذَا خَلَوْنَا نَسْتَحِي أَنْ نَعْصِيَهُ) وهذه هي المهمة، لأن الإنسان لن يعصي الله والناس تراه، لكن متى تظهر حقيقة التقوى؟ عندما يكون في خلوة ولا يطلع عليه إلا مولاه.

الخصلة الثانية: (كُنَّا نَرْضَى بِالْيَسِيرِ مِنَ الرِّزْقِ) الذي أتعب الناس في هذا الزمان أنهم غير راضين عن الرزق الحلال الذي قسمه له الله، فيريد أن يزيد من رزقه، فيزيده من الحرام، يغش في الكيل، ويغش في الوزن، أو يكذب، أو يسرق، أو يخدع، مع أنه لن يأخذ إلا ما كتبه الله له، فقد قيل: (لا يسرق السارق إلا من رزقه، ولو أنه صبر لأخذه من حلال).

من تشاق إليهم الجنة

وهناك جماعة أعلى من هؤلاء، ما حالهم؟ هؤلاء الجنة هي التي سوف تتحرك وتذهب إليهم في الموقف العظيم، لكي تحتضنهم وتضمهم إلى رحابها وقصورها ونورها وبهاؤها: ﴿وَأَزَلَّتْ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ أزلفت يعني قُرِبَتْ، الجنة هي التي تشاق إليهم، وهي التي تبحث عنهم، وهي التي تذهب إليهم، وحضرة النبي ﷺ ضرب المثل في زمانه وقال ﷺ:

{ اشْتَاقَتِ الْجَنَّةُ إِلَى أَرْبَعَةٍ: عَلِيٍّ، وَالْمِقْدَادِ، وَعَمَّارٍ، وَسَلْمَانَ } { ٢١٥

والجنة غير المباني التي تُحيط بنا، ولكن لها شوق، ولها فهم، ولها ذكاء، لأنها مخلوق

٢١٤ أخرجه الحافظ العراقي في الإحياء عن ابن حبان وأبو عبد الرحمن السلمي عن أنس ﷺ

٢١٥ حلية الأولياء لأبي نعيم، والطبراني عن أنس ﷺ

نوراني خلقه الله ﷻ ليُهَيِّيَ به المؤمنين والمؤمنات: ﴿ وَأَزَلَّتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴾ عندما تذهب إليهم ويرونها، تقول لهم: ﴿ هَذَا مَا تُوْعَدُونَ ﴾ شاهدوا ما كنتم تطمعون فيه من حضرة الله، فهذا الذي وعدكم به الله، وقد وفى الوعد، فهذه هي الحور، وهذه هي القصور، وهذا هو النعيم المقيم في الجنان بجوار الحبيب الأعظم ﷺ، وفي جوار أصحابه من النبيين، والصحابة، والتابعين، والأولياء والصالحين رضى الله عنهم أجمعين، وجعلنا في زمرةم أجمعين.

١. الأبواب

الذي يريد أن يكون من أهل هذا المقام العالي ماذا يفعل؟ الحق ﷻ بين الأوصاف التي إذا اتصف بها الإنسان يكون من أهل هذه الدرجات العالية، وتذهب إليه الجنان بأمر الله ﷻ فقال: ﴿ هَذَا مَا تُوْعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴾ كل مسلم فيه هذه الصفات سيكون من أهل هذه الآية، وستشمله هذه العناية.

أول صفة من هذه الصفات: (أَوَّابٍ) يعني رجَّاع، أي يرجع الى الله على الدوام، كلما يقع في ذنب، وكلما ينتابه سهو، وكلما تأتي له غفلة عن ذكر الله ﷻ، يتيقظ ويرجع إلى الله نادماً وحزيناً على ما فرط فيه في حق الله تبارك وتعالى، ويداوم على هذه الحالة حتى يخرج منه النَّفْسُ الأَخِيرُ، لأنه لا يوجد أحدٌ من الأولين أو الآخرين يستطيع أن يقوم بالعبادة التي ينبغي أن تقوم بها لله رب العالمين، حتى الملائكة الذي خلقهم الله ولا يوجد عندهم نَفْسٌ ولا شهوة، ومنهم القائم أبداً، ومنهم الراكع أبداً، ومنهم الساجد أبداً، يعني منذ خلقهم الله وهم في سجدة وحيدة لا يقومون منها إلى يوم القيامة، ولا ينامون، ولا يموتون، من لحظة أن خلقهم الله إلى يوم القيامة وهم على هذه الحالة، ومع ذلك يقول فيهم حضرة النبي ﷺ:

﴿ مَا فِي السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ مَوْضِعُ قَدَمٍ وَلَا شِبْرٍ وَلَا كَفٍّ إِلَّا وَفِيهِ مَلَكٌ قَائِمٌ، أَوْ مَلَكٌ رَاكِعٌ، أَوْ مَلَكٌ سَاجِدٌ، فَإِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، قَالُوا جَمِيعًا: سُبْحَانَكَ مَا عَبَدْنَاكَ حَقًّا عِبَادَتِكَ ﴾ ٢١٦

وبعد أن انتهت الحادثة بينهما قال الشيخ كمال: يا سيدي أوصني، فقال ﷺ: يا بني لا تغفل عن ذكر الله طرفه عين، فأنا كما ترى في روضات عالين، ومع ذلك أقول: ﴿يَحْسَرَتُنِي عَلَىٰ مَا قَرَّطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ﴾ (الزمر: ٥٦).

إذا الأبواب هنا ليس من المعاصي لأنه حفظ جوارحه من المعاصي، وإنما من السهو، ومن النسيان، ومن الغفلة، ومن الخوض فيما لا يحبه الله ويرضاه، فيرجع إلى الله على الدوام، لذلك نجد كَمَل الصالحين حتى النفس الأخير؛ الورد الذي لا يتركوه هو التوبة والاستغفار، لا يوجد أحد من الصالحين يستغني عن التوبة والاستغفار: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيَّةَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (النور: ٣١) الذي يريد الفلاح والنجاح لا يترك التوبة طرفة عين أبداً.

ما الذي يحمي الإنسان من مقت الله، وغضب الله، وعقاب الله، والبلاء بأنواعه؟ الذي قاله الله في القرآن: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ (الأنفال: ٣٣).

ولذلك سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ كان يقول: **(لو نزلت صاعقة من السماء ما نزلت على مستغفر لله ﷻ)** الذي يستغفر الله ويداوم على الاستغفار لا تنزل عليه صواعق ولا أوبئة ولا بلايات، لأنه في حفظ الله ورعايته على الدوام، لذلك أهم شيء يجب على الإنسان أن يحافظ عليه التوبة والإستغفار لله على الدوام.

٣. خشية الله

الصفة الثالثة: ﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ﴾ قلبه امتلاءً بخشية الله، في سيره يشعر أن الله يطلع عليه ويراه، وإذا جلس في منزله أو في حجرة وأغلق عليه الأبواب، يجد قلبه يقول له: لا تخفى على الله خافيه في ظاهرك أو باطنك، لأن الله يعلم ظاهرك وباطنك على الدوام.

وهذا الحال لو وصل إليه المؤمنون، فوراً تُحل كل المشاكل والبلايات، وسيكون المؤمنون وهم في الدنيا كأهم في الجنة: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾

d d d d d d d d d d d d d d d d d d
 فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ (النحل) يعيش
 في الدنيا حياة طيبة، لأن الله يشمله بعنايته ورعايته تبارك وتعالى.

خشية الله في الغيب هي الدليل الأول على أن هذا الإنسان يحبه الله تبارك وتعالى،
 لأنه يراقب الله في السر والعلن، وفي الجهر والخفاء، يراقب الله سبحانه وتعالى حتى في
 حركات سره، وفي خواطر باطنه، لأنه يعلم أن الله سبحانه وتعالى يطلع عليه ويراه، وهذا
 مقام عالي يحتاج إلى جهاد عظيم، لكي يصل الإنسان إلى هذا خشية الله بالغيب.

٤. القلب المنيب

الصفة الرابعة: ﴿ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ﴾ غسل قلبه ونظفّه، وأزال الصدأ الذي فيه
 ولمّعه، وجعله صالحاً لأنوار خالقه وباريه، فيغسل القلب من كل ما نهي الله تبارك وتعالى عنه
 نحو ذاته، أو نحو مخلوقاته، يغسله من البغض، ويغسله من الكراهية، ويغسله من الشح،
 ويغسله من الطمع، ويغسله من الحرص، ويغسله من حب الدنيا، ويغسله من الأثرة،
 ويغسله من الأنانية، ويملاؤه بالمحبة والمودة والشفقة والعطف والرحمة والحنان لكل بني
 الإنسان، حتى يكون فيه سر من أسرار النبي العدنان ﷺ، والذي أرسله الله رحمة عظمى
 لكل كائن من كائنات الله علواً وسفلاً، ويغسله من صدى الغفلة، كيف؟ قال ﷺ:

{ الْقَلْبُ يَصْدَأُ كَمَا يَصْدَأُ الْحَرِيدُ ، قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَمَا جِلاؤُهُ ؟ قَالَ : تِلَاوَةُ
 الْقُرْآنِ وَذِكْرُ اللَّهِ تَعَالَى } ٢١٩

فلا بد أن أديم على ذكر الله باللسان، وأستمر حتى يمن الله عليّ ويجعل القلب يتحرك
 مع اللسان، وأستمر حتى يزيد الله ﷻ في المنّة عليّ فيجعل القلب يتحرك ولا يستطيع أن
 يلحق به في الذكر اللسان، لأن ذكر القلب سريع جداً، وهذا الذي قال فيه الله: ﴿ أَلَّا
 بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ (٢٨ الرعد).

﴿ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ﴾ وجاء إلى الله بقلب منيب، فكل الذي يريده منا ﷻ: ﴿ إِلَّا
 مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ (٨٩ الشعراء) قلب سليم كالذي وصفناه، أخرج منه الأوصاف

٢١٩ الأربعين في فضائل ذكر رب العالمين للدمشقي عن ابن عمر رضي الله عنهما

السيئة التي ذكرناها، وملاة بالأوصاف الحسنة التي وضعناها.

لماذا أحب الله الأنبياء والصالحين؟ لأن الله عندما تكلم عن سيدنا ابراهيم مثلاً قال: ﴿ إِذْ جَاءَ رَبُّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ (٨٤ الصافات) وليس بالجسم، لأنني لو ذهبت لأقابل الله في بيت الله، واغتسلت قبل الذهاب عدة مرات، وتطيبت بأفخم العطور، وارتديت أرقى الملابس، ووقفت أمام الله في بيت الله بالجسم، ولكن القلب سارح في البيت، والعقل سارح في المشاكل في العمل، فهذا كما قال حضرة النبي:

{ إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ } ٢٢٠

فإن الله ﷻ يريد القلب السليم، ولذلك الذي يتفضل عليه الله فيستطيع أن يطهر الفؤاد فهذا قد أمن من البُعاد، وأصبح من الذين يسمح الله لهم بأن يجلسوا دوماً على بُساط القرب والوداد ... إذاً الشرط الصفاء والنقاء وسلامة القلب، فلو عاش الإنسان عابداً لله وأعطى الله له عمر ألف سنة، ويصلي ألف ركعة بالنهار، وألف ركعة بالليل، ويصوم النهار، ويقرأ القرآن كل يوم مرة، ولكن قلبه ليس نظيف من ناحية الناس، يكره هذا، ويحقد على هذا، ويتمنى الشر والضر لهذا، فهذا لا يوجد أي عمل من أعماله سيخرج منه ذرة مقبولة عند الله ﷻ، قال ﷻ:

{ تُعْرَضُ أَعْمَالُ النَّاسِ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ مَرَّتَيْنِ: يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ، وَيَوْمَ الْخَمِيسِ، فَيُعْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ مُؤْمِنٍ، إِلَّا عَبْدًا بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءٌ، فَيَقَالُ: اثْرُكُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَفِيئَا } ٢٢١

إن الله ﷻ يرفع الأعمال في يوم الإثنين ويوم الخميس فيتقبلها، ويترك صاحب الشحناء على ما هو عليه، لا يقبل منه عملاً، والشحناء يعني الكره الذي بينه وبين أخيه المسلم، كيف أكره مسلماً وحضرة النبي قال:

{ لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ } ٢٢٢

٢٢٠ صحيح مسلم وابن ماجة عن أبي هريرة ﷺ

٢٢١ صحيح مسلم ومسند أحمد عن أبي هريرة ﷺ

٢٢٢ البخاري ومسلم عن أنس ﷺ

حتى يكون الإيمان كامل وسليم، لكن الذي يجب نفسه فقط ليس له شأن بالمؤمنين الصادقين، لأن المؤمنين الصادقين كل واحد منهم يتمنى الخير لإخوانه أكثر مما يتمناه لنفسه، لأن الله يحب منه ذلك، والنبي ﷺ طلب منه ذلك ... الذي يتحلى بهذه الأوصاف الأربعة التي ذكرناها، يوم القيامة يكون من الذين تأتي إليهم الجنة وتأخذهم من الموقف، فتستقبلهم وهم في أرض الموقف.

الخالدون في الجنة

﴿ أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ﴾ سَلَّمَهُمُ اللَّهُ ﷻ مِنْ أَهْوَالِ الْمَوْقِفِ، وَسَلَّمَهُمُ اللَّهُ ﷻ مِنْ جَهَنَّمَ وَنِيرَانِهَا، وَسَلَّمَهُمُ اللَّهُ ﷻ مِنْ غَضَبِهِ فِي يَوْمِ الدِّينِ ... سَلَّمَهُمُ اللَّهُ مِنْ كُلِّ ذَلِكَ، فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ خَالِدِينَ فِيهَا، لِأَنَّ الْجَنَّةَ لَيْسَ فِيهَا مَوْتٌ، وَلَيْسَ فِيهَا هَرَمٌ وَلَا شَيْخُوخَةٌ، قَالَ ﷺ:

{ إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَأْكُلُونَ فِيهَا وَيَشْرَبُونَ، وَلَا يَثْفُلُونَ، وَلَا يَبُولُونَ، وَلَا يَتَغَوَّطُونَ، وَلَا يَمْتَخِطُونَ } ٢٢٣

نعيم مقيم يظهر عليهم كما قال فيهم الله تعالى: ﴿ عَلَى الْأَرْبَابِكِ يَنْظُرُونَ ﴾ ٢٢٣ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ (المطففين).

هؤلاء لهم في الجنة؟ ﴿ هُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا ﴾ لهم ما يريدون، وهؤلاء الذين وصلوا إلى هذا المقام لن يكون همهم في الطعام والشراب والخور والقصور وغيره، فهذا تفكير دني، لكن فكرهم يكون في أن يكون بجوار حضرة النبي، أو يريد أن يُمنع عينيه بالنظر إلى وجه الله ﷻ، أو يريد أن يجتمع له الله أهله وأولاده وأحفاده ونسأؤه، وإن كانوا مقصرين، قال ﷺ:

{ إِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ دَرَجَةَ الْمُؤْمِنِ فِي دَرَجَتِهِ، وَإِنْ كَانُوا ذُوئِهِ فِي الْعَمَلِ، لِيَتَقَرَّ بِهِمْ عَيْنُهُ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ ٢٢٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ
بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَذَا مَا تُوْعَدُونَ
لِكُلِّ أَوْابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ (ق)

١٥. الجنة العاجلة؛ معرفة الله ﷻ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - الحمد لله الذي قال وهو أصدق القائلين: ﴿وَلَمَن خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ (٦: الرحمن) والصلاة والسلام على جنة العارفين، ومهبط أسرار المقربين، وبهجة نظر الصالحين، سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

آيات كتاب الله تبارك وتعالى فيها من وجوه البيان وأنواع التبيان ما يُعجز أي إنسان، لأنها آيات الله تبارك وتعالى.

الجنة المعنوية

وقد أخذنا وجهاً واحداً في هذه الآيات، وهي الجنة الحسية، وسنأخذ وجهاً آخر، ولا نستطيع أن نأتي بكل الوجوه، وهي الجنة المعنوية، أو الجنة الروحية، أو الجنة العرفانية، يقول فيها بعض الصالحين: (إن لله جنة عاجلة من دخلها لا يحتاج إلى الجنة الآجلة، ألا وهي المعرفة بالله تعالى)

وقبل أن ندخل على هذه الجنة العرفانية، نأخذ معنى يلوح للجميع، فكل واحد فينا يستطيع أن يقضي كل حياته الكونية، وأطواره الإنسانية متنقلاً في الدار الجنانية، يعني من جنة لجنة لجنة، فنحن الآن في جنة وصفها الحبيب وقال فيها ﷺ:

{ إِذَا مَرَرْتُمْ بِرِيَاضِ الْجَنَّةِ فَارْتَعُوا، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا رِيَاضُ الْجَنَّةِ؟ قَالَ: مَجَالِسُ ذَكَرَ اللَّهُ ﷻ وَحَلَقُ الْقُرْآنِ } ٢٢٨

وفي رواية أخرى:

{ مَجَالِسُ الْعِلْمِ } ٢٢٩

وارتعوا يعني اجلسوا ولا تتعجلوا في القيام، فهذه المجالس كلها عبارة جنان، وكون

٢٢٧ إسنا - ترعة ناصر ٨ من جماد الأول ١٤٣٩ هـ - ٢٥/١/٢٠١٨ م
 ٢٢٨ الثاني والعشرون من المشيخة البغدادية لأبي طاهر السلفي عن أنس
 ٢٢٩ المعجم الكبير للطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما

مجلس علم يعقد في مسجد بجوارك، فقد قُرب لك، وما عليك إلا أنك ستقطع خطوات، وهذه الخطوات بأجور مضاعفات، لكي تدخل الجنة.

لكن - سبحان الله - الناس في هذا الزمن الذي نحن فيه عن الجنة مُعرضين، وعلى النار مزاحمين، فالأمور التي تؤدي لجهنم تجد عليها تراحم شديد، وأمور الجنة كما نرى: ﴿ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴾ (٢٠ يوسف).

الإمام إذا أقام درس علم في المسجد تجد حوله عدد قليل، والباقي يتركه ويمشي، مع أن مجلس العلم أياً كان من مجالس الجنة، فلماذا تحرم نفسك من الجلوس في الجنة!!!.

﴿ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴾ جنة القرب، وجنة الحُب، وجنة الأنس، وجنة اللطف ... جنان كثيرة، ولكن لكل جنة طعامها، ولها ذوقها، ولها مشاهدتها، ولها حالها، ولها علومها، ولها أسرارها، ولكن لا تُفك إلا لأهلها.

الجنة القريبة جداً من كل مؤمن هي الجنة المعنوية، وتحتاج فقط لطهارة السر مما سوى رب البرية، طالما الإنسان مملوء بالأغيار فهو محروم من الأنوار، ولا بد له أن يتخلص من الأغيار لكي تنزل عليه الأسرار، وتظهر له لوائح الأنوار، وفي نهاية الأنوار يلوح وجه النبي المختار ويقال له: ﴿ هَذَا مَا تُوَعَدُونَ ﴾ هذا ما تريد رؤيته، وهذا من تمنى رؤيته، فتملأ وتحنى بحبيب الله ومصطفاه ﷺ.

هذه الجنة فيها ما فيها، فيها أنوار من العلوم الإلهية، وفيها عيون من الحكم الربانية، وفيها أسرار قُدسية لا تُفك رموزها إلا لأهل الخصوصية، وفيها كل ما يخطر على البال ولا يخطر على البال من ألوان التكريم من الله سبحانه وتعالى لكل عبد كريم أكرم نفسه وأخذها أخذاً حثيثاً إلى حيث رضوان الله الأكبر تبارك وتعالى.

أوصاف أهل الجنة

فالذي يُريد دخول هذه الجنة لا بد وأن يكون أواب، يعني محافظ على نفسه جيداً من أي خطأ يدعو إلى عدم الرجوع إلى الله، فيرجع إلى الله سبحانه وتعالى طالباً رضاه ونادماً على ما فعله في مواجهته تبارك وتعالى، ولا بد أن يجبس نفسه عن كل ما لا يُحبه الله تبارك

وتعالى ... وهنا نبين حال الصالحين في تهذيب المرئيين، الذين يريدوا أن يبلغوا هذا المقام الأمين: تجد مرئدي هذا الزمان مشغولون بأمور لا تُقدم ولا تُؤخر في طريق الله، ولا تنفعهم في الدنيا، ولا ترفعهم يوم لقاء الله، فينشغلون بأمور مثل: من هو القطب؟ وكم عدد الأقطاب؟ ومن هم الأقطاب المدركين بالكون؟ وهل الخضر حي أم ميت؟ وغير ذلك، بماذا يفيدك كل هذا الكلام!!؟.

واحد من السابقين ذهب إلى الشيخ أحمد رضوان رحمته الله وأرضاه، وقال له: يا مولانا هل الخضر حي أم ميت؟ فقال له: وبماذا ينفعك هذا الكلام في الدنيا أو في الآخرة؟! كل من مات فهو حي، لكن هل تستطيع مقابلته؟! لا، إذأ ماذا تفيد معرفتك بذلك!!؟.

الله ﷻ أغناك وكفأك بحبيبه ومصطفاه، فلماذا تبحث عن غيره؟! وهل بعد رسول الله يُوجد أحد آخر!!؟

فكان هذا أدب السالكين الذين كان يؤدبهم عليه الصالحون، وفي زمننا هذا قلّ التأدب، فأصبح كل كلام السالكين كما يُقال في المثل العربي: (جعجةً ولا أرى طحناً) أسمع أصواتاً تُجمع كأن الطاحونة تعمل ولا يخرج منها طحين، ونفس الأمر، تجدهم في الموالد يتكلمون في هذا الكلام الذي نشير إليه، وهذا الكلام ماذا تفعل به؟! وبماذا يفيدك؟! أو بماذا يُغنيك في الدنيا أو الآخرة!!؟.

والله ﷻ - وهو العزيز الحكيم - لو علم أن هناك فائدة واحدة تعود علينا من ذكر اسم الخضر حياً أو ميتاً لذكرها، ولو علم أن هناك فائدة واحدة تعود علينا من ذكر عدد أصحاب الكهف، ومن هم لذكرها، وقس على ذلك في كتاب الله.

فماذا يُريد الله منا؟ يريد منا أن نأخذ الموعدة والعبرة في الآيات القرآنية، ولا نقف عند المعاني الظاهرية التي تشغلنا عن الإقبال عن الله تبارك وتعالى بالكلية.

السالك الذي يشتغل بهذه الأمور متى سيتفرغ ويتوجه إلى الله؟! والإمام أبو العزائم رحمته الله كان يقول على لسان الحضرة الإلهية:

فرغ القلب من سوانا ترانا يا مريداً جمالنا وبهانا

نحن هل نفرغ أم نشغل القلب الآن؟ نشغل القلب، ومثلها تماماً الذي يشغل نفسه بالتفاضل بين الصالحين، فيقول: إن فلان من الصالحين قد بلغ مقام كذا، وفلان أقل منه في مقام كذا، وفلان زاد عنه، ومن أين عرفت هذا؟! هل يصح للجنود أن يتكلموا عن قادتهم ويقولون اللواء فلان أفضل من اللواء فلان؟! لا، ليس لك شأن بالقادة، لكن الذي يتكلم عن رتبة من هو أعلى منها.

ومن منا بلغ رتب الصالحين حتى يميّز بين هذا وذاك؟! السيد أحمد البدوي وظيفته كذا، وسيدي إبراهيم الدسوقي وظيفته كذا، وسيدي أبو الحجاج الأقصري وظيفته كذا، فكيف عرفت هذه الوظائف؟! ومن أين أتيت بها؟! ولماذا تشغل بها نفسك!.

معرفته الله

فنحن، ومن كان قبلنا، ومن سيأتي بعدنا من الصالحين بماذا ينشغلون؟ ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٥٦ الذاريات) ليعرفون، أي لمعرفة الله، فنريد أن نعرف الله، وغير معرفة الله لن نستفيد بها في هذه الحياة.

نفرض أن الله ﷻ منّ عليك وأعطاك كلمة (كن) وأعطاك قدرة تحويل كل الأحجار والمعادن إلى ذهب، فماذا تفعل بها؟ وماذا تستفيد منها؟ وهل تكون هذه كرامة أم استدراج؟! استدراج، لأنك ربما تغترّ فتتضرّ وتبعد عن فضل الله وكرم الله تبارك وتعالى، لكن يجب أن تُركّز في غاية واحدة وهدف واحد، وهو معرفة الله تبارك وتعالى: (أرى هؤلاء يطالبني برويته).

الأمر التي تشغل الذين يحضرون الموالد وفي الساحات وهنا وهناك، هذه الأمور تستطيع أن تسميها: (فزلكة) أو تسميها (فراغ) واستغلال الفراغ في غير ما يجب الله ويرضى، لأن الأفضل من هذا وذاك أن يناجي الله بكلامه، أو يتملق إليه بإنعامه، أو يذكره بأي ذكر يرجو منه دوام وده وكرمه وإنعامه.

لكن لماذا تشغل نفسك بهذا الكلام؟ ربما يريد أن يُظهر نفسه بأنه يعرف أحوال الصالحين، لا مانع، فقد عرفنا أنك تعرف الصالحين كلهم، فهل سنعطيك نيشان؟! أو نعلق

لك وسام؟! وهل ستمنع عنك شيئاً يوم الدين؟!.

هب أن الخلق كلهم تابعوك ومشوا خلفك، قد يضروك، لكن هل ينفعوك؟ لا ينفع الإنسان إلا ما قدمت يداه، وقربه من حبيب الله ومصطفاه، ومن الصالحين على المنهج الذي رسمه كتاب الله، ووضحه سيدنا رسول الله ﷺ.

ولذلك أنا أتعشّم في الأحبة أن يكون ليس لنا شأن بهذه المسائل نهائياً، لا من بعيد ولا من قريب.

الناس يشغلون أنفسهم في هذا الزمان، فيملأون مواقع التواصل والصُحف والمجلات، ويتحدثون عن المهدي المنتظر، لكن ما شأننا وشأن المهدي المنتظر؟ وماذا أصنع به؟ هل تريد الهادي أم المهدي؟ أنا أريد الهادي سبحانه وتعالى ليهديني به إليه، لكن المهدي ما اسمه؟ ومتى ينزل؟ وما أوصافه؟ وماذا سيفعل؟ فهذه مشاغل كونية تشغل القلب عن الذات العلية، وليس لنا شأن بها.

إذا ظهر ونحن موجودين فسيكاشفنا بذلك رب العالمين، ويظهر لنا كل شيء في وقته، فلماذا نتعجّل هذه الأمور؟! ﴿سَأُورِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾ (٣٧ الأنبياء) فلماذا تتعجّل؟! فهذه كلها شواغل كونية تشغل البال عن الذات العلية، الإمام أبو العزائم عليه السلام ينصحننا نصيحة أرجو أن نأخذها بالطريقة الصحيحة:

لا تعلق بالقلب غير إليه قد تجلّى في العالمين علاه

الذي يُريد الجنة العلية، ويريد العلوم الوهبية، ويريد الأسرار الكنزية، ويريد المكاشفات النورانية، فكل هذا يحتاج منه أن لا يُعلق بالقلب غير رب البرية تبارك وتعالى، وقالوا في الحكمة: (من كان الله مراده، كان مقعد صدق وراء ظهره) لا يريد مقعد الصدق لأنه يريد الله، ولا يريد أن يلتفت إلى سواه أبداً: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ (٢٨ الكهف).

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾
ءَاخِذِينَ مَا ءَاتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا
قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا قَلِيلًا
مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالْأَشْحَارِ
هُمُ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ
لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾ وَفِي الْأَرْضِ
ءَايَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِي أَنْفُسِكُمْ
أَفَلَا تَبْصُرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ (الذاريات)

١٦. جنات وعيون^{٢٣٠}

بسم الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - الحمد لله الذي أعد لعباده المؤمنين في جنات النعيم مالا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على رسول حضرة الرحمن، الداعي إلى الجنان؛ سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

رُوي عن رسول الله ﷺ حديثاً عظيماً، فيحكي جابر بن عبد الله ﷺ فيقول:

{ جَاءَتْ مَلَائِكَةٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ نَائِمٌ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ نَائِمٌ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ الْعَيْنَ نَائِمَةٌ وَالْقَلْبَ يَقْظَانُ، فَقَالُوا: إِنَّ لِمُصَاحِبِكُمْ هَذَا مَثَلًا، فَأَضْرِبُوا لَهُ مَثَلًا، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ نَائِمٌ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ الْعَيْنَ نَائِمَةٌ وَالْقَلْبَ يَقْظَانُ، فَقَالُوا: مَثَلُهُ كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى دَارًا وَجَعَلَ فِيهَا مَادُوبَةً وَبَعَثَ دَاعِيًا، فَمَنْ أَجَابَ الدَّاعِيَ دَخَلَ الدَّارَ وَأَكَلَ مِنَ الْمَادُوبَةِ، وَمَنْ لَمْ يُجِبِ الدَّاعِيَ لَمْ يَدْخُلِ الدَّارَ وَلَمْ يَأْكُلْ مِنَ الْمَادُوبَةِ، فَقَالُوا: أَوْلَوْهَا لَهُ يَفْقَهُهَا، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ نَائِمٌ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ الْعَيْنَ نَائِمَةٌ وَالْقَلْبَ يَقْظَانُ، فَقَالُوا: فَالدَّارُ الْجَنَّةُ، وَالدَّاعِيَ مُحَمَّدٌ ﷺ، فَمَنْ أَطَاعَ مُحَمَّدًا ﷺ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمَنْ عَصَى مُحَمَّدًا ﷺ فَقَدْ عَصَى اللَّهَ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ فَرَّقَ بَيْنَ النَّاسِ }^{٢٣١}

اخيار المؤمن لمنزلته في الجنة

نحن كلنا لا بد في لحظة لا نعرفها سنتحوّل عن هذه الدار، ونذهب إلى دار القرار، ولا بد للمؤمن أن يُجَهِّزَ لِنَفْسِهِ السَّكْنَ الذي يسكن فيه، ويختار الحيّ العظيم الذي ينزل فيه، ويختار الجيران الذين سيكون في جوارهم، وقبل أن يخرج من الدنيا يكون عارفاً لكل شيء بالنسبة لترتيب حياته في الجنة في جوار الله تبارك وتعالى، وقد قال ﷺ:

{ مَا مِنْ مَيِّتٍ يَمُوتُ إِلَّا يُعْرَضُ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ،

٢٣٠ إسنا - المسجد النموذجي بالقرايا ١٣ من جماد الأول ١٤٣٩ هـ ٢٩/١/٢٠١٨ م
 ٢٣١ صحيح البخاري والأتوار في الشمانل للبقوي

إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ { ٢٣٢

والجنة درجات، وأعلى شئ في الجنة أن يكون الإنسان في جوار النبي المختار، والنبیین والصدیقین والشهداء والصالحین والأبرار، الذین قال لنا فیهم الله تبارک وتعالی: ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴾ (٦٩ النساء).

فكيف نختار الجنة التي سندخلها؟ وما الملف الذي نجهزه ونقدمه لرب العزة لننال هذا الموضوع الذي نطلبه من الجنة؟ رب العزة تبارک وتعالی ملاً القرآن إعلانات، فالذي يُريد الفردوس فهذا إعلانه في أول سورة المؤمنون، والذي يُريد جنة عدن فهذا إعلانه، والذي يُريد جنة الخلد فهذا إعلانه .. فكل جنة من جنان الله لها إعلانه في كتاب الله.

والإعلان فيه الملف الذي يحتوي على الطلبات لتجهزه في الدنيا، لأنه كما قال الإمام

علي ؑ:

لا دار للمرء بعد الموت يسكنها إلا التي كان قبل الموت يبنيها
فإن بناها بخير طاب مسكنه وإن بناها بشر خاب بانيها

هل هناك من يسكن بالإيجار؟ لا يوجد، فلا بد وأن يكون وارث، والميراث من حضرة الوارث الأعظم ؑ، فليس هناك سكن بالإيجار، ولا يوجد أحد يُضَيَّفُ أحداً، ولكن لا بد للإنسان أن يُجهز نفسه من الدنيا.

سيدنا الإمام عمر بن عبد العزيز ؑ وأرضاه في اللحظات الآخرة قبل مفارقة الدنيا حدق ببصره وأطال النظر، وقال لأهله ومن حوله: إني أرى حضرة ما هم بجن ولا إنس، فماذا يكونون؟ ملائكة أتوا ليستقبلوه، وبعدها تبسم وقال: ﴿ لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴾ (٦١ الصافات).

ورجل من الصالحين ضربه في القاهرة اسمه أبو علي الروزباري ؑ، كان يعالج سكرات الموت وأخته بجواره فبكت، فقال لها: لم تبكين يا أختاه؟! وها أنا ذا أرى الجنات

وقد زُينت، وأرى أبواب السماوات وقد فُتحت، وأسمع قائلاً يقول: يا أبا عليّ لقد بلغناك الدرجة القصوى في الجنة وإن لم تكن تُردها!! يستبشر المؤمن بفضل الله ليفرح فيفرح به الله تبارك وتعالى.

جنات وعيون

والإعلان الموجود في الآيات التي معنا اليوم للذين يريدون أن يكونوا في الدرجة العظمى مع النبي العدنان ﷺ، هؤلاء ماذا قال فيهم الله: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ وهم هنا في الدنيا في جنات وعيون، لأن هناك جنة حسنة وسندخلها يوم القيامة إن شاء الله، وهناك جنة معنوية، وهذه أهل العزة الإلهية يدخلونها وهم في الدنيا، ليستبشروا بفضل الله، وبكرم الله، وببشريات سيدنا رسول الله ﷺ، حضرة النبي قال لأصحابه:

{ إِذَا مَرَرْتُمْ بِرِيَاضِ الْجَنَّةِ فَارْتَعُوا ، قَالُوا : وَمَا رِيَاضُ الْجَنَّةِ ؟ قَالَ :

حَلَقُ الذِّكْرِ } ٢٣٣

وفي رواية أخرى:

{ مَجَالِسُ ذِكْرِ اللَّهِ ﷻ وَحَلَقُ الْقُرْآنِ } ٢٣٤

وفي رواية أخرى: { مَجَالِسُ الْعِلْمِ } ٢٣٥

هل الجنة هنا ونمر عليها؟! نعم، تارة يقول: مجالس العلم، وتارة يقول: حلق الذكر، وتارة يقول: مجالس القرآن، .. كل هذه المجالس عبارة عن روضة من رياض الجنة، تحفهم الملائكة بأجنحتهم، وتنزل لهم الرحمة من الله، ويباهي بهم الله تبارك وتعالى أهل الملأ الأعلى، وفي آخر الحلقة يقول الله للملائكة:

{ أَشْهَدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ ، فَيَقُولُونَ : إِنَّ فِيهِمْ فَلَانًا خَطَاءً لَمْ يُرِدْهُمْ إِلَّا مَا

٢٣٣ جامع الترمذي ومسنَد أحمد عن أنس ﷺ

٢٣٤ الثاني والعشرون من المشيخة البغدادية لأبي طاهر السلفي عن أنس ﷺ

٢٣٥ المعجم الكبير للطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما

جَاءَهُمْ لِحَاجَةٍ، فَيَقُولُ: هُمُ الْقَوْمُ لَا يَشْقَى لَهُمْ جَلِيسٌ { ٢٣٦

فيهم فلان ليس منهم إنما جاء لحاجة، كأن جاء لئناي على أحدهم ولم يأت خصيصاً للمجلس، لكن رب العزة يقول: (هُمُ الْقَوْمُ لَا يَشْقَى لَهُمْ جَلِيسٌ).

إذا فالجنان المعنوية في الدنيا جنة الطاعة، فأى طاعة لله، يقوم الإنسان بأدائها مُتَشَغِلاً بمولاه، تاركاً وراء ظهره هموم دُنياه، وليس في قلبه إلا المناجاة والمصافاة لحضرة الله، فهذه على الفور جنة في الدنيا، وهي بُشْرَى له بأنه سيكون من أهل الجنان العالية في الدار الآخرة إن شاء الله.

وهناك جنة العلم كالتى نحن فيها الآن، وهي بداية جنة العلم، لكن لو أن الإنسان أكرمته الرحمن وتعلم ولو مسألة وعمل بها سيدخل في جنان عالية: ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ مِنَ لَدُنَّا عِلْمًا ﴾ (٦٥ الكهف).

الرجل الذي يَعْلَمُه الله سيكون في جنة ليس لها شبيه ولا مثيل، لأن الله تبارك وتعالى بذاته - مع أنه تعالى عن جميع كائناته ومخلوقاته - تنزّل له، ويُعَلِّمُه العلم الوهبي الذي لا يُخْصُّ به إلا كل وليّ تقيّ نقيّ لله تبارك وتعالى.

جنان الدنيا المعنوية كثيرة، لكننا أيضاً نريد في الآخرة أن نكون مع رسول الله ﷺ في الجنات، وليست جنة واحدة فقط، فكل مؤمن له جنات، مثلاً الذي يخاف من الله، له كم جنة؟ أربعة: ﴿ وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ﴾ (٤٦ الرحمن) وعاد مرة ثانية وقال: ﴿ وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّاتٍ ﴾ (٦٢ الرحمن) فيكون له أربع جنات، لأنه خاف الله تبارك وتعالى، فما بالك بالذي يخشى الله؟! ومن يراقب الله؟! ومن يكون حاضراً على الدوام مع مولاه؟! ومن يحرص في كل أنفاسه على ذكر الله؟! له جنان كثيرة لا نستطيع حصرها ولا ذكرها وإنما نكتفي بقول الحبيب ﷺ فيها:

{ فِيهَا مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ } { ٢٣٧

﴿ ءَاخِذِينَ مَاءً آتَتْهُمْ رَبُّهُمْ ﴾ كل ما سيهبه لهم الله سبحانه وتعالى في الدنيا والآخرة

٢٣٦ جامع الترمذي ومسنند أحمد عن أبي سعيد الخدري ﷺ
٢٣٧ صحيح مسلم ومسنند أحمد عن سهل بن سعد رضي الله عنه

سيأخذونه ويفرحون به، فإذا كانوا في الدنيا يعملون به، وإذا كانوا في الآخرة سيتلذذون به، لأن الآخرة ليس فيها عمل، ولكن فيها ذكر، فأهل الجنة يذكرون الله سبحانه وتعالى تفكُّهاً وتلذُّذاً، يتفكَّهون ويتلذذون بذكر الله تبارك وتعالى.

مقام الإحسان

الذي يُريد أن يكون مع حضرة النبي فتكون عينه على هذا المقام: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ﴾ يُرَكِّز على مقام الإحسان، سيدنا جبريل عندما جاء لرسول الله والصحابة كانوا معه، وأخذ يسأله لِيُعَلِّمَهُمْ، ولذلك بعد أن مشى جبريل قال لهم:

{ إِنَّهُ جِبْرِيلُ، أَنَا كُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ } ٢٣٨

فسأله عن الإسلام، والإيمان، وفي النهاية سأله عن الإحسان، فعرفنا أن الدين درجات، درجة الإسلام، ودرجة الإيمان، ودرجة الإحسان، وأعلى درجة فيهم هي درجة الإحسان، وبعد ذلك درجة الإيقان وهي موجودة في القرآن، وهي خاصّة لخواص أصحاب النبي العدنان ﷺ، فقال له:

{ فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ، قَالَ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ، فَإِنَّهُ يَرَاكَ } ٢٣٩

درجة الإحسان أهلها هم الذين سيتمتعون بهذه الجنة العالية في جوار النبي العدنان ﷺ.

فِيرَقِّي نفسه، ويُعلي همته إلى أن يراقب الله آناء الليل وأطراف النهار بقلبه وفؤاده، يعني يرى في كل لحظاته أنه لا يغيب عنه موله طرفة عينٍ ولا أقل، ويعلم علم اليقين أن الله يطلع على حركاته، وهو أول سامعٍ لكلماته، بل إنه يطلع على وساوسه في صدره وخطراته، ولا تخفى عليه خافية، لأن الله ﷻ كما قال في قرآنه: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (١٤ الحديد).

٢٣٨ جامع الترمذي وأبي داود عن عمر بن الخطاب ﷺ
٢٣٩ جامع الترمذي وأبي داود عن عمر بن الخطاب ﷺ

كيف يصل الإنسان إلى مقام الإحسان؟ أن يحسن ويؤمن كل عمل كلف به: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (البقرة ١٩٥) سواء إن كان من عمل الدنيا، أو من عمل الآخرة، فأى عمل يكلف به يعمل فيه بقول النبي ﷺ:

{ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتَّقَنَهُ } ٢٤٠

وقد تكون هذه هي المشكلة التي جذت على المسلمين في هذا الزمان، فلم يكن هذا حال المسلمين الأول، فقد كان الواحد منهم إذا عمل شيئاً يُراقب الله، وليس من أجل الأجر الذي يأخذه، ولكنه يجب أن يتقن العمل الذي يعمله، لأن الله قال في كتاب الله: ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (التوبة ١٠٥).

البركة واثقان العمل

من الذي يستلم منك أي عمل في الدنيا؟ ليس الرجل الذي تعمل له، ولكن أول من يستلم العمل هو رب العزة تبارك وتعالى، ليقرر إن كان هذا المال تنزل له البركة، أم تُمحق منه البركة!!، فهو أول من يرى العمل.

لكننا نسينا هذه الجزئية، ونظن أن من يستلم العمل هو فلان، وأقول في نفسي: إن فلان هذا لا يفهم في هذه المهنة، فأخذه وأغشاه لكي أنهي العمل وأبحث عن غيره!!، فأنت تعش نفسك!! لأنك حتى ولو أخذت منه مليون جنيه وليس فيها بركة فماذا تساوي!! ستصرفها فيما يُغضب الله تبارك وتعالى، وهي سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلاً

هارون الرشيد عين أخاه مفتش تموين على الأسواق، وبعد شهرين أو ثلاثة استدعاه، وسأله: أين المحاضر التي سجلتها للتجار؟ وهل كلهم منضبطين؟ فقال له: يا أمير المؤمنين رأيتُ الله يقتض من الظالمين أولاً بأول، فقال له: كيف؟ قال: كل مال جمعه من حرام سلطهم الله على إنفاقه في الذنوب والآثام، وهذا أمر الله تبارك وتعالى.

ولذلك يجب أن أتقن كل عمل أعمله ليكون مالي حلال، وبيارك الله لي في صحتي،

ويبارك لي في أولادي فيكونوا كما أريدهم برة وأتقياء، ويبارك في بيتي، فالطعام الذي يكفي الثلاثة يكفي العشرة ويفيض، ويبارك في زوجتي ونكون في وفاق واتفاق ولا يكون بيننا شقاق ولا مشاكل، لأننا نأكل من حلال يُرضي ذي الجلال والإكرام، وتعمُّ البركة كل النواحي التي أنا فيها، لماذا؟ لأنني أتقن العمل، ولأنني أعرف أن الله ﷻ يُراقبني.

إذا أتقن الإنسان المؤمن العمل، عليه أن يأتي بأعمال الآخرة بنفس الطريقة، نسمع البعض يقول: سأدخل المسجد وأخطف الركعتين وأخرج!! فهل الصلاة فيها خطف؟! الله غني عن هذه الطاعة، وعن هذه العبادة، فبعد أن أنعم عليك بنعم لا تُعد ولا تُحد ولا تستطيع حصرها ولا احصائها، أفلا تريد أن تتأني وأنت تشكره؟! وتتأني وأنت تذكره؟! فأنت عندما تقرأ الفاتحة يكون خطاب بينك وبين رب العزة، يقول الله تعالى كما أخبر النبي ﷺ:

{ قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : حَمِدَنِي عَبْدِي ، وَإِذَا قَالَ : ﴿ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي ، وَإِذَا قَالَ : ﴿ مَا لِكَ يَوْمَ الدِّينِ ﴾ ، قَالَ : مَجَدَّنِي عَبْدِي ، فَإِذَا قَالَ : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ ، قَالَ : هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ ، فَإِذَا قَالَ : ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ ، قَالَ : هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ } ٢٤١

لو أتقنت العمل ستسمع كلام رب العزة في حال الصفاء والنقاء، ويأمر الله ﷻ الملائكة المكلفين بأرزاق العباد بأن يجيبوه في ما يطلبه، لماذا؟ لأن الإنسان يُتقن هذه الصلاة لله تبارك وتعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ ﴾ (المؤمنون).

أتقن الأعمال كلها، وأصلي بين يدي الله حاضر القلب مع الله، وأتكلم مع الله، وكل كلمة أقولها أعقل معناها، وأفهم فحواها لأنه ليس للمرء من صلواته إلا ما عقل منها.

قيام الليل

٢٤١ صحيح مسلم والترمذي عن أبي هريرة

فإذا مشيت على هذا الدرب فهذا هو الشرط الأول وهو إتقان العمل لله ﷻ إلى أن أصل إلى مقام الإحسان، فأريد أن أدخل مع حضرة النبي ﷺ، وحضرة النبي ﷺ كلفه الله تكليفات زائدة على أمته، ففرض علينا خمس صلوات، والرسول فرض عليه ست صلوات، وتدرج معه، ففي البداية قال له: ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ ﴾ (الإسراء) لك وحدك، ونحن حتى لو صليناها لن تكون نافلة، لأنه سيكمل لنا بها الصلوات الفرائض، كما يقول سيدنا رسول الله:

{ إِنَّ أَوَّلَ مَا افْتَرَضَ اللَّهُ عَلَى النَّاسِ مِنْ دِينِهِمُ الصَّلَاةَ، وَأَخْرَ مَا يَبْقَى الصَّلَاةَ، وَأَوَّلَ مَا يُحَاسِبُونَ بِهِ الصَّلَاةَ، يَقُولُ اللَّهُ: انظُرُوا فِي صَلَاةِ عَبْدِي، فَإِنْ كَانَتْ تَامَةً كُتِبَتْ تَامَةً، وَإِنْ وُجِدَتْ نَاقِصَةً، قَالَ: انظُرُوا، هَلْ لَهُ مِنْ تَطَوُّعٍ؟ فَإِنْ وُجِدَ لَهُ تَطَوُّعٌ تَمَّتِ الْفَرِيضَةُ مِنَ التَّطَوُّعِ } ٢٤٢

أي أكملوا له هذه الصلاة من تطوعه، ومعظمنا يصلي سنن ولا تكتب له سنن، بل يكملوا له بها الصلوات المكتوبات كما بين سيدنا رسول الله.

من الذي تكتب له النافلة سنة؟ الذي تكون فريضته لا يغيب فيها عن الله طرفة عين، ومن كان هذا؟ سيدنا رسول الله، ولذلك قال له الله: ﴿ نَافِلَةً لَّكَ ﴾ (الإسراء) لك أنت وحدك.

ثم قال له بعد ذلك: ﴿ يَتَأْتِيهَا الْمَزْمَلُ ﴿١﴾ قِمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ ﴾ (المزمل) وهذا أمر، فأصبح قيام الليل عليه فرض، والذي يُريد أن يكون معه، وضعه الله معه في آخر السورة: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ ﴾ (المزمل) ليس كل من معك، لكن الذين يريدون أن يكونوا معك فلا بد أن يكون لهم نصيب من قيام الليل.

ولذلك هل سمعتم عن أحد من أصحاب النبي ترك صلاة قيام الليل؟! لا، وهل سمعتم أن أحداً من الصالحين ترك قيام الليل؟! لا، بل كانوا كما قال الله: ﴿ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا

الليل فتقول له السيدة عائشة رضي الله عنها:

{ لِمَ تَصْنَعُ هَذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ:
أَفَلَا أَحِبُّ أَنْ أَكُونَ عَبْدًا شَكُورًا } ٢٤٤

وبعض أصحابه من الشباب وكانوا في صحة وعافية، وأرادوا أن يعرفوا عبادة النبي حتى يكونوا معه، فذهبوا ومعهم حمية الشباب إلى زوجات النبي ليسألوهن عن عبادة النبي ﷺ، فلما أخبروهم استقلوا عبادة حضرة النبي، وقالوا: سنزيد عنها، فأحدهم قال: أنا أقوم الليل أبداً، يعني لا أنام الليل أبداً في أي ليلة من الليالي وفي أي عامٍ من الأعوام، والثاني قال: وأنا أصوم الدهر أبداً، والثالث قال: أنا لا أتزوج النساء، فسمعهم الرسول ﷺ وخرج عليهم وقال لهم:

{ أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذًا وَكَذًا، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لأُحْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَثَقَاكُمْ لَهُ،
لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ،
فَمَنْ رَغِبَ عَنِّي فَلَيْسَ مِنِّي } ٢٤٥

لماذا؟ لأنه يُيسِّر، فقد كان ﷺ مبدأه التيسير على الأمة، فالذي يُريد أن يُشدد من رجال الأمة فليُشدد على نفسه، ولا يُشدد على المسلمين، ولكن يُيسر عليهم، قال ﷺ:

{ يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا، وَبَشِّرُوا وَلَا تُنْفِرُوا } ٢٤٦

بلغ التيسير برسول الله ﷺ أنه ذكر لنا شيئاً سهلاً جداً، وكل واحد منا يستطيع أن يفعله ويكون من القائمين لله، ومع سيدنا رسول الله ﷺ، فماذا قال؟ قال:

{ مَنْ اسْتَيْقَظَ مِنَ اللَّيْلِ وَأَيْقَظَ امْرَأَتَهُ فَصَلَّيَا رَكَعَتَيْنِ جَمِيعًا كُتِبَا مِنَ الذَّاكِرِينَ لِلَّهِ
كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ } ٢٤٧

كم ركعة؟

٢٤٤ البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها

٢٤٥ البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه

٢٤٦ البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه

٢٤٧ سنن أبي داود وابن ماجه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

اثنتان فقط، فهل صعب على كل مسلم أن يُصلي ركعتين لله تعالى قبل صلاة الفجر؟! يقوم ويتوضأ ويُصلي ركعتين، فيكون في أعلى مقام من المقامات التي ذكرها الله في سورة الأحزاب:

﴿ وَالَّذِينَ كَرِهَتْ أَللَّهُ كَثِيرًا وَالَّذِينَ كَرِهَتْ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾

(سورة الأحزاب) ولا يعرف الأجر العظيم إلا العظيم تبارك وتعالى.

إذا كان متعباً، ولن يقوم إلا على صلاة الفجر مباشرة، فينوي عندما يُصلي العشاء في جماعة، وينوي عندما يصلي الفجر في جماعة قيام الليل، لأن الرسول قال لنا وهو أيضاً من التيسير:

{ مَنْ صَلَّى الْعِشَاءَ فِي جَمَاعَةٍ، كَانَ كَقِيَامِ نِصْفِ لَيْلَةٍ، وَمَنْ صَلَّى الْفَجْرَ فِي جَمَاعَةٍ، كَانَ كَقِيَامِ لَيْلَةٍ }^{٢٤٨}

هل يوجد تيسير أكثر من ذلك؟! فأنت لا بد أن تُصلي العشاء والفجر، ولكن لا تُصلي الفجر بعيد طلوع الشمس، ولكن في وقته الأول مع الإمام، لأنها صلاة الشهود: ﴿ وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ (الإسراء) واستحضر نية قيام الليل، لأنك ربما لا تستطيع قيام الليل لأنك في تعب طوال النهار، وربما يكون عندك في الصباح عمل شاق، وتريد أن تأخذ قسطاً من النوم لتقضي هذا العمل، كل هذه الأمور وغيرها من الأعذار يقبلها الواحد القهار إذا نويتُ في صلاة العشاء وصلاة الفجر في جماعة قيام هذه الليلة.

حتى أنه ﷺ يَسِّرُ لنا أيضاً في حديث عظيم قال فيه ﷺ في ليلة القدر:

{ مَنْ صَلَّى الْعِشَاءَ فِي جَمَاعَةٍ فَقَدْ أَحَدًا يَحْظُهُ مِنْ لَيْلَةِ الْقَدْرِ }^{٢٤٩}

صلاة العشاء فقط في جماعة في هذه الليلة، فهل يوجد تيسير أسهل من ذلك؟!.

كان أصحاب رسول الله كما علمهم رسول الله، فسيدنا رسول الله كان يقوم في الليل

٢٤٨ مسند أحمد وصحيح ابن حبان عن عثمان بن عفان ﷺ

٢٤٩ معجم الطبراني عن أبي إمامة ﷺ

يتوضأ ويُصلي ركعتين خفيفتين، ثم يُصلي أربع ركعات، تقول فيهن السيدة عائشة رضي الله عنها:

{ فَلَا تَسَلْ عَنْ حُسْنِهِنَّ وَطَوْلِهِنَّ } ٢٥٠

يطيل فيهن قراءة كتاب الله، وفي الركوع والسجود بين يدي الله، ثم يصلي أربع ركعات، ويختم بالوتر، وكان حريصاً على صلاة القيام في وقت السحر، ووقت السحر هو الثلث الأخير من الليل وهو قبل الفجر، وهذا هو الوقت الذي ينزل فيه رب العزة إلى السماء الدنيا كما أخبر حضرة النبي صلى الله عليه وسلم.

وليس معنى يتنزل كما نزل نحن، لكن يتنزل بخيره، وبره، وفضله، وجوده، وكرمه، وعطاءاته، وهباته، وإجابة الدعاء، وتحقيق الرجاء .. يتنزل بهذه الأشياء كلها في السماء الأولى في الثلث الأخير من الليل، وينادي علينا وهو الغني في هذه الساعة:

{ هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَأَعْطِيَهُ؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِرَ لَهُ؟ هَلْ مِنْ تَائِبٍ فَأُثِيبَ عَلَيْهِ؟ هَلْ مِنْ دَاعٍ فَأَجِيبَهُ؟ حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ } ٢٥١

فلو أردنا شيئاً يقضيه لنا الله فهذا هو الوقت المفضل للإجابة، فكيف نترك هذا الوقت؟! فلا بد أن نقوم لناجي الله حتى يستجيب لنا الله تبارك وتعالى.

الاستغفار بالأسحار

فكان سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن يُنهي الصلاة يستغفر الله تبارك وتعالى، وعلم أصحابه أنهم بعد أن يُصلوا يهتموا الصلاة إلى أذان الفجر بالاستغفار، فقد روي أن كل رجل منهم كان يستغفر الله سبعين مرة، ولذلك مدحهم الله وقال: ﴿وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾.

فإذا كان عليه ذنوب، فهذا وقت مغفرة الذنوب، فيغفر له الله، وإذا كان ليس عليه ذنوب فيستغفر من تقصيره وقصوره في طاعة علام الغيوب، وهل يوجد أحداً منا يستطيع أن يعبد الله حق عبادته؟!.

٢٥٠ البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها

٢٥١ مسند أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه

فكانوا يقومون بين يدي الله، وبعدها يستغفرون الله وكأهم يقولون لحضرتة: هذه طاقتنا، وهذا وسعنا، ونحن مقصرين فاعذرننا يا إلهنا ويا ربنا، فكانوا يهتمون بالاستغفار: ﴿وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾

الإففاق على الفقراء

وعندما يطلع النهار، فكانوا يعرفون أن أفضل عمل يرفع الله به مكان العبد في الجنة هو الإففاق، قال ﷺ:

{ إِنْ فِي الْجَنَّةِ غُرْفًا يَرَى ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا، وَبَاطِنُهَا مِنْ ظَاهِرِهَا، أَعَدَّهَا اللَّهُ لِمَنْ أَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَأَفْشَى السَّلَامَ، وَصَلَّى بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ } ٢٥٢

وفي رواية أخرى:

{ لِمَنْ أَلَانَ الْكَلَامَ، وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَبَاتَ لِلَّهِ قَائِمًا وَالنَّاسُ نِيَامٌ } ٢٥٣

فكانوا حريصين على الإففاق، وليست الزكاة فقط، لأن الزكاة حق الله ولا بد أن يُخرجه، لكن لا بد أن يجعل لنفسه نفقة أخرى للمساكين والمحتاجين من أمة مُحمد أجمعين، رغبةً في ما عند الله تبارك وتعالى: ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾.

ونحن في هذا الزمن - الحمد لله - الخيرات كثيرة ووفيرة، والإففاق زاد عن الحد، لكن لو طلب منه أحد شيئاً لله، يقول: ليس معي شيئاً، وعلى ديون وغير ذلك، لكن أنت تُنفق على بطنك بدون حساب، أنت وأولادك، فاجعل شيئاً من ذلك لله.

الشيخ ابن عطاء الله السكندري ﷺ وأرضاه كان يقول لأحابه من المريدين: (تصدق كل يوم ولو بدرهم تُكتب في ديوان المتصدقين) يوجد ديوان للمتصدقين كل يوم، وماذا تصنع هذه الصدقة؟ قال ﷺ:

{ الصَّدَقَةُ تُسَدُّ سَبْعِينَ بَابًا مِنَ السُّوءِ } ٢٥٤

٢٥٢ صحيح ابن خزيمة ومسند أحمد عن أبي مالك الأشعري

٢٥٣ مسند أحمد عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما

٢٥٤ معجم الطبراني عن رافع بن خديج ﷺ

الصدقة تدفع سبعين باباً من البلاء، وقيل: أدناها هم، وهم لو أصاب إنسان قد يموت، لكن سبعين باباً من البلاء تمنعهم عنك الصدقة، فلا بد للإنسان أن يكون له حرص شديد على أن يُنقذ مما آتاه الله على فقراء الله ولو قليلاً، وليس هناك حد معين.

السيدة عائشة رضي الله عنها كانت تأكل عنباً، فجاءها سائل فأعطته حبة عنب واحدة، فقالوا لها: حبة عنب واحدة يا أم المؤمنين؟! قالت: (إن فيها مثاقيل كثيرة من الحسنات!!) المهم النية وليس المهم قدر العطية، لأن النية فيها البركة.

إذاً لا بد أن يكون للإنسان في كل يوم نصيب من الصدقات لكي يدفع الله عنه البلاء، ويرفع الله عنه وعن أهله الأذى، ويشمله وأهله برعايته على الدوام، ويكون أيضاً مع الحبيب المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام.

سيدنا رسول الله كان أجود بالخير من الريح المرسلة، يعني أجود من الريح، وحتى عندما لا يكون معه شيء كان جواداً، فقد جاءه رجلٌ فقير يسأله، فقال النبي ﷺ:

{ مَا عِنْدِي شَيْءٌ، وَلَكِنْ ابْتَعْ عَلَيَّ إِذَا جَاعَنِي شَيْءٌ فَصَيْتُهُ، فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ أُعْطَيْتَهُ، فَمَا كَلَّفَكَ اللَّهُ مَا لَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ، فَكَّرَهُ النَّبِيُّ ﷺ قَوْلَ عُمَرَ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنْفِقْ وَلَا تَخَفْ مِنْ ذِي الْعَرْشِ إِقْلَالًا، فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَعَرَفَ الْبَشَرُ فِي وَجْهِهِ لِقَوْلِ الْأَنْصَارِيِّ، ثُمَّ قَالَ: بِهَذَا أُمِرْتُ } ٢٥٥

{ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلْسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ } والسائل الذي يطلب، والمحروم الذي يستحي أن يطلب ولكنه محتاج، وهذا الذي ينبغي أن نبحث عنه: { لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا } (البقرة ٢٧٣) وفسر سيدنا رسول الله ﷺ هذه الآية فقال صلوات ربي وتسليماته عليه:

{ لَيْسَ الْمَسْكِينُ الَّذِي يَطُوفُ عَلَى النَّاسِ تَرُدُّهُ اللَّقْمَةُ وَاللَّقْمَتَانِ وَالثَّمْرَةُ وَالثَّمْرَتَانِ، وَلَكِنَّ الْمَسْكِينُ الَّذِي لَا يَجِدُ غَنَى يُعْنِيهِ، وَلَا يَفْطَنُ بِهِ فَيَتَصَدَّقُ عَلَيْهِ،

وَلَا يَقُومُ فَيَسْأَلُ النَّاسَ ۚ ٢٥٦

المسكين هو المتعفف أبا العيال، كما قال ﷺ:

{ إِنَّ اللَّهَ ﷻ يُحِبُّ عَبْدَهُ الْمُؤْمِنَ الْفَقِيرَ الْمُتَعَفِّفَ أَبَا الْعِيَالِ ۚ } ٢٥٧

الرجل الذي عنده عيال كثيرة، ودخله لا يكفيهم، وعنده عزة نفس فلا يستطيع السؤال، ولا يعرض حاله على أحد، من الذي يبحث عنه؟ إخوانه المسلمين، لأن النبي قال لنا:

{ لَيْسَ بِالْمُؤْمِنِ الَّذِي يَبِيتُ شَبَعَانَ وَجَارَهُ جَائِعٍ إِلَىٰ جَنْبِهِ } ٢٥٨

لا بد أن نبحث عن بعضنا، ونساعد إخواننا المسلمين المحتاجين.

الذي يمشي على هذه الشروط والمواصفات، ويجهز هذا الملف، فهذا يا هناه، لأنه سيكون يوم القيامة مع سيدنا رسول الله ﷺ في الموقف العظيم، ومع سيدنا رسول الله ﷺ تحت المقام المحمود، ومع سيدنا رسول الله ﷺ في دار الخلود.

آيات الآفاق وآيات الأنفس

حُتِّمَت هذه الآيات التي معنا بقول الله تعالى: ﴿ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿ نحن جماعة المسلمين أحوج ما نكون في هذا العصر إلى هذه الآيات القرآنية وتفسيرها بحسب ما وصلت إليه المخترعات العصرية في اكتشاف الوظائف الإلهية لكل الكائنات الأرضية والسماوية التي حولنا، والوظائف الإلهية لكل الأعضاء التي رَكَّبَ اللهُ تبارك وتعالى منها أجسامنا.

ولذلك أنا دائماً أنوّه مراراً وتكراراً؛ أن أحسن طريقة لترسيخ العقيدة للأطفال أن أحضر لهم البرامج العلمية التي فيها الإعجاز العلمي للآيات القرآنية، ولكن على قدرهم، وتكون بشرح مُصَوَّر وأرهبها لهؤلاء الأولاد على شاشة أو على كمبيوتر، وأربطها بآيات كتاب

٢٥٦ البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ

٢٥٧ سنن ابن ماجة والطبراني عن عمران بن حصين ﷺ

٢٥٨ الحاكم في المستدرک والبيهقي عن عائشة رضي الله عنها

الله تبارك وتعالى.

وكلنا نحتاج إليها لأن الله يقول لنا: ﴿ سُنِّيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ ﴾ (٥٣ فصلت) لماذا؟ ﴿ حَتَّىٰ يَتَّبِعَنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ (٥٣ فصلت).

القرآن كتاب مسطورٍ، والكون كتاب منظور، فنقرأ فيه الآيات الكونية، والله ﷻ سَمَّاهَا آيَاتٍ: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتَلَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ ﴾ (١٩٠ آل عمران) وهي غير الآيات التي بالمصحف.

فهذه الآيات هي التي تُرَسِّخَ العقيدة، وتُثَبِّتَ التوحيد في نفوس أولادنا وبناتنا، وكذلك في نفوس كبارنا عندما تُشرح لهم بتبسيط وتسهيل مع ربطها بالآيات القرآنية.

واقترحت على السادة المدرسين الذين يدرسون الأحياء والفيزياء والعلوم في المرحلة الابتدائية والإعدادية، أنهم أثناء شرحهم لهذه المواد من الناحية العلمية يربطوها بالآيات القرآنية، مثلاً يُبين للأولاد إعجاز الله في الجهاز الهضمي، وإعجاز الله في العين، وإعجاز الله في السمع، وإعجاز الله سبحانه وتعالى في الجهاز الدوري، وإعجاز الله في الجهاز العصبي، وإعجاز الله في المخ، فعندما يرى الصغير أو الكبير هذه الأشياء يزيد يقينه، ويثبت إيمانه بالواحد الأحد تبارك وتعالى.

عبادة الشكر

ولذلك العبادة التي بدأ بها ﷺ مع صحبه الكرام، وتَحَلَّى الناس عنها في زماننا!!، هي عبادته التي بدأ بها عندما كان يختلي في غار حراء قبل البعثة، فماذا كان يعمل في غار حراء؟ هل كان يُصلي؟ أو يصوم؟ أو يقرأ القرآن؟ القرآن لم يكن قد نزل بعد، فماذا كان يفعل؟ قالوا: كان يجلس أو يقف في الغار يتفكّر في خلق الله تبارك وتعالى.

لكن عبادة التفكّر تحتاج لمنهجها من العرش إلى الفرش، فلا أتجاوز العرش، لأنني سأدخل في متاهات لا أستطيع معرفتها، ولا الإحاطة بها، قال في ذلك ﷺ:

{ تَفَكَّرُوا فِي خَلْقِ اللَّهِ، وَلَا تَفَكَّرُوا فِي اللَّهِ فَتَهْلِكُوا } ٢٥٩

لأنه ليس معك الأدوات ولا الآلات التي تُدرك بها حضرة الذات - حاشا لله سبحانه وتعالى - ولكن تطَّلِع على قدرك ما تستطيعه آلاتك التي أعطها لك ربك من الآيات.

ما الآيات التي نقرأها؟ عندنا كتابين، كتاب الكون وكتابك، أما كتاب الكون: ﴿ سَتُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ ﴾ (٥٣ فصلت) وأما كتابك: ﴿ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ (٥٣ فصلت) والإمام عليّ عليه السلام وكرَّم الله وجهه كان يقول:

أَتَزَعَم أَنَّكَ جِرْمٌ صَغِيرٌ وفيك انطوى العالم الأكبرُ
دواؤك فيك وما تبصُر ودأؤك منك ولا تشعُرُ

أنت يُهَيئ لك أنك شيء بسيط، ولكن أنت فيك كل ما في الأكوان!!، أنت باختصار الرموت الذي فيه كل شاشات الحق تعالى في الأكوان، ومعك هذه المفاتيح، ولكن تبدأ بالتفكير، والتفكير لا يكون إلا بعد طهارة القلب، ونقائه وصفائه حتى يؤتي الثمرة المرجوة.

عبادة التفكير ما الذي يساويها من النوافل التي نحصر عليها؟! هل قيام الليل؟! أم صيام النهار؟! أم صلاة التراويح؟! حضرة النبي قال:

{ لَا عِبَادَةَ كَالْتَفَكُّرِ } ٢٦٠

لا عبادة في الأجر والثواب عند الله كعبادة التفكير، وما قدر أجرها؟ قال عليه السلام:

{ تَفَكَّرُ سَاعَةً خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةِ سَنَةٍ } ٢٦١

وفي رواية أخرى:

{ فِكْرَةُ سَاعَةٍ خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةِ سِتِّينَ سَنَةً } ٢٦٢

٢٥٩ العظمة للأصبهاني عن أبي ذر رضي الله عنه

٢٦٠ معجم الطبراني ومسنَد الشهاب عن علي بن أبي طالب عليه السلام

٢٦١ الفوائد المجموعة للشوكاني

٢٦٢ العظمة للأصبهاني عن أبي هريرة عليه السلام

وكلمة ساعة إذا ذكرت في القرآن أو في الحديث ليس معناها ستين دقيقة، لأن هذه الساعات لم تكن موجودة، ولكن الساعة يعني لحظة: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ ﴾ (٥٥ الروم) وساعة هنا يعني لحظة، ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ ﴾ (١٨٧ الأعراف) يعني اللحظة التي تقوم فيها القيامة.

علم الآيات

وقد لفتُ أنظار أحبائنا الذين عندهم مكاتب تحفيظ قرآن أنه يوجد على الإنترنت قرآن مُصَوَّر بحسب ما وصل إليه العلم الحديث، يعرض الآية، ثم يأتي بفيلم يشرح الآية حسب ما وصل إليه العلم.

صحيح أن العلم لم يصل إلى الحقائق الثابتة، لكن هي وسيلة لتقريب الفهم إلى أذهان أولادنا وبناتنا وشدهم إلى كتاب الله، وتثبيت الإيمان في قلوبهم بهذه البيانات التي بينها وسخرها لنا الله تبارك وتعالى.

مثال: عندما نعرض لأولادنا قول الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴿٣١﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَدْشَأْنَهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ (المؤمنون) وأريه فيلم لشرح هذه الآيات بحسب ما صوره المُحدثين، وأقول له: لماذا جاء الله بثُمَّ في بعض الأطوار، وجاء بالفاء مباشرة في أطوار أخرى، وأبين له هذه المعلومة، فما الذي سيحدث؟ سيزيد يقينه في الله تبارك وتعالى، ويزيد عنده الإيمان.

إذاً هذه الأمور التي نحتاجها في هذا الزمان، لأنني أرى حيرة كبيرة بين الآباء مع الأبناء، فالأبُّ يظل مشغولاً ويعتبر أنه مسئول، وكل مسئوليته أنه يُوقِر للأولاد الطعام والملبس والدروس والتعليم، فيكبر الولد ويصبح رجلاً....

ويبلغ ولا يُصلي، فيكلمه فلا يستطيع!!.

وهناك مصيبة كبرى حلت في بعض الأماكن الآن كالجامعات وغيرها، فيتصيده الملحدون، ويأخذوه ويُشكِّكوه في الله وفي رسول الله وفي دين الله تبارك وتعالى، وقد

يستجيب لهم، لماذا؟ لأنني لم أحصنه.

فكما أني حريص على أن أحصنه وهو طفل صغير من الأمراض، يجب أن أحصنه
تحصين إيماني حتى لا يستجيب للملحدين، ولا للوجوديين، ولا للبهائيين، ولا لغيرهم من
الفرق الشاذة التي كثرت في هذا الزمان، لأني أنا المسئول، لقول رب العزة تبارك وتعالى:
﴿ قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾ (٦التحریم).

فلا تبحث عن نفسك فقط، فأنت مسئول عن أولادك، منذ متى؟ من البداية، نبدأ
معه بعلم آيات الله التي في الأكوان، وآيات الله ﷻ التي في الإنسان.

وهذا أكبر دليل وبرهان على قدرة حضرة الرحمن تبارك وتعالى، وطبعاً لا يسع الوقت
لذكر هذه الآيات في هذه الآتات، لكن ألفت النظر أننا نحاول أن نتفكر في النفس وفي
الآفاق.

وهناك قراءة أخرى لآية النفس يقول فيها الله تعالى: ﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾
يعني ألا ترى قدرة رب العزة وإبداعه وجميل صنعه فيك؟! لا بد وأن تعرف قدرة الله فيك
وتتفكر، لماذا؟ لتشكر الله على عطاياه، وتزيد في شكر الله على نعمه في صنعه، وفي تيسير
الأمر لك: ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ (٧إبراهيم).

الذي يكشف عن هذه الآيات عن طريق التفكير والتذكر يُصبح من الموقعين، أي
يصل إلى مقام الإيقان، والإيقان يعني أن لا يتزحزح ولن يتحوّل ولن يتغير مهما تعرض لفتن
أو آراء شاذة، فيكون كالجلبل لا يُحركه شيء، لأنه أصبح راسخ الإيمان، وثابت اليقين في
الواحد الديان تبارك وتعالى.

نسأل الله تبارك وتعالى أن يُعلمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علمنا، وأن يجعل أولادنا
وبناتنا يسارعون في الخيرات، ويسابقون في الطاعات، وأن يهديهم الله بُداه للتفكر في
أنفسهم، وفي خلق الأرض والسموات، حتى يصيروا من الراسخين في العلم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾
فِيكِهِينَ بِمَا ءَاتَاهُمْ رَبُّهُمْ
وَوَقَّاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ
﴿ ١٨ ﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا
كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَّكِئِينَ عَلَى
سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ نَحُورٍ
عِينِ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ
ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ
وَمَا أَلْتَنَّهُمْ مِّنْ عَمَلِهِمْ مِّنْ شَيْءٍ

كُلُّ أَمْرٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾
وَأَمَدَدْنَاهُمْ بِفِكَهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا
يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَتَنَزَّعُونَ فِيهَا كَأَسَا
لًا لَعْوٍ فِيهَا وَلَا تَأْتِيهِمْ * ﴿٢٣﴾
وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ
لُؤْلُؤٌ مَّكُونٌ ﴿٢٤﴾ (الطور)

١٧. جنات ونعيم ٢٦٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - نحمد الله على جميل هُداه، ونشكره سبحانه وتعالى على ما ملاً قلوبنا من تقواه، ونسأله ﷻ أن يديم علينا فضله وجوده وعطاياه، حتى نستديم على التقوى حتى نلقاه، ونكون يوم القيامة من الممدوحين بتقوى الله في كتاب الله في تقواه، ومن الثلة المباركة في معية رسول الله أجمعين.

اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد مصدر كل خير، ومنبع كل برٍّ، وسرُّ كل سرٍّ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وأتباعه وحزبه والناهجين على هديه إلى يوم الدين، واجعلنا منهم ومعهم أجمعين بمنك وفضلك وجودك يا أرحم الراحمين.

الآيات التي معنا اليوم آياتٌ تشرح الصدر، وتثلج الخاطر والبال، وتسر القلب والفؤاد، لأن الله تبارك وتعالى فتح لنا فيها من العطايا الإلهية ما نعجز أجمعين عن شكره حتى ولو رزقنا أعماراً من عنده حتى انتهاء دار الدنيا الدنية، لأن الله جعل فيها من الخير ما لا نستطيع عدّه ولا حده.

وصف المتقين

نسأل الله أجمعين أن نكون من المعنيين بقول رب العالمين: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ﴾ والتقوى الكلام فيها واسع لا نهاية له، لكن باختصار شديد هي فعل ما أمر الله، وترك ما نهى عنه حضرة الله، فمن المتقي؟ هو الذي يفعل ما أمره به مولاه، ويتجنب ويترك فعل ما عنه ناه.

ويجب أن يستديم المرء على ذلك، ولا يستطيع أحدٌ منا أن يستديم على ذلك إلا بتوفيق من الله، ومعونة ورعاية من الله، فإن رعاية الله لو تحلّت عنا طرفة عين، ما استطعنا أن نصنع طاعة، ولا أن نمنع أنفسنا عن معصية، فله الحمد في الأولى وفي الآخرة.

الذي يستطيع بتوفيق من الله، ويستمد العون من مولاه ليعينه على طاعته، ويحفظه من الوقوع في مخالفته وعصيان أمره، فهذا يكون من المتقين.

وبدا الآية بحرف (إن) للتأكيد، يعني ليس ظناً وإنما هو أمرٌ أكيد أنه اندرج في صفوف

المتقين.

جنات المتقين

أين هؤلاء المتقين؟ ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ﴾ لم يقل سيدخلون، وإلا قلنا أنهم سوف يدخلون في الآخرة، لكنهم الآن ﴿فِي جَنَّاتٍ﴾ وليست جنة واحدة ولكنهم في جناتٍ ونعيم، وما هذه الجنات التي هم فيها الآن؟ جنات طاعة الله سبحانه وتعالى، فمجلسنا هذا روضة من رياض الجنة، ومجلس تلاوة القرآن روضة من رياض الجنة، ومجلس الصلح بين المتخاصمين من المؤمنين روضة من رياض الجنة.. أيُّ مجلس لفعل الخير والبر والمعروف في الدنيا يكون روضة من رياض الجنة.

فالمؤمن لا يتقلب في الدنيا إلا فيما ذكرناه، أو قريباً منه بما جاء في كتاب الله، وما وضحه سيدنا رسول الله، فالمؤمن يتقلب في جنات، من جنة إلى جنة، ومن روضة إلى روضة، وهو في الدنيا في جنات الطاعة على الدوام.

وهذا غير جنات الآخرة، فهذه أمرها محفوظ وهي لا شك فيها، بل نعلم علم اليقين - والحمد لله - أننا جميعاً إن شاء الله من داخلها، إن لم يكن بأعمالنا فسندخل بشفاعه نبينا، وشفاعة إخواننا المسلمين، وبفضل الله وإكرام الله وعطف الله ورحمة الله سبحانه وتعالى لنا جماعة المسلمين.

فالمتقين في الدنيا في جنات، لأنهم بعيدين عن مجالس الغفلة، ومجالس السوء، ومجالس الشر، وكل المجالس التي نهى عنها الله لا يخوضون فيها.

دائماً يُذَكَّرُونَ أنفسهم بقول الله: ﴿فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (٦٨ الأنعام) إياك أن تضحك عليك نفسك وتجلس مع هؤلاء الظالمين ولو طرفة عين، لماذا؟ لأنك لا تعرف الختام، فرما يأتيك الختام وأنت وسط هؤلاء الأقوام، وقد قال ﷺ:

{ إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِخَوَاتِيمِهَا } ٢٦٤

٢٦٤ صحيح البخاري ومسنَد أحمد عن سهل بن سعد رضي الله عنه

وقال ﷺ: { يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ } ٢٦٥

ماذا تفعل لو جاءك الختام وأنت وسط هؤلاء الأقسام الذين ظلموا أنفسهم؟! هل يؤذن لك بأن تأخذ من الله ﷻ حيناً من الزمن أو فرصة من الوقت حتى تغادر هذا المجلس؟! كلا، ولذلك المؤمن دائماً حريص وينتظر على الدوام كما قال الله لنا: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾ (الحشر ١٨) وبعد التقوى ماذا نتظر؟ ﴿وَلَنَنْظُرَ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَيْرِ﴾ (الحشر ١٨) تنتظر النداء من ملك الملوك سبحانه وتعالى، وهذا أمر لا شك فيه، فيكون دائماً بعيداً عن هذه المجالس حتى يكون في روضات الجنات.

نعيم الطاعة

الذي يكون في هذه الروضات في ماذا يكون؟ ﴿فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ﴾ يكون في نعيم، نعيم حلاوة طاعة الله، وطاعة الله لو ذاقها الإنسان وذاق حلاوتها فلن يجد في الوجود حلاوة تضاهيها أو تساويها.

وقد يُضحى بنفسه استساعةً لطاعة الله ﷻ، كالرجلين الجليلين اللذين أوكل إليهما سيدنا رسول الله ﷺ مهمة حراسة الجيش في إحدى الغزوات، الجيش كله ينام، وهما الإثنان يتوليان الحراسة، فرضياً ولم يكن أحدٌ منهم يعترض ظاهراً أو باطناً على أمر الحبيب ﷺ.

وبعد ذلك تشاورا مع بعضهما: ما رأيك يا فلان أنك تأخذ نصف الليل الأول في يقظة وأنا أنام بجوارك، وبعد ذلك تُوقظني في منتصف الليل وتنام أنت بجواري، فوافق، فقال له: ماذا ستفعل؟ قال: سأصلي، فقال له: إذا حدث لك مكروه أيقظني حتى لا تملك العدو من سيدنا رسول الله ﷺ وصحبه المباركين.

ودخل الرجل في الصلاة، وشعر بحلاوة طاعة الله، وحلاوة طاعة الله تجعل الإنسان في غيبة عن كل الأكوام بما فيها فرحاً بفضل مولاه.

وكما تعلمون أن سيدنا الزبير عندما طلبوا منه قطع رجله، فقال لهم: وأنا في الصلاة أتذوق حلاوة الطاعة فاقطعوها ولن أشعر، لا يحتاج إلى مخدر ولا مسكنات ولا ما شابه،

لأن أعظم المسكنات السكينة التي تنزل على القلوب من حضرة علام الغيوب ﷺ.

فالرجل وهو يُصلي رآه الأعداء، والجيش كله نائم، فضربوه بسهم جاء في رقبته، فأخذ السهم ونزعه ولكن الدم ينزف، وواصل الصلاة، فأصابوه بسهم آخر وهو في ركوعه فأصابه في ظهره، فنزع السهم ولم يخرج من الصلاة وواصل، وهو ساجد ضربوه بسهم جاء في مقتلته، ف شعر أنه سيموت، فتعجل الصلاة وسلّم وأيقظ من بجواره، فلامه أخاه وقال له: لم تم توقظني مع أول سهم أصابك؟! قال: كنت أستشعر حلاوة لا أستطيع وصفها ولا أجد لها شبيهاً ولا مثيلاً، ولولا أنني خشيتُ أن أموت فأمكن الأعداء من رسول الله ﷺ وصحبه الكرام ما أيقظتكم!!، هذه هي حلاوة الطاعة، قال ﷺ:

{ ذاق طعم الإيمان مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا ، وَبِالإِسْلَامِ دِينًا ،
وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا رَسُولًا } ٢٦٦

ذاق طعم الإيمان، وحلاوة الطاعة لحضرة الرحمن سبحانه وتعالى.

وهناك من هو في نعيم أرقى، وهو نعيم الأنس بندي الجلال والإكرام، ونعيم الأنس بالله لا نستطيع وصفه ولا الحديث عنه، يكفي فيه قول الإمام أبو العزائم ﷺ:
الأنس بالله أغناني عن الناس والأنس بالله معراجي ونبراسي
إذا أنس الإنسان بالله غيَّب عن الكون كله بما فيه شغلاً بمولاه، فلا يشعر بأي شيء أبداً من حوله، وهذا اسمه نعيم الأنس بالله.

نعيم القرب

وهناك نعيم القرب من حضرة الله، فيُحسُّ بتلاشي المسافات، وزوال الجهات، والأنوار تتلألأ في قلبه من كل النواحي والجهات، وتغمره الهبات والعطايا من الله سبحانه وتعالى متتابعات ومنتاليات، ومثل هذا في نعيم يقول فيه كُمل العارفين: (نحن في نعيمٍ لو يعلم الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف) ما هذا؟ نعيم القرب بالله سبحانه وتعالى.

فكيف إذا فتحت له عين البصيرة، وكشفت له عين السريرة، وشاهد الحقائق الإلهية في العوالم المنيرة؟! فماذا يكون حاله؟ ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ (١٧٥ الأنعام) هؤلاء أهل مقام الإيقان؛ يشهدون هذه المشاهد العالية، كما كان سيدنا علي عليه السلام وأرضاه يقول: **(لو كشف عني الحجاب ما ازدت يقينا)** لماذا؟! كان نائماً في مسجد حضرة النبي، وكان حضرة النبي داخلاً للمسجد، فقالوا له: إن علياً نائماً، فهل نوقظه؟ فقال لهم عليه السلام كما ورد في الأثر: (دعوه عليّ وإن كان جسمه على الثرى إلا أن قلبه بالملأ الأعلى).

إن الرجال كنوز ليس يديرها إلا مراد تحلى من معانيها
في الأرض أجسامهم والعرش مقعدهم
هم الشمس لشرع المصطفى وهم
قلوبهم صفت والله هاديها
سفينه الوصل باسم الله مجريها

فبمجرد أن الإنسان تغفل عينه في الأكوان، فإن الروح تسرح في عوالم حضرة الرحمن، وليس الملكوت فقط، لأن الملكوت أول العوالم الإلهية، ولكن في عوالم حضرة الرحمن سبحانه وتعالى، إذا ألوان النعيم التي يعيش فيها المقربين والمتقين في الدنيا أشرنا إلى بعضها، لكنها لا نهاية لمنتهاها وحسبنا قول الله: **(إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ)**

(فَلِيكِهِمْ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ) وكلمة فاكهين يعني يتلذذون بما أعطاهم الله مباشرة من المشاهدات، ومن الفتوحات، ومن العطاءات، ومن الإكرامات .. يتلذذون بهذه الأحوال لذة لا يستطيع أن يصفها إنسان، لأنها لذة معنوية قلبية وروحانية لا توصف ولكن تذاق، ذُق تعرف.

حفظ الحفيظ

(وَوَقَبَهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ) هذه الآية ككل آية في القرآن لها ظاهر وباطن، كما قال عليه السلام:

{ أَنْزَلَ الْقُرْآنَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ، لِكُلِّ آيَةٍ مِنْهَا ظَهْرٌ وَبَطْنٌ } ٢٦٧

وفي رواية أخرى:

{ أَنْزَلَ الْقُرْآنَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ، لِكُلِّ آيَةٍ مِنْهَا ظَهْرٌ وَبَطْنٌ،
وَلِكُلِّ حَدٍّ مُطَّلَعٌ } ٢٦٨

ظاهر هذه الآية أنهم سيأخذون من الله سبحانه وتعالى شهادة أمان مكتوب عليها:
{ **أَوْلَيْتِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ** } (١٨٢ الأنعام) عندما يخرج من هذه الدنيا يجد في البرزخ
روضة من رياض الجنة، والملكين يستقبلاه ليهنئاه ويُعظماه ويكرماه وليس ليسألاه، وفي
الآخرة له ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

إما أن يخرج على قصوره في الجنة فوراً، أو يكون على منابر من نور قدام عرش
الرحمن، وإذا كان عالي الشأن يشفعونه في عدد من أهل النيران أكراماً له من ربه ومن بركة
النبي العدنان ﷺ، وإما أن يكون لك مقعداً عظيماً تحت ظل عرش الرحمن يوم لا ظل إلا
ظله .. وكل واحد على حسب ماله عند مولاه مما كان في قلبه من إخلاصه لله عند نواياه:

{ **إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ** } ٢٦٩

وما دام سيأخذ شهادة من ملك الملوك أنه ليس له علاقة بالجحيم، فسيأخذ هنا في
الدنيا حفظ من الحفيظ من الوقوع في الغفلة، ومن أي ذنب يُغضب الله تبارك وتعالى،
فالعصمة للأنبياء والحفظ للصالحين والمتقين والأولياء، فيتولاه باسمه الحفيظ فيحفظه من
الوقوع في الزلل حتى ولو همَّ به أو خطر على باله.

لأن الأنبياء لا يخطر الذنب على قلوبهم، لكن المؤمن قد يمر الذنب على باله، وقد
يخطر على فؤاده، لكن عند التنفيذ إذا كان من المكرمين يحفظه الحفيظ ﷻ فلا يُنْقِذ،
وينطبق عليه القرار الإلهي:

{ **مَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا، كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً** } ٢٧٠

٢٦٨ مشكل الآثار للطحاوي عن عبد الله بن مسعود ﷺ

٢٦٩ البخاري ومسلم عن عمر بن الخطاب ﷺ

٢٧٠ البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما

لماذا لم يعملها؟ لأن الذي حفظه الحفيظ ﷻ، فيحفظه الله تعالى من الوقوع في ما يُغضب الله، وما يؤدي إلى دخول النار والعياذ بالله تبارك وتعالى، ويُقال لهم: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

وإذا كان من أهل القرب وقاه الله في الدنيا من الحجاب عن حضرته، ومن البعد عن طريق أهل طاعته، ومن سلوك غير طريق أحبته، ومن الصدود عن العمل الصالح الموصل لرضاء حضرته .. يقبه الله من كل ما ذكرناه من البعد ومن الحجاب ومن الصدود، لأن الله سيُحبب إليه الطاعات ويُلذذه في ذكر الله في كل الأوقات.

الحال الهني

ويُقال له في الآخرة: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا﴾ وهنيئاً يعني إذا كان الطعام والشرب لن يحدث منه ضرر ولا مرض ولا حتى انتفاخ ولا شيء يُعكر صفو الإنسان.

وإذا كان في الدنيا من أهل الفتح فيأكل من العلوم الإلهية، والحكم الربانية، والأسرار القرآنية، وفصوص الحكم للأحاديث النبوية .. طعام شهي تشتهيهِ الأرواح، ولها شهوة أكثر من شهوة الأشباح، ولكن لمن ذاق هذا الراح، وهذا كان يقول فيه الإمام أبو العزائم ﷺ:

جعنا فاطعمنا الحقائق ربنا واسق الجميع محبة الغفار

يطعمهم الحقائق للقلب والفؤاد والروح والسر وهذه العوالم العلية، وماذا يشربون؟ قال: (واسق الجميع محبة الغفار) يشربون في الجنة من ماءٍ معين، أو عند حوض الكوثر للنبي الكريم، أو من عينان نضاختان.

ويشربون في الدنيا من شراب المحبة من سيد الأجابة: ﴿وَسَقَلَهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ (٢١ الإنسان) وشراب المحبة لو شربت منه حبةٌ لا تُبقي في القلب لغير المحبوب حبةٌ؛ شراب طهور يُطهر القلب من الأغيار ليتأهل لتَنزُّل الأنوار، ثم إفاضة الأسرار من عالم الأسرار ﷻ، ونحن نأخذ الآيات من المشهدين، لنُعطي كل واحد مشربه، لكننا مع أهل الظاهر بالظاهر فقط، لأنهم لا يعرفون غير ذلك، حتى لا يُظهر أحد ما لا يُطاق.

﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ إذاً كل الذي أشرنا إليه من المتع نتيجة

العمل، فما بالك كيف يكون الفضل؟ ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ (٥٨ يونس) والذي يقول فيه: ﴿ ذَلِكُمْ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ (٢١ الحديد) كيف يكون هذا؟ هذا شيء آخر، وهو خصوصيات لأهل الخصوصيات، وإكرامات ذاتية لمن عليهم توصية من الحضرة المحمدية.

ومثلها:

﴿ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ ﴾ (١٠٥ البقرة) فهذا اختصاص، لكننا نتكلم عن المقام العام، ونحن والحمد لله كلنا من الخواص ولسنا من أهل المقام العام، وهذا من فضل الله علينا وعلى الناس.

نعيم الجنة

﴿ مُتَكَبِّرِينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ ﴾ :

نعيم الجنة ليس فيه كدٌ ولا تعب ولا ألم ولا نصب، فيكون الإنسان متكئ، يعني نائماً أو نصف نائم على سريره، وكل ما يخطر على باله يأتيه فوراً في وقته.

- إذا كان من أهل اليمين سيكون له خدمٌ يأتون له بالنعيم!

- وإذا كان من المقربين فليس في حاجة إلى خدم لأن كل شيء في الجنة سيكون في خدمته، فلا يحتاج لأحد أن يذهب إلى الشجر ليأتيه بالفاكهة، ولكن الشجرة هي التي تتحرك نحوه بمجرد أن يخطر على باله فاكهة يريد، وتُنزل له ما يريد... وإذا خطر على باله أخاه فلان، فإن السرير يتحرك ويأخذه إليه ويستأذن حتى يكون بجواره أخاه فلان على سررٍ مصفوفة، لذلك المحبون يكونون بجوار بعضهم في الجنة، فكما كانوا يأتسون ببعضهم في الدنيا سيأتسون أيضاً ببعضهم في الآخرة، ولكن ليس بالأحاديث الدنيوية والشواغل الكونية، ولكن بالأحاديث القدسية، والمؤانسات الإلهية، والإكرامات المحمدية التي رأوها في حياتهم الجنانية، وهذه مادة ليس لها نهاية .

- إكرام واسع وعطاء شاسع ليس له عدٌّ ولا حدٌّ.

زوجات الجنة

﴿ وَزَوْجَتُهُمْ يُحْوَرُّ عَيْنٍ ﴾ الزوجات سيكون فيهن كل مواصفات الجمال التي تخطر على بال الإنسان، إن كان زوجاته الدنيوية، أو إن لم يكن له زوجة في الدنيا سيكون من الحور الجنانية، ولكي نعرف أيضاً أن الزوجات في الحياة الدنيوية اللاتي كنَّ سائرات على نسق الحضرة المحمدية، وعملن بقول خير البرية:

{ الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ إِذَا نَظَرَ إِلَيْهَا سَرَّتُهُ، وَإِذَا أَمَرَهَا أَطَاعَتْهُ، وَإِذَا غَابَ عَنْهَا حَفِظَتْهُ }
٢٧١

فهذه ستكون من ملكات الجنان، في الحلاوة والحسن والشكل وكل شيء، وسيكون الحور خدم عندها ووصيفات لها، لأنها هي صاحبة العرش، وستكون في حالة أخرى غير التي كنت تراها بها في الحياة الدنيا، ويكفي قول رسول الله ﷺ:

{ إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَأْكُلُونَ فِيهَا وَيَشْرَبُونَ، وَلَا يَتْفُلُونَ، وَلَا يَبُولُونَ، وَلَا يَتَغَوَّطُونَ، وَلَا يَمْتَخِطُونَ }
٢٧٢

أهل الجنة لا يبولون ولا يتغوطون ولا يتنخمون ولا يسقمون ولا يشيبون، وبالنسبة للنساء لا يحضن، وكل المشاكل التي كانت تسبب لهن متاعب في الدنيا فلن تحدث في الجنة. فعندما يخرج الإنسان من الدنيا، وقبل خروج روحه يرى ما له في الجنة فيقول: ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ ﴾ (٣٤ فاطر) لا يوجد شيء اسمه حُزن في الجنة، ولكن فرحٌ وسرورٌ وطربٌ وحبورٌ ولذةٌ ما بعدها لذةٌ في حضرات القرب من القريب تبارك وتعالى.

زوجتي تعبت معي في الدنيا، وشاركتني همومي ومشاكلي، وساعدتني في تربية أولادي، وكانت مستقيمة، وفي الآخرة أجلسوني في أعلى قصور الجنة، وزوجتي لا أراها، ولا أعرف أين ذهبت؟! فهل أمتع بشيء هناك!؟

٢٧١ الحاكم في المستدرک والبيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما

٢٧٢ صحيح مسلم ومسنند أحمد والطبراني عن جابر ﷺ

لا، لأني أريد أن أطمئن عليها، وهذا حال أهل الوفاء، ونحن أهل الوفاء، فهل تكون معي في الشدة وعندما أكون هناك في النعيم أنساها؟! لا، لكن لا بد أن أبحث عنها.
وهل أبحث عن زوجتي فقط؟ لا، وإلا لا يكون عندي برٌّ، ولكن أبحث عن أبي وأمي وأولادي.

وإذا كان هناك إنسان له شأن في الدنيا، وأقامه الله لإرشاد الخلق، وشيخه رسول الله، فهذا أيضاً يبحث عن أحبابه، ليعرف أين ذهبوا لأنه لن يطمئن وهو في الجنة من غير أن يعرف عنهم شيئاً، لأنهم كانوا معه في الدنيا.

إكرام الله للصالحين في أهلهم

كل هؤلاء داخلين في قول الله:

﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ :

كل المؤمنين الذين عملوا الصالحات سيُطمئنهم الله على ما ذكرناه، قال الله في كتاب الله عندما بين ما يقوله لعباده الأخيار: ﴿ يَبْعَادِ لَا خَوْفَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِعَابَتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٦٦﴾ أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٦٧﴾ (الزخرف) كل واحد يبحث عن زوجته ويأخذ بيدها ويدخلها معه، وقد لا تكون مثله في العمل، لكن يُكرمهم الله ﷻ ويرفع درجة زوجته إلى درجته وإن كانت دونه في العمل إكراماً لصلاحه وتقواه، وإذا كان أولاده ملتزمين بالإيمان، ولكنهم مقصرين قليلاً في طاعة الرحمن، أيضاً يُكرمهم الله ويرفعهم إليه ويُلحقهم به، فيحصلوه، لماذا؟ إكراماً لصلاحه وتقواه، قال ﷺ في حديثه الجامع:

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ ذُرِّيَّةَ الْمُؤْمِنِ فِي دَرَجَتِهِ، وَإِنْ كَانُوا ذُوْنَهُ فِي الْعَمَلِ، لِيَقْرَبَهُمْ عَيْنُهُ، ثُمَّ قَرَأَ: " وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ "

إذا دخل الرجل الصالح الجنة رفع الله إليه ذريته إلى مقامه، وإن كانوا دونه في العمل أكراماً لصلاحه وتقواه، وكذلك الأبوين، قال ﷺ:

{ إِنَّ اللَّهَ لَيَرْفَعُ الدَّرَجَةَ لِلْعَبْدِ الصَّالِحِ فِي الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ: يَا رَبُّ، أَنَّى لِي هَذَا، فَيَقُولُ: بِاسْتِغْفَارٍ وَلَدَكَ لَكَ }

يرفع الله ﷻ العبد الدرجة في الجنة لم ينلها بشيء من عمله، ولكن باستغفار ابنه له، فكلنا نكرم ببعضنا البعض.

هذه الذرية النسبية مثلها تماماً الذرية السببية، والتي سببها المحبة، ونسبها المحبة بين الأجيال: ﴿الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ (٢٧٤) يَنْعَبَادُ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿ (الزخرف).

وقد ورد في بعض الآثار: (إذا تآخى اثنان في الله تعالى وأدخل الله أحدهما الجنة، فيقول: يا رب أين أخي فلان؟ فيقول الله تعالى: إنه لم يعمل بمثل عملك، فيقول: يا رب إني كنت أعمل لي وله، فيقول الله تعالى: خذ بيد أخيك وادخلا معاً الجنة).

وهذا إذا كانا من أهل الجنة، لكن إذا تحولوا إلى الدوائر الجنائية، وأخذوا أحكاماً، وذهبوا لتنفيذها في السجون الجهنمية، فهل نستطيع عمل شيء لهم؟ نعم بالشفاعة، سيدنا رسول الله قال:

{ شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكِبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي } ٢٧٤

من أخذ حكماً يُخَفِّضُ له الحكم، أكراماً لرسول الله، ويستأذن الله أن يُشَفِّعَهُ فيمن دخل النار من أمته، فيأذن له الله.

وهناك أيضاً عباد يكرمهم حضرة النبي فيعطي لكل واحد منهم كشافاً من معارفه وأحبابه ليشفع فيهم، قال ﷺ:

{ يَشْفَعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلَاثَةٌ الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الْعُلَمَاءُ، ثُمَّ الشُّهَدَاءُ } ٢٧٥

٢٧٤ جامع الترمذي وأبي داود عن أنس ﷺ
٢٧٥ سنن ابن ماجة عن عثمان بن عفان ﷺ

وقال: { الشَّهِيدُ يَشْفَعُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ } ٢٧٦

وقال: { مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ، وَحَفِظَهُ أَذْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ، وَشَفَعَهُ فِي عَشْرَةٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ كُلُّهُمْ قَدْ اسْتَوْجَبُوا النَّارَ } ٢٧٧

العالم يشفع، والشهيد يشفع في سبعين من أهله، وقارئ القرآن يشفع في عشرة من أهله، وهل وقف الحد عند ذلك؟ لا، قال ﷺ:

{ لَيْشْفَعَنَّ رَجُلٌ مِنْ أُمَّتِي لِأَكْثَرِ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ، وَمِنْ مُضَرَ } ٢٧٨

كل مؤمن له شفاعة على قدر جاهه عند الله تبارك وتعالى، المهم أن كل مؤمن له شفاعة، ولذلك قال ﷺ:

{ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَقُولُ فِي الْجَنَّةِ مَا فَعَلَ صَدِيقِي فَلَانَ؟ وَصَدِيقُهُ فِي الْجَحِيمِ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَخْرِجُوا لَهُ صَدِيقَهُ إِلَى الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ مَنْ بَقِيَ: " فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ وَلَا صَدِيقِي حَمِيمٍ " قَالَ الْحَسَنُ: اسْتَكْثَرُوا مِنَ الْأَصْدِقَاءِ الْمُؤْمِنِينَ، فَإِنَّ لَهُمْ شَفَاعَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ } ٢٧٩

وجدت صاحبك الذي تعرفه قد نفذ ما في كشوفاته، تبحث عن صاحب ثان وثالث، وهكذا.

فيكرم الله هذه الأمة ببعضها، وخاصة المتحابين في الله، والمتجالسين في الله، والمتبادلين في الله، والمتوادين في الله، فيجعلهم يُدخلون إخوانهم في الجنة إلى درجاتهم بفضل الله، وإن لم يصلوا إلى ذلك بأعمالهم.

وهذا اسمه حساب الفضل الإلهي الذي يحاسب به الله أمة النبي، وحتى من خسر وأخذ أحكاماً سترافعوا له عند الحق ﷻ ليأخذوا له عفو أو يُخففوا عنه الأحكام، المهم أن

٢٧٦ سنن أبي داود وابن حبان عن أبي الدرداء ﷺ
 ٢٧٧ سنن ابن ماجة وأحمد عن علي بن أبي طالب ﷺ
 ٢٧٨ كرامات أولياء الله عز وجل للألكاني عن أبي هريرة ﷺ
 ٢٧٩ معالم التنزيل تفسير البغوي عن جابر بن عبد الله ﷺ

النفع محقق وليس في ذلك شك كما قال الله تبارك وتعالى، وكما بين رسول الله ﷺ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ (المدر ٣٨) لم يقل كل مؤمن، ما المستثنى؟ ﴿إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ﴾ (٣٩ المدر) هؤلاء لهم استثناء خاص، فالكل يُحاسب بالعدل، وهؤلاء يحاسبون بالفضل الإلهي. أظن أن هذه البشريات تجعل الإنسان يفرح فرحاً ما بعده فرح بما أعطانا مولانا تبارك وتعالى.

المعاملة بالفضل

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾

وهناك قراءة أخرى: ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ والإلحاق لا يكون على حساب أعمالهم الصالحة، فليس معنى أنك تنفع أخاك وتقول: (كنتُ أعمل لي وله) أن الله سيقسم العمل بينك وبينه، لأنك هل تتسحى على الله رب العالمين؟! فهو الذي خلق الجود والسخاء، فإذا سخيت وتريد أن تُعطي أخاك فإن الله بالفضل يُدخله الجنة ولا ينقص من عملك شيء!!.

﴿وَمَا أَلْتَنَّهُمْ مِّنْ عَمَلِهِمْ مِن شَيْءٍ﴾

يعني ما أنقصناهم ولا أخسرناهم من عملهم شيء،

فعملك الصالح الذي تهبه لمن تشاء - حتى وأنت حي في الدنيا - لا ينقص من عملك أنت، مثلاً: قرأت ما تيسر من كتاب الله، ووهبت له من شئت من عباد الله، فهل يذهب إليه العمل وأنت تُحرم؟ لا، لكن عملك يكون تام عند الله، ويذهب له مثل عملك، وهذا من فضل الله، وهذا اسمه المعاملة بالفضل الذي سيواجهنا به الله يوم القيامة.

إذاً عندما تُكرم أولادك أو أبويك أو زوجك أو إخوانك المؤمنين فهذا ليس من عندك، ولكنه من فيض الكريم ﷻ، ولن يُنقص من عملك شيء، فما المانع أن تهب ثواب أي عمل لغيرك!!؟.

الشيخ ابن الموفق رحمه الله وأرضاه كان يُحج، فحجَّ عن سيدنا رسول الله ﷺ، وهل سيدنا رسول الله يحتاج إلى حجته؟! أ

بدأ، لكن الرجل لأن نيته طيبة فلا بد أن يكون:

﴿ وَإِذَا حُيِّمُ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِمَّا أَوْرَدُوهَا ﴾ (٨٦ النساء) فجاءه سيدنا رسول

الله في المنام وقال له: يا ابن الموفق حججت عني؟ قال: نعم، قال: وليبت عني؟ قال: نعم، قال: وطفت عني؟ قال: نعم، قال: وسعيت عني؟ قال: نعم، قال: وأنا أكافئك بها فأخذ بيدك في الموقف العظيم وأدخلك الجنة!!، فمن الفائز؟! وأخذ أيضاً أجر حجه تماماً بتمام، ولم ينقص من عمله شيء.

وهذا الباب الذي فتحه لنا عباد الله الصالحين، وجاء المتشددون في هذا الزمان ويريدون أن يغلقوه، ويقولون: أن العمل الصالح لا يذهب إلى أحد غير صاحبه، مع أن كلام الله واضح: ﴿ وَمَا أَلْتَنَّهُمْ مِّنْ عَمَلِهِمْ مِّنْ شَيْءٍ ﴾:

يعني لن ننقص من عملهم شيء.

وبنفس بند الفضل: ﴿ كُلُّ أَمْرٍ إِيمًا كَسَبَ رَهِينٌ ﴾:

لن يحمل أحد وزر أحد: ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾ (١٦٤ الأنعام) وهذه هي العدالة الإلهية، فأنا رجلٌ أحاول جدِّي وجهدي أن أستقيم على تقوى الله، وابني ضحكت عليه نفسه وعصى مولاه، وأنا كنت نصحته وربيتة، فهل أحاسب معه؟ لا، وهذا من الفضل الإلهي علينا جماعة المؤمنين.

أحاسب معه! لو أنا الذي أمرته، أو شجعتة، أو أنا الذي رسمت له الخطئة، أو تركت تربيتة، لكن ما دُمت أنا أدت ما عليّ لله، وهو نفسه التي ضحكت عليه فحسابه على نفسه: ﴿ مَنْ عَمِلْ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ﴾ (٤٦ فصلت) وهذا المبدأ العام.

ولكن المبدأ الخاص جعله لنا الله، فجعل العمل الصالح للمؤمن لنفسه، وله أن يهدي به غيره من فضل ربه تبارك وتعالى، لكن العمل السيئ لا يحمله أحد بل هو مسئول عن نفسه: ﴿ كُلُّ أَمْرٍ إِيمًا كَسَبَ رَهِينٌ ﴾:

ولم يُقل كل مؤمن أو كل مسلم، ولكن (كل امرئ) وهذا أمر عام، ورهين يعني يُحاسب عليه ويُجس به.

هدي الله في الطعام

﴿وَأَمَدَدْنَاهُمْ بِفَيْكِهِةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾:

هذه الآية من إعجاز الله ﷻ في القرآن الكريم، فالله سبحانه وتعالى - عندما ننظر في القرآن - يُسيرنا على المنهج العلمي الذي وصلت إليه أحدث العلوم الكونية، ما الأفضل لنا حتى نعيش في صحة وحياة هنية؟ هل نجعل الفاكهة في آخر الطعام أم قبل الطعام؟ العلماء يقولون: قبل الطعام.

لكننا رغم كلام ربنا وكلام العلماء نجعلها بعد الطعام، ولا نريد أن نغير أبداً!!، فالله يقول: ﴿وَأَمَدَدْنَاهُمْ بِفَيْكِهِةٍ﴾:

أولاً، ثم: ﴿وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾:

أي مما يحبوه، ولكن بعد الفاكهة، وفي الآية الثانية:

﴿وَفَيْكِهِةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ﴾ ﴿٢٨٤﴾ وَلَحْمٍ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ (الواقعة) أيضاً ذكر الفاكهة

أولاً، فمن منا ينفذ هذا الكلام؟ لا أحد غير سيدنا رسول الله وصحبه المباركين رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

لكننا لأننا غير منتبهين فالنفس شهوتها الأولى للحم وما حوله، وإذا بقي مكان للطعام نأكل الفاكهة، ولذلك نرى الأمراض والأسقام والعلل، لماذا؟ لأننا لم نتبع هدي الله تبارك وتعالى.

الفاكهة فيها العناصر الغذائية التي يحتاج إليها جسم الإنسان، فعندما يكون مريض وأجرى عملية جراحية ويصوم بأمر الطبيب عن الطعام، فيبدأ أولاً بالسوائل، ثم يقول له كل فاكهة.

ففيها كل العناصر الغذائية، ولا يحتاج إلى شيء آخر، فعندما يأكلها الإنسان أولاً يستفيد منها استفادة تامة ويأخذ كل العناصر الغذائية التي يحتاجها الجسم، وفي نفس الوقت تُقل الشهوة للطعام، لأن الجسم قد اطمأن بعض الشيء، فبعد ذلك سيأكل القليل.

وقد علمنا سيدنا رسول الله ﷺ أمراً في الصيام، فنحن نصوم عدد ساعات قد يصل

﴿وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ وفسرها في الآية الثانية وقال: ﴿وَلَحْمٍ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾

(٢١ الواقعة) لأن أفخر أنواع اللحوم هو لحم الطير.

الشراب الطهور

وماذا يشربون؟ ﴿يَتَنَزَّعُونَ فِيهَا كَأْسًا﴾ ولكن الكأس ليس ككنوس الخمر في الدنيا

التي تجعل الإنسان يتكلم مع من حوله بما لا يليق إذا غاب عن الوعي، وهذا يجعله يكتسب الآثام والذنوب، أما الثاني: ﴿لَا لَغْوٍ فِيهَا﴾ يعني ليس فيها أحاديث غير لائقة

﴿وَلَا تَأْتِيهِمْ﴾ يعني إثم، فلا يستطيع أن يرتكب إثماً بعد أن يشربها، فهذه خمر أهل الحبة والتي قال فيها الله: ﴿وَسَقَلَهُمْ رَهْمٌ شَرَابًا طَهُورًا﴾ (٢١ الإنسان).

قلنا أن المقربين في الجنة غير محتاجين للخدمة، فكل من في الجنة يخدمهم، وكل شيء في الجنة يعقل ويعلم ما يجول بخاطرك بدون أن تتكلم، فما يجول بخاطرك يطلع عليه ويراه بأمر من يقول للشيء كن فيكون.

الغلمان المخلدون

فمن الذي يطوف في الجنة؟ لكي يُفرح المؤمنين، فكل من مات له طفلٌ صغير إن كان رضيع أو لم يبلغ، فهؤلاء الولدان المخلدون الذين يطوفون علينا في جنة النعيم ليضيفوا علينا البهجة والسرور والفرح والنور، فنحن نراهم يحملون الأكواب والصحاف ويذهبون ويجيئون في الجنان فرحين، وليس ذلك لأننا محتاجين لهم، ولكن لكي يُفرحنا الله بما وصلوا إليه:

﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ﴾

ناهيك أيضاً كما تعلمون كما أخبر سيد الأولين والآخرين ﷺ بأن أطفال المسلمين الذين يدخلون الجنة عندما تأتي القيامة العظيمة يقومون بعمل مظاهرة على أبواب الجنة، وصفها سيدنا رسول الله فقال:

{ إِنَّهُ يُقَالُ لِلْوِلْدَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: ادْخُلُوا الْجَنَّةَ، فَيَقُولُونَ: يَا رَبِّ حَتَّى يَدْخُلَ آبَاؤُنَا وَأُمَّهَاتُنَا، قَالَ: فَيَأْبُونَ، قَالَ: فَيَقُولُ اللَّهُ ﷻ: مَا لِي أَرَاهُمْ مُحْبَنِّطِينَ،

ادخلوا الجنة، فيقولون: يا ربّ أبائنا، قال: فيقول: ادخلوا الجنة أنتم وأبائكم { ٢٨١

سبحان الله!! انظر إلى إكرام الله سبحانه وتعالى لنا جماعة المؤمنين، فقد يموت طفل صغير لمؤمن، وينساه مرور الوقت، لكن القدير ﷺ يجعل هذا الولد هو الذي يشده هو وأمه ويدخلهما الجنة!!.

فإذا مات لي ولد كبير وحزنت من أجله، ولكني صبرت، فيقول الله للملائكة كما أخبر النبي ﷺ:

{ إِذَا مَاتَ وَلَدٌ الْعَبْدِ، قَالَ اللَّهُ لِمَلَائِكَتِهِ: قَبِضْتُمْ وَلَدَ عَبْدِي؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: قَبِضْتُمْ ثَمْرَةَ فُؤَادِي؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: مَاذَا قَالَ عَبْدِي، فَيَقُولُونَ: حَمْدَكَ وَاسْتَرْجَع، فَيَقُولُ اللَّهُ: ابْنُوا لِعَبْدِي بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَسَمُّوهُ بَيْتَ الْحَمْدِ { ٢٨٢

إذا قلت (الحمد لله، إنا لله وإنا إليه راجعون) بينون لك قصراً بسبب الولد الذي استرجعت فيه إلى الله، وحمدت الله على قضاء الله، ولم تصنع ما نهي عنه رسول الله ﷺ.

فالله يطمئننا بأنه حتى الأولاد الصغار الذين ماتوا سيكونون معنا في الجنة، فيكون معك زوجتك، ومعك أولادك، ومعك أبويك، ومعك أيضاً صغارك الذين ماتوا وهم صغار: ﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ هُمْ ﴾

وكيف يكون جمالهم وبهاؤهم؟

﴿ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴾ كاللؤلؤ المكنون في البهاء والنور والجمال وهم يطوفون في قصور الجنة، لكي تفرح بفضل الله، وتشكر الله على عطاياه، وتسال الله ﷻ أن يجعلك الله دائماً في هذه الحياة الدنيا ممن يُطيعه ويخشاه.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ﴿٤٦﴾

فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾

ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا

تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾

فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾

فِيهَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾

فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾

مُتَّكِنِينَ عَلَى فُرْشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ

إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾

فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ

قَصِرَتْ أَلْطَّرْفِ لَمْ يَطْمِئِنَّ إِنْسٌ
قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ آءِ
رَبِّكُمْ تُكذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ
وَالْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَيِّ آءِ رَبِّكُمْ
تُكذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا
الْإِحْسَنُ ﴿٦٠﴾ فَبِأَيِّ آءِ رَبِّكُمْ
تُكذِّبَانِ ﴿٦١﴾ وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾
فَبِأَيِّ آءِ رَبِّكُمْ تُكذِّبَانِ ﴿٦٣﴾
مُدَّهَامَّتَانِ ﴿٦٤﴾ فَبِأَيِّ آءِ رَبِّكُمْ
تُكذِّبَانِ ﴿٦٥﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاحَتَانِ
﴿٦٦﴾ فَبِأَيِّ آءِ رَبِّكُمْ تُكذِّبَانِ ﴿٦٧﴾

فِيهَا فِكْهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ فَبِأَيِّ
ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾ فِيهِنَّ
خَيْرَاتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَاءِ
رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ
فِي الْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ
وَلَا جَانٌّ ﴿٧٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾ مُتَّكِنِينَ عَلَى رُفْرَفٍ
خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾ فَبِأَيِّ
ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾ تَبْرَكَ اسْمُ
رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿الرحمن﴾

١٨. جزاء الخوف من الله^{٢٨٣}

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - الحمد لله الذي خصنا بجميل آلائه، وعميم نعمائه، وجعلنا في الدنيا من خير أمة أخرجت للناس؛ أمة خير رُسله وأنبياؤه، وجعلنا في الآخرة أول الناس خروجاً إذا بُعثوا، وأول الناس حساباً إذا وفدوا، وأول الناس دخولاً للجنة إذا فتحت أبوابها، اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على سيدنا مُحَمَّد، سرُّ كل هذه العناية، ومصدر كل هذه العطايا، وآله الكرام، وصحابته الأتقياء الأتقياء، وكل من تبعهم على هذا الهدى إلى يوم الدين، وعلينا معهم أجمعين .. آمين آمين يا رب العالمين.

سيدنا رسول الله ﷺ عندما أنزلت عليه هذه السورة؛ سورة الرحمن، وتلاها على أصحابه المباركين، فاستمعوا إليها خاشعين، ولكن صامتين لم يتكلموا، فقال ﷺ:

{ مَا لِي أَرَأَيْتُمْ سَكُونًا، لَلَّحْنُ كَانُوا أَحْسَنَ مِنْكُمْ رَدًّا، مَا قَرَأْتُ عَلَيْهِمْ مِنْ مَرَّةٍ: }
فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ " إِنْ قَالُوا: وَلَا بَشَيْءٍ مِنْ نِعْمَتِكَ رَبَّنَا نُكْذِبُ فَلكَ
الْحَمْدُ }^{٢٨٤}

وهي تتكرر في السورة حوالي ٣٣ مرة، وآلاء يعني نعم، فلا نكذب بأي نعمة من نعم الله الظاهرة والباطنة التي أنزلها لنا الله تبارك وتعالى.

خشية الله

هذه الآيات التي معنا تُعطي أملاً عظيماً لكل مؤمن تقيٍّ نقي يخشى الله ويخاف من عصيانه في الحياة الدنيا، فدائماً القرآن يدعو المسلمين والمؤمنين، علماء وغير علماء إلى الخوف من الله، وخشية الله، وتقوى الله تبارك وتعالى.

الذي يخاف من الله، يخاف أن يعصى الله، ويخاف أن يفعل ما يُغضب الله، ويخاف أن يسيئ إلى خلق الله، خوفاً من الحساب الذي سيتعرض له يوم لقاء الله، وخائف من الموت

٢٨٣ المنيا - مطاي - مسجد الشيخ أبو بكر ٢١ من رجب ١٤٣٩ هـ / ٨ / ٤ / ٢٠١٨ م
٢٨٤ الحاكم في المستدرک والبيهقي عن جابر بن عبد الله ﷺ

الإلهي يوم القيامة أبداً، لأن حضرة النبي قال:

{ كُلُّ أُمَّتِي مُعَافَى إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ } ٢٨٦

يجلس هنا وهناك ويقول: أنا فعلت بالأمس كذا، وفي السنة الماضية كذا، وصنعت في فلان مكيدة صفتها كذا ... أنت سترك الستار وتفضح نفسك أمام الخلق!!، فهذا يتباهى بالذنب لأن الخوف مات في قلبه، فلم يعد يتألم ولا يتبرم ولا يحزن ولا يندم عندما يُقدم على معصية أو شر أو إثم، أو يُقصر في طاعة من يقول للشيء كن فيكون.

بشائ الخائفين من الله

لكن الذي معه الخوف من الله، وعُرض عليه معصية - ولو مرة واحدة - فخاف أن يفعلها وتركها خوفاً من الله، فهذا يكون قد انطبقت عليه الشروط، وماذا له؟ ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾

ما الذي منعه من الوقوع في الذنب أو الإثم؟ ليس الناس، ولكنه الخوف من الله، وخوفه من لقاء الله، وخوفه من عقاب الله، وخوفه من الموت وبعده لقاء مولاه، وما دام الذي منعه هو الخوف من الله فيكون له ليس جنتان فقط، ولكن كما قال حضرة النبي:

{ جَنَّاتٍ مِنْ فَضَّةٍ أُنِيَتْهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّاتٍ مِنْ ذَهَبٍ أُنِيَتْهُمَا وَمَا فِيهِمَا } ٢٨٧

فيكون له أربع جنان، لماذا؟ لأنه خاف من الله سبحانه وتعالى.

وسبب نزول هذه الآية أن سيدنا أبو بكر ؓ كان حارساً لقمه وبطنه، فكان يضع دائماً حصاة تحت لسانه حتى لا يتكلم إلا في الضرورات مع خلق الله، وينشغل بذكر الله، وتلاوة كتاب الله، والاستغفار لله، والصلاة على رسول الله .. يشتغل بالأعمال الصالحة التي تقربه إلى مولاه.

رآه سيدنا عمر فقال له: ما هذا يا أبا بكر؟ فقال له: (هذا الذي أوردني الموارد) هذا هو سبب المشاكل كلها، فكلمة ترفع الإنسان أعلى الدرجات في الجنة، وكلمة تجعل

٢٨٦ البخاري ومسلم عن أبي هريرة ؓ

٢٨٧ البخاري ومسلم عن عبد الله بن قيس ؓ

الإنسان يهبط إلى أدنى الدرجات في جهنم والعياذ بالله، قال ﷺ:

{ إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا ، يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا ، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ }^{٢٨٨}

وفي رواية أخرى:

{ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ لَا يَرَى بِهَا بَأْسًا ، فَيَهْوِي بِهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ سَبْعِينَ خَرِيفًا }^{٢٨٩}

يعني سبعين سنة، ولذلك سأل عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا النَّجَاةُ؟ قَالَ:

{ أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ وَلَيْسَعَكَ بَيْتَكَ وَابْنِكَ عَلَى حَاطِيَّتِكَ }^{٢٩٠}

وسيدنا معاذ كان مع رسول الله، فَأَخَذَ بِلِسَانِ مَعَاذٍ وَقَالَ:

{ كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا ، فَقُلْتُ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ وَإِنَّا لَمُؤَاخِدُونَ بِمَا تَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فَقَالَ : تَكَلَّثَكَ أُمُّكَ يَا مَعَاذُ ، وَهَلْ يَكُوبُ النَّاسُ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟ }^{٢٩١}

لأن كل كلمة تخرج أول من يسمعها السميع ﷺ: ﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ (١٨ق) حتى ولو كان جزءاً من كلمة يسمعه رب العزة تبارك وتعالى، وهو الذي سنعرض عنده للحساب، وستعرض أمامه للسؤال والجواب والاستجواب.

وكان سيدنا أبو بكر حارساً لبطنه، فأى لقمة يأتون له بها لا بد أن يسأل عنها قبل أكلها، ليعرف هل هي من حلال أم من حرام، فلا يدخل في جوفه إلا اللقمة الحلال، لأن حضرة النبي قال ذلك:

٢٨٨ صحيح البخاري ومسنند أحمد عن أبي هريرة ﷺ
٢٨٩ سنن ابن ماجة ومسنند أحمد عن أبي هريرة ﷺ
٢٩٠ جامع الترمذي ومسنند أحمد
٢٩١ جامع الترمذي وابن ماجة عن معاذ بن جبل ﷺ

{ إِنَّ الْعَبْدَ لَيَقْدِفُ اللَّقْمَةَ الْحَرَامَ فِي جَوْفِهِ مَا يُتَقَبَّلُ مِنْهُ عَمَلٌ أَرْبَعِينَ يَوْمًا } ٢٩٢

لا صلاة، ولا صيام، وإن كان حتى ذاهب للحج، فيقال له: حجك هذا مردودٌ عليك، ولا يقبل منه أي عمل ما دام دخل في بطنه حرام.

سيدنا أبو بكر ذات مرة كان جائعاً جداً لأنه لم يأكل منذ فترة طويلة، وجاء له خادم عنده بكعك - كالذي نصنعه في العيد - فمن شدة الجوع أكل، فقال له الخادم: لم تسألني هذه المرة من أين أتيت بهذا الطعام؟! فقال له: من أين أتيت به؟ قال له: كنت أتكهن لقوم في الجاهلية قبل الإسلام - والكهانة هي الكتابة والسحر، وهذه مأثما حرام حرّمه الله تبارك وتعالى - ودعوني إلى عرس عندهم فأعطوني هذا الكعك، فحاول سيدنا أبو بكر أن يتقيأ ليخرج ما في جوفه، وأخذ يشرب ماءً كثيراً ويزيد حتى ملاً معدته، وتقيأ ما في معدته حتى خرجت، وبعد أن خرجت قال: اللهم لا تؤاخذني بما خالط العروق!!، فقالوا له: لم قسوت على نفسك؟! فقال لهم: لو لم تنزل إلا مع خروج روعي لأنزلتها، فنزل القرآن يبشره ويبشر أمثاله الذين يتحرون المطعم الحلال والكلم الطيب للمؤمنين: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ فهذه الآية نزلت في سيدنا أبي بكر ولكنها سائرة مع كل المؤمنين إلى يوم القيامة.

جنان الخائفين

هذه الجنان التي وعد بها الله أهل الخوف من الله، ماذا فيها؟ ﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾ يعني أغصان مليئة بكل الطيبات التي تحتاجها الأبدان في الجنان، من غداء، ومن روائح طيبة، ومن زهور، ومن ورود .. مملوءة بكل ما يخطر على البال، وما لا يخطر على البال من الرياحين والورود، ومن الفواكه التي لا تُعد ولا تُحَد من حضرة الله تبارك وتعالى.

﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾ فسّر سيدنا الإمام علي هذه الآية فقال: موجود على باب الجنة عينان، العين الأولى يشرب منها الإنسان فيذهب عنه كل همّ، وكل غمّ، وكل حزن، فيقول كما قال الله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ﴾ (٣٤ فاطر) ولذلك الجنة ليس فيها همّ، ولا غمّ، ولا مرض، ولا سقم .. ليست فيها الأمور التي نتعب منها في الدنيا، قال ﷺ:

{ إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَأْكُلُونَ فِيهَا وَيَشْرَبُونَ، وَلَا يَشْفُلُونَ، وَلَا يَبُولُونَ، وَلَا يَتَغَوَّطُونَ، وَلَا يَمْتَخِطُونَ قَالُوا: فَمَا بَالُ الطَّعَامِ؟، قَالَ: جُشَاءٌ وَرَشْحٌ كَرَشْحِ الْمَسْكِ { ٢٩٣

أهل الجنة لا يتبولون، ولا يتغوطون، ولا يتنخمون، ولا يسقمون، ولا يهرمون، ويظلون في شباباً دائماً، في سن الثلاث والثلاثين، وفي طول أبينا آدم سبع وستين ذراعاً. فتكون حياة كلها هناء في هناء، ليس فيها تعب ولا عناء ولا مرض ولا هم ولا غم ولا حزن أبداً.

ويشرب من العين الثانية فيظهر عليه نضرة النعيم، يعني حلاوة الجنة، ويأخذ صفة الشباب الدائم الذي وعدنا به الله في الجنة.

﴿ فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ ﴾ نحن لا نكذب بأي نعمة من نعم الله في الدنيا ولا في الآخرة إن شاء الله.

﴿ فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴾ أشجار الجنة نحن الذين نزرعها، وتقاويها معنا في الدنيا، وعرفها لنا المهندس الخبير سيدنا رسول الله ﷺ، وأوصاه سيدنا إبراهيم الخليل في ليلة الإسراء والمعراج أن يُبلِّغنا هذه الرسالة، عندما عُرج به في السماوات، وعند السماء السابعة وجد سيدنا إبراهيم سائداً ظهره على البيت المعمور - والبيت المعمور قبالة الكعبة مباشرة - فنحن نطوف حول البيت الحرام، والملائكة تطوف حول البيت المعمور، ولكننا من فضل الله نطوف مراراً، أما الملائكة فإن الواحد منهم منذ أن أحياه الله إلى يوم القيامة يكون في طاعة الله، لا يأكل ولا يشرب ولا ينام ولا يتزوج ولا يموت، ولكنه رغم ذلك لا يحج إلا مرة واحدة فقط حول البيت المعمور.

فوجد سيدنا إبراهيم مسنداً ظهره بالبيت المعمور، فسأل: من هذا يا أخي يا جبريل؟ قال: هذا أهلك إبراهيم ألقى عليه السلام، فألقى عليه السلام، فقال له سيدنا إبراهيم:

{ يَا مُحَمَّدُ، أَفَرَأَيْتَ أُمَّتَكَ مِنِّي السَّلَامَ، وَأَخْبِرُهُمْ أَنَّ الْجَنَّةَ طَيِّبَةُ التُّرْبَةِ عَذْبَةُ الْمَاءِ، وَأَنَّهَا قِيَعَانٌ، وَغِرَاسُهَا قَوْلُ سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ،

وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ { ٢٩٤

وقيعان يعني أحواض، فكل واحد منا على حسب سعة حسناته عند الله، فمنهم من له حوض، ومنهم من له حوضين، ومنهم من له أكثر.. كل واحد على حسب ما له عند رب العزة تبارك وتعالى من الباقيات الصالحات.

فهذه شتلات الجنة، من يزرع لك ويأتيك بالشتلات؟ أنت الذي تزرع لنفسك، فكلما زدت، كلما زاد لك الحميد المجيد في دار الرضوان، ولذلك سيدنا رسول الله ﷺ قال لنا:

{ مَنْ قَالَ : سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ وَيَحْمَدُهُ ، غُرِسَتْ لَهُ نَخْلَةٌ فِي الْجَنَّةِ { ٢٩٥

هذه النخلة متى تثمر؟ عندنا تثمر بعد خمس سنين، وتثمر مرة واحدة في السنة، لكن النخلة في الجنة تثمر فوراً، والملائكة تجنيها، فتثمر مرة ثانية، وكلما تجنيها الملائكة تثمر مرة أخرى: ﴿ تَوَتَّىٰ أَكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴾ (٢٥ إبراهيم).

سيدنا رسول الله ﷺ أخذه الله ﷻ ليشهد المزارع النموذجية في هذه الجنة، فرأى الملائكة وأمامهم زرع، كلما حصده يرجع كما كان، لا ينتظر قليلاً، ولا يحتاج لتسميد، ولا يحتاج إلى التعرض للشمس، ولكنه يثمر فوراً، وهذا كله يذهب لرصيد المؤمن عند حضرة الرحمن سبحانه وتعالى، فقال:

{ يَا جِبْرِيْلُ ، مَا هَذَا؟ ، قَالَ : هَؤُلَاءِ الْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، تُضَاعَفُ لَهُمْ

الْحَسَنَةُ بِسَبْعِمِائَةٍ ضِعْفٍ ، وَمَا أَنْفَقُوا مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُحْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرٌ

الرَّازِقِينَ { ٢٩٦

ولذلك قال لنا الله: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمْلاً ﴾

(٤٦ الكهف) قال ﷺ:

٢٩٤ معجم الطبراني والترمذي عن عبد الله بن مسعود ﷺ

٢٩٥ جامع الترمذي وابن حبان عن جابر ﷺ

٢٩٦ تهذيب الآثار للطبري والبيهقي عن أبي هريرة ﷺ

{ اسْتَكْبَرُوا مِنَ الْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ، قِيلَ: وَمَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: التَّكْبِيرُ،
وَالْتَهْلِيلُ، وَالتَّسْبِيحُ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ } ٢٩٧

فهذا زرعك الذي ترزعه في الجنة، وستجد ثمرته هناك إن شاء الله، هذه التسبيحات كم تكلفنا في الدنيا لكي نعملها؟! لن ندفع فيها مالا، ولا تحتاج إلى وضوء، ولك أن تقولها في سيرك، أو وأنت نائم، حتى ولو كنت على جنابة، فالممنوع هنا الصلاة وتلاوة القرآن، لكن التسبيح ليس فيه شيء، فما الذي يجعل الإنسان يحرم نفسه من هذا الفضل الكريم الذي أخبرنا به الرحمن تبارك وتعالى؟! وحضرة النبي نبهنا وقال:

{ لَيْسَ يَتَحَسَّرُ أَهْلُ الْجَنَّةِ عَلَى شَيْءٍ إِلَّا سَاعَةً مَرَّتْ بِهِمْ، لَمْ يَذْكُرُوا اللَّهَ فِيهَا } ٢٩٨

بعد أن يرى الفضل الإلهي سيندم على اللحظة التي قضاها بدون ذكر الله، ولم يعمل فيها بقول الله: ﴿يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ (١٩١ آل عمران).
هذا الشجر ما حجمه؟ حضرة النبي أعطانا صورة تقرب الحقيقة فقال:

{ إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَشَجْرَةً يَسِيرُ الرَّكَّابُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ عَامٍ لَا يَقْطَعُهَا } ٢٩٩

فكيف يكون شكل هذه الشجرة؟! وما حجمها؟! ليست كالشجر الذي نراه، ولكنه شجر آخر يليق بالجنة، وبسعة الجنة، وبعظمة العظيم تبارك وتعالى الذي خلق لنا الجنة، لنتهني فيها بفضل الله، وبإكرام الله، وبعباء الله تبارك وتعالى.

﴿ فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴾ فيها فواكه حسية، كالتي نراها في الدنيا، في شكلها ولونها: ﴿ كَلَّمَا رَزَقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رَزَقُوا قَالُوا هَذَا الَّذِي رَزَقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَنُوتُوا بِهِ مُتَشَبِهًا ﴾ (البقرة ٢٥) لكن لها طعم آخر، وحلاوة أخرى، لأنها حلاوة من يقول للشيء كن فيكون.

٢٩٧ صحيح ابن حبان ومسنند أحمد عن أبي سعيد الخدري ؓ

٢٩٨ معجم الطبراني والبيهقي عن معاذ بن جبل ؓ

٢٩٩ البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري ؓ

الجنة لأنها مصنوعة من طاعة المؤمنين حتى لو زرع فيها شجرة حنظل سيكون طعمها حلو، لأنها ليس فيها غير حلاوة الطاعة، فكل شيء فيها حلاؤه مولانا تبارك وتعالى ليحبها بجماله المؤمنين.

هل سنطبخ في الجنة ونأتي بالطعام والفاكهة؟! لا، فالجنة ليس فيها تعب ولا عناء: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ فُرُشٍ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ :

سنجلس هناك وليس كالدنيا، ولكن جلسة فيها راحة، سواء كنت متكئاً أو نائماً، والفرش بطانته من أرقى أنواع الحرير والقطيفة، فما بالك بظاهره؟!.

﴿وَجَنَىٰ الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ :

بمجرد أن يخطر على بال الإنسان أي صنف من أصناف الطعام يأتيه، لأن كل ما في الجنة يعقل ويفهم وينظر بنور الله إلى ما في السرائر، فبمجرد أن يخطر شيء على بالك تجد هذا الشيء يأتيك على الفور، فتجد الشجرة جاءتك وأنزلت الفرع في حرك والثمرة التي اشتبهتها تأتيك، بدون قيام ولا حركة ولا شيء أبداً، لأن الجنة ليس فيها عناء ولا نصب: ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ (٤٨: الحجر).

كل ما يخطر على بالك تجده فوراً، فإذا خطر على بالك أخوك فلان وتريد أن تعرف أين هو؟ وما حاله؟ فالسرير الذي تنام عليه يتحرك ويمشي بك حتى يوصلك لأخيك الذي تفكر فيه بأمر من يقول للشيء كن فيكون.

فكل شيء هناك (دان) يعني قريب من الإنسان بدون تعب، ولا عناء، ولا هم، ولا فكر اكراماً من الكريم سبحانه وتعالى لعباده الذين اتقوه وخشوه وخافوه وراقبوه في هذه الحياة الدنيا.

حتى الزوجات لن يكن كما كنا في الدنيا: ﴿فِيهِنَّ قَانِصَاتٌ يَلْمِزْنَ أَلْطَرَفِ لَمْ يَطْمِئِنَّ عَنْ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾ قانصات الطرف يعني لا ترى غيرك، ولا تتعلق إلا بك، فليس لها شأن بالجيران ولا غيرهم، لكي تطمئن إلى فضل الله وإكرام الله تبارك وتعالى.

والنساء في الجنة من زوجاتنا أجمل من الحور العين، فقد ورد أن نساء المؤمنين سيكون

في الجنة أجمل من الحور العين بسبعمئة ألف مرة، وفي الجنة لا يوجد حيض ولا نفاس - وكما قلنا - لا بول ولا غائط ولا نخامة ولا شيء من هذه القبائح الدنيوية أبداً.

وكلما أتاها زوجها وجدها بكرة لم يفض بكارتها أحد، ﴿لَمْ يَطْمِئِنَّ﴾ يعني لم يفيض بكارتهن إنس ولا جن، وكل مرة يجدها بكرة، وكل مرة يجد لذة أعظم، ونعمة أكمل من نعيم الكريم الحنان سبحانه وتعالى.

هل سيكون شكلهن مثل الدنيا؟ لا، لأنه قد يحدث ملل عند الكثير من الناس من شكل زوجته، ويُريد أن يبدل ويُغير، لكن في الجنة: ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾ الياقوت هو البياض الشديد، والمرجان اللون الأحمر الجميل، فتكون شديدة البياض مع الحمرة، وهذا أكبر وصف لجمال النساء الذي سيكون عليه نساء المؤمنين في الجنة إن شاء الله.

فما شأن الحور العين؟ هن خدم عند نساء المؤمنين، ووصيفات لهن، ومن التي ستكون سيدة القصور؟ الزوجة إذا كانت سالحة ونفدت قول النبي:

{ إِذَا نَظَرَ إِلَيْهَا سَرَّتْهُ، وَإِذَا أَمَرَهَا أَطَاعَتْهُ، وَإِذَا غَابَ عَنْهَا حَفِظَتْهُ } ٣٠٠

إذا كانت سائرة على هذا العهد ستكون في الجنة فيها كل الأوصاف الحسان التي ذكرها الله في هذه الآيات في القرآن.

لماذا كل ذلك يا رب؟ ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ وفسرها الحق ﷻ في الحديث القدسي الذي يرويه حضرة النبي عن ذي الجلال والإكرام:

{ مَا جَزَاءُ مَنْ أَنْعَمْتُ عَلَيْهِ بِالتَّوْحِيدِ، إِلَّا الْجَنَّةُ } ٣٠١

من عرف الله، ووجد الله، وحافظ في عمره على طاعة الله، فجزاؤه أن يدخله الله ﷻ في جنته التي أعدها للمتقين.

هاتان الجنة اللتان أخذنا مختصراً عنهما للمقربين، والذين هم في الدرجات العلى من الخوف من رب العالمين سبحانه وتعالى.

٣٠٠ الحاكم في المستدرک والبيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما

٣٠١ شعب الإيمان للبيهقي عن أنس ؓ

جنان أهل اليمين

والذين هم أقل منهم في الدرجة لم يحرمهم الله ﷻ فجعل لهم جنتان، ولكن أقل في الرتبة والمنزلة من الجنان التي جعلها الله للمقربين: ﴿ وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴾ أقل من الجنتين السابقتين في المنزلة وفي المرتبة، لأن المؤمنين كما قال الله في القرآن: ﴿ هُمْ دَرَجَتٌ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ (١٦٣ آل عمران) هذه الدرجات على حسب التقوى والورع والخوف من الله والافتداء بحبيب الله ومصطفاه ﷺ.

هاتان الجنتان فيهما أيضاً نعيم، وإن كان أقل من النعيم الأول، ففيهما أيضاً أشجار، وفيهما أزهارٌ وثمار كثيرة، حتى أن الله قال فيهما ﴿ مَدَاهِمَاتَانِ ﴾ كأنهما سود من شدة خُضرة هذه الجنان.

الأوليان فيهما عينان تجريان، ولكن هاتان: ﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَصْأَحَتَانِ ﴾ تضخ شيئاً بسيطاً ليس كالعين التي تجري.

وليس فيهما كل الأصناف، فيهما فاكهة ولكن الأكثر هو النخل والرمان: ﴿ فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَانٌ ﴾ نعرف أن البلح من الفواكه، وأن الرمان من الفواكه، فالبلح فاكهة وغذاء ودواء، والرمان كذلك فاكهة وغذاء ودواء.

﴿ حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴾ نساؤهم مثل الحور، ولكن سيكونوا في الخيام وليس في القصور، صحيح أنها خيام عظيمة، لكنها غير القصور.

والحور يوم القيامة يقفن ليستقبلن المؤمنين ويغنين ويقلن:

{ نَحْنُ النَّاعِمَاتُ فَلَا نَبُوسُ نَحْنُ الْخَالِدَاتُ فَلَا نَمُوتُ إِنَّا أَزْوَاجٌ كِرَامٌ لِكِرَامِ طِبْنَا لَهُمْ وَطَابُوا لَنَا } ٣٠٢

لكن الله يُلهم نساء المؤمنين كما روي عن السيدة عائشة ؓ: نحن صلينا ولم تصلين، نحن صُمن ولم تصُمن، نحن زكينا ولم تُزكين، نحن حججن ولم تحججن!!

٣٠٢ حلية الأولياء لأبي نعيم عن جابر ؓ

فتكون الغلبة لنساء المؤمنين، لأنهن عملن هذه الطاعات في الدنيا والخور لم يتمكن من ذلك، وسيشتركن معهن في الصفة التي ذكرناها: ﴿لَمْ يَطْمِئِنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾ سيكن باستمرار أبقاراً كما قال الله: ﴿إِنَّا أَنْشَأْنَهُنَّ إِذْشَاءً﴾ ﴿فَجَعَلْنَهُنَّ أَبْقَارًا﴾ ﴿عُرْبًا أَتْرَابًا﴾ (الواقعة) ﴿عُرْبًا﴾ يعني جميلة، وأترباً يعني مثل بعضهن في السن، لأن الكل سيكون في سن الثلاثة والثلاثين وسيظلون كذلك إلى ما شاء الله خالدين فيها أبداً.

﴿مُتَّكِبِينَ عَلَى رُفْرِفٍ خُضِرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾ يتكثرون على يعني مساند خضر، وشلت طيبة حسنة، ولكن أقل من الأولين الذين ذكرناهم.

﴿تَبَرَّكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ تبارك يعني نزه الله سبحانه وتعالى عن أن يُشبهه شبيهه، أو يضاهيه مثيل، لأن معه الإجلال كله، والإكرام كله، والعطاء كله، وهذه الآية من الآيات التي نوّه النبي ﷺ علينا أن نكون دائماً وأبداً مستغِيثين إلى الله بها، قال الحبيب المحبوب ﷺ:

{ أَلْطُوا بِيَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ } ٣٠٣

يعني تعلقوا وأكثروا من النداء بيا ذا الجلال والإكرام، فاجعل دائماً على لسانك: يا ذا الجلال والإكرام أكرمني بكذا، يا ذا الجلال والإكرام أنعم عليّ بكذا، يا ذا الجلال والإكرام اشفني من كذا .. ولذلك كان بعض السلف الصالح يقول: (إن ذي الجلال والإكرام هو اسم الله الأعظم الذي إذا دُعي به أجاب) ولذلك دائماً وأبداً نجعلها على ألسنتنا على الدوام.

نسأل الله أن يُصلح أحوالنا، وأن يرزقنا الخشية في قلوبنا، والخوف منه في أفئدتنا، وأن يجعلنا من أهل الجنان العالية، والمراتب الراقية، في جوار الحبيب المصطفى وصحابته الأخيار وآل بيته الأطهار، ويجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لَوْعَتِهَا

كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴿٣﴾ إِذَا

رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا ﴿٤﴾ وَوُسَّتِ

الْجِبَالُ بَسًا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا

﴿٦﴾ وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَابُ

الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾

وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ

﴿٩﴾ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١٠﴾ أُولَئِكَ

الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّتِ النَّعِيمِ ﴿١٢﴾

ثَلَاثَةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ

الْآخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَى سُرْرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾
مُتَّكِنِينَ عَلَيْهَا مُتَّقِبِلِينَ ﴿١٦﴾ يَطُوفُ
عَلَيْهِمْ وَلِدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ
وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَا
يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ ﴿١٩﴾
وَفِيكِهِ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمٍ
طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾
كَأَمْثَلِ اللَّوْلِيِّ الْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَاءُ
بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ
فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا
سَلَامًا سَلَامًا ﴿٢٦﴾ (الواقعة)

١٩. السابقون المقربون^{٣٠٤}

اللهم إنا نسألك بجاه حبيبك ومصطفاك ﷺ أن تجعلنا جميعاً من أهل هذه الآية، وأن تكتب لنا هذه العناية، وأن نكون من السابقين المقربين مع الحبيب المصطفى، وصحبه المباركين، وآل بيته الطاهرين، وأتباعه الصادقين أجمعين .. آمين آمين يا رب العالمين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - الحمد لله الذي أعَدَّ لنا ولعباده المؤمنين عنده من ألوان التكريم وأصناف النعيم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، والصلاة والسلام على مفتاح باب الجنة، والشفيع الأعظم للخلائق أجمعين يوم الدين، كاشف كل غمة، ومزيح كل مُلْمة، والذي جعله ربه فاتحاً وخاتماً؛ سيدنا مُحَمَّد وآله وصحبه وأتباعه وأحبابه، واجعلنا منهم ومعهم أجمعين .. آمين يا رب العالمين.

هذه السورة المباركة التي استمتعنا بسماع بدايتها من الله سبحانه وتعالى هي سورة العصر الذي نحن فيه، ففيها علوم الأولين، وفيها علوم الآخرة والآخريين، وفيها درجات الخلق في الموقف العظيم، وفيها فتح لأرزاق حضرة الرزاق الوهاب الجواد الكريم.

سيدنا عبد الله بن مسعود ﷺ كان يعالج سكرات الموت، وذلك في عصر سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه، فذهب سيدنا عثمان إليه لزيارته، فقال له: ما تشتهي؟ قال: ذنوبي، قال: وما ترجو؟ قال: رحمة ربي، قال: ألا ندعوا الطبيب؟ قال: قد نظر إليّ، قال: وماذا قال لك؟ قال: قال: إني فعّالٌ لما أريد، قال: أوصي لبناتك برزق - وكان عنده ثلاث بنات - قال: قد علمتهم سورة الواقعة، وأمرتهن أن يقرأنها في كل يوم مرة، فقد سمعتُ حبيبي وقرّة عيني ﷺ يقول:

{ مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْوَاقِعَةِ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ لَمْ تُصِبْهُ فَاقَةٌ أَبَدًا } ٣٠٥

ولذلك أقول إن هذه سورة العصر الذي نحن فيه، والفاقة ليست في المال فقط، فقد تكون في الانجاب أو أي صلاح الحال .. فجعل الله تبارك وتعالى سورة الواقعة مفتاحاً

٣٠٤ المنيا - مغاغة - أبا البلد - مسجد الشيخ الشلقامي ٢٢ من رجب ١٤٣٩هـ / ٢٠١٨م
٣٠٥ المطالب العالية لابن حجر وشعب الإيمان للبيهقي عن عبد الله بن مسعود ﷺ

لإصلاح كل هذه الأحوال، وهذه ناحية.

ورسول الله ﷺ كان شعره كله أسود، وفجأة ظهر شعرٌ أبيض في رأسه، وكانوا حواليا سبع عشرة شعرة ، فقالوا: يا رسول الله ما الذي بيّض سواد شعرك؟ فقال ﷺ:

{ شَيْبَتْنِي هُوْدٌ ، وَالْوَأَقِعَةُ ، وَالْمُرْسَلَاتُ ، وَعَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ،
وَإِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ }^{٣٠٦}

الآيات التي معنا تبين الحال الذي سنُجمع عليه، كيف؟ سيؤول الله أرض القيامة ويجمعنا كلنا بعد الفناء للعرض والحساب يوم اللقاء مع الله سبحانه وتعالى:

{ إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ } الواقعة اسم من أسماء القيامة: { لَيْسَ لَوْقَعَتِهَا كَاذِبَةٌ } وماذا تفعل؟ { خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ } أناس كانوا في الدنيا في رفعة والناس يحسدونهم على ما هم فيه، ستخفضهم هناك، وأناس كان الناس يستهزئون بهم في الدنيا، سيكونون أصحاب الدولة هناك، وهم من لهم الشفاعة، وهم من لهم الكلمة المسموعة عند الله، وهم من يستطيعوا أن يذهبوا ويواجهوا ويسمعوا ويحدثوا سيدنا رسول الله، ...

ولذلك حضرة النبي ﷺ يهمس في آذنا ويقول:

{ اتَّخِذُوا الْيَادِي عِنْدَ الْفُقَرَاءِ فَإِنَّ لَهُمْ دَوْلَةَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ }^{٣٠٧}

يعني اصنعوا لهم جميلاً في الدنيا لأن هؤلاء سيكونون أصحاب الدولة يوم القيامة، والفقراء هنا ليسوا هم الذين لا يجدون الخير والبر والطعام، ولكنهم الذين افتقروا في كل أنفاسهم إلى الواحد الأحد الفرد الصمد تبارك وتعالى: { يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ } (١٥ فاطر) ليسوا فقراء للناس ولا يمدون أيديهم للناس، لكنهم فقراء لله سبحانه وتعالى، لأنهم وصلوا إلى درجة في الإيمان اسمها درجة اليقين، والذي يصل إلى درجة اليقين يرى بعين فؤاده وقلبه أنه لا يحدث في الكون أمرٌ إلا ما يريد رب العالمين.

وأنه لا يستطيع أن يدفع عن نفسه شيئاً إلا إذا أعانه مولاة، ولا يستطيع أن يصنع شيئاً إلا إذا قواه مولاة، ولا يستطيع أن يُحرك عضواً منه إلا إذا شاء الله تبارك وتعالى، فيفتقر

٣٠٦ الحاكم في المستدرک وابن حجر في المطالب العالیة عن أبي بكر الصديق ﷺ

٣٠٧ المشیخة البغدادیة لأبی طاهر السلفی عن أبي هريرة ﷺ

إلى الله، ويطلب من الله المعونة والحول والطول في كل أنفاسه، لأنه في كل أنفاسه يفتقر إلى مولاه تبارك وتعالى.

ففيها خفضٌ لأناس، ورفعةٌ لأناس، ومتى وقتها؟ وكيف ستحدث؟ فصلها الله:

﴿ إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا ۖ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا ۖ فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا ۖ فَسَّرَ

ذلك الإمام عليُّ باب مدينة العلم ﷺ وكرَّم الله وجهه، فقال باختصار: عندما تأتي إرادة ملك الملوك لتجهيز الخلق ليوم العرض يأمر الله تبارك وتعالى الملك الموكل بالنفخ في الصور أن ينفخ، والملك الموكل بالنفخ في الصور اسمه إسرافيل، وحضرة النبي ﷺ عرفنا أن ذلك سيحدث قريباً جداً، لأن سيدنا عمر دخل عليه وهو نائم على حصير، والحصير علمٌ في جنبه، فقال له:

{ يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَسَرَى وَقَيْصَرُ عَدُوًّا لِلَّهِ يَفْتَرِشَانِ الدِّيْبَاجَ وَالْحَرِيرَ وَأَنْتَ نَيْبُهُ وَصَفِيُّهُ وَلَيْسَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْأَرْضِ إِلَّا الْحَصِيرُ وَوِسَادَةٌ مَحْشُوءَةٌ لَيْفًا! وَعِنْدَ رَأْسِهِ أُهْبَةٌ فِيهَا رِيحٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: أَوْلَيْكَ عُجِّلَتْ لَهُمْ طَيِّبَاتُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا } ٣٠٨

وقال:

{ كَيْفَ أَنْعَمُ وَقَدْ التَّقَمَ صَاحِبُ الْقَرْنِ الْقَرْنَ، وَحَتَّى جَبْهَتُهُ وَأَصْنَعَى سَمْعَهُ، يَنْظُرُ مَتَى يُؤْمَرُ } ٣٠٩

وهذا الكلام من ألف وأربعمائة سنة، فنحن على وشك ذلك، والقرن عالم يسع السماوات والأرض، لا يعلم مداه إلا الله، فعندما ينفخ فيه نفخة الصور بإذن الله فكل ما فيها يموت إلا ما شاء الله تبارك وتعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ﴾ (٨٧ النمل).

وهذه الساعة، وعلاماتها التي بينها الرسول معظمها ظهر ووضح، لكن البعيدين عن رب الناس تائهين وغير منتبهين من هذه الحقيقة التي قررها القرآن، والتي وضَّحها النبي

٣٠٨ الطبقات الكبرى لابن سعد عن عائشة رضي الله عنها

٣٠٩ مسند أحمد والترمذي عن أبي سعيد الخدري ﷺ

وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد

وتراب كل واحد - مع أنهم في تربة واحدة - لن يختلط بالآخر، فكل واحد له ذرات خاصة به.

بعد النفخة الأولى والنفخة الثانية: ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ﴾ (الزمر ٦٨) كل الأرواح في عالم الأرواح تُصعق وتموت، ويُسخّر الله ﷻ على الأرض رياحاً شديدة من جهاتها الأربع، وتشتد صدمات الرياح حتى تُحوّل الجبال إلى كُتبان، يعني أكوام من الرمال: ﴿ وَكَانَتْ أَلْبَابُ كَثِيبًا مَهِيلاً ﴾ (المزمل ١٤) رمل هائش بعد صلابتها وشدتها!!.

وتشتد صدمات الرياح حتى تجعل الأرض عاليها في سافلها، فتسوّى الأرض، ويجمع الله ذرات كل إنسان على جزئه الذي لم يبلى ولم يفنى وهو عجب الذنب، والذي نسميه بالعامية (العصص) ويأمر الله ﷻ السماء أن تمطر، قال ﷻ:

{ مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ سَنَةً، ثُمَّ يُنْزِلُ اللَّهُ مَاءً مِنَ السَّمَاءِ كَمَنِيِّ الرَّجَالِ،
فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ الْبَقْلُ } ٣١٢

لأن كل إنسان أخذت الملائكة جزء من منيّه، واحتفظوا به في عالم الملكوت حتى يحيا به مرة أخرى: ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾ (الأعراف ٢٩) فيتكوّن جسم الإنسان، ولكن لن يكون مثلنا هكذا، ولكن سيكون على حسب منزلته التي سيدخل بها، فإذا كان داخل الجنة - ونسأل أن نكون جميعاً من أهل الجنة - فكما قال حضرة النبي:

{ يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ عَلَى طُولِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، سِتُّونَ ذِرَاعًا } ٣١٣
والجسم الذي سيدخل الجنة كيف يكون شأنه، قال ﷻ:

{ إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَأْكُلُونَ فِيهَا وَيَشْرَبُونَ، وَلَا يَثْفُلُونَ، وَلَا يَبُولُونَ، وَلَا يَتَغَوَّطُونَ،

٣١٢ تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين للسمرقندي عن أبي هريرة ﷺ

٣١٣ صفة الجنة لابن أبي الدنيا عن أنس ﷺ

وَلَا يَمْتَخِطُونَ { ٣١٤

لا يتبولون، ولا يتغوطون، ولا يتنخمون، ولا يسقمون، فلا يوجد مرض ولا شيء من هذا القبيل أبداً، ولا همٌّ ولا غمٌّ ولا حُزنٌ، ولا يهرمون، بل يظلون شباباً في سن الثلاث والثلاثين إلى ما شاء الله.

والنساء يزدن على ذلك، فلا حيض، ولا نفاس، حتى تكون حياة كلها نعيم وتكريم من الكريم ﷺ، وهذا إذا كان من المؤمنين.

أما إذا كان من الكافرين فلا بد للجسم أن يكون مؤهل لتحمل العذاب الذي يصيبه، فجلده لا بد أن يكون سميكاً، لأن الذي يشعر بالألم الجلد، والله يقول فيهم: ﴿كُلَّمَا نَضَجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ (٥٦ النساء) وكيف يكون جلد الكافر؟ قال ﷺ:

{ غَلَطُ جِلْدِهِ مَسِيرَةٌ ثَلَاثٌ } ٣١٥

ما بين جلد الكافر وعصبه ولحمه كمسيرة ثلاثة أيام!!، حتى يتحمل العذاب فكيف يكون شكله يا رسول الله؟ ذكر بعض الأوصاف فقال:

{ ضِرْسُ الْكَافِرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِثْلُ أَحَدٍ } ٣١٦

وقال: { مَقْعَدَةُ الْكَافِرِ فِي النَّارِ مَسِيرَةٌ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ } ٣١٧

فستكون صورة أخرى تماماً غير الصورة التي نراها في الدنيا: ﴿إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً﴾ (٣٥ الواقعة) يعني إنشاء آخر، وهذه اسمها النشأة الثانية غير النشأة الأولى التي نحن فيها.

لأن الدنيا فيها هم وغم ومرض وتعب، فالجسم مؤهل لذلك، لكن المؤمن عند دخوله الجنة وهو على بابها يقول: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ﴾ (٣٤ فاطر) الحمد لله فقد تركنا الهم في الدنيا.

٣١٤ صحيح مسلم ومسند أحمد والطبراني عن جابر ﷺ

٣١٥ صحيح مسلم والترمذي وابن حبان عن أبي هريرة ﷺ

٣١٦ جامع الترمذي ومسند أحمد عن أبي هريرة ﷺ

٣١٧ مسند أحمد والحاكم في المستدرک عن أبي سعيد الخدري ﷺ

بعد أن يتم تكوين كل إنسان تبدأ الحياة الثانية: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ (الزمر ٦٨) تخرج الأرواح من مستقرها، وكل روح تعرف كل جسم كانت تسكن فيه في الدنيا، فتدخل فيه: ﴿تَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾ (٧ القمر) الأرواح كلها تخرج وتذهب للأجسام، وتبدأ فيه الحياة، وتبدأ فيه الحركة والقدرة ويتجهز لما أعده له مولاه سبحانه وتعالى.

أقسام الخلق في القيامة

وسنكون ثلاثة أصناف: ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾: أهل اليمين، وأهل الشمال، والمقربين، فأصحاب الميمنة هم الذي عملوا في الدنيا الأعمال الصالحة التي تُبرهن على شدة إيمانهم، وقوة إيمانهم برحمتهم وتعالى:

﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾: فأهل اليمين وأصحاب الميمنة ستكون وجوههم نيرة، منهم من يأخذ الكتاب باليمين، ومنهم من يحجز مقعداً تحت ظل العرش يوم لا ظل إلا ظله، ومنهم من يخرج من قبره إلى قصوره في الجنة، فليس له شأن بالعرض ولا الحساب ولا غير ذلك، قال ﷺ:

{ إِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنْبَتَ اللَّهُ تَعَالَىٰ لِطَائِفَةٍ مِنْ أُمَّتِي أَجْنَحَةً فَيَطِيرُونَ مِنْ قُبُورِهِمْ إِلَى الْجَنَّةِ يَسْرِعُونَ فِيهَا وَيَتَنَعَّمُونَ فِيهَا كَيْفَ شَاءُوا ، فَتَقُولُ لَهُمُ الْمَلَائِكَةُ : هَلْ رَأَيْتُمْ الْحِسَابَ؟ فَيَقُولُونَ : مَا رَأَيْنَا حِسَابًا ، فَتَقُولُ لَهُمْ : هَلْ جُرْتُمُ الصِّرَاطَ؟ فَيَقُولُونَ : مَا رَأَيْنَا صِرَاطًا ، فَتَقُولُ لَهُمْ : هَلْ رَأَيْتُمْ جَهَنَّمَ؟ فَيَقُولُونَ : مَا رَأَيْنَا ، فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ : مِنْ أُمَّةٍ مَنْ أَنْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ : مِنْ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ ، فَتَقُولُ : نَاشِدْنَاكُمْ اللَّهُ حَدِّثُونَا مَا كَانَتْ أَعْمَالُكُمْ فِي الدُّنْيَا ، فَيَقُولُونَ : حَصَلْتَانِ كَانَتَا فِينَا فَبَلَّغْنَا هَذِهِ الْمَنْزِلَةَ بِفَضْلِ رَحْمَةِ اللَّهِ ، فَيَقُولُونَ : وَمَا هُمَا؟ فَيَقُولُونَ : كُنَّا إِذَا خَلَوْنَا نَسْتَحْيِي أَنْ نَعْصِيَهُ وَكَرَّضَىٰ بِالْيَسِيرِ مِمَّا قَسِمَ لَنَا ، فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ : يَحِقُّ لَكُمْ هَذَا } ٣١٨

هؤلاء سيخرجون مباشرة من القبور إلى الجنة: ﴿إِنَّمَا يُوقَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ

٣١٨ أخرجه الحافظ العراقي في الإحياء عن ابن حبان وأبو عبد الرحمن السلمي عن أنس ﷺ

حِسَابٍ ﴿١٠ الزمر﴾ ليس لهم شأن بالحساب.

والكافرون والعياذ بالله: ﴿وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾ :

منهم من يأتي ووجهه أسود: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾ (٦٠ الزمر) ومنهم من يأتي ووجهه أزرق: ﴿وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ (١٠٢ طه) ومنهم من يأتي يوم القيامة وهو أعمى: ﴿وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا﴾ (طه) أنا كنت أبصر في الدنيا!!، يقول له: ﴿قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسى﴾ (١٢٦ طه).

وجهز الله لهم جهنم بالسلاسل، والسلسلة ذرعها سبعون ذراعاً، والتوبيخ والإهانة، نسأل الله الحفظ والسلامة لنا ولأبنائنا وبناتنا وزوجاتنا وذرياتنا أجمعين.

والأعلى في المقام الذين سيدركون النبيين، ويكونون معهم في الدرجة وفي المقام: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١٠٠﴾ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ :

مقربون من الله، ومن جيرانهم؟ سيدنا رسول الله ومن معه: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾ (٦٩ النساء) وهؤلاء كما ورد ببعض الأثر: يضيئ حسنهم لأهل الموقف كما تضيئ الشمس لأهل الدنيا، وهؤلاء أول فوج يدخل الجنة، وقال فيهم ﷺ:

{ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفًا بغير حساب، وُجُوهُهُمْ كَالْقَمَرِ
لَيْلَةَ الْبَدْرِ } ٣١٩

هم من يضيئوا الجنة، لأن الجنة ليس فيها شمس ولا قمر، وهم الذين سينيروا أرض الموقف من نور الصالحات والطاعات والقربات التي كانوا يتوجهون بها إلى الله تبارك وتعالى في حياتهم الدنيا، وهؤلاء أوصافهم كثيرة لا نستطيع ذكرها أو حتى عدّها، لكن أهم ما في أوصافهم أنهم لا يعملون عملاً إلا خالصاً لوجه الله لا يرجون به إلا رضاه.

كما قال الله لحضرة النبي في كتاب الله: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ

٣١٩ مسند أبي يعلى الموصلي، ومسند أحمد عن أبي بكر الصديق ﷺ

بِالْغَدْوَةِ وَالْعِشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴿٢٨ الكهف﴾ لا يريدون حتى الجنة، وإذا أرادوها فلأن فيها وجه الله، وفيها جوار سيدنا رسول الله ﷺ.

قالوا لأحدهم: هل تحب دخول الجنة؟ قال: نعم، قالوا: ولم؟ قال: لأن رسول الله فيها!!، لا يريد الجنة من أجل الحور والقصور والطعام ومثل هذه الأشياء، ولكن يريد أن يكون مع رسول الله ﷺ في هذا الموقف العظيم، فالجار قبل الدار، وليس هناك أحسن من جوار النبي المختار ﷺ.

سيدنا رسول الله كان عنده خادم اسمه ثوبان، لاحظ تغير لونه، وذبل جسمه، وكأنه مريض، فقال له رسول الله:

{ يا ثوبان ما غير لونك؟ فقال: يا رسول الله ما بي من ضر ولا وجع، غير أنني إذا لم أرك اشتقت إليك، واستوحشت وحشة شديدة حتى ألقاك، ثم ذكرت الآخرة وأخاف أن لا أراك هناك، لأنني أعرف أنك ترفع مع النبيين، وأني إن دخلت الجنة كنت في منزلة أدنى من منزلتك، وإن لم أدخل الجنة فذاك أحرى أن لا أراك أبداً، فنزل قول الله تعالى: " وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا " { ٣٢٠

هذا بفضل الله، ... وكل ما في الأمر المحبة، ... ولكنهم لم يزيدوا شيئاً عن الأجرة إلا المحبة، وهؤلاء تغمّدهم الله بفضله، وبواسع نعماه، وجعلهم في الدرجات العلى ... مع حبيبه ومصطفاه ﷺ.

﴿ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾

كم يكون هؤلاء؟

قال: ﴿ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ ﴾

٣٢٠ ذكر الواحدي هذه القصة في كتابه أسباب النزول في طبعة دار الكتب العلمية تاريخ النشر ٢٠٠٠ عند تعرضه لأسباب النزول لهذه الآيات من سورة النساء.

كانوا كثيرين بعض الشيء مع حضرة النبي، لأنهم عندما عاشروه وعاصروه كان لهم حال آخر غير حالنا، والذين جاءوا من بعدهم:

﴿ وَقَلِيلٌ مِّنَ الْأَخْرِينِ ﴾

قليلون، لماذا؟

لأن الفتن كثرت، والشهوات زادت عن الحد، والدنيا أصبحت تفر الكل، والذي يقدر على نفسه ويجاهدها وسط هذه المشاهد فيها هناه، لأنه سيدخل في قول الله: ﴿ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ﴾ (٢٤ص).

والشيء الغريب - ونسأل الله أن نكون من هؤلاء القليل - أن هؤلاء القلة حضرة النبي تمى أن يراهم، وقال:

{ وَوَدِدْتُ أَنِّي لَقَيْتُ إِخْوَانِي ، فَقَالَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ : أَوْلَيْسَ نَحْنُ إِخْوَانُكَ؟ قَالَ : أَنْتُمْ أَصْحَابِي ، وَلَكِنْ إِخْوَانِي الَّذِينَ ءَامَنُوا بِي وَلَمْ يَرُونِي } ٣٢١

وفي الحديث الآخر:

{ إِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامًا الصَّبْرُ فِيهِنَّ مِثْلُ الْقَبْضِ عَلَى الْجَمْرِ ، لِلْعَامِلِ فِيهِنَّ مِثْلُ أَجْرِ خَمْسِينَ رَجُلًا يَعْمَلُونَ مِثْلَ عَمَلِكُمْ ، قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَجْرُ خَمْسِينَ مِنَّا أَوْ مِنْهُمْ؟ قَالَ : بَلْ أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْكُمْ لِأَنَّكُمْ تَجِدُونَ عَلَى الْخَيْرِ أَغْوَانًا وَلَا يَجِدُونَ عَلَى الْخَيْرِ أَغْوَانًا } ٣٢٢

انظر إلى المنزلة الكريمة لهم!!!

ولكن إياك أن تضحك عليك نفسك وتظن أنهم أحسن من عمر أو عثمان أو علي، فتكون قد أضعت نفسك!!!، لأن هؤلاء يكفيهم الصحة الكريمة لرسول الله ﷺ، فسيدنا رسول الله فقط حبيننا في ذلك حتى ننضم لهؤلاء الأقبام، ونحشر معهم يوم الزحام إن شاء الله.

٣٢١ مسند أحمد عن أنس ﷺ

٣٢٢ جامع الترمذي وأبي داود عن أبي ثعلبة الخشني ﷺ

الموت { ٣٢٥

يطلبك رزقك كما يطلبك أجلك، فإذا تعجّل ليأخذه من حرام، فإنه سيصرفه في الذنوب والآثام، ويحبط الله عمله على الدوام، ويوم القيامة سيكون مع هؤلاء الأقوام.

فالله ذكر أن هؤلاء المقربين قليل حتى لا يبأس الإنسان، ولا تضحك عليه نفسه ليمشي على هواه، وتقول له عندما تقترب الخاتمة أصلح نفسك!!، ومن أين أضمن ميعاد السفر؟! ربما صدرت التأشيرة ولا أدري، فلا بد أن يكون الإنسان جاهزاً على الدوام: ﴿ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ﴾ (٣٤ لقمان).

مراتب المقربين في الجنة

هؤلاء المقربين أين يكونوا؟ في أعلى مراتب الجنان، قال حضرة النبي لهم:

{ فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ، وَأَعْلَى الْجَنَّةِ أَرَاهُ

فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ } ٣٢٦

هؤلاء سيكونون في هذا المكان: ﴿ عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ ﴾ :

الأسرة ستكون منسوجة من الذهب الذي يليق بالجنة، والخيوط الثمينة التي جعلها الله لأهل الجنة، والتي لم تظهر في عالم الدنيا.

ولا يكون أحد منهم جالساً ولكن: ﴿ مُتَّكِنِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ ﴾ :

وجوههم في وجوه بعضهم، ويأتسون مع بعضهم، ويتحدثون مع بعضهم، ويستزيدون من الله الفضل والتكريم مع بعضهم، لأنهم سيكونون سوياً يوم القيامة إن شاء الله.

﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴾ :

يطوف عليهم ليقضي لهم مصالحهم وحوائجهم الغلمان الذين ماتوا صغاراً في السن من أولادهم حتى يتمتعون بهم في جنة النعيم في جوار الكريم تبارك وتعالى، فهم الذين

٣٢٥ حلية الأولياء لأبي نعيم والبيهقي عن جابر بن عبد الله ؓ

٣٢٦ صحيح البخاري وابن حبان عن أبي هريرة ؓ

يذهبون ويأتون ويمرحون ويلعبون أمامهم.

لكنهم لا يحتاجون إلى خدمة، فهؤلاء الغلمان لا يطوفون عليهم ليعخدموهم، لأن الجنة ليس فيها خدمة، فكل ما يحتاجه الإنسان من ألوان النعيم يأتيه فوراً بمجرد الخطور على البال، ولكن هؤلاء معهم للبهجة والفرحة والسرور بأولادهم الذين سبقوهم إلى جوار الله ﷻ، وسيدنا رسول الله يبشرنا فيقول:

{ إِنَّهُ يُقَالُ لِلْوُلْدَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: ادْخُلُوا الْجَنَّةَ، فَيَقُولُونَ: يَا رَبِّ حَتَّى يَدْخُلَ آبَاؤُنَا وَأُمَّهَاتُنَا، قَالَ: فَيَأْبُونَ، قَالَ: فَيَقُولُ اللَّهُ ﷻ: مَا لِي أَرَاهُمْ مُحَبَّنَاطِينَ، ادْخُلُوا الْجَنَّةَ، فَيَقُولُونَ: يَا رَبِّ آبَاؤُنَا، قَالَ: فَيَقُولُ: ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ } ٣٢٧

غلمان المسلمين الصغار الذين ماتوا وهم صغار يأتون على أبواب الجنة ويقومون بعمل مظاهره ليدخلوا مع آبائهم وأمهاتهم الجنة، فعمل من يدخل الإنسان الجنة ابنه الصغير، أو ابنته الصغيرة الذين ماتوا وهم صغار، ويظنون يلعبون حولهم:

﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٠٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقٍ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٠٨﴾:

معهم أكواب بأذان، وبغير أذان، وكل الأصناف هناك في جنات النعيم، ويسقوهم كما قال الله في القرآن: ﴿ وَسَقَنَهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴾ (٢١ الإنسان) لا يستطيع أحد وصف هذه الخلاوة، ولا هذه الطلاوة، ولا هذه النكهة.

﴿ لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴾:

وهذا الشراب مع علو شأنه لا يصيب الإنسان بصداغ، ولا يصيب الإنسان بجبل في عقله، ولا يُغيب العقل، ولا يُنهك الجسم، ولا يؤثر فيه تأثير ضار، لأن الجنة ليس فيها إلا نعيم مقيم في جوار الكريم سبحانه وتعالى.

﴿ وَفِيكِهِ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿١٠٩﴾ وَحَمِيرٍ طَبِيرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿١١٠﴾ وَحُورٍ عِينٍ ﴿١١١﴾ كَأَمْثَلِ اللَّوْلُؤِ الْمَكْنُونِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾:

كل هذا وغيره سيكون في جنة النعيم، وكل ما في الجنة مما ذكره الله سبحانه وتعالى كما يقول عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: (إنما يوافق اللفظ ما نعلمه في عقولنا وحقيقته لا يعلمه إلا من خلقه تبارك وتعالى) لأن الجنة فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

والجنة ليس فيها غيبة ولا نغمة ولا كذب ولا زور ولا فجور:

﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْتِيهَا ﴾ :

يعني كلام فيه ذنب أو إثم:

﴿ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴾ :

إما سلام من الملائكة:

﴿ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴿١١٦﴾ سَلَّمَ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ ﴾ (الرعد) أو

سلام من سيدنا رسول الله، أو سلام من حضرة الله تبارك وتعالى: ﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَّمَ ﴾ (٤٤ الأحزاب) ليس السلام الذي نعرفه، لكن حقيقة السلام لا يعلمه إلا الإنسان الذي يكرمه الله ﷻ بدخول الجنان.

نسأل الله سبحانه وتعالى

أن نكون من عباده المقربين، وأن يوفقنا لعمل المقربين، وأن يرزقنا الإخلاص في طاعته، وأن يجعلنا من الذاكرين الشاكرين القائمين بحسن عبادته، وأن يُيسر لنا الطاعات، وأن يحفظنا من جميع المعاصي والذنوب والمخالفات ...

وأن يبارك لنا في أجسامنا وأسماعنا وأبصارنا وأموالنا وأقواتنا وأعمارنا، ويجعلنا كلنا لله في هذه الحياة، وأن يتولانا بولايته ولا يتخلى عنا طرفة عين بعنايته، حتى يجتمع لنا بالمحبة للقاء حضرته، ويجشرننا في زُمره أحبته في جوار حبيبه ومصطفاه

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ
﴿ ٢٧ ﴾ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿ ٢٨ ﴾ وَطَلْحٍ
مَّنْضُودٍ ﴿ ٢٩ ﴾ وَظِلِّ مَمْدُودٍ ﴿ ٣٠ ﴾ وَمَاءٍ
مَّسْكُوبٍ ﴿ ٣١ ﴾ وَفِيكِهِ كَثِيرَةٌ ﴿ ٣٢ ﴾ لَا
مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿ ٣٣ ﴾ وَفُرْشٍ
مَّرْفُوعَةٍ ﴿ ٣٤ ﴾ إِنَّا أَنْشَأْنَهُنَّ إِنِشَاءً ﴿ ٣٥ ﴾
فَجَعَلْنَهُنَّ أَبْكَارًا ﴿ ٣٦ ﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿ ٣٧ ﴾
لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿ ٣٨ ﴾ ثَلَاثَةٌ مِّنَ
الْأَوَّلِينَ ﴿ ٣٩ ﴾ وَثَلَاثَةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴿ ٤٠ ﴾ ﴾
(الواقعة)

٢٠. أصحاب اليمين^{٣٢٨}

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - الحمد لله الذي اختارنا من الأزل القديم وجعلنا من أهل جنته، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، القائل فيما ورد عنه في صحيح الحديث:

{ آتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَاسْتَفْتِحْ، فَيَقُولُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ، لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ }^{٣٢٩}

صلى الله عليه وصحبه، وكل من تبعه على الهدى إلى يوم الدين، واجعلنا منهم ومعهم بمتك وفضلك وجودك يا أرحم الراحمين.

عن ورج النبي إلى الجنة

ونحن في هذه الليالي المباركة والأيام الفاضلة؛ ليالي وأيام الإسراء والمعراج، سيدنا رسول الله ﷺ يروي لنا أنه عندما صعد فوق السماوات:

{ أَنَى عَلَى وَاِدٍ، فَوَجَدَ رِيحًا طَيِّبَةً بَارِدَةً وَرِيحَ الْمَسْكِ، وَسَمِعَ صَوْتًا، فَقَالَ: يَا جِبْرِيْلُ مَا هَذِهِ الرِّيحُ الطَّيِّبَةُ الْبَارِدَةُ، وَهَذِهِ الرَّايْحَةُ الَّتِي كَرِيحَ الْمَسْكِ، وَمَا هَذَا الصَّوْتُ؟، قَالَ: هَذَا صَوْتُ الْجَنَّةِ، تَقُولُ: يَا رَبُّ آتِنِي مَا وَعَدْتَنِي، فَقَدْ كَثُرَتْ عَزْفِي وَإِسْتَبْرَقِي وَحَرِيرِي وَسُنْدُسِي وَعَبْقَرِي وَلَوْلُؤِي وَمَرْجَانِي وَفَضَّتِي وَذَهَبِي وَأَكْوَابِي وَصَحَافِي وَأَبَارِيقِي، وَفَوَاكِهِي وَنَخْلِي وَرُمَّانِي وَمَائِي وَلَبَنِي وَخَمْرِي، فَأَتِنِي مَا وَعَدْتَنِي، فَقَالَ: لَكَ كُلُّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ، وَمُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ، وَمَنْ آمَنَ بِي وَبِرُسُلِي وَعَمَلَ صَالِحًا، وَلَمْ يُشْرِكْ بِي وَلَمْ يَتَّخِذْ مِنْ دُونِي أُنْدَادًا }^{٣٣٠}

٣٢٨ المنيا - بلهاسة - المسجد الكبير ٢٣ من رجب ١٤٣٩هـ - ١٠/٤/٢٠١٨م

٣٢٩ صحيح مسلم ومسنند أحمد عن أنس ؓ

٣٣٠ تهذيب الآثار للطبري وكشف الأستار عن أبي هريرة ؓ

الجنة تنادي على الله، تطلب من الله ﷻ دخول أهلها إليها، لأنها تزينت وتجهزت وأصبحت على أهبة الاستعداد لاستقبال المؤمنين والمؤمنات.

دخل حضرة النبي ﷺ الجنة ليطمئن على ما لنا فيها، ويتمم على ميراثنا كلنا في الجنة، وأخبر أصحابه ببعض ما رآه ليطمئنوا إلى أن الله أعد لهم جنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين، فقال لسيدنا عمر أمام أصحابه المباركين:

{ وَرَأَيْتُ قَصْرًا بِنَائِهِ جَارِيَةٌ، فَقُلْتُ: لِمَنْ هَذَا؟، فَقَالَ لِعُمَرَ: فَأَرَدْتُ أَنْ
أَدْخُلَهُ فَأَنْظُرَ إِلَيْهِ فَذَكَرْتُ غَيْرَتَكَ، فَقَالَ عُمَرُ: يَا أَبِي وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ
أَعَلَيْكَ أَغَارٌ؟ { ٣٣١

وجاء له في يوم من الأيام هدية من ملوك عمان الآن، هذه الهدية كان فيها ثوب من الحرير الطبيعي الناعم الملمس وليس له مثيل، فلما رآه الصحابة ولمسوه تعجبوا، فقال لهم:

{ أَتَعْجَبُونَ مِنْ هَذَا؟ قُلْنَا، نَعَمْ، قَالَ: مَنَادِيْلُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ
مِنْ هَذَا؟ { ٣٣٢

يعني لم ير القصور في الجنة فقط، ولكن دخلها وفتش في الأثاث والرياش، واطمأن إلى متاع المؤمنين ونعيم المتقين ليطمأن قلبه على ما أعده الله ﷻ للصالحين.

وقال لسيدنا بلال:

{ يَا بِلَالُ حَدَّثَنِي بِأَرْجَى عَمَلٍ عَمِلْتَهُ فِي الْإِسْلَامِ، فَإِنِّي سَمِعْتُ دَفَّ نَعْلَيْكَ بَيْنَ يَدَيَّ
فِي الْجَنَّةِ، قَالَ: مَا عَمِلْتُ عَمَلًا أَرْجَى عِنْدِي أَنِّي لَمْ أَنْظَهْرُ طَهُورًا فِي سَاعَةِ لَيْلٍ أَوْ
نَهَارٍ إِلَّا صَلَّيْتُ بِذَلِكَ الطَّهُورِ مَا كُتِبَ لِي أَنْ أُصَلِّيَ { ٣٣٣

يعني يحافظ على الوضوء دائماً، فإذا قضى حاجته أو تبول يتوضأ بعدها مباشرة، وكما ورد في الأثر: (الوضوء سلاح المؤمن) يحمل سلاحه على الدوام، وإذا توضأ يُصلي

٣٣١ البخاري ومسنده أحمد عن جابر ﷺ
٣٣٢ البخاري ومسلم عن أنس ﷺ
٣٣٣ البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ

ركعتين لله تبارك وتعالى .. هذه الجنة التي رآها سيدنا رسول الله وأوصافه لها تطول ولا نستطيع شرحها في هذا الوقت، لكن حسبنا ما ورد في كتاب الله عن الجنة، وهو أصدق القول، وأصدق الحديث؛ كلام رب العزة تبارك وتعالى.

شرحنا قبل ذلك الجنان التي أعدها الله للمقربين: ﴿وَالسَّبِقُونَ السَّبِقُونَ﴾ أولئك الْمُقْرَبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿١٢﴾ (الواقعة) واليوم نُكمل شرح السورة، لأن هذا منهجنا في تفسير آيات الله على قدرنا لا على قدر آيات كتاب الله، لنرى ما الجنان التي أعدها الله لأصحاب اليمين؟.

س السمية

﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾ لماذا سُموا أصحاب اليمين؟ لأنهم في الدنيا يتيامنوا في كل أحوالهم، يمسك الكتاب بيده اليمين، ويأكل بيده اليمين، ويبدأ المشي برجله اليمين، وإذا مشى في الطريق يأخذ الجانب اليمين، يتيامن في كل أحواله، فعن عائشة رضي الله عنها:

{ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُحِبُّ التَّيْمَنَ مَا اسْتَطَاعَ فِي شَأْنِهِ كُلِّهِ فِي طُهُورِهِ وَتَرَجُّلِهِ وَتَنَعُّلِهِ } ٣٣٤

وورد في بعض الأثر: (تيامنوا ما استطعتم) يعني دائماً افعل كل شيء باليمين، حتى تكون من أصحاب اليمين، والذي يحافظ على التيامن في دنياه سيأخذ يوم القيامة كتابه بيمينه عند تطاير الصحف... ونحن في الدنيا لنا حرية الاختيار، فإذا ناولك أحد شيء فلك أن تأخذها بيدك اليمين أو بالشمال، لكن يوم القيامة ليس لك اختيار إلا اختيار الواحد القهار، فلا يستطيع أحد أن يفعل شيء إلا إذا أراد رب العباد.

نحن في الدنيا نركع ونسجد برغبتنا، لكن يوم القيامة وبعد أن يجمع الله الخلائق في أرض الموقف سينادي مناد الله: (الصلاة جامعة) فيصلي بنا كلنا رسول الله ركعتين لله، وهذا في بداية القيامة.

٣٣٤ البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها

حتى ما تتوهمه وتتخيله لنعيم الجنة لا يساوي شيء في نعيم الجنة عندما تدخلها وترى النعيم المقيم الذي جهّزه الله للمؤمنين والمؤمنات إن شاء الله.

أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يسرون معه عند بلد اسمها الطائف، ووجدوا حديقة كبيرة من شجر السدر وهو النبق، وكان شكلها عظيم، وكان الصحابة أصحاب همّة عالية، فقالوا: يا رسول الله نريد أن يكون لنا حدائق مثل هذه في الجنة، يعني يريدونها في الجنة وليس في الدنيا، لأنهم علموا أنهم سيبتركون الدنيا، لكن هذا الشجر كان له شوك، فنزل قول الله تعالى: ﴿ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴾ :

ومخضود يعني ليس له شوك، فشجرة السدر في الجنة ليس لها شوك.

هل ثمرها في الجنة كثورها في الدنيا؟ لا، شجرة السدر في الجنة تُخرج ثمانين صنفاً من الفواكه، وكل صنّف لا يشابه الآخر، وكل حبة تأكلها تختلف عن غيرها: ﴿ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَتُوا بِهَا مُتَشَبِهًا ﴾ (٢٥ البقرة) تتشابه في الشكل الخارجي، لكن الطعم غير الطعم، والحلاوة غير الحلاوة، والملمس غير الملمس.

هذا غير أن فاكهة الجنة تؤكل كلها، فليس لها قشر، ولا نوى، ولا فضلات، سيدنا رسول الله ﷺ عندما رأى التين - ليس الشوكي ولكن ما نطلق عليه البرشومي - قال لأصحابه:

{ كُلُوا، فَلَوْ قُلْتُمْ أَنْ فَاكِهَةً نَزَلَتْ مِنَ الْجَنَّةِ يَلَا عُجْمَ، لَقُلْتُمْ: هَذَا التِّينُ } ٣٣٦

ليس لها نوى من الداخل، وكذلك فاكهة الجنة، والله ﷻ جعل البذور في فواكه الدنيا لحكمته، حتى نأخذ البذرة ونزرعها فتُخرج لنا نباتا آخر، لكن في الجنة تُخرج الفواكه بأمر من يقول للشيء كن فيكون، فلا تحتاج إلى شتلة، ولا إلى بذرة، ولا إلى سباح، ولا إلى ري، ولا شيء من ذلك، وإنما هي بمحض فضل الله، وخالص إكرام الله لعباد الله المؤمنين.

﴿ وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ ﴾ الطلح هو الموز، لكن ليس له قشر كموز الدنيا، وهذا الموز منظم ومصفوف، صفّه ملك الملوك ﷻ، حتى في الدنيا هل يستطيع أحد في الكون كله يستطيع

أن يصف بضاعة كسباطة شجرة الموز؟! مصانع أمريكا واليابان والألمان وغيرهم هل يستطيعوا أن يرصوا بضاعة وينظموها كسباطة الموز؟! يستحيل ذلك، حتى نعرف أن قدرة الله في هذه الأشياء لا يضاهاها شيء.

ولماذا ذكر الموز؟ لأن الموز هو الفاكهة الوحيدة التي يستطيع أن يعيش عليها الإنسان ولا يحتاج لشيء آخر، فلا يحتاج للحم ولا دواجن ولا خبز ولا أرز ولا غير ذلك، ففيها كل ما يحتاجه جسم الإنسان.

الميزة الأخرى هي أن فاكهة الموز فضلاتها خفيفة جداً، فالإنسان عندما يأكله يظل فترات طويلة لا يحتاج لقضاء حاجته إلا أن يتبول، ولذلك فرعون موسى كان حكيم وعالم، وقدماء المصريين كانوا علماء، فهم أصل العلوم في الدنيا كلها، والدنيا كلها أخذت العلوم من مصر، ولذلك اسمها (أم الدنيا) لأنها هي التي نشرت العلم في العالم كله، من الذي علم العالم كله اليوم واللييلة والأسبوع والشهر والسنة؟ مصر، فبني الله إدريس ظهر في مصر، وأطلعه الله على العلوم الفلكية وقننها وطبقها في مصر، ومنها انتشرت للعالم كله، وكذلك كل العلوم الأخرى بدايتها كانت من مصر، فرعون موسى كان عالماً، وكان يدعي أنه إله، والإله لا بد أن يكون له ميزة تختلف عن الرعية، فماذا يصنع؟ كان يعيش على الموز، فكان لا يحتاج لدخول الحمام وقضاء حاجته إلا كل أربعين يوم مرة، حتى يتميز عن الآخرين.

والموز كذلك قالوا فيه (طعام الفلاسفة) لأنه يعمل على تغذية ونمو الذكاء فيصبح الإنسان شديد الذكاء.. وعندما جاء سيدنا موسى لفرعون، وجمع فرعون السحرة في ساعة الظهر في يوم كان شديد الحرارة، وجاء السحرة بعصيان ولفوا حولها حبال ودهنوها بالذئبق، فلما سطعت الشمس لمع الزئبق وتخيل الناس أن هذه ثعابين، لذلك قال الله: ﴿سُحُورٌ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهُ تَسَعَى﴾ (٦٦ طه).

وعندما ألقى موسى العصا أصبحت حية حقيقية وابتلعت كل الحبال والعصي، وكان فرعون يجلس في الشرفة في الدور الثاني يشاهد، فذهبت الحية إلى قصر فرعون وفتحت فاهها، فكان الجزء العلوي من الفم فوق القصر، والجزء السفلي تحت القصر، يعني ستبتلع القصر، فأمن فرعون في هذا الوقت، ولذلك عندما آمن مرة أخرى ساعة الغرق قال له الله:

﴿ءَأَلْقَنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ﴾ (٩١ يونس) آمنت قبل ذلك، وكذبت.

فكان فرعون يتغذى على الموز حتى يُظهر أنه يختلف عن باقي الرعية، لكن موز الجنة غير موز الدنيا، فلا يساويه ولا يضاهيه في أي شيء.

متى تشرق شمس الجنة ومتى تغرب؟ الجنة ليس بها شمس: ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمَهْرِيرًا﴾ (١٣ الإنسان) ليس فيها شمس ولا حر ولا برد؛ تكييف مركزي، لكن كيف نرى؟ بنور الصلاح والتقوى والإيمان الذي أكرمنا به الله في الحياة الدنيا ببركة اتباع النبي العدنان ﷺ، ولذلك ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما عندما وصف حال الجنة فقال: كالوقت قبل شروق الشمس، ففي هذا الوقت تكون الدنيا منيرة، ولكن لا يوجد حر ولا شعاع مسلط ولا غير ذلك، فيكون حال الجنة على مثل هذا الحال.

هذا غير أن الجنة كلها: ﴿وَزَلَّلِ مَمْدُودٍ﴾ كلها ظل، ومن أين يأتي الظل؟ الشجرة الواحدة في الجنة يقول فيها ﷺ:

{ إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَشَجْرَةً يَسِيرُ الرَّكِيبُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ عَامٍ لَا يَقْطَعُهَا } ٣٣٧

الشجرة الواحدة يمشي تحتها الإنسان مائة سنة ولا ينتهي من ظلها!! والجنة كلها أشجار، وكلها ثمار.

ومن أين يأتي الماء؟ ﴿وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ﴾ لا مطر، ولا آبار، ولا عيون، لكن الوقت الذي تريد فيه الماء تجد الماء وصل إليك من قبل خدم الجنة بأمر من يقول للشيء كن فيكون، ومسكوب يعني فرغناه لك، فلا تحتاج لشيء من الأساليب العصرية أو القديمة التي كنت تستخدمها في الدنيا.

ما الغذاء الرئيسي في الجنة؟ ﴿وَفِيكِهِتٍ كَثِيرَةٍ﴾ لأن أهل الجنة ليس لديهم جهاز إخراج، لا بول ولا غائط، قال ﷺ:

{ إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَأْكُلُونَ فِيهَا وَيَشْرَبُونَ، وَلَا يَتْفَلُونَ، وَلَا يَبُولُونَ، وَلَا يَتَغَوَّطُونَ،

وَلَا يَمْتَخِطُونَ { ٣٣٨

لا يتبولون، ولا يتغوطون، ولا يتنخمون، ولا يسقمون، فليس هناك مرض، ولا يهرمون، فلا يوجد عجز هناك، ويبقوا في سن الثلاث والثلاثين أبداً.

{ وَسُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَيَأْكُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَيَشْرَبُونَ، وَلَا يَبُولُونَ فِيهَا وَلَا يَتَغَوَّطُونَ، وَلَا يَتَنَحَّمُونَ، إِنَّمَا يَكُونُ ذَلِكَ جُشَاءً، وَرَشْحًا كَرَشْحِ الْمَسْكِ { ٣٣٩

لا يحتاج إلى دورة مياه، ولا إلى من يصلحها، ولا غير ذلك، وهذه كانت حال رسول الله وهو في الدنيا، فكان في الدنيا في وصف أهل الجنة، فإذا كان في سفر وأراد أن يقضي حاجته ينظر حوله، فإذا رأى المكان مكشوف ووجد نخلتين أو أكثر متفرقات يأمر عبد الله بن مسعود ؓ وهو الموكل بطهوره ووضوئه وعصاه ونعله، أن يذهب إليهن فيأمرهن أن يجتمعن، فعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال:

{ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَمْعَنَ فِي السَّيْرِ، فَلَمْ يَرَ شَيْئًا يَسْتُرُهُ، فَدَعَا عَبْدَ اللَّهِ، فَقَالَ: انْطَلِقْ إِلَيَّ تَيْنِكَ الْإِشَاءَتَيْنِ، يَعْني النَّخْلَتَيْنِ، فَقُلْ لَهُمَا: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَأْمُرُكُمَا أَنْ تَقْتَلِعَا بِأَصُولِكُمَا وَعُرُوقِكُمَا حَتَّى تَسْتُرَاهُ، فَأَتَاهُمَا، فَقَالَ لَهُمَا: فَفَعَلْتَا، فَقَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْحَاجَةَ، ثُمَّ رَجَعَ فَقَالَ لِعَبْدِ اللَّهِ: انْطَلِقْ إِلَيْهِمَا فَقُلْ لَهُمَا: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَأْمُرُكُمَا أَنْ تَرْجِعَا مَكَائِكُمَا، فَفَعَلْتَا { ٣٤٠

بعض أصحاب حضرة النبي أخذهم الفضول، فبعد أن يقضي النبي حاجته يذهبوا ليفتشوا فلا يجدوا شيئاً أبداً، تقول السيدة عائشة ؓ:

{ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا دَخَلَ الْخَلَاءَ ثُمَّ خَرَجَ دَخَلْتُ بَعْدَهُ فَلَا أَرَى شَيْئًا إِلَّا أَنِّي أَجِدُ رِيحَ الطَّيِّبِ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: يَا عَائِشَةُ، أَمَا عَلِمْتِ أَنَا مَعَشَرَ الْأَنْبِيَاءِ

٣٣٨ صحيح مسلم ومسند أحمد والطبراني عن جابر ؓ

٣٣٩ مسند أحمد والطبراني عن جابر ؓ

٣٤٠ رواه ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما

نَبَتْنَا أَجْسَادُنَا عَلَى أَرْوَاحِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمَا خَرَجَ مِنَّا شَيْءٌ ابْتَلَعَتْهُ الْأَرْضُ { ٣٤١

في نفس الوقت كانت رائحة عرقه كرائحة المسك، وهذا كوصف أهل الجنة!

حتى أنه كان يقبل عند السيدة أم سليم أم سيدنا أنس بن مالك بعد صلاة الظهر، وكان ﷺ إذا نام يشد عرقه، وفي يوم وجد السيدة أم سليم معها مناديل تمسح بها عرقه حتى تملأها، فقال لها:

{ يَا أُمَّ سُلَيْمٍ، مَا هَذَا الَّذِي تَصْنَعِينَ؟، قَالَتْ: هَذَا عَرَقُكَ، نَجَعَلُهُ فِي طَيِّبِنَا، وَهُوَ مِنْ أَطْيَبِ الطَّيِّبِ { ٣٤٢

وفي رواية أخرى أن نساء الأنصاء كن يطلبن منها عرق النبي ليصلحن به الطيب، يضعن على الطيب قطرتين من عرق حضرة النبي فتصبح رائحته ليس لها مثيل!!، حتى أنه ﷺ كان عندما يسير في طريق يترك فيه أثراً من رائحته، حتى أن الذي يريد حضرة النبي يتتبع أثر الرائحة حتى يجده!! وإذا سلّم حضرة النبي على إنسان تظل الرائحة في يده ثلاثة أيام، رائحة كالمسك تخرج من حضرة النبي ﷺ.

﴿ وَفِيكِهِمْ كَثِيرَةٌ ﴾ كلمة كثيرة من الله ليعرفنا أن هذا أمر يعجز العقل عن حصره وعده، فإياك أن يخيل لك أن فاكهة الجنة ستحصر في أصناف الفاكهة التي تراها في الدنيا، لكن كلمة (كثيرة) معناها أنها ليس لها عد ولا نهاية، هل تخرج هذه الفاكهة في الصيف أم الشتاء؟ الجنة ليس فيها صيف ولا خريف ولا ربيع ولا شتاء، ولا يوجد موسم للفواكه مثل الدنيا: ﴿ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴾

موجودة على الدوام لا تنقطع ولا تُمنع لأن الله هو الذي تولى بذاته سبحانه وتعالى إخراجها لتمتع أهل الجنة بأكلها كما أمر رب العزة تبارك وتعالى.

﴿ وَفُرُشٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴾ الأسرة هناك ستكون عالية فوق ما تتصور، سألوا حضرة عن هذه

الآية فقال:

{ " وَفُرْشٍ مَرْفُوعَةٍ " قَالَ: ارْتِفَاعُهَا لَكَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ مَسِيرَةَ حُمْسِ مِائَةٍ

سَنَةٍ { ٣٤٣

فكيف يكون شكلك؟! وكيف تكون قوتك؟! هذا أمر لا يعلمه إلا من يقول للشيء كن فيكون... ولكي لا نستعجب قال لنا: ﴿ إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً ﴾ سيكون لك صورة أخرى في الجنة تلائم نعيم الجنة، وأحوال أهل الجنة، يجعلها لك الله سبحانه وتعالى يوم القيامة جزاء بما كنتم تعملون.

وبالنسبة للنساء سيكن كما قال حضرة الله: ﴿ جَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا ﴾ حتى التي تصل في الدنيا مائة وعشرين سنة مثلاً، وأصبح وجهها كله تجاعيد، فإنها في الجنة ستعود شباباً في سن الثلاثة والثلاثين، ولذلك حضرة النبي ﷺ كان يمازح أصحابه ولكنه كما قال:

{ إِنِّي لَأَمْرُحٌ وَلَا أَقُولُ إِلَّا حَقًّا } { ٣٤٤

جاءت له امرأة عجوز وقالت له:

يا رسول الله ادع الله أن يجعلني من أهل الجنة، فقال:

{ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَجُوزٌ، فَبَكَتْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَخْبِرُوهَا أَنَّهَا لَيْسَتْ يَوْمَئِذٍ عَجُوزٌ، إِنَّهَا يَوْمَئِذٍ شَابَةٌ، إِنَّ اللَّهَ ﷻ يَقُولُ: " إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا } { ٣٤٥

ترجع إلى سن الثلاث والثلاثين شباب، وشباب دائم لا يعتره سقم ولا مرض ولا هرم: ﴿ إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً ﴾ إن شاء آخر.

وكلما جامعها زوجها رجعت بكرة مرة أخرى، فتظل بكرة على الدوام حتى تكون المتعة أكمل وأزهي وأسمى: ﴿ جَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا ﴾.

٣٤٣ جامع الترمذي ومسند أحمد عن أبي سعيد الخدري ﷺ

٣٤٤ معجم الطبراني عن ابن عمر رضي الله عنهما

٣٤٥ رواه البيهقي عن سلمة بن يزيد الأنصاري رضي الله عنه والأصبهاني في أخلاق النبي عن أنس بن مالك

هل هي أجمل ام الحورية؟ ورد أن المرأة المسلمة في الجنة يتضاعف جمالها عن الحور العين بسبعمئة ألف ضعف!!.

لأنه قد يقول البعض: أنا مللت منها ولا أريد أن أراها!! لكنها ستكون في صورة أخرى غير ذلك تماماً، فكلما تراها تزداد شوقاً لها، وتزيد لهفة عليها، لأن الذي جعلها هو الله سبحانه وتعالى، ولذلك قال بعدها: ﴿عُرْبًا أْتْرَابًا﴾ وعرباً يعني محبة لزوجها، فكلما رآها يحبها، وكل مرة يراها أجمل وأكمل، ليس بالزني كما في الدنيا، ولكن بالجمال الرباني الذي سينزل عليها من عند الصانع تبارك وتعالى.

وأتراباً يعني كلهن في سن واحدة - كما ذكرنا - في سن الثلاث والثلاثين، في شباب دائم كل هذا لمن؟ ﴿لأَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾

كم عددهم؟ ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَىٰ وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾.

قال الله في المقربين: ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَىٰ وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ (الواقعة) المقربين في هذا الزمان قلة لكن أهل اليمين - والحمد لله - قال فيهم الله:

﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَىٰ وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ فكما كانوا كثيرين في عصر حضرة النبي فهم كثير في هذا الزمان، وهذه بشرى لنا من الله سبحانه وتعالى؛ أنه وسط هذه الظلمات، ووسط هذه الشهوات، ووسط هذه الفتن التي ظهرت؛ إلا أن الله يحفظه يحفظ المؤمنين والمؤمنات من المعاصي والذنوب والسيئات، ويوفقه بتوفيقه للطاعات، حتى إذا خرجوا من الدنيا كانوا من أصحاب اليمين.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا من أهل الجنة العالية في جوار حبيبه ومصطفاه، وأن يكرمنا بأعظم نعيم في الجنة وهو التمتع برؤية وجه الله، وأن يرزقنا خير جوار فيها، فيجعلنا في جوار سيدنا رسول الله، وأن يجعلنا دائماً وابدأً من أهل البشريات الطيبة في الدنيا والآخرة

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿ ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا
جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ ءَامِنُوا
مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا هُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ وَمَا
لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ
يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ
مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ هُوَ
الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ
لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ
وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٩﴾ وَمَا
لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ
مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا

يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَن أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ
 الْفَتْحِ وَقَتْلِ أَوْلِيكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً
 مِّنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَتَلُوا
 وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحَسَنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا
 تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾ مَن ذَا الَّذِي
 يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ
 لَهُ وَ لَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾ يَوْمَ تَرَى
 الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُمْ
 بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَانُكَمُ الْيَوْمِ
 جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ
 فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾

(الحديد)

٢١. أجر المنفتحين^{٣٤٦}

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - الحمد لله الذي هدانا للإيمان، وملاً قلوبنا بنور الإسلام، وجعلنا من عباده المؤمنين الصادقين، والصلاة والسلام على مصدر الهدى والنور واليقين؛ سيدنا محمد وآله المباركين، وصحابته الطاهرين، وكل من اهتدى بهديه إلى يوم الدين، وعلينا معهم أجمعين .. آمين آمين يا رب العالمين.

موازن أهل الإيمان

جعل الله تعالى في القرآن موازين لأهل الإيمان، يزن بها أحوالهم وأقوالهم وأفعالهم ليتأكدوا أنهم صادقين في إيمانهم، وأهم على النهج الذي ارتضاه الله لهم، وعلى سنة الحبيب الذي أقامه الله نموذجاً ومثالاً طيباً لهم.

ولذلك كان مبتدأ هذه الآيات عجيب وغريب، فنحن كنا مؤمنين بالله وبالرسول، فلماذا يُكرر الله لنا الأمر في مبتدأ هذه الآية: ﴿ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ يريد أن يُرينا أن هناك أعمال تدل على صدق الرجال في الأقوال التي يتوجهون بها للواحد المتعال.

فأنت تقول أنا مؤمن، لكن هناك وظائف كلف الله بها المؤمن، فهل قمت بهذه الوظائف؟! فهذا دليل وبرهان على صدق الإيمان.

لكن تقول باللسان والجوارح والأركان - حاشا لله سبحانه وتعالى - بالزور والبهتان والعصيان، فهل هذا إيمان؟! إيمانٌ فيه دخلٌ، وإيمانٌ فيه دخنٌ والعياذ بالله تبارك وتعالى.

المؤمنون الصادقون الذين يريدون أن يبلغوا المراتب العليا عند رب العالمين، ويكونون في المعية المباركة مع سيد الأولين والآخرين، ماذا يفعلون؟ لا بد أن يكون لهم طاعات زائدة عن الطاعات المفروضة التي يقوم بها الجميع، لأن هؤلاء يطلبون مراتب عالية.

الطاعات الزائدة أخذوها من كتاب الله، والتطبيق العملي لها في حياة أصحاب رسول

الله ﷻ، فقد أوجد الله للمؤمنين محنً، لكي تظهر معادن الرجال الذين يستحقون من الله تبارك وتعالى المنن.

غزوة تبوك

وهذه الآيات نزلت عندما هدد الروم سيدنا رسول الله ﷺ بأنهم سيرسلوا جيشاً عُدتته أربعين ألف مقاتل، يقضي عليه وعلى المسلمين، ويقضي على النبوة والدين والبعثة.

وصادف الوقت الذي جاء فيه هذا التهديد وقت ضيق وشدة، فحياة أهل المدينة المنورة التي فيها حضرة النبي وصحبه المباركين الاقتصادية تعتمد على النخل ومنتجاته، وأهم منتجاته البلح، وفي هذا الوقت كان البلح على الشجر ولم يُجمع بعد، ويتبقى بُرهة من الزمن حتى ينضج، ويستحق الحصاد.

وكما نعلم أن البلاد التي يقوم اقتصادها على الحياة الزراعية، فيكون كل شيء متوقف حتى يأتي إيراد المحصول، وكل شيء يحتاجونه كانوا يحصلون عليه من المحصول.

فسيدنا رسول الله ﷺ أراد أن يُجهز الجيش، فكان يحتاج مالاً ليشتري به سلاح وخيول وجمال وزاد وطعام ليأكلوه في الطريق، وكل ما يحتاجه الجيش في هذه الآتات، فماذا يفعل سيدنا رسول الله ﷺ؟ نادى بين أصحابه.

وكان النبي قبل هذه الغزوة إذا أراد أن يغزو يورّي، يعني ذاهب ليفتح مكة، فيقول أنا ذاهب لخير، لأن الحرب خُدعة، ولكن هذه المعركة لأن المسافة طويلة في بلاد الشام وبينها وبين المدينة حوالي سبعمائة كيلومتراً، والجو كان شديد الحرارة، وتحتاج إلى زاد، وتحتاج إلى ركائب، وتحتاج إلى رجال، وتحتاج إلى سلاح، وفي نفس الوقت سيتكون محصولهم، فَمَنْ الذي يجنيه؟! لأتكم مسافرين كلهم، فسيخافون على محصولهم.

فسيدنا رسول الله ﷺ أعلن أنه متوجه إلى تبوك ببلاد الشام حتى يعلم الكل أين وجهته، فبدأ هنا يظهر معدن الرجال، الصادق في الإيمان ما برهانه؟ وما دليله؟ يجود بما تفضّل به عليه الرحمن جنود الرحمن.

لكن من يرى أن له شيء في الدنيا من أرض أو مال أو بيت أو غيره، فهذا يحتاج إلى

تصحيح الإيمان، لأن هذا لو كان لك فعندما تموت تأخذه معك، لكن من الذي يأخذ شيء من الدنيا معه وهو مسافرٌ إلى لقاء مولاه تبارك وتعالى؟ لا أحد، معك عقد أخضر ووضعتَه في خزينة وأغلقت عليه، هل تأخذ هذه الخزينة معك بعد موتك؟! أو هل تخزمه معك؟! وماذا ستأخذ منه!!؟

فهنا تظهر حقيقة الإيمان، فمن يرى أن الذي أعطى هو الله، وأن المال مال الله، فصدق الإيمان سيجعله يُنفقه بسخاوة نفس لما يُرضي الله، ولما يحتاجه سيدنا رسول الله ﷺ، لذلك كانت هذه الآية: ﴿ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾.

استخلاف الإنسان في الأرض

وانتبهوا للعبارات الآتية ودقة معناها: ﴿وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَحْلِفِينَ فِيهِ﴾ هذا ليس ملكك، لكن أنت تتولاه فترة وعندما تُحال إلى المعاش والتقاعد النهائي وتساfer إلى الدار الآخرة تتركه، وحتى لو كان هذا ملكك فهل لك حرية توزيعه على الورثة، وتقول: فلان يأخذ كذا، وفلان يأخذ كذا؟! لا، وإياك أن تتدخل في توزيعه، فمن الذي يوزعه؟ صاحب الكل وهو الله تبارك وتعالى: ﴿وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (آل عمران) وحضرة النبي حذرنا من التدخل في ذلك وقال ﷺ:

{ مَنْ حَرَّمَ وَارِثًا إِرْتَهُ حَرَمَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ } ٣٤٧

يعني لو أعطى أحد أبناءه لأنه يحبه، وحرّم الثاني، فيُحرّم الله عليه الجنة، لأن هذا ليس بأمري ولكن بأمر الله تبارك وتعالى، ولم يُخبرني الله في ذلك، وليس لي رأي في ذلك: ﴿ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا﴾ (١١ النساء) لا تعرف من ينفعك منهم، فماذا نفعك؟ ﴿فَرِيضَةٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ (١١ النساء) فنُفذ الفريضة التي فرضها الله في كتاب الله، وزادها بيان وتوضيح سيدنا رسول الله ﷺ.

فالإنسان المؤمن يعتقد وهو في الدنيا أنه خليفة عن الله في كل النعم التي أعطاها له مولاه، وما دُمت أنا خليفة عن الله، فهل أنفقها كما أريد، أم كما يُريد الله تبارك وتعالى؟!؟

كما يريد الله، وأضرب مثلاً: أنا عُينت أمين مخازن، فهل أصرف لمن يعجبني من الناس؟ أم أصرف بالأوامر التي تأتيني من رئاستي؟!.

فأنا أمين مخازن رب البرية على المال والعقار والمنافع والخيرات التي تفضل بها عليّ الله، فكيف أنفقها؟ كما صرّح كتاب الله، وكالأوامر التنفيذية الصادرة من سيدنا رسول الله، والذي يخالف يكون أبقاً من مولاه وعاصياً له، وسيتعرض لعقاب لا يطيقه ولا يتحمّله.

ولذلك أنا أعجب عندما أسمع البعض يُنفق الأموال في الحرام والذنوب والآثام!!، فيشتري بها خمرًا، أو يشتري بها حشيش، أو بانجو، أو يشتري بها بيرة، وتساءله: ما هذا يا فلان؟ يقول لك: هذا مالي وأنا حرّ فيه.

لو كنت حرّ فيه لن تحاسب عليه، لكن كل قرش ستحاسب عليه مرتين: من أين أتيت به؟ وفيم أنفقته؟ يعني هل حصلت عليه من حلال أم من حرام؟! وهل أنفقته في حلال أم في حرام?!.

إذا أنت لست حرّ فيه، فهذا مال الله، ويجب أن تنفقه كما وضّح كتاب الله، وكما بيّن رسول الله، فإذا كنت لا تعرف: ﴿ فَسَطُّوْا أَهْلَ الدِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْمُوْنَ ﴾ (٣: النحل) يعني لو كنت موظفًا، ولا أعرف اللاتحة التي عندي، أسأل الجهات العليا، والجهات العليا هنا هم العلماء ورثة الأنبياء.

فالمال كله مال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَحْلِفِينَ فِيهِ ﴾ أنت خليفة عن الله في هذا المال، سيدنا عثمان بن عفان ؓ عندما سمع هذه الآية، وسمع النبي يحث على تجهيز الجيش الذي سُمي جيش العسرة، لأن الحالة الاقتصادية كانت عسيرة، فخرج مسرعًا، وقال كما ورد:

{ يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلَيَّ مِائَةٌ بَعِيرٍ بِأَخْلَاسِهَا وَأَقْتَابِهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، ثُمَّ حَضَّ رَسُولُ اللَّهِ عَلَى الْجَيْشِ، فَقَامَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَانَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلَيَّ مِائَتًا بَعِيرٍ بِأَخْلَاسِهَا، وَأَقْتَابِهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، ثُمَّ حَضَّ عَلَى الْجَيْشِ، فَقَامَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَانَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلَيَّ ثَلَاثُ مِائَةٍ بَعِيرٍ بِأَخْلَاسِهَا، وَأَقْتَابِهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ

الْمُنْبَرِ وَهُوَ يَقُولُ: " مَا عَلَى عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ هَذِهِ، مَا عَلَى عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ هَذِهِ " { ٣٤٨

ضمن له النبي الجنة العالية والدرجة الراقية في جوار رسول الله ﷺ.

﴿ فَأَلْذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا ﴾ علامة الإيمان الإنفاق، فالصلاة والصوم أمور سهلة على النفس، لكن الصعب على النفس إخراج المال وإخراج الخير، فسهل على الإنسان أن يُصلي طوال الليل، وسهل على الإنسان أن يصوم الدهر كله، ويتعود على ذلك، فالنفس تستسهل هذا الأمر، لكن يظهر صدق الإيمان عندما تطلب شيئاً لرجل فقير، أو لمشروع يخدم المجتمع.

أجر الإنفاق

وهذا الإنفاق لن يضيع هباءً، لأن الله قال: ﴿ هُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ وكبير من الله ليس له نهاية، فسيدنا رسول الله ﷺ عُرِجَ به إلى السماوات، أخذه سيدنا جبريل ليريه مزارع المنفقين الذين ينفقون في سبيل الله، فوجد هذه المزارع التي يعمل فيها الملائكة، يحصدون وبمجرد أن ينتهوا من الحصاد، يعود الزرع كما كان، فسأله النبي وقال:

{ يَا جِبْرِيْلُ، مَا هَذَا؟، قَالَ: هَؤُلَاءِ الْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، تُضَاعَفُ لَهُمُ الْحَسَنَةُ بِسَبْعِمِائَةٍ ضِعْفٍ، وَمَا أَنْفَقُوا مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُحْلِفُهُ } { ٣٤٩

﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أُبْتُتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ { ٢٦١ البقرة} وكل هذا يتحوّل إلى رصيد، أنت تباع محصولك كم مرة في السنة؟ مرة واحدة، لكن هذه المحاصيل تُباع في كل لحظة، لأن الملائكة تحصد وبمجرد أن ينتهوا يعود مرة ثانية: ﴿ تُؤْتِيهِمْ أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴾ { ٢٥ إبراهيم} لماذا؟ لأنه أنفق في سبيل الله، وقد ينفق شيء يسير يستهونه وفي ظنه لا يساوي شيء، لكن النبي يقول:

٣٤٨ جامع الترمي ومسنند أحمد عن عبد الرحمن بن خباب ﷺ

٣٤٩ تهذيب الآثار للطبري وكشف الأستار للهيثمي عن أبي هريرة ﷺ

{ اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ يَشِقُّ ثَمْرَةٌ } ٣٥٠

يعني أمسك بتمرة ليفطر عليها في رمضان وأكل نصفها، فوجد فقير فأعطاه النصف الآخر، أو أعطاه ربع جنيه، وهو لا يُلقي لذلك بالاً، قال ﷺ:

{ مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدَلٍ ثَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ،
وَأَنَّ اللَّهَ يَتَقَبَّلُهَا يَمِينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهِ كَمَا يُرَبِّي أَحَدَكُمْ فَلَوْهُ
حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ } ٣٥١

وفي رواية:

{ حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ أَحَدٍ، فَتَصَدَّقُوا } ٣٥٢

لا يوجد أحد يُعطي فائدة للنماء كخالق الأرض والسماء سبحانه وتعالى، ولذلك قال لهم: ﴿هُمُ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ هل يعرف أحد حدود هذا الأجر الكبير؟! لا
لأنه لا حدَّ له، ولا عدَّ له.

وتنافس أصحاب رسول الله ﷺ الصادقين في البذل كسيدنا عثمان حتى جهزوا جيش النبوة، وخرج جيشاً مدججاً بالسلاح، وجهَّز الله ﷻ هذا الجيش بسلاح لا يؤتى إلا من عند الله، لا يملكه الروس ولا الأمريكان ولا الإنس ولا الجن، وهو سلاح الرُّعب!.
وتحرك حضرة النبي ﷺ بالجيش من المدينة، والسفر كانت مدته شهر، وكانوا اثني عشر ألفاً، والروم كان عددهم أربعون ألف.

ولكن بمجرد أن خرج جيش المسلمين من المدينة قال الروم: وهل نستطيع محاربة نبي؟! فلا طاقة لنا بنبي وهربوا وتركوا الميدان، فلما وصل حضرة النبي هناك لم يجد أحداً منهم نهائياً في الميدان، فقال ﷺ:

{ نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ } ٣٥٣

٣٥٠ البخاري ومسلم عن عدي بن حاتم ﷺ
٣٥١ البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ
٣٥٢ جامع البيان للطبري عن أبي هريرة ﷺ

فلماذا إذاً جمع الأموال؟ اختبار لصدق الإيمان، وبلوغ للرتب العلية التي كان يبغيها ويطلبها أصحاب النبي العدنان رضوان الله تبارك وتعالى عليهم، وصلوات الله وسلامه عليه في كل وقتٍ وآن.

وعاتب الله الآخرين: ﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِيُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ ﴾ لماذا لم تستجيبوا لحضرة النبي عندما دعاكم؟! وهو دعاكم لما ينفعكم، ويرفعكم، ويجعل لكم مكانةً عظيمةً عند الله، ووجاهةً في الدار الآخرة، ومنزلةً كريمةً في الجنة في جوار حبيبه ومصطفاه!!.

هل نسيتم أن الله أخذ عليكم عهد وميثاق أنكم تؤمنوا بالله لا بد أن تنفذوا كل بنود يطلبها منكم الله تبارك وتعالى في كتاب الله، أو على لسان سيدنا رسول الله، لكن الإنسان ينسى هذا العهد: ﴿ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾.

وهذا الميثاق ليس من هنا فقط، ولكن الله أخذ علينا الميثاق قبل نزول آدم من الجنة إلى الأرض، لما خلق الله الأرواح كلها مرة واحدة فكنا كلنا أرواحاً، وكل من يهبط على الدنيا إلى يوم القيامة كانت حاضرةً روحه في ذلك الوقت والحين، الذي لا يعلم مكانه ووقته إلا رب العالمين، وأخذ علينا العهد وسجله الله، وقال في شأنه: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴾ (١٧٢ الأعراف).

وجددوا هذا العهد مع حضرة النبي ﷺ، واتفقوا معه وكتبوا العقد الذي كتب نصه وفضّه في كتاب الله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (١١١ التوبة).

فأخذ عليهم العهد رب العزة في الأزل القديم، وجدد العهد على يد النبي ﷺ ببيع النفس والمال لله، وأن يكون الإنسان وكل ما ملكت يده لسيده ومولاه تبارك في غلّاه.

الآخرة حتى يرضى عن الله تبارك وتعالى.

ومشى هؤلاء الكُمل من الرجال على مثل هذه الأحوال لينجحوا في الاختبار الذي وضعه لهم الواحد المتعال تبارك وتعالى.

الآيات البينات

﴿ هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ﴾ لماذا نزلَ هذه الآيات البينة والواضحة؟ ﴿ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ أولاً من ظلمة الكُفر إلى نور الإيمان، ومن ظلمة الشك إلى نور اليقين، وبعد ذلك من ظلمة البُخل والشُح إلى نور الإيثار والإكرام الذي يجمّل به الله الصفوة المباركة الكرام الذين يلحقهم بالحبيب المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام، وهذا هو الدليل على بشاشة الإيمان.

الرجل المهاجر الذي ترك ماله وبيته وكل ممتلكاته وجاء ليلحق بحضرة النبي ويعيش معه، فأهل المدينة - كما ذكرت الروايات - كان إذا جاء رجلٌ مهاجر يأتيه ما لا يقل عن خمسين رجلاً من المدينة وكل واحد يريد أن يظفر به، وكأنها غنيمة يظفر بها، فكان سيدنا رسول الله يقترع بينهم ليرى من يفوز بهذا المهاجر!.

فيأخذ الرجل وهو ليس من عائلته، ولا صهره، ولا شريكه في التجارة، ولكنه أخوه في الإسلام والإيمان، فيقول له: هذه أموالك كلها أقسمها معك، ولا تخفي عليه شيئاً منها وكانت الأموال كلها ذهباً، والبيت أقسمه نصفين واختر ما يعجبك، ويسأله هل أنت متزوج؟ فإذا قال: لا، يقول له: أنا متزوج من اثنتين فاختر ما تعجبك، فأطلقها وبعد انتهاء عدتها تتزوجها!!، وهذه علامة صدق الإيمان التي جعلها لنا القرآن والنبي العدنان ﷺ: ﴿مُحِبُّونَ مَن هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ (١٩ الحشر).

والمهاجرين كان عندهم عزة النفس، فيقول أحدهم لأخيه: بارك الله لك في مالك، وبارك الله لك في بيتك، وبارك الله لك في زوجك، ولكن: دلي على السوق!!، لأن حضرة النبي علمهم أن المسلم لا يأكل إلا بكديده:

{ مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ، خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ } ٣٥٦

فيذهب إلى السوق، وبركة العزة يُغنيه الله ﷻ من فضله حتى يحصل أضعافاً مضاعفة في لحظات، لأنه يتاجر مع من يقول للشيء كن فيكون.

رحمة الله في الصدقات

﴿ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ لماذا يأمرنا الله ويطلب منا أن ننفق أو نتصدق أو نتبرع

أو نخرج الزكاة؟ فهل يريد شيئاً منا؟ حاشا لله، لو أراد أن يُعني كل هؤلاء الفقراء ولا يحتاجون إلى صدقات الأغنياء، فهل هناك مشكلة أو مُعضلة؟! أبدأً، لكن الله ﷻ رافعة بنا، ورحمة بنا، دلنا على هذا الخير، لماذا؟ اسمع حديث الحبيب المصطفى ﷺ، وصلِّ وسلِّم وبارك عليه، قال ﷺ:

{ وَإِنَّ الصَّدَقَةَ لَتُطْفِئُ الحَطِيبَةَ كَمَا يُطْفِئُ المَاءُ النَّارَ } ٣٥٧

هل هناك أحد معصومٌ من الذنوب؟ لا، وأسرع شيء لحو الذنوب الصدقة، لأن الله يريد أن يُطهرنا بهذه الصدقات، ولذلك قال لحضرة النبي: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾ (١٠٣ التوبة) إياكم أن يقول أحد: أنا ليس معي شيء، وليس علي صدقة، لأن الله قال: ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ ﴾ (١٣٤ آل عمران) فلا عُذر لك، لماذا؟ لأن حضرة النبي قال:

{ تَصَدَّقُوا وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ } ٣٥٨

الشيخ ابن عطاء الله السكندري ﷺ كان يقول: (تصدق كل يوم ولو بدرهم تُكتب في ديوان المتصدقين، وصل كل ليلة ولو ركعتين تُكتب في ديوان القائمين) لأن الديوان كل يوم يفتح، وأنا أريد أن أسجل اسمي في الصفحة كل يوم، حتى لو جاء الأجل في أي يوم أكون في ديوان المتصدقين.

٣٥٦ صحيح البخاري والبيهقي عن المقدم بن معدي ﷺ

٣٥٧ مسند زيد عن علي بن أبي طالب ﷺ

٣٥٨ السير لأبي إسحاق الفزاري

المهم هنا هو المداومة، لأن الإنسان قد يعمل عملاً لمدة أسبوع أو أسبوعين أو شهر ولكنه لا يُديم عليه، والله يريد منا أن نبسط اليد، لأنك تنزل من بطن الأم واليد مقبوضة، وعند موتك تكون اليد مفتوحة وليس فيها شيء.

أغنى أغنياء نابلس بفلسطين وكان عمدتها، وكان رجلاً من الصالحين، هذا الرجل عندما جاءه الموت وصّى أولاده وصية غريبة وعجيبة، فقال لهم: عندما أموت أخرجوا يدي من تحت غطاء النعش، وطوفوا بي البلد كلها، فقالوا له: لماذا؟ فقال لهم: ليعرف أهل نابلس أن أغنى الأغنياء فيها خرج من الدنيا وليس في يده شيئاً!! ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ (الأنعام، ١٩٤) وكان قد فعل ذلك أحد سلاطين آل عثمان (العثمانيون) ما تنفقه سيوضع في الرصيد، وما تتركه، ستتركه كله، وستحاسب عليه كله!، هل أتيت به من حلال أم من حرام؟.

فالله يريد أن يرفعنا وينفعنا بأن نكون دائماً مثل حضرة النبي ﷺ، فكما ورد:

{ كَانَ أَجُودَ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ } ٣٥٩

تعوّد بسط الكف حتى لو أنه طواها لقبض لم تطعه أنامله

لا يستطيع قبضها أبداً لأنه تعوّد على العطاء، جاءه فقير ذات مرة يسأل، فقال:

{ مَا عِنْدِي شَيْءٌ، وَلَكِنْ ابْتَعْ عَلَيَّ إِذَا جَاعَنِي شَيْءٌ فَصَيْتُهُ، فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ أُعْطِيتُهُ، فَمَا كَلَّفَكَ اللَّهُ مَا لَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ، فَكَّرَهُ النَّبِيُّ ﷺ قَوْلَ عُمَرَ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنْفِقْ وَلَا تَخَفْ مِنْ ذِي الْعَرْشِ إِقْلَالًا، فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَعَرَفَ الْبِشْرَ فِي وَجْهِهِ لِقَوْلِ الْأَنْصَارِيِّ، ثُمَّ قَالَ: بِهَذَا أُمِرْتُ } ٣٦٠

النفس المؤمنة عندما تحسب هذه الحسبة تجدها سهلة جداً، فلو كان عندك ابن أو حفيد وقال لك: يا أبي أو يا جدّي أريد أن أشتري شيئاً، فماذا تُخرج؟ نفرض أنهم خمسة جنيهات، فاجعل معهم أيضاً جنيه للفقراء والمساكين، وضعها في ذهنك وحافظ عليها

٣٥٩ البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما

٣٦٠ الأحاديث المختارة لضياء المقدسي والشاملي للمحمدي للترمذي عن عمر بن الخطاب ﷺ

ونفدها، فإذا لم تجد فقيراً أو مسكيناً اليوم، ضعه في حصالة أو خزينة وجمعهم واعطهم لفقير بعد ذلك.

علبة السجائر الآن أقلها ١٥ جنيهاً، فمنهم من يشرب في اليوم علبة أو علبتين، وكما قال أحد الصالحين: إنه كمن يأتي بالمال ويحرقه، وليت الأمر ينتهي عند ذلك، ولكنه يحرق رثيته وجسمه!!.

إذا رضي بذلك فهذا شأنه، لكن لماذا لا يجعل ثمن علبة سجائر كل أسبوع - وليس كل يوم- لله!! لكن عندما يأتي عند الله: ﴿ وَأَحْضَرْتَ الْأَنْفُسَ الْأَشْحَ ﴾ (١٢٨ النساء) يقول: ليس معي شيء؟ أنا مدين، وهذا دليل على تذبذب الإيمان، وتذبذب العقيدة في حضرة الرحمن، وهذا العبد معرض للخسران، لأنه سيأتيه الأجل في أي لحظة من ليل أو نهار، ولن ينفعه إلا ما قدمت يداه.

إذاً الإنفاق هو الدليل والبرهان الأعظم على صدق الإيمان، وعلى رضا الرحمن تبارك وتعالى، وغير ذلك قال لنا حضرة النبي:

{ الصَّدَقَةُ تُسَدُّ سَبْعِينَ بَابًا مِنَ السُّوءِ } ٣٦١

الصدقة تدفع سبعين باباً من البلاء، وقيل أدناها الهم، يعني أصغرها، فتدفع سبعين باباً كان سينزل بالعبء، إن كان مرض أو هم، أو غم أو حزن .. كل هذا تدفعه الصدقة بأمر من يقول للشيء كن فيكون.

سبيل الله

﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ انظر إلى عتاب الله، يقول: لماذا تبخلوا على أنفسكم أن تنفقوا في سبيل الله!! أنت تأتي للجسم والنفس بكل ما لذ وطاب من الطعام والشراب، وقد تستورد لهم ذلك!! فلماذا تبخل على نفسك بالأجر والثواب الذي يُعطيه الكريم والوهاب لمن تصدق بالقليل!!.

﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ وكلمة: (في سبيل الله) ليس القتال فقط، لكن

أي عمل خير لله، والنية فيه موجهة لله، فالإنفاق فيه إنفاق في سبيل الله سبحانه وتعالى، كأن أتبرع لعمل مستشفى فهذا في سبيل الله، أو أتبرع لبناء مدرسة فهذا في سبيل الله، أو أتبرع لعمل مكتب لتحفيظ القرآن فهذا في سبيل الله، أو أشتري بعض المصاحف وأوزعها على بعض الطلبة الذين يحفظون القرآن فهذا في سبيل الله، وقد لا أستطيع أن أبلغ رسالة العلماء لكن أشتري بعض الكتب العلمية البسيطة وأعطيها لمن يقرأ ويبلغ، فهذا في سبيل الله ... كل هذا وغيره - ولا نستطيع عد هذه الأبواب - أصبحت في سبيل الله.

فضل السابقة

﴿وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أنتم لا تملكون شيئاً، لأنه في النهاية ستكون لله

تبارك وتعالى.

أصحاب رسول الله الذين تبعوا معه في البداية وهاجروا معه وجاهدوا معه، والذين جاءوا ودخلوا في الإسلام بعد الفتح، وحصرة النبي كان لطيفاً في المعاملة مع الكل، يعني كان من ضمن علاماته كان يُحْصَى كل جلسائه بالقبول والكلام، حتى يظنُّ كل واحد منهم أنه الأحب إلى رسول الله ﷺ، وهذه كانت عظمة نبوية في حضرة المصطفى ﷺ.

فالذين أسلموا بعد الفتح كان النبي يؤلفهم، فحُيِّل لبعضهم أنهم أصبحوا بالجهاد وعملهم الذي عملوه أنهم أفضل من السابقين كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وسعد وعبد الرحمن بن عوف وغيرهم، فسيدنا رسول الله ﷺ بين والحق أيّد.

فواحد من الذين هاجروا مع رسول الله أتى بدرهم، وآخر من الجدد أتى بمائة ألف درهم، فقال ﷺ:

{ سَبَقَ دِرْهَمٌ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ، قَالُوا: وَكَيْفَ؟ قَالَ: كَانَ لِرَجُلٍ دِرْهَمَانِ تَصَدَّقَ بِأَحَدِهِمَا، وَأَنْطَلَقَ رَجُلٌ إِلَى غَرْصِ مَالِهِ فَأَخَذَ مِنْهُ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ فَتَصَدَّقَ بِهَا

٣٦٢ {

صاحب الدرهم كان لا يملك غير درهمين، فترك لأولاده واحد وأتى بالثاني، وصاحب

عندي: ﴿ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا حُبَبْتُمْ ﴾ (٩٢ آل عمران) وأن لا يصحبه رياءً، ولا شهرة، ولا إساءة إلى الآخذ، ولا معايرة: ﴿ لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى ﴾ (٢٦٤ البقرة) والمنُّ يعني المعايرة، والأذى أن أعطيها له أمام الناس لأجرح مشاعره ولا أجعله في ستر من الستار تبارك وتعالى، وأن تكون هذه الصدقة في السر لقول النبي ﷺ:

{ فَضْلُ صَدَقَةِ السَّرِّ عَلَى صَدَقَةِ الْعَلَانِيَةِ كَفَضْلِ صَلَاةِ اللَّيْلِ عَلَى صَلَاةِ

النَّهَارِ } ٣٦٥

وورد في الأثر: (صدقة السر تفضل صدقة العلانية بسبعين ضعفاً).

وأن لا يبغى من ورائها ردُّ الجميل، فقد كانت السيدة فاطمة والسيدة عائشة رضي الله عنهما، ترسل الصدقة للفقير وتطلب من حامل الصدقة أن يحفظ الدعاء الذي يدعو به، فتدعو له بمثل دعاءه، فسئلت في ذلك؟ فقالت: (دعاء بدعاء حتى تسلم لنا صدقاتنا) حتى لا يكون هذا الدعاء أجر الصدقة، فترد له الدعاء لأنها تريد الأجر من الله سبحانه وتعالى.

وأن لا تكون نفسه حاضرة عند إتيان الصدقة على أنه المعطي، بل يرى أن المعطي هو الله تبارك وتعالى، ولا يحتقر الفقير ويظن أنه خيرٌ منه، بل يرى من فضل الله عليه وجود الفقير، لأنه يُعطيه شيئاً بسيطاً، والفقير يحمل عنه أوزار وذنوب وأثقال، فمن الذي نال المنفعة الكبرى؟ أنا وليس الفقير.

فهذه بعض الشروط التي وضعها السلف الصالح لمن أراد أن يتصدق، وليتنا نراعِيها، وهي آدابٌ جليلةٌ كريمةٌ تجعل العمل خالصاً لوجه الله سبحانه وتعالى.

رجل من أصحاب سيدنا رسول الله ﷺ اسمه أبو الدحداح، كان عنده حديقة فيها ستمائة نخلة مثمرة، وكانت أشهر حديقة لإنتاج التمر في المدينة، فعندما سمع الآية:

{ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَعِّفُهُ لَهُ دُورًا أَجْرًا كَرِيمًا } ﷻ

قال لرسول الله:

{ يَا رَسُولَ اللَّهِ، اللَّهُ ﷻ يَسْأَلُ النَّاسَ الْقَرْضَ وَهُوَ عَنِ الْقَرْضِ غَنِيٌّ؟ فَقَالَ: يَا

أَبَا الدَّخْدَاحِ يُرِيدُ أَنْ يُدْخِلَكُمْ بِذَلِكَ الْجَنَّةَ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَإِنْ أَقْرَضْتُ اللَّهَ قَرْضًا تَضْمَنُ لِي الْجَنَّةَ؟ قَالَ: نَعَمْ يَا أَبَا الدَّخْدَاحِ، قَالَ: وَزَوْجَتِي؟ قَالَ: وَزَوْجَتُكَ، قَالَ: وَصَبِيَّانِي؟ قَالَ: اللَّهُ وَاسِعٌ كَرِيمٌ وَالصَّبِيَّانُ يَا أَبَا الدَّخْدَاحِ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَإِنِّي أَشْهَدُكَ أَنِّي قَدْ جَعَلْتُ حَاطِطِي لِلَّهِ سُبْحَانَهُ قَرْضًا، قَالَ: يَا أَبَا الدَّخْدَاحِ، إِنَّا لَمْ نَسْأَلْكَ كِلَاهُمَا، فَاجْعَلْ أَحَدَهُمَا، وَيَكُونُ الْآخَرُ مَعِيشَةً لَكَ وَلِعِيَالِكَ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَإِنِّي أَشْهَدُكَ أَنِّي قَدْ جَعَلْتُ خَيْرَهُمَا، فَقَالَ: يَا أَبَا الدَّخْدَاحِ إِذَا يَجْزِيكَ اللَّهُ بِهِ الْجَنَّةَ، فَانْطَلِقْ أَبُو الدَّخْدَاحِ الْأَنْصَارِيُّ حَتَّى آتِيَ أُمَّ الدَّخْدَاحِ وَهِيَ مَعَ صَبِيَّانِهَا تَدُورُ تَحْتَ النَّخْلِ، فَأَخْبَرَهَا فَقَالَتْ أُمَّ الدَّخْدَاحِ: أَمَا إِذْ بَعَثَ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَبِيعَ مُرِيحٌ { ٣٦٦

لم تصنع معه مشكلة، ولكن قالت: ربح البيع، فكلهم من بعض، وتركت الحديقة لأنه تصدق بها لله.

الذي يفعل ذلك لن يكون له أجر يُعَدُّ، ولكن أجره سيكون تكريم من الكريم ﷺ، كما قال الله في سورة الأحزاب: ﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴾ (٤٤ الأحزاب).

الأجر الكريم

ما الأجر الكريم؟

منهم من يضع له كرسيًا تحت ظل عرش الرحمن يوم لا ظل إلا ظله، كما ذكر الحديث:

{ وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ يَمِينُهُ مَا تُنْفِقُ شِمَالُهُ } { ٣٦٧

كان يضع المال في الجيب ويضع فيه يده، فما يخرج يضعه في يد الفقير دون أن ينظر

٣٦٦ تاريخ بغداد للخطيب البغدادي وصفوة التصوف للمقدسي عن أبي إمامة ﷺ

٣٦٧ البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿ إِنَّ الْمُصَدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ
وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَعْفُ
لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴾ وَالَّذِينَ
ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ
الصَّادِقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ
لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ
كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ
أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿ (الحديد)

٢٢. الصديقون والشهداء^{٣٦٨}

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - الحمد لله الذي أنزل لنا الكتاب فيه هدى ونور، والصلاة والسلام على نور الله الدال بالله على الله، سيدنا محمد وآله وصحبه ومن والاه، وعلينا معهم أجمعين .. آمين آمين يا رب العالمين.

كل مؤمن على يقين أنه مسافر إن آجلاً أو عاجلاً من الدنيا إلى الدار الآخرة، والعاقل والكيس والحكيم والفظن الذي يبحث في كتاب الله ويرى له منزلة كريمة ذكرها الله، ويعمل بما فيها، حتى إذا جاء أمر الله يخرج على ما يحب فرحاً بما أعطاه مولاه تبارك وتعالى.

فإن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وهو من هذا الصنف من الرجال، وغيره الكثير في هذا الباب، لأن المؤمن في سكرات الموت تظهر له منزلته، والدرجة التي سينزل فيها، والروضات الجنانية التي ستحل روحه إلى أن يلحق جسمه بها فيها، يرى هذه الأشياء فيفرح بلقاء الله، فيفرح الله بلقاءه.

فسيدنا عمر بن عبد العزيز في اللحظات الأخيرة نظر وأطال النظر ورأى بعين البصيرة ما لا يُرى بالبصر، والذين من حوله لا يرون، لكنه رأى بيقين وقال: ﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾ (٦١ الصافات) وخرجت الروح إلى من يقول للشيء كن فيكون.

رأى المنزل الكريم الذي كان يتوق إليه، لأنه كان يقول وهو في الدنيا: (إن لي نفس تواقه ما تاقته إلى شيء إلا وبلغته، واليوم تتوق إلى الجنة) يعني عنده عزيمة، فيحقق ما يتمناه، إلى أن صار خليفة للمسلمين، وهذا أعلى منصب في الدولة، وكانت نفسه تتوق إلى الدرجات العالية من الجنة.

سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صنّف الأمة، لأن البعض يعتقد أن الأذكياء العقلاء هم الذين يتحولون في لمح البصر من فقراء إلى كبار الأغنياء، وهذا مفهوم العامة، لكن مفهوم سيدنا رسول الله غير ذلك، فقال:

{ الْكَيْسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا
وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ } ٣٦٩

الكيس يعني العاقل، والعاجز يعني الأحمق، الذي يلبي طلبات نفسه من طعام وغيره، وعند الآخرة تجده يعيش في الأمان، فيقول عندما أخرج على المعاش، أو عندما يقترب الموت، وغير ذلك، لكن المؤمن الذي يحزم رأيه، ويُجهز لنفسه من هنا منزلة كريمة من كتاب الله، بينها وبين العمل الموصل إليها حضرة الله سبحانه وتعالى.

فالله ﷻ في هذه الآيات القصار التي معنا اليوم بين لنا منازل الجنة، وما الذي يوصل لها؟ وما الأجر الكريم الذي ادّخره الله تبارك وتعالى لأهلها؟.

فأول مقام عظيم أهله في الدرجات العلى من التعظيم: ﴿إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ﴾ وهناك قراءة أخرى بحسب المعنى الذي نريده: ﴿إِنَّ الْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ﴾ وهذه واضحة المعنى.

أوصاف القرض الحسن

وماذا أيضاً: ﴿وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ ماذا يفعل الله بالقرض الحسن منا؟! من الذي يعطينا المال؟ عجباً لنا يتفضل الله ﷻ فيهب لنا من جوده وفضله الخير الكثير ومنه المال، ثم بعد ذلك يختبرنا ويمتحننا ويطلب منا أن نفقه في الأبواب التي وضحها في كتابه، والتي بينها النبي ﷺ في هديه وسنته صلوات ربي وتسليماته عليه.

القرض هنا سماه الله قرضاً حسناً، لماذا؟ لأن الله لا يقبل القرض إلا إذا كان من حلال طيب، قال ﷻ:

{ إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا } ٣٧٠

ولا يقبله إلا إذا ابتغي به وجهه والدار الآخرة، فالذي ينفق لأجل الشهرة والسمعة ويتباهى بها بين الناس فهذا يُحبط عمله لأنه لم يعمله خالصاً لرب الناس تبارك وتعالى:

٣٦٩ جامع الترمذي وابن ماجة عن شداد بن أوس

٣٧٠ صحيح مسلم والترمذي عن أبي هريرة

d d

﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا ﴾ وشرط القبول: ﴿ وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ (١١٠ الكهف) ما الشرك هنا؟ حضرة النبي سماه الشرك الخفي، فالشرك الجلي هو الكفر، والشرك الخفي أن يعمل الإنسان العمل ظاهره لله، ولكن من داخله يريد به خلق الله، ولذلك قال ﷺ:

{ مَنْ صَلَّى وَهُوَ يُرَائِي، فَقَدْ أَشْرَكَ، وَمَنْ صَامَ وَهُوَ يُرَائِي، فَقَدْ أَشْرَكَ وَمَنْ تَصَدَّقَ وَهُوَ يُرَائِي، فَقَدْ أَشْرَكَ } ٣٧١

أي عمل يقصد منه الخلق ولا يتوجه به بإخلاص وصدق إلى الحق فهذا العمل يُحبطه الرياء لأن الله ﷻ لا يقبل إلا العمل الخالص لوجهه الكريم.
حتى أن الله تبارك وتعالى يوم القيامة وعندما تجتمع الخلائق ينبه تنيبها عاماً لجميع الانام من بدء الدنيا إلى يوم الزحام:

{ أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشُّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشُرَكَهُ } ٣٧٢

لأن الله يريد العمل الخالص لوجهه سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ (٥ البينة).

إذاً القرض الحسن لا بد أن يكون أولاً من حلال طيب لأن الله لا يقبل إلا الطيب، ولا بد أن يتبغى به وجه الله، لا يرجو به خلق الله، أو رضاهم، أو الشهرة بينهم، أو ذبوع الصيت بينهم ... كل ذلك لا يشغله وإنما يريد وجه الله تبارك وتعالى.

وأن يكون هذا المال، أو هذا الخير من أفضل ما عنده، مثلاً: أتى حصاد القمح، فيقول: سأخرج الزكاة من مخلفات الحصاد!!، هل تقبل هذه الزكاة!!؟ لا: ﴿ لَنْ تَتَأَلَّوْا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ (٩٢ آل عمران) الذي لا تحبه لنفسك لا تعطيه لغيرك.

كثير من المؤمنين يعتقد أنه يضع صدقته في يد الفقير، لكن رسول الله ﷺ قال:

٣٧١ الحاكم في المستدرک والطبرانی عن شداد بن أوس ﷺ

٣٧٢ صحيح مسلم وابن ماجة عن أبي هريرة ﷺ

d d

{ إِنَّ الصَّدَقَةَ تَقَعُ فِي يَدِ اللَّهِ قَبْلَ أَنْ تَقَعَ فِي يَدِ الْمُصَدِّقِ عَلَيْهِ } ٣٧٣

الذي يأخذها منك رب العزة تبارك وتعالى، فهل يصح أن تعطيه أردى شيء عندك؟! وهو واهب النعم، وواهب الفضل، وصاحب الجود والكرم، فهل تليق هذه المعاملة بمن يقول للشيء كن فيكون؟! لا: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا حُبَبْتُمْ﴾ (٩٢ آل عمران).

كذلك حتى يكون هذا القرض حسن لا بد أن أراعي في إنفاقه السرية والتكتم، فلا تعرف ذلك زوجتي، ولا تعرف يدي الشمال ما أنفقته بيدي اليمين، فيكون سر بيني وبين رب العالمين تبارك وتعالى.

سيدنا علي زين العابدين بن الإمام الحسين عليه السلام أجمعين كان من الأغنياء والوجهاء، وعنده سعة عظيمة في المال، ماذا كان يصنع هذا الرجل؟ عال ثلاثون أسرة في المدينة المنورة، كانوا فقراء لا يجدون شيئاً، كان عنده خدم، وعنده أولاده، لكنه لا يريد الخدم أن يعرفوا، ولا أولاده أن يعلموا.

فكان يأتي في الليالي المظلمة التي ليس فيها قمر، حتى لا يراه ولا يعرفه أحد، لأن الشوارع وقتها لم يكن فيها إنارة ولا كهرباء، فكان يحمل جوال دقيق على ظهره، وصره مال في إحدى يديه، وجرة سمن في اليد الأخرى، ويطرق على الباب، وإذا سمع ردهم يترك ما معه أمام الباب ويرحل سريعاً قبل أن يفتحوا، فيخرج أهل البيت فيجدوا ما ذكرناه، ولا يعرفون من أتى به، وهو يقصد إلى ذلك.

ومشى على ذلك عمر طويل بهذه الوتيرة مع ثلاثين عائلة، ولم ينكشف أمره إلا بعد وفاته، فقد وجدوا عند غسله أثر على كتفه كأنه كان يعمل عتلاً، مع أنه كان مرفه، وعنده الخدم والأولاد!!.

وبعد مدة وجدوا أن العائلات التي كان يعولها انكشفت، فسألوهم: كيف كنتم تعيشون من قبل؟! فقالوا: كان يأتينا رجل كل شهر مرة، ويطرق الباب فنخرج فلا نجد، ونجد جوالاً من الدقيق، وصره من المال، وجرة من السمن، ولا نعرف من هذا الرجل،

٣٧٣ البر والصلة لابن الجوزي عن عائشة رضي الله عنها

فعلموا أن الذي كان يفعل ذلك الإمام علي زين العابدين بن الإمام الحسين عليهما السلام أجمعين، لأنه سمع حضرة النبي فيما وصل إليه من الحديث يقول:

{ فَضْلُ صَدَقَةِ السَّرِّ عَلَى صَدَقَةِ الْعَلَانِيَةِ كَفَضْلِ صَلَاةِ اللَّيْلِ عَلَى صَلَاةِ النَّهَارِ }^{٣٧٤}

وفي الأثر: (صدقة السر تفضل صدقة العلانية بسبعين ضعفاً) وليس سبعين مرة!!، وهو كان يتعامل مع الله لا يرجو إلا رضاه سبحانه وتعالى.

فيجتهد صاحب القرض الحسن أن يكون هذا العمل في طي الكتمان، لا يعرفه إلا الواحد الأحد وهو الرحمن سبحانه وتعالى، فلا يعرفه من معه في البيت، ولا في العمل، ولا أصدقاءه، لأنه يعمل العمل لله.

لكنه إذا عمل العمل، ثم جلس مع نفر وقال: أنا عملت بالأمس كذا وكذا، فهذا قال فيه عليه السلام:

{ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ الْعَمَلَ فَيُكْتَبُ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ مَعْمُولٌ بِهِ فِي السَّرِّ يُضَعَّفُ أَجْرُهُ سَبْعِينَ ضِعْفًا ، فَلَا يَزَالُ بِهِ الشَّيْطَانُ حَتَّى يَذْكُرَهُ لِلنَّاسِ وَيُغْلَنَهُ فَتُكْتَبَ عَلَيْهِ عِلَانِيَتُهُ ، وَيُمْحَى بِضَعِيفِ أَجْرِهِ كُلِّهِ ، ثُمَّ لَا يَزَالُ بِهِ الشَّيْطَانُ حَتَّى يَذْكُرَهُ لِلنَّاسِ الثَّانِيَةَ ، وَيُحِبُّ أَنْ يُذَكَّرَ وَيُحْمَدَ عَلَيْهِ فَيُمْحَى مِنَ الْعَلَانِيَةِ ، وَيُكْتَبَ رِيَاءً }^{٣٧٥}

يعمل العمل فيما بينه وبين مولاه، فلا يزال به الشيطان حتى يحدث به، فإذا حدث به حبط عمله، فلم يعد العمل لله، لأنه تباهى به أمام الناس، وظهر به، لكن الذي يريد العمل لله، لا يعلم به إلا مولاه تبارك وتعالى.

هذا القرض لكي يكون قرض حسن لا بد أن يذهب للمستحقين، ولا يكون مجاملة، فإذا أردت أن تُخرج شيئاً لله، فلا تجعل نفسك تضحك عليك وتقول لك مثلاً: إن جارك فلان غير محتاج ولكنك تحتاجه في الشدة، فإذا أعطيت له لن يتأخر عنك إذا احتجته!!، ومثل

٣٧٤ معجم الطبراني عن ابن مسعود عليه السلام
٣٧٥ شعب الإيمان للبيهقي عن أبي الدرداء عليه السلام

هذا لم يوف الشروط التي أترها الحي الذي لا يموت.

الفقر المسحق

لمن نعطي يا رب؟ ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾ (البقرة ٢٧٣) لا يمدون أيديهم للناس، لأن العزة الإيمانية تمنعهم أن يمدوا اليد إلا إلى رب البرية سبحانه وتعالى.

أما الذين يسألون الناس ويطوفون بالبيوت فهذا قد تعطيه شيء يسير على سبيل البركة، لكن التركيز يكون على الذي قال النبي ﷺ:

{ لَيْسَ الْمَسْكِينُ الَّذِي يَطُوفُ عَلَى النَّاسِ تَرُدُّهُ اللَّقْمَةُ وَاللَّقَمْتَانِ وَالثَّمْرَةُ وَالثَّمْرَتَانِ، وَلَكِنَّ الْمَسْكِينُ الَّذِي لَا يَجِدُ غِنَىٰ يُعْنِيهِ، وَلَا يُفْطَنُ بِهِ فَيَتَصَدَّقَ عَلَيْهِ، وَلَا يَقُومُ فَيَسْأَلُ النَّاسَ } ٣٧٦

وقال: { إِنْ اللَّهُ ﷻ يُحِبُّ عَبْدَهُ الْمُؤْمِنَ الْفَقِيرَ الْمُتَعَفِّفَ أَبَا الْعِيَالِ } ٣٧٧

الرجل الذي لديه أولاد كثير، ودخله لا يكفي الضروريات، فهذا يحتاج إلى إخوانه المسلمين أن يقفوا بجواره، ويقوموا بأمره حتى يتاجروا مع الله سبحانه وتعالى في هذه الصدقات.

وحتى يكون القرض حسن لا بد أن أعرف وأتأكد أنني لست أفضل من الذي يأخذ مني، بل هو أفضل مني، لأني أعطيه أشياء من الدنيا الفانية، وهو يحمل عني ذنوب، ويستترني الله في العيوب، ويعطيني مقابل ذلك حسنات لا عد لها، ودرجات لا نستطيع عدّها، لذلك هو الأفضل.

ولذلك كان بعض السلف الصالح رضوان الله تبارك وتعالى عليهم عندما يعطي الصدقة، ويمد الفقير يده، يضع يده تحت يد الفقير، ويجعل يد الفقير هي الأعلى، لأن النبي

٣٧٦ البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ

٣٧٧ سنن ابن ماجة والطبراني عن عمران بن حصين ﷺ

مرتبة الصديقين

أعطانا الله تعالى منزلة أخرى ووضعنا فيها كلنا، حتى نشكر الله على فضله وعطاءه، فقال الله لنا كلنا: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّٰدِقُونَ﴾ كوني أستمسك بالإيمان، وبمتابعة النبي العدنان سألحشر يوم القيامة في أعلى رتبة بعد رتبة الأنبياء وهي رتبة الصديقين: ﴿فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّٰدِقِينَ﴾ (٦٩ النساء).

كيف أنال رتبة الصديقين؟ هذه منحة من الله، وكل ما في الامر أن يستمسك الإنسان بالإيمان، ولا تضحك عليه نفسه فيحل عقد الإيمان، ويوقعها في الهوى والعصيان، وعليه أن يحافظ على طاعة الرحمن، واتباع سيد ولد عدنان ﷺ.

وحتى إذا ضحكت عليه نفسه ووقع في العصيان فليسارع فوراً إلى التوبة من التواب تبارك وتعالى، فلا يوجد أحد من المؤمنين الصادقين يُسوِّفُ التوبة، فإذا عمل ذنباً لا يقول: سأتوب يوم الجمعة مثلاً!!، وهل ضمنت أن تعيش إلى يوم الجمعة!! أو سأتوب عندما يأتي شهر رمضان!!، لكن هل تدري أنك ستصوم رمضان!! أو عندما أحج حتى يغفر الله لي الذنوب!!، والحج أصبح من الصعوبات البالغة في هذا الزمان حتى لمن معه مال!!.

لكن المؤمن صادق الإيمان إذا وقع في الذنب فوراً لا يؤجل ولا طرفة عين، فبمجرد معرفته أنه أخطأ يرجع إلى الله، ويتوب إلى مولاه، وأهم شيء يستشعر الندم والحجل في فؤاده وقلبه، لأن التوبة بدون ندم كلا توبة، يعني تبت إلى الله بلساني، ولكن من داخلي ليس هناك إحساس بالأسف والندم، فهذا الذنب كما هو، قال ﷺ:

{ النَّدْمُ تَوْبَةٌ } ٣٨٠

أساس التوبة أن أندم على ما فعلته، وأشعر بأني أسأت، وأشعر بأني عصيت، فأرجع إلى الله سبحانه وتعالى، والرجوع إلى الله لا يحتاج إلى زمان ولا مكان، ففي أي زمان، وأي مكان: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ (٤ الحديد) ما دمت وقعت في الذنب أسارع فوراً في التوبة إلى حضرة التواب تبارك وتعالى.

بقليل فهي شهيدة ووسع الدائرة أكثر فقال:

{ وَالْغَرِيبُ شَهِيدٌ } ٣٨٣

أي مسلم يموت بعيد عن بلده ولو بخطوتين فهو شهيد، فوسّع الدائرة جداً حتى أنني أرى أن معظم هذه الأمة إلا القليل في هذا الزمان يموتون شهداء.. وسّع الله الدائرة أكثر فقال: ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّٰدِقُونَ وَالشَّهَدَاءُ ﴾ حصلوا على رتبتين عاليتين، صديقين وشهداء، والشهداء عند ربهم كما قال الله تعالى:

﴿ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ (١٦٩ آل عمران) وأي شهيد بعد أن يموت روحه تصعد إلى الجنة، وقال فيها ﷺ:

{ إِنَّ أَرْوَاحَ الشُّهَدَاءِ فِي طَيْرٍ خَضِرٍ تَعْلُقُ مِنْ ثَمَرِ الْجَنَّةِ أَوْ شَجَرِ

الْجَنَّةِ } ٣٨٤، وفي رواية أخرى: { إِنَّ أَرْوَاحَ الشُّهَدَاءِ فِي طَيْرٍ خَضِرٍ تُرْعَى فِي رِيَاضِ الْجَنَّةِ، ثُمَّ يَكُونُ مَاوَاهَا إِلَى قَنَادِيلٍ مُعَلَّقَةٍ بِالْعَرْشِ } ٣٨٥

أرواحهم في طيور في الجنة ترح بين أشجار الجنة، لأنهم أحياء حياة كاملة وصفها الله فقال: ﴿ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ (١٦٩ آل عمران) لهم رزق، ولكن رزق يختلف عن رزقنا من الطعام والشراب، فهو رزق من الأنوار الإلهية، ومن الحكم الربانية، من المشاهدات القدسية، ومن القصور الجنانية.. أرزاق معنوية لا عد لها، ولا حد لها.

لهم أجرهم ونورهم

هؤلاء الذين آمنوا بالله ورسله وأصبحوا صديقين وشهداء ماذا لهم؟ ﴿ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ﴾ ليس أجر فقط، ولكن لهم أجر ونور، والأجر عرفناه، ونضاعفه الله لهم أضعافاً كثيرة، أما النور فإنهم سيظهروا به ويلمعوها به أمام الخلق والخلائق في القيامة وفي الجنة، ففي القيامة ورد أنه يضيء حسنهم لأهل الموقف كما تضيء الشمس لأهل الدنيا.

٣٨٣ أسد الغاية عن عمرو بن الحارث ﷺ ومعجم الطبراني

٣٨٤ جامع الترمذي ومسند أحمد عن كعب بن مالك ﷺ

٣٨٥ الزهد لهناد ابن السري عن أبي سعيد الخدري ﷺ

الموقف ليس فيه شمس ولا قمر ولا ضياء، والكافرون سيكونوا عمياً:

﴿ وَخَشَرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى ﴾ (١٢٤ طه) والمؤمنون سيكونوا مبصرين، وكل واحد

على حسب تقواه وقربه من مولاه، فهناك منهم من يكون نوره كنور الشمس والكل يمشي في ظل هذا النور، قال فيهم ﷺ:

﴿ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ مَنْ يُضِيءُ نُورَهُ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى عَدَنَ أُبَيْنَ، فَصَنَعَاءَ، فَذُونَ ذَلِكَ، حَتَّىٰ إِنْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ مَنْ لَا يُضِيءُ نُورَهُ إِلَّا مَوْضِعُ قَدَمَيْهِ ﴾ { ٣٨٦

أدناهم من يضيء له نوره إبهام قدميه، فيرى تحت قدميه فقط، لكن الآخرين يكون نور أحدهم كنور الشمس.

وعندما يدخلوا الجنة سيكونون أعلى من ذلك، قال الله تعالى في عباد الرحمن: ﴿ أُولَئِكَ مُجَرَّوَنَ الْأَعْرَافَةِ بِمَا صَبَرُوا ﴾ (٧٥ الفرقان) ما هذه الغرفة؟ قال الله تعالى: ﴿ عُرْفٌ مِّنْ فَوْقِهَا عُرْفٌ مَّبِينَةٌ ﴾ (٢٠ الزمر) هذه غرف خاصة في الجنة، وهؤلاء يقول فيهم ﷺ:

﴿ إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الْعُرْفِ مِنْ فَوْقِهِمْ كَمَا تَتَرَاءَوْنَ الْكَوْكَبَ الدَّرِّيَّ الْغَائِبَ فِي الْأَفْقِ مِنَ الْمَشْرِقِ، أَوِ الْمَغْرِبِ ﴾ { ٣٨٧

انظر إلى منزلتهم!! سيكونون مثل النجوم في السماء من علو المقام، ومن رفعة القدر عند الواحد الأحد تبارك وتعالى، هؤلاء الذين يقول فيهم الله: ﴿ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَآغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٨ التحريم).

وتمام النور برؤية وجه الله، يقولون: يا ربنا أتمم لنا النور فتكشف لنا الحجب، وترفع النقاب، حتى نتمتع بجمال وجهك كما وعدتنا في الكتاب، ونبقى في جوار الأحباب: ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ ﴾ (٢٩ الفتح).

نكون معهم في الجنة وفي الآخرة، فنجالسهم، ونأتنس بهم، ونكون بجوارهم في الجنة في الحي الذي يسكنون فيه، حتى يكون لنا الدرجات العلى، وهي درجات المقربين: ﴿ فَأَمَّا إِنْ

النهي عن النطلع إلى الكافرين

وعندما ذكر الله لنا هذه المنازل العظيمة نبهنا أن لا ننظر إلى الذين حولنا، والذين أعطاهم الله الدنيا الدنية، وهم أهل الكفر، إن كان أهل أمريكا أو أهل أوروبا وغيرهم، ونقول كما نسمع بعض من المسلمين: كيف نكون مسلمين موحدين ونصلي ونصوم وعندنا الفقر وعندنا المرض، وهؤلاء كافرين بالله وعندهم كل الخيرات!!؟ أما سمعتم قول النبي ﷺ:

{ أُولَئِكَ قَوْمٌ عَجَلَتْ لَهُمْ طَبَائِهُمُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا } ٣٨٨

حتى يخرج من الدنيا وليس له شيء، وليس عنده رصيد، فيكون كما قال الله:

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِعَايُنِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾

فكيف لمسلم أن ينظر إلى أهل الجحيم ويريد أن يماشيه ويكون مثلهم في الحياة الدنيا!!؟. وهذا الخطأ الذي وقع فيه كثير من شبابنا في هذا الزمان، يضع عينه على الكافرين فيجد أن الدنيا لا تساعد بالحلال، فيبدأ البحث عن الحرام، وما يُغضب الله، وما يُخالف هدي الله حتى يستكثر من الدنيا، التي يتابع فيها أعداء الله ... لكن نحن يجب أن يكون أماننا دائماً: ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ ﴾ (٢٩ الفتح) ..

حتى نكون معهم في الدار الآخرة.

أسأل الله ﷻ .. أن يرزقنا وإياكم صدق الإيمان، والعمل الصالح الموصل لمنازل الرضوان، وان يرزقنا أجمعين حسن الاتباع للنبي العدنان، وأن يوفقنا لعمل الصالح وصالح العمل في كل وقت وآن، وأن يجعلنا من عباده الذاكرين الشاكرين الحاضرين بين يديه في كل وقت وحين، وأن يحفظ لنا جوارحنا وأعضائنا وأولادنا وبناتنا وزوجاتنا من الفتن ما ظهر منها وما بطن، وأن يجعلنا دوماً من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿ سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ
وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ
وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا
بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۗ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ
مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ
(الحديد) ﴿٢٣﴾

الرسالة التي معنا اليوم رسالة صغيرة، ننظر فيها لنرى ماذا يريد منا الله ..

ما طلباتك يا رب؟

سباق المغفرة

﴿ سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ يريد الله أن

لا يكون السباق في الدنيا في جمع المال، ولا في العلو في الوظائف والمناصب .. لأن كل ذلك إما أن تتركه أو يتركك!!:

وانظر إلى من ملك الدنيا بأجمعها هل راح منها بغير القطن والكفن

لن يأخذ من الدنيا شيء، فماذا يحتاج الإنسان في الدنيا؟ هذين البابين، يسعى لنيل المغفرة من الغفور، ويعمل بالأعمال التي توجب له دخول الجنة يوم القيامة إن شاء الله.

فالله ﷻ يطلب منا شيئين، الطلب الأول: نرى الأحوال والأعمال والأقوال التي نستوجب بها المغفرة من حضرة الغفور ونسارع لها: ﴿ سَابِقُوا ﴾ يعني سارعوا لها، وهذا ما قال فيه الله: ﴿ حِثْمُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلَيْتَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾ (٢٦ المطففين).

الأعمال الموجبة للمغفرة أولها: الصلوات الخمس

ما الأعمال التي تستوجب المغفرة من الغفار؟ أولها الصلوات الخمس في مواقيتهن في جماعة في بيت الله، وهذا أمر كثير من المؤمنين قصرُوا فيه في هذا الزمان.

بالله عليكم في أي بلد من بلادنا، لو أن كل الرجال الموجودون في البيوت - ولا دخل لي بمن في العمل - لبوا نداء الرحمن، وجاءوا لأداء الصلاة، فهل ستكفيهم كل مساجد بلدهم!! لا، لكن هؤلاء لماذا لا يأتون لأداء الصلاة!! لأن أنفسهم ضحكت عليهم!!.

مثلاً: جماعة يجلسون مع بعضهم يتسامرون، وحن وقت صلاة الظهر، فتقول

لأحدهم نفسه: ما زال الوقت طويل حتى العصر!!، لكن أنت غير مشغول، وليس وراءك مصلحة، وسمعت الأذان ولم تلي النداء فهذه أصبحت حجة عليك عند الرحمن تبارك وتعالى.

لكن لو كان الإنسان في عمل ضروري، ولا يستطيع أن يتركه ساعة الأذان فهذا معه حجته، مثل إنسان يركب القطار، فالقطار لا يقف حتى تؤدي الناس الصلاة، أو إنسان يركب طائرة، أو طبيب يقوم بإجراء عملية في المستشفى ولا يستطيع أن يترك حجرة العمليات .. هذه الأشياء وأمثالها تسمى ضرورة من الضرورات، فيؤخر الصلاة، وعندما ينتهي من هذه الضرورة يؤدي ما عليه الله قبل أي شيء، ثم يفعل ما يريد، لماذا؟ ﴿إِنَّ أَلْصَلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾ (النساء: ١٠٣).

من الذي وقت هذه الأوقات؟ الله، وجعل هناك وقت فضيلة، ووقت فيه عفو، ووقت قد تلحق به رحمة الرحيم سبحانه وتعالى.

والذي يريد وقت الفضيلة لا بد أن يلي نداء الله قبل أن يؤذن المؤذن ولو بلحظات، واللحظات التي يقضيها في المسجد إن كان ربع ساعة أو أكثر أو أقل قال فيهم حضرة النبي ﷺ:

{ لَا يَزَالُ الْعَبْدُ فِي صَلَاةٍ مَا كَانَ فِي الْمَسْجِدِ يَنْتَظِرُ الصَّلَاةَ، مَا لَمْ يُحْدِثْ } ٣٩٠

العبد في صلاة ما دام في انتظار الصلاة، فيكتب أنه يصلي مع أنه جالس صامت في المسجد، المهم أن لا يقع في المخالفات، فلا يجلس مع أحد في بيت الله في القيل والقال، وإلا بذلك ضيع ما سيؤديه لله تبارك وتعالى، ولكن يجلس يذكر الله، أو يستغفر الله، أو يصلي على رسول الله، أو يقرأ كتاب الله، فهذا في صلاة إلى أن يأتي ميعاد الصلاة.

بمجرد أنه مهما كانت الظروف يوطن نفسه أن يلحق بأقل درجات المقربين، فقبل أن يكبر الإمام تكبيرة الإحرام يكون واقفاً في الصف، ولا يتأخر، ولا يفعل كما يفعل البعض فيدخل المسجد مسرعاً ويرفع صوته حتى ينتظره الإمام، وبعضهم يقول: (إن الله مع الصابرين) وهذا يشغل المصلين، لكن تمهل وافعل كما أمر حضرة النبي ﷺ:

٣٩٠ البخاري ومسلم عن أبي هريرة

{ إِذَا أَتَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَعَلَيْكُمْ بِالسَّكِينَةِ، فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا، وَمَا فَاتَكُمْ فَأَتِمُّوا } ٣٩١

لكن يجب عليك أن تحرص على أن تتقدم صفوف المصلين لله رب العالمين، لأن الله قال في سبب فرضه الصلوات علينا: ﴿ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ ﴾ (١٠ إبراهيم) يدعوننا ليغفر لنا، وهذا أكبر باب للمغفرة، وحضرة النبي قال فيه:

{ أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ، هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ؟ قَالُوا: لَا يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ، قَالَ: فَذَلِكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، يَمْحُو اللَّهُ بِهِنَّ الْخَطَايَا } ٣٩٢

ثانياً: الاستغفار

فأول باب من الأبواب التي تستوجب المغفرة الصلاة، ومع الصلاة التي فرضها الله، وضع لنا رسول الله باباً آخر للمغفرة، فقال:

{ مَنْ اسْتَغْفَرَ اللَّهَ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَقَالَ: أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ وَأَثُوبُ إِلَيْهِ، غُفِرَتْ لَهُ ذُنُوبُهُ وَإِنْ كَانَ فَرًّا مِنَ الرَّخْفِ } ٣٩٣

ولذلك أهلنا كانوا عقلاء مع أنهم كانوا أميين، فكانوا بعد انتهاء الصلاة مباشرة يقولون في نفس واحد (نستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم ونتوب إليه) لأن هذا باب من أبواب المغفرة، وكانوا بعدها يقولون مع بعضهم أيضاً: (يا أرحم الراحمين ارحمنا) لماذا؟ لأن العلماء علموهم أن النبي ﷺ قال:

{ إِنَّ لِلَّهِ مَلَكًا مُوَكَّلًا يَمَنْ يَقُولُ: يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، فَمَنْ قَالَهَا ثَلَاثًا قَالَ الْمَلَكُ: إِنَّ أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ قَدْ أَقْبَلَ عَلَيْكَ فَاسْأَلْ } ٣٩٤

٣٩١ البخاري ومسلم عن الحارث بن ربي

٣٩٢ البخاري ومسلم عن أبي هريرة

٣٩٣ معجم الطبراني والمطالب العالية لابن حجر عن البراء بن عازب

٣٩٤ الحاكم في المستدرک واتفق المهرة عن أبي إمامة

اطلب من الله ليعطيك، فيبدأوا بعدها بالدعاء، ولكن شبابنا هداهم الله - لأنهم لم يطلعوا على هذه الأصول - يقولون أنتم بذلك تشوشون على المصلين وهذه بدعة!!، فكانت النتيجة أن انتهت هذه السنة من كل البلاد، مع أن ذلك ذكر لله، واستغفار لله، ودعاء لله!! بدلاً من ذلك حاول أن تمنع ما يحدث في صالات الأفراح، لكن تمنع الاستغفار لله!!، وهل أحد يمنع الدعاء لله!! مع أن كل ذلك وارد عن رسول الله ﷺ!!.

فالإنسان بعد الصلاة يستغفر الله سبحانه وتعالى بالصيغة التي ذكرها رسول الله ﷺ:

{ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ } ٣٩٥

إذا كان لوحده يقول: (أستغفر الله) وإذا كنا جماعة نقول: (نستغفر الله) من الذي علمنا هذه الصيغة؟ الذي لا ينطق عن الهوى، وحدد لنا أن نكررها ثلاث مرات عقب الصلاة، ونتيجتها مغفرة الله من الذنوب وإن كانت مثل زيد البحر.

هل هناك فضل كبير كهذا!! هل نتركه ونتهاون فيه!! حتى لو صادفت الظروف وصلت لوحدي فلا أترك ذلك، فأستغفر الله العظيم بعد الصلاة، ولو صادف أن وصلت في البيت مع زوجتي أعلمها، أو مع ابنتي أعلمها هذا الهدى النبوي، والسنة الكريمة التي كان عليها رسول الله ﷺ ومن معه من الصحابة الأجلاء: ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ ﴾ (٢٩ الفتح).

ثالثاً: أبواب المغفرة

أبواب المغفرة كثيرة:

ونحن مطالبون أن نبحث عنها، مثل مجلس علم كالذي نحن فيه الآن، أو مجلس تلاوة قرآن، أو مجلس لذكر الله، أو مجلس للصلاة على رسول الله .. أي مجلس من هذه المجالس حضرة يقول فيه:

{ إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطَّرِيقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا

يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَنَادَا: هَلُمُّوا إِلَيَّ حَاجَتِكُمْ، قَالَ: فَيُخْفُونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ
الدُّنْيَا { ٣٩٦

وبعد ان ينتهي المجلس فإن الله تبارك وتعالى - وهو أعلم ولكن ليشهدهم - يسألهم:

{ مَا يَقُولُ عِبَادِي؟ قَالُوا: يَقُولُونَ يُسَبِّحُونَكَ، وَيُكَبِّرُونَكَ، وَيُحَمِّدُونَكَ، وَيُجَمِّدُونَكَ، قَالَ: فَيَقُولُ: هَلْ رَأَوْنِي؟ قَالَ: فَيَقُولُونَ: لَا وَاللَّهِ مَا رَأَوْكَ، قَالَ: فَيَقُولُ: وَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبَادَةً، وَأَشَدَّ لَكَ تَمَجِيدًا، وَتَحْمِيدًا، وَأَكْثَرَ لَكَ تَسْبِيحًا، قَالَ: يَقُولُ: فَمَا يَسْأَلُونِي؟ قَالَ: يَسْأَلُونَكَ الْجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَا، وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا، قَالَ: يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصًا، وَأَشَدَّ لَهَا طَلْبًا، وَأَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً، قَالَ: فَمِمَّ يَتَعَوَّدُونَ؟ قَالَ: يَقُولُونَ: مِنَ النَّارِ، قَالَ: يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَا، وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا، قَالَ: يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فِرَارًا، وَأَشَدَّ لَهَا مَخَافَةً، قَالَ: فَيَقُولُ: فَأَشْهَدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ، قَالَ: يَقُولُ: مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ: فِيهِمْ فُلَانٌ لَيْسَ مِنْهُمْ إِذْمًا جَاءَ لِحَاجَةٍ، قَالَ: هُمُ الْجُلَسَاءُ لَا يَشْتَقِي بِهِمْ جَلِيسُهُمْ { ٣٩٧

فكيف لإنسان أن يترك حلقة صلاة على النبي؟! أو حلقة علم؟! أو حلقة ذكر لله؟! أو حلقة استغفار؟! أو حلقة قرآن؟! مع أنه لو جلس فيها لحظة واحدة، أو طرفة عين فإنه سيدخل في مغفرة الغفور سبحانه وتعالى.

كذلك من أبواب المغفرة:

{ مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ { ٣٩٨

وكذلك:

٣٩٦ البخاري ومسلم عن أبي هريرة
٣٩٧ البخاري ومسلم عن أبي هريرة
٣٩٨ البخاري ومسلم عن أبي هريرة

{ مَنْ حَجَّ هَذَا الْبَيْتَ ، فَلَمْ يَرْفُثْ ، وَلَمْ يَفْسُقْ ، رَجَعَ كَيَوْمٍ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ } ٣٩٩

الأعمال الموجبة للجنة

أعمال كثيرة تؤدي إلى مغفرة الغفور، وهذه يجب أن نسارع لها، ومعها نسارع بالأعمال التي تؤهلنا لدخول الجنة، وهي: ﴿ وَالْبَقِيَّتُ الصَّالِحَاتُ ﴾ (٤٦ الكهف) الأعمال الصالحة الباقية لنا عند من يقول للشيء كن فيكون.

هذه الأعمال الصالحة التي ستدخلنا الجنة يسرها لنا الله، وهذه غير الطاعات ..

قال ﷺ:

{ الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ } ٤٠٠

وقال: { تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ } ٤٠١

إذا قابلت أخ لي قادم من سفر طويل فإن حضرة النبي يقول:

{ نَظَرُ الرَّجُلِ إِلَى أَخِيهِ عَلَى شَوْقٍ ؛ خَيْرٌ مِنْ اِغْتِكَافِ سَنَةٍ فِي مَسْجِدِي هَذَا

{ ٤٠٢

لأنه قادم ومشتاق لمقابلة أهله، فإذا وجد من يعبس في وجهه فستكون نفسيته سيئة، لكن هذا أخ مؤمن ولا بد أن نسعده لأن الإسلام جعل المؤمنين إخوة: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ (١١٠ الحجرات).

وإذا زرت مريضاً لوجه الله فإن حضرة النبي ﷺ قال:

{ إِذَا عَادَ الرَّجُلُ الْمُسْلِمُ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ ، فَهُوَ فِي مَخْرَفَةِ الْجَنَّةِ } ٤٠٣

ومخرفة الجنة يعني البساتين والحدائق التي في الجنة، فيكون له بساتين وحدائق في الجنة،

٣٩٩ البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ

٤٠٠ مسند أحمد وابن حبان عن أبي هريرة ﷺ

٤٠١ جامع الترمذي وابن حبان عن أبي ذر ﷺ

٤٠٢ الجامع الكبير للسيوطي عن ابن عمر رضي الله عنهما

٤٠٣ صحيح مسلم ومسند أحمد عن ثوبان ﷺ

ما دام يزور المريض لله، وليس بقصد أن يرد له الزيارة، وعند زيارة المريض يعمل بوصية رسول الله ﷺ:

{ زُرْ غَيْبًا تَزِدُّ حُبًّا } ٤٠٤

لأن المريض يريد الراحة، فأسأله عن حاله ثم أضع يدي عليه وأدعو له بالدعاء الوارد عن سيد الأنبياء، ثم أتركه حتى تكون زيارة خفيفة، ولا نُثقل عليه بالحكايات. وكانت هكذا زيارة النبي ﷺ للمريض، فيسأل المريض عن شكوته، ويضع يده عليه ويقول:

{ اللَّهُمَّ رَبَّ النَّاسِ، أَذْهَبِ الْبَاسَ، اشْفِهِ وَأَنْتَ الشَّافِي، لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ، شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سَقَمًا } ٤٠٥

أو كما قال:

{ مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يَعُودُ مَرِيضًا لَمْ يَخْضُرْ أَجْلَهُ فَيَقُولُ سَبْعَ مَرَّاتٍ: أَسْأَلُ اللَّهَ الْعَظِيمَ، رَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ أَنْ يَشْفِيكَ، إِلَّا عُوْفِي } ٤٠٦

ولا مانع من تكرار الزيارة بهذه الكيفية، بدلاً أن تجلس جلسة طويلة، لأنك كلما تزور مريضاً لوجه الله تأخذ حداً في جنة الله تعالى.

إذا توفي أحد من المؤمنين أو المؤمنات وصليت عليه، سيُكتب لي قيراط من الثواب والأجر في الجنة، وإذا شيعت الجنائز ومشييت معها سيُكتب لي قيراط من الأجر والثواب في الجنة، فيكون لي قيراطين من الأجر والثواب في الجنة إن شاء الله، قال ﷺ:

{ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ جَنَازَةً، وَلَمْ يَتَّبِعْهَا فَلَهُ قِيرَاطٌ، فَإِنْ تَبِعَهَا فَلَهُ قِيرَاطَانِ، قِيلَ: وَمَا الْقِيرَاطَانِ؟ قَالَ: أَصْغَرُهُمَا مِثْلُ أَحَدٍ } ٤٠٧

٤٠٤ الحاكم في المستدرک والطبرانی عن حبيب بن مسلمة ﷺ

٤٠٥ البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها

٤٠٦ سنن أبي داود ومسند أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما

٤٠٧ صحيح مسلم والترمذي عن أبي هريرة ﷺ

كان عليه حكم فدخل النار، لكن سيدنا النبي يشفع فيه ليدخل الجنة، فيقول ﷺ:

{ إِنِّي لأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا، وَآخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا، رَجُلٌ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ كَبُورًا، فيَقُولُ اللهُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَيَأْتِيهَا فَيُحَيَّلُ إِلَيْهِ أَهْلًا مَلَأَى، فَيَرْجِعُ، فيَقُولُ: يَا رَبِّ، وَجَدْتُهَا مَلَأَى، فيَقُولُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَيَأْتِيهَا، فَيُحَيَّلُ إِلَيْهِ أَهْلًا مَلَأَى، فَيَرْجِعُ، فيَقُولُ: يَا رَبِّ، وَجَدْتُهَا مَلَأَى، فيَقُولُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ فَإِنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا وَعَشْرَةَ أَمْثَالِهَا أَوْ إِنَّ لَكَ مِثْلَ عَشْرَةِ أَمْثَالِ الدُّنْيَا، فيَقُولُ: تَسْحَرُ مِنِّي أَوْ تَضْحَكُ مِنِّي وَأَنْتَ الْمَلِكُ، فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، وَكَانَ يَقُولُ: ذَاكَ أَهْلُ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةٌ } ٤١٠

وهذا لأدنى رجل يدخل الجنة، فما بالك بالعظماء من الأنبياء والمرسلين والصديقين وسيدنا أبو بكر وسيدنا عثمان وسيدنا عمر والصالحين ... فأين يكون هؤلاء!!؟ حتى نعرف أن الجنة واسعة سعة لا نهائية، لكن الله قرَّب المعنى لأن العرب كانوا أميين، فقال لهم:

﴿ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ :

ولم يذكر الله الطول لأن أي شيء له عرض وطول فإن الطول يكون الأكبر، فإذا كانت الجنة عرضها السماء والأرض فكيف يكون شكل الطول!!؟.

وحق عرض السماء، فكم بيننا وبين السماء!!؟ وكم عرضها!!؟ قال حضرة النبي:

{ مَا بَيْنَ سَمَاءِ الدُّنْيَا إِلَى الْأَرْضِ مَسِيرَةٌ خَمْسِ مِائَةِ سَنَةٍ، وَغَلْظُ كُلِّ مِنْهُمَا مَسِيرَةٌ خَمْسِ مِائَةِ سَنَةٍ، وَمَا بَيْنَ كُلِّ سَمَاءٍ إِلَى الَّتِي تَلِيهَا مَسِيرَةٌ خَمْسِ مِائَةِ سَنَةٍ، إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ } ٤١١

الذي يسير لمدة خمس مائة سنة كم سيسير!!؟ الكرة الأرضية لو مشاها الإنسان كما يفعل البعض لا يستغرق إلا بضعة شهور.

٤١٠ البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود ﷺ
٤١١ المطالب العالية لابن حجر والبيهقي عن أبي ذر ﷺ

فالجنة سعتها لا نهائية، ومع ذلك يقول الله فيها: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ (٤٧ الذاريات) تتسع دائماً.

دخول الجنة

هذه الجنة فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، لمن؟

﴿أَعَدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾

جهزها الله للمؤمنين الذين نحن منهم، ولذلك نسأل الله أن نكون من أهلها أجمعين.

بماذا ندخلها؟

مهما نعمل فإن الأعمال التي نعملها لو وزعها الله سبحانه وتعالى بميزان الإخلاص فقط سنجد أن أغلبها لا يصلح!!

من فينا يحضر في الصلاة من أولها إلى آخرها بدون أن يسرح أو يتوه؟!! لا يوجد، من فينا يصوم شهر رمضان ويمر عليه يوم بدون نظرة محرمة أو غيبة أو نائمة أو كذبة أو كلمة هنا أو هناك!!؟ أمر صعب، من الذي حج ولم يرفث ولم يفسق!!؟

لكن ما دمننا ننفذ كلام الله على قدر وسعنا بما أعطانا الله فالباقي على الله، لأن الله قال: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَتَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ (الأحقاف) ولذلك حضرة النبي ﷺ وأصحابه المباركين كانوا يسارعون في الطاعات، فيجتهدون في صيام الأيام الفاضلة، وقيام الليل، وتلاوة القرآن، غير الجهاد في سبيل الله الذي كان لهم فيه باع طويل، ومع ذلك قال لهم ﷺ:

{ مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يُدْخِلُهُ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ، قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: وَلَا أَنَا،

إِلَّا أَنْ يَتَّعَمِدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ } ٤١٢

إن لم يدخلنا في رحمته فقد ضعنا، وضرب لأصحابه قصة حدثت في بني اسرائيل، سيدنا جبريل يحكي لحضرة النبي فيقول:

{ يَا مُحَمَّدُ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، إِنَّ لَلَّهِ عَبْدًا مِنْ عِبِيدِهِ، عَبْدَ اللَّهِ تَعَالَى
 خَمْسَ مِائَةِ سَنَةٍ عَلَى رَأْسِ جَبَلٍ فِي الْبَحْرِ، عَرْضُهُ وَطُولُهُ ثَلَاثُونَ ذِرَاعًا فِي ثَلَاثِينَ
 ذِرَاعًا، وَالْبَحْرُ مُحِيطٌ بِهِ أَرْبَعَةَ آلَافِ فَرْسَخٍ، مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ، وَأَخْرَجَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ
 عَيْنًا عَذْبَةً يَعْزُضُ الْأَصْبَحَ، تَبْضُ بِمَاءٍ عَذْبٍ، فَتَسْتَنْقِعُ فِي أَسْفَلِ الْجَبَلِ، وَشَجَرَةٌ
 رُؤْمَانٍ تُخْرِجُ لَهُ كُلَّ لَيْلَةٍ رُؤْمَانَةً، فَتَعُدِّيهِ يَوْمَهُ، فَإِذَا أَمْسَى نَزَلَ، فَأَصَابَ مِنَ الْوَضُوءِ،
 وَأَخَذَ تِلْكَ الرُّؤْمَانَةَ فَأَكَلَهَا، ثُمَّ قَامَ لِصَلَاتِهِ، فَسَأَلَ رَبَّهُ ﷻ عِنْدَ وَقْتِ الْأَجَلِ أَنْ يَقْبِضَهُ
 سَاجِدًا، وَأَنْ لَا يَجْعَلَ لِلْأَرْضِ وَلَا لِشَيْءٍ يُفْسِدُهُ عَلَيْهِ سَبِيلًا، حَتَّى بَعَثَهُ وَهُوَ سَاجِدٌ،
 قَالَ: فَفَعَلَ، فَنَحْنُ نَمُرُّ عَلَيْهِ إِذَا هَبَطْنَا، وَإِذَا عَرَجْنَا، فَنَجِدُ لَهُ فِي الْعِلْمِ أَنَّهُ يُبْعَثُ يَوْمَ
 الْقِيَامَةِ، فَيُوقَفُ بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ ﷻ فَيَقُولُ لَهُ الرَّبُّ: أَدْخِلُوا عَبْدِي الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِي،
 فَيَقُولُ: رَبُّ، بَلْ يَعْزَمَلِي، فَيَقُولُ الرَّبُّ: أَدْخِلُوا عَبْدِي الْجَنَّةَ، بِرَحْمَتِي، فَيَقُولُ: يَا
 رَبُّ، بَلْ يَعْزَمَلِي، فَيَقُولُ الرَّبُّ: أَدْخِلُوا عَبْدِي الْجَنَّةَ، بِرَحْمَتِي، فَيَقُولُ: رَبُّ بَلْ
 يَعْزَمَلِي، فَيَقُولُ اللَّهُ ﷻ لِلْمَلَائِكَةِ: قَايِسُوا عَبْدِي بِنِعْمَتِي عَلَيْهِ وَبِعَمَلِهِ، فَتُوجَدُ نِعْمَةُ
 الْبَصْرِ قَدْ أَحَاطَتْ بِعِبَادَةِ خَمْسِ مِائَةِ سَنَةٍ، وَبَقِيَتْ نِعْمَةُ الْجَسَدِ فَضْلًا عَلَيْهِ { ٤١٣

هذه نِعَمَ أعطاها لنا الله!!!

فأنت قد تشكو من فاتورة الكهرباء، لكن لو طلب منك تسديد فاتورة إضاءة العين،
 فبكم ستكون؟! ولمن تدفعها!!!

وقد تشتكي من مصاريف التليفونات وشحنها، لكن فاتورة السمع بكم؟! ومتى يتم
 شحنها؟! وهل تعمل عند انقطاع الكهرباء أم لا!!!

كل هذه النعم تعمل ولا تنقطع، فكل عضو من أعضاء الإنسان نعمة لا يستطيع
 الإنسان أن يقوم بشكر الله عليها، لأنها نعم عظيمة من حضرة الرحمن تبارك وتعالى.

وأغلاها وأعلاها نعمة العقل!!!

فمن دون العقل ماذا يساوي الإنسان؟!؟

مَنْ الذي يثبت هذا العقل ويحفظه غير الحفيظ تبارك وتعالى؟!؟ لو اهتز هذا العقل قليلاً سيفر منك كل من حولك، لأن عقلك أصبح غير موجود.

وأغلى من كل ذلك نعمة الإيمان، والذي جعله الله سبحانه وتعالى في قلوبنا.

فبماذا سندخل الجنة؟

﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾

نسأل الله تبارك وتعالى ...

أن يوفقنا لسلك سبيل المغفرة، وللسعي إلى الأعمال التي توصلنا إلى أعلى المراتب في الجنان، وأن يرزقنا حسن الاتباع للنبي العدنان، ولا يشغلنا بالدنيا وزينتها وزخرفها عن طاعة الله نفساً أو أقل، وأن يجعلنا من عباده الذاكرين الشاكرين الحاضرين بين يديه في كل وقت وحين، وأن يحفظنا بحفظه من المعاصي والفتن ما ظهر منها وما بطن

وأن يتولانا بولايته، وينظر إلينا بعين رعايته، ولا يتخلى عنا طرفة عين أو أقل، ولا يُجوجنا إلى أحد من خلقه ما دام فينا نفس يطرق في هذه الحياة، ويحفظنا ويثبتنا حتى نخرج من الدنيا على خير، وقد خُتم لنا بالإيمان، وبرزقنا صحبة النبي العدنان ومرافقته في الجنان

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ
وَأَمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ
رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا
تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ
رَحِيمٌ ﴿٢٨﴾ (الحديد)

24. فضل الله^{٤١٤}

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي اختصنا بالإيمان، وملاً قلوبنا بنور حضرة الرحمن، وجعلنا من أتباع النبي العدنان، وبشّرنا بالفضل العظيم في الدنيا والآخرة>>

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد مصدر الرحمات، وسر كل الخيرات والبركات، وباب الهداية في الدنيا، وباب السعادة العظمى لنا يوم الميقات، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، وكل من مشى على نهجه إلى يوم الدين، واجعلنا منهم ومعهم أجمعين .. آمين آمين يارب العالمين.

ما أجمل البشريات التي ساقها لنا المولى سبحانه وتعالى في هذه الآيات>>

وهذه الآيات لنا جماعة المؤمنين، لان الله بدأ الخطاب بالنداء علينا، من الذي ينادي علينا؟ رب العزة تبارك وتعالى، الغني عن جميع من سواه، المفتقر إليه كل من عاداه، الباسط نعماءه على كل من في أرضه وسماه، ومع ذلك ينادي علينا نحن الضعفاء الفقراء المساكين نداء تعظيم ويقول لنا: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ :

نداء فيه تكريم وتعظيم لنا جماعة المؤمنين.

لأنه في التوراه كان عندما ينادي على اليهود ويقول لهم: ((يا أيها المساكين)) فانظر أين هؤلاء وأين نحن!!؟ حتى نعرف فضل الله تبارك وتعالى علينا.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ :

هناك بشريات لكم، لكن هناك أمرين يجب أن تمشوا على هدهما، وتحرصوا على تنفيذهما، فإذا فعلتم ستجدوا بشريات لا يسعنا الوقت في شرحها وبسطها لأنها من فضل الله تبارك وتعالى.

بالله عليكم! لو أننا في مجتمعنا وصلنا إلى هذا الحال فهل سيكون بيننا مشاكل أو خلافات أو سرقات أو غش أو خداع أو خيانة أو شيء من ذلك؟! لا، لكن هذا يحدث لأن الناس: ﴿ تَسُوا اللَّهَ فَاذْسَلَّهُمْ أَنْفُسَهُمْ ﴾ (١٩ الحشر).

نسي مراقبة الله، فتهياً له أنه يمشي على هواه، وأنه لا يراه إلا مَنْ حوله من خلق الله، فتضحك عليه نفسه فيغش هذا، ويخدع هذا، ويكذب على هذا، ويظلم هذا، ويؤور ليأخذ حقاً ليس له من هذا .. لأنه ليس عنده مراقبة للرقيب تمنعه من ذلك.

ولا يوجد حل للمجتمعات البشرية كلها يحل هذه المشاكل إلا هذا الحل؛ مراقبة الله، سنضع قوانين وسنشدد فيها، وسنشدد في العقوبات، لكنهم يهربون منها ويؤورون، لكن ما الذي يمنع؟ مراقبة الله تبارك وتعالى، وهذه جاء لنا بها الله لإصلاح المجتمعات والأفراد والجماعات في الدنيا.

بركات الله

إذا الإنسان مشي في الدنيا يراقب الله ويخشاه، ويعلم أن الله يطلع عليه ويراه، قد يأتيه بعض الظلمة ويقولون له: كيف ستعيش كذلك؟! إن لم تكذب وتغش وتعامل بالفهولة فإن الناس ستأكلك!! ولن تعرف أن تعيش!، لكن الله لم يقل ذلك، بل قال:

﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴾ (٢ الطلاق):

كل ضيق يضعه وراء ظهره، وكل شدة يجعل لها مخرج، وكل هم يجعل له مخرج .. وكيف سيعيش؟ ﴿ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ (٣ الطلاق).

هناك باب عام للأرزاق جعله الله للناس أجمعين، فجعل الأرض وجعل البحر، فالذي يزرع الأرض ستعطيه، ولا تسأله هل أنت مؤمن أم كافر؟! لأنه لا شأن لها بذلك، والذي ينزل البحر سيأخذ، فهذا مخرج لكل.

لكنه جعل للمؤمنين باب مخصوص يرزقهم فيه بغير حساب، كيف؟ وأين هذا الباب؟ وكيف آخذ منه؟ الأرزاق التي قدرها الرزاق كما هي، لكن تنزل عليها البركة من الكريم الخلاق، وهذا باب المؤمنين، فعندما تنزل البركة فإن القليل يصبح كثير، والصغير يصبح

كبير، ويقي الله صاحب هذا الرزق من كل مرض وداء خطير، ومن كل ما يخشى عليه من
السوء في هذه الحياة الدنيا، لأن الله ﷻ وعده أن يرزقه بغير حساب.

وهذا الباب الذي كشفه ووضحه سيدنا رسول الله ﷺ لأصحابه الكرام، فكانوا
يعيشون في هذه البركة، وهناك مئات بل آلاف الأمثلة في هذا الباب وردت عنهم في كتب
السنة، وكتب السيرة التي ذكرت سيرة أصحاب حضرة النبي ﷺ، فكانوا كلهم يعيشون في
هذه البركة.

هذه البركة تنزل نتيجة التقوى، وهل هذه البركة انتهت؟ لا، لأن الله قال لنا كلنا:
﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾
(١٩٦ الأعراف) لم يقل (لفتحنا عليهم خيرات) ولكن ﴿ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ ﴾.

مثلاً: رجل معه أولاد كثير، ومحصول القمح لم يأت له إلا بعشرة أراب مثلاً، فيقول:
هذا المحصول لن يكفي إلا عدة شهور، لكن إذا مسَّتهم بركة الكريم الحنان المنان سيكفي
السنة، وبعد السنة تجدهم كما هم لم ينقص منهم شيء أبداً، قال ﷺ:

{ طَعَامُ الْوَاحِدِ يَكْفِي الْاِثْنَيْنِ، وَطَعَامُ الْاِثْنَيْنِ يَكْفِي الْارْبَعَةَ، وَطَعَامُ الْارْبَعَةِ يَكْفِي
الْمِائِيَةَ } ٤١٦

ولن نذهب بعيداً، فقد رأينا كلنا - والحمد لله - هذه البركة مع آبائنا رحمة الله عليهم
أجمعين، لأنهم كانوا يتحرون المطعم الحلال، وفي نفس الوقت كانوا يخافون من الحرام، فكانت
النتيجة أنهم عاشوا في البركة على الدوام.

فماذا حدث في هذا الزمان؟!

الخير كثير من غير حساب، والأرزاق وفيرة، ولكن الكل يشتكي!، فلا الذي يأخذ
خمسة آلاف جنيه يكفوه، ولا الذي يأخذ عشرة آلاف يكفوه، ولا الذي عنده مائة فدان
يكفوه!! ما السبب؟! لأننا لم نمش على المنهج الذي اختاره لنا الله، ومشى عليه حضرة النبي
وصحابته المباركين رضوان الله تبارك وتعالى عليهم أجمعين.

فحل كل مشاكل المجتمع الاقتصادية في تقوى رب البرية، ونفذ ما طلبه منا من الأحكام الشرعية، وبعدها سيبارك لنا في كل شيء لنا أو حولنا.

حضرة النبي ﷺ جاء له ضيف، وهذا الضيف لم يكن قد دخل في الإسلام، وسيدنا رسول الله كان الطعام الذي يقدمه للضيوف أشياء بسيطة قد لا تملأ العين، فجاء له بطبق كبير فيه بعض الفتة، فقال الرجل: أنا أتغذى على سبعة من هذه!! فلما أسلم لم يستطع أن ينتهي من واحدة، فقال ﷺ:

{ الْمُؤْمِنُ يَأْكُلُ فِي مَعِي وَاحِدٍ، وَالْكَافِرُ يَأْكُلُ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءِ } ٤١٧

وفي رواية أخرى عن أبي هريرة ﷺ:

{ أَنْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ضَافَهُ ضَيْفٌ كَافِرٌ، فَأَمَرَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِشَاقٍ فَحَلَبَتْ فَشَرِبَ، ثُمَّ أُخْرِيَ فَشَرِبَهُ، ثُمَّ أُخْرِيَ فَشَرِبَهُ حَتَّى شَرِبَ جَلَابَ سَنَعِ شِيَاهِ، ثُمَّ أَصْبَحَ مِنَ الْعَدْرِ فَأَسْلَمَ، فَأَمَرَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِشَاقٍ فَحَلَبَتْ فَشَرِبَ جِلَابَهَا، ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِأُخْرَى فَلَمْ يَسْتَتِمَّهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " الْمُؤْمِنُ يَشْرَبُ فِي مَعِي وَاحِدٍ، وَالْكَافِرُ يَشْرَبُ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءِ } ٤١٨

انظر إلى الفارق بين الاثنين، فلا يحتاج المؤمن إلى تكميم معدة ولا غير ذلك حتى لا يأكل، ولذلك أعجب الآن عندما أجد عدد كبير من المسلمين يذهبون لعمل عملية تكميم للمعدة حتى لا يأكل كثيراً!!.

لكن يا أخي بدلاً من ذلك عليك بهدي البشير النذير ﷺ، وسيكفيك العملية والبنج وتكاليف الطبيب، وستعيش في صحة وعافية وحياة طيبة، لأن الله قال ذلك: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً ﴾ (٩٧ النحل) حياة طيبة يعني لا يمد يده لأحد، ولا يكون عليه دين لأحد، ولا عليه وصل أمانة ولا شيك لأحد، ولكن يعيش في ستر الله جل في علاه ... حتى أن الذين من حوله يتعجبون كيف يعيش هذا؟!.

٤١٧ صحيح مسلم ومسند أحمد عن جابر بن عبد الله ﷺ

٤١٨ البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ

شيء، ولن يشعر في يوم من الأيام بضيق ولا تعب ولا عناء، لأن رحمة الله سبحانه وتعالى تتولاه في كل الأنحاء وفي كل الأرجاء.

نحن كلنا نرى نصيب من رحمة الله سبحانه وتعالى معنا في صيام شهر الله؛ شهر رمضان، فرمضان عندما يأتي في شهور الصيف يكون الجو شديد الحرارة، وقد تصل عدد ساعات الصيام إلى سبع عشرة ساعة، لكن لا نحس بتعب ولا عطش ولا شيء من ذلك!! لماذا؟ لأن رحمة الله يسّرت له ذلك الأمر بفضل وإكرام الله تبارك وتعالى.

فقد يعطيه الله عدد كبير من الأولاد ويكون معه رحمة الله، فيربهم، ويكبروا، ويتزوجوا، ويكون كل واحد منهم ملء السمع والبصر، فلم يحس ولم يشعر ولم يتعب!! لأن معه رحمة الله وعناية الله تبارك وتعالى... كلما يعزم على أي طاعة يجد معونة من الله سبحانه وتعالى تأتيه فتعينه على أداء هذه الطاعة، لأنه هل فينا أحد يستطيع أن يعمل أي طاعة بدون معونة من الله؟! لا يستطيع أحد، فهو الذي علمنا وأمرنا أن نقول في كل ركعة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (الفاتحة).

لو أخذنا المعونة طرفة عين هل يستطيع أحد منا أن يعمل أي عبادة لله سبحانه وتعالى!! أبدأ، سيشعر بضيق صدر، ويشعر بتعب وملل، ولن يستطيع أن يكمل هذه العبادة!

ما الذي يشرح الصدر للطاعة ويهون العبادة؟ رحمة الله سبحانه وتعالى التي ينزلها علينا الله في حياتنا الدنيا.

وجعل لنا في الآخرة من رحمته سبحانه وتعالى ما لا يستطيع أحد وصفه، سيدنا رسول الله ﷺ تكلم عن توزيع الرحمة الإلهية فقال:

{ جَعَلَ اللَّهُ الرَّحْمَةَ مِائَةَ جُزْءٍ، فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ وَأَنْزَلَ فِي الْأَرْضِ جُزْءًا وَاحِدًا، فَمَنْ ذَلِكَ الْجُزْءِ تَتَرَا حَمُّ الْخَلَائِقِ حَتَّى تَرْفَعَ الدَّابَّةُ حَافِرَهَا عَنْ وَلَدِهَا خَشْيَةً أَنْ تُصِيبَهُ } ٤١٩

كل المخلوقات تعيش في رحمة واحدة، بها ترحم الأم وليدها، وحتى الدواب تبحث عن صغارهم وتحميمهم، وكل ذلك في رحمة واحدة، وأدخر التسعة والتسعين للدار الآخرة.

حتى أن الرحمة الواسعة في الآخرة من كثرتها وعمومها قال في شأنها النبي ﷺ:

{ إِنَّهُ لَيَرْحَمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَحْمَةً حَتَّى يَتَطَاوَلَ لَهَا إِبْلِيسُ رَجَاءً أَنْ يُصِيبَهُ } ٤٢٠

عندما يرى إبليس كثرة رحمة الله يتعرض، فرما تصيبه ويُتَقَدَّ من العذاب الذي قَدَّرَهُ له الله في جهنم والعياذ بالله تبارك وتعالى.

هذه رحمة الله سبحانه وتعالى:

{ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ } :

وهما سر تهوين الصعاب، وسر ترفيق القلوب، وسر تليين الأجسام عند التعب والعناء والمشاق .. كل ذلك من نصيبك من رحمة الله تبارك وتعالى.

٢. نور الله

العطاء الثاني: { وَجَعَلَ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ } يضع في قلبك نور تمشي به وأنت في الدنيا، ليس كنور الشمس أو القمر أو نور المصابيح، فهذه الأنوار تنير ظلمات الأكوان، ولكن هناك ظلمات أشد من ظلمات الأكوان، ما الذي يكشفها؟ لا يكشفها إلا نور الإيمان، فيمن الله عليه ويقوي في قلبه نور الإيمان، وعندما يقوى نور الإيمان يمشي في الدنيا كما قال النبي ﷺ:

{ اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ يَنْوِّرُ اللَّهُ } ٤٢١

كلما يُعرض عليه أمر يُسلط عليه نور الإيمان فيعرف الطيب من الخبيث، والحسن من السيء، والضلال من الهدى، والمكر والخداع من النية الطيبة ... يكشف له الله أموره كلها، فيمشي على نور من الله، ويدخل في قول الله: { أَوْمَنَ كَانَ مِيتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا

٤٢٠ الأربعة في فضل الرحمة والراحمين لابن طولون الصالح عن أبي هريرة ﷺ

٤٢١ جامع الترمذي والطبراني عن أبي سعيد الخدري ﷺ

يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ ﴿١٢٢﴾ (الأنعام) يمشي بهذا النور بين الناس كالصحابة الكرام، وكالأولياء والصالحين أجمعين.

سيدنا أبو بكر رضي الله عنه وأرضاه لم يكن عنده بنات غير السيدة عائشة زوجة النبي صلى الله عليه وسلم، والسيدة أسماء وكانت متزوجة من الزبير بن العوام، والسيدة عائشة لأنها لم تُنجب ولم يكن لها أحد يرعاها كتب لها سيدنا أبو بكر حديقة خاصة بها، وعندما أحسَّ أنه سيلقى الله سبحانه وتعالى دعاها وطلب منها أن ترد الحديقة مرة أخرى لتوزع على الورثة، وقال لها: إنما هما أخواك وأختك، قالت: يا أبت ليس لي إلا أخت واحدة، فقال لها: زوجتي حامل وأظن أن ما في بطنها أنثى!!.

هل هذا الرجل معه سونار؟! معه أقوى من السونار، لأن معه نور الواحد القهار سبحانه وتعالى، وبعد ستة شهور من انتقاله للرفيق الأعلى ولدت زوجته بنتاً.

سيدنا عمر رضي الله عنه كان واقفاً على المنبر، وأثناء الخطبة قطع الخطبة وقال: (يا سارية الجبل) فتعجب الناس وقالوا: بيننا وبين سارية أربعة آلاف كيلو!! لماذا قال ذلك؟! وسيدنا عمر كان له هيبة فلم يكلموه، فذهبوا إلى سيدنا علي وقالوا له: ما رأيك فيما حدث من عمر؟ قال: نسأله فهو أعلم بمخرجه، حتى لا يخوض أحد في ذلك، فسألوه عن ذلك، فقال: وأنا على المنبر رأيت سارية وجيشه في القتال وخلفهم جبل، وهناك فرقة من العدو جاءت من وراء هذا الجبل لتهاجمهم من الخلف، فناديت عليه!!.

فأرادوا أن يتثبتوا، فسجلوا التاريخ، وقالوا عندما يأتي بشير النصر نسأله، فلما سمعوا بقدوم البشير وقبل دخوله المدينة خرجوا ليقابلوه قبل أن يلاقي عمر، فسألوه عن الذي حدث؟ فقال: نصرنا الله، فقالوا: في أي ساعة؟ قال: في ساعة الجمعة وحددها لهم، وقال: حدث شيء غريب، فقد سمعنا صوتاً يشبه صوت عمر يقول (يا سارية الجبل) وكان هذا سبب نصرنا في هذه المعركة لأننا وجدنا العدو خلفنا!!، فعلموا أن عمر بن الخطاب ينظر بنور الله.

انظر إلى حدود البصر!! وانظر إلى الصوت كيف وصل إليهم بدون هاتف أو غيره!! لكن هذا لأن الله قال:

﴿ وَجَعَلَ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ ﴾.

بعض المسلمين في زمننا هذا لا يريد أن يرتقي ليكون معه النور الذي سيستلمه من خالقه وباريه، فيصيب مرة، ويخطيء مرات.

لكن الإنسان لو اتقى الله ومشى على هدي حبيب الله ومصطفاه حتى يأخذ هذا النور من الله سيمشي في الدنيا كما ينبغي، لأن طريقه سيكون منيراً على الدوام، فإذا أراد أحد أن يضحك عليه تظهر له في وجهه علامات تدل عليه: ﴿ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَتِهِمْ ﴾ (٣٠مخ) وإذا أراد أحد أن يخدعه في الكلام يظهر له بالنور أنه يخدعه: ﴿ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ ﴾ (٣٠مخ).

قد يقول البعض هذا لرسول الله؟! لكن هناك رجال قال فيهم الله:

﴿ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كَلِمًا سِيمَتُهُمْ ﴾ (٤٦ الأعراف) يرون بنور الله الذي

أعطاه لهم الله سبحانه وتعالى.

ذهب رجل ليقابل سيدنا عثمان وكان خليفة المسلمين، وهو في طريقه لسيدنا عثمان كانت هناك امرأة تمشي أمامه فكشفت الرياح ساقها، فنظر إليها نظرة بشهوة، فدخل على سيدنا عثمان، فقال له سيدنا عثمان: أما يستحي أحدكم أن يدخل عليّ وفي عينيه أثر الزنا!! لأن النبي ﷺ قال:

{ فَالْعَيْنَانِ تَزْنِيَانِ، وَزِنَاهُمَا النَّظْرُ } ٤٢٢

قال الرجل: أوحى بعد رسول الله يا أمير المؤمنين؟! قال: لا، ولكنها فراسة المؤمن،

أما سمعت قول النبي:

{ اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ } ٤٢٣

المؤمن الذي يعيش في الدنيا ومعه مقام الفراسة فيها هنا، لأن الله ينير له كل أموره في

هذه الحياة: ﴿ وَجَعَلَ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ ﴾ والحكايات في هذا المجال كثيرة، ونكتفي بما

٤٢٢ مسند أحمد والبيهقي عن أبي هريرة ﷺ

٤٢٣ جامع الترمذي والطبراني عن أبي سعيد الخدري ﷺ

الاستغفار والتوبة إلى حضرة الغفار في ليل ولا نهار، لأني لا أعرف ذنوبي التي عملتها، فقد أكون عملت ذنباً وأنا لا أدري وتم إثباته عليّ، لذلك أداوم على الاستغفار لله سبحانه وتعالى، ولو داوم الإنسان على الاستغفار فإن كل الغلاء والوباء والمشاكل التي تحدث في الدنيا سيعافيه الله منها: ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ (الأفال) ماداموا يستغفروا فليس لهم نصيب من عذاب الدنيا، كالههم والغم والبلاء والغلاء وغير ذلك، قال:

{ إِنَّ لِلَّهِ عِبَادًا يُخَيِّمُهُمْ فِي عَافِيَةٍ، وَيُمِثُّهُمْ فِي عَافِيَةٍ، وَيَبْعَثُهُمْ فِي عَافِيَةٍ،
وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ فِي عَافِيَةٍ } ٤٢٥

وقال في حديث آخر:

{ طُوبَى لِلْمُخْلِصِينَ، أُولَئِكَ مَصَابِيحُ الدُّجَى تَتَجَلَّى عَنْهُمْ كُلُّ فِتْنَةٍ ظَلَمَاءَ } ٤٢٦

هؤلاء المتقين تمر بهم الفتن كقطع الليل المظلم وهم منها في عافية، يعيشون في عافية، ويموتون في عافية، ويبعثون في عافية، وليس لهم شأن بكل ما يحدث لأن الله تولاهم ورعاهم بسبب دوام الاستغفار لحضرة الكريم الغفار سبحانه وتعالى.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يغفر لنا ذنوبنا ما قدمنا منها وما أخرنا، ما أسرنا منها وما أعلننا، ما أظهرنا منها وما أبطننا، وأن يجعلنا من عباده النوابين المتطهرين، وأن يتولانا بولايته، ويرعانا برعايته، ويديم علينا ستره وغطاءه في الدنيا، ويفتح لنا كل كنوز فضله وخيره وبره وعطاءه في الآخرة، ويجعلنا في صحبة النبي الحبيب وأصحابه الكرام؛ نحن وأولادنا وبناتنا وزوجاتنا وأحفادنا أجمعين

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

٤٢٥ معجم الطبراني عن أبي مسعود الأنصاري

٤٢٦ شعب الإيمان للبيهقي عن ثوبان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ اللَّهُ
لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ
قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾ لَا تَجِدُ قَوْمًا
يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ
إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ
كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ

بِرُوحٍ مِّنْهُ ^ط وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ^ج
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ^ج
أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ
هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٣٢﴾ (المجادلة)

٢٥. حزب الله المفلحون^{٤٢٧}

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - الحمد لله الوهاب الرزاق الكريم، والشكر لله الفتاح العليم، والصلاة والسلام على سيد رسل الله وأنبيائه، وخاتم أنبياء الله وأصفيائه، سيدنا محمد وآله وصحبه وكل من اهتدى بهديه إلى يوم الدين، وعلينا معهم أجمعين .. آمين آمين يا رب العالمين.

اليقين في نص الله للمؤمنين

أهل الإسلام وأهل الإيمان يجاربون في كل زمان ومكان..

فالكافرون والمشركةو لا يستريحون إلا بجلب الأذى للمسلمين ...

وأحياناً بعض المؤمنين الذين يكون في إيمانهم ضعف يشك في نصر الله لعباده المؤمنين، وفي إذلال الله سبحانه وتعالى إن آجلاً أو عاجلاً لهؤلاء الكافرين، ولذلك قرر الحق هذه الحقيقة في أكثر من موضع من كتاب الله حتى نتيقن أن الله ينصر رسله والذين آمنوا:

﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ (٥١ غافر).

لو قال (إنا لننصر رسلنا) فقط، سنقول أن النصر خاص بالمرسلين، لكن الله شمل معهم المؤمنين في كل زمان ومكان، ولكي لا يحدث لبس عند بعض القوم، ويظن أن النصر هو النجاة والفلاح في الدار الآخرة فقط، قال الله: ﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ ﴾ (٥١ غافر).

فكل مؤمن يُوقن في كلام الله جل في علاه ..

مهما كان حال المسلمين من الضعف، ومهما كان المسلمون مفرقين أو مبعثرين، ولا بد أن تعلم علم اليقين أن الله سيغير ذلك في طرفة عين أو أقل ليكون في النهاية النصر للمسلمين على الكافرين والمشركين في أي زمان ومكان.

وعد الله بإذلال الذين يخاربون المسلمين

وتعلم علم اليقين قول الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ يعني الذين يحاربون الله ورسوله، هؤلاء لا بد أن يكون مصيرهم في النهاية: ﴿أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ﴾ وهذه الآيات جاءت مع الواقع الذي نراه، فالكافرين الآن متعالمين لأن معهم بعض الأسلحة، والله ﷻ أملى لهم، وغرهم بالخيرات التي ملأ بها بلادهم، وألهمهم بالمخترعات الجهنمية التي ستكون في النهاية وبالاً ونكالاً عليهم: ﴿تُخْرَبُونَ بِمُؤْتَمِرَاتٍ بِيَدَيْهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الحشر) ففي النهاية سيكونون كلهم: ﴿أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ﴾ لا بد وأن يُذلهم ربنا تبارك وتعالى.

لم يظهر غتاة في التاريخ كالمغول، فقد اجتاحوا العالم كله، من الذي أوقفهم عند حدودهم؟ المسلمون أهل مصر، وليس هذا فحسب، فدائماً الغالب حضارته تُسيطر على المغلوب، لكن سبحان الله!! انقلبوا كلهم مسلمين يدافعون عن دين الإسلام.

كل الجمهوريات الروسية التي في الجنوب مثل تركمنستان وأوزبكستان وأفغانستان.. هذه كلها مواطن المغول، ولكنها أصبحت بلاداً إسلامية، وهذا شيء يتعجب له علماء التاريخ، لأنه ظاهرة غير عادية..

فدائماً المغلوب يُقلد الغالب، لكن كيف لمغلوب أن يأسر الغالب ويحوّله عن دينه ويجعله يدخل في دين الإسلام؟! هذا لنعرف أن دين الله سبحانه وتعالى يعملوا ولا يعلى عليه.

أوروبا كلها قامت وجمعت جيوشاً لا عدّها لها ولا حدّها لها، وكلما يأتي جيش وينكسر يرسلوا غيره، فكل أوروبا كانت موحدة ضد المسلمين، وجاءت في الحملات الصليبية، وفي النهاية أيضاً نصرنا الله عليهم وتحول معظم من جاء عندنا هنا إلى الديانة الإسلامية، حتى أنهم أوقفوا الحرب خوفاً من دخول آخرين إلى الإسلام.

والتاريخ الآن يُعيد نفسه، فقد تجمعت الآن أمريكا وأوروبا، وهمهم كله أن لا تكون هناك قائمة للمسلمين، ويأتون بأسباب واهية، العراق فيه ذرة، ولم يكن عنده ذرة ولا شيء، ولكن ليضربوه، ويقولون: سوريا فيها كيماوي، ولا يوجد كيماوي، وليس معهم دليل، لكنهم يريدون تدمير القوات الباقية في سوريا التي انتصرت على اليهود في حرب ١٩٧٣، وبعد ذلك يتحولوا على مصر.

الغلبة لله ولن سوله وللمؤمنين

لكن كما قال الله: ﴿ كَتَبَ اللَّهُ لَأَعْلَيْنَ أَنَا رُسُلِي ﴾ كتب الله ﷻ في لوحه المحفوظ، وفي قدره الأزلي أنه لا بد أن تكون الغلبة للأنبياء والمرسلين والمؤمنين التابعين لهؤلاء النبيين:

﴿ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ قوي لا يقف أمام قوته أحد، لأن الأسلحة الإلهية لا يوجد في الأسلحة البشرية من يستطيع مقاومتها أو مواجهتها، فلو سلط عليهم كما سلط على الأحزاب في عصر النبي الرياح، من الذي يقاومها؟! ولو سلط عليهم الأعاصير في البحر، من الذي يدفعها؟! ولو سلط عليهم الزلازل والبراكين، من الذي يمنعها؟! لو أنزل في قلوبهم الرعب، وكان معهم أعتى الأسلحة وأقوى المعدات، فلن يقدرُوا أن يستعملوا المعدات ولا الآلات!!.

أسلحة إلهية لا عد لها ولا حد لها، وإياك أن تغتر يا أخي المسلم عندما تسمع أن عندهم أسلحة ذرية أو هيدروجينية أو أسلحة ذكية .. كل هذا لن يصل إلى قوة سلاح واحد من الأسلحة الربانية الإلهية.

والله سبحانه وتعالى يُعطينا الأدلة، فقد مات في الأعاصير التي هبت على أمريكا أكثر ممن مات في حرب سوريا والعراق، ماذا فعلت أمريكا بقوتها وبأسلحتها ومعداتها مع هذه الأعاصير؟! لا شيء، لأنها أسلحة إلهية يُسلطها الله سبحانه وتعالى على من يشاء، ولا يستطيع أحد مهما أوتي من قوة دفعها ولا منعها، وهذه دائماً الأسلحة التي يُعين الله بها المؤمنين، ولكن متى؟ عندما يَقُومُوا صلاحهم برب العالمين، ويستغيثوا بصدق ويقين من الله سبحانه وتعالى، فتأتي الإغاثة التي لا يستطيع أحد ردها ولا صدّها: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَكَةِ مُرَدِّفِينَ ﴾ (الأنفال) وفي الآية الثانية: ﴿ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آئِ مِّنَ الْمَلَكَةِ مُنَزَّلِينَ ﴾ (١٢٤ آل عمران).

المهم أن الإنسان يصل حبله بمولاه، ويقوي صلته بحضرة الله، حتى إذا سأل ربه تبارك وتعالى يُلبيهِ ويُغيثه في الوقت والحال سبحانه وتعالى لأنه ﴿ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ والعزيز يعني الذي لا يستطيع أحد مسّه، ولا يستطيع أحد الاقتراب من مقام هيئته، ولا يستطيع أحد أن يُنزل

به ضُرٌّ أو بأسٌ، فالله سبحانه وتعالى هو العزيز.

وهذه العزة أعطاها لنا، العزة كما قال في القرآن: ﴿ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ (النساء ١٣٩ النساء) كلها لله، ولكن من فضله ومن كرمه من يتصل بالعزيز يكون عزيزاً: ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (المنافقون) فيُعزُّ الرسول، ويُعزُّ المؤمنون إذا اعتصموا به واتصلوا به قلبياً في كل وقتٍ وحين.

نصرة الله لرسوله ﷺ

سيدنا رسول الله ﷺ نصره الله بهذه الأسلحة، لكي نعرف ونتيقن من امداد الله لرسوله وأنبيائه وأتباعهم، فالعرب كلهم جنوداً جيوشهم وأحاطوا بالمدينة في غزوة الأحزاب، أو غزوة الخندق، كل الأحزاب تجمعوا وقالوا حتى تنتهي من المسلمين، واتفقوا مع اليهود الباقين داخل المدينة أن يتخلوا عن المعاهدة التي عقدها مع حضرة النبي ﷺ ويكونوا معهم.

فماذا حدث؟ مكثوا يومين، وأصحاب حضرة النبي ﷺ - لأنهم كثير - كان لكل جماعة منهم مسجد يصلون فيه مع بعضهم، فلا يجتمعون للصلاة ويتكلمون مواقعهم، وفي يوم الأربعاء صلى النبي العصر في مسجد سموه مسجد الفتح، لأن به جاء فتح الله سبحانه وتعالى، وبعد الصلاة قال:

{ اللَّهُمَّ مَنْزِلَ الْكِتَابِ، سَرِيعَ الْحِسَابِ، مُجْرِيَ السَّحَابِ، اهْزِمْنَهُمْ وَزَلِّزْلَهُمْ

٤٢٨

وفي هذه الليلة فوجئوا بريح شديدة جداً اقتلعت خيامهم، والخيل والجمال المربوطة فُكَّت حبالها وأخذت تجري، والنار التي أوقدوها ليُطهروا عليها الطعام انطفأت، فلم يعد أحدٌ منهم يرى من أمامه، حتى أنه زوي أنهم أمسكوا بالسلح وأخذوا يضربون بعضهم، لأن كل واحد منهم يظن أن الآخر مسلم، وكذلك الآخر يظن أن الأول مسلم لأنه لا يراه.

وعند الصباح مشوا وتركوا المدينة بعد أن زلزمهم الله وهزمهم بهذه الريح الشديدة التي

نزلت من عند الله سبحانه وتعالى.

وكذلك الروم، فقد كان ملك الروم يملك من أول تركيا حتى فلسطين، وكل هذه كانت مملكة تابعة للدولة الرومانية، وعاصمتهم كانت دمشق، فكوّن جيشاً من أربعين ألف مقاتل، وأرسل حضرة النبي يُهدده ويتوعده أنه سيرسل هذا الجيش لِيُنهي عليه وعلى كل من معه.

فحضرة النبي ﷺ نادى في أصحابه وتجهّز، وكان بين المدينة وبين المكان الذي كانوا فيه مسيرة شهر سفر، فبمجرد أن بدأ السفر من المدينة، وكان معه حوالي اثني عشر ألفاً، والروم بمجرد أن سمعوا أن النبي خرج إليهم حلّوا خيامهم، وتركوا الميدان فارغاً، وكان هذا المكان في الأردن الآن في جنوب بلاد الشام، فقال ﷺ:

{ نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ } ٤٢٩

الصاروخ الذي يُطلق قد يُصيب الهدف، وقد لا يصيبه، لكن صاروخ الرُّعب الذي ينزل من عند ملك الملوك ينزل في قلب الكافر ولا يُخطئه: ﴿ وَقَدَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ ﴾ (٢٦ الأحراب).

هذه الصواريخ نازلة من عند الله، وهل يوجد دولة من الدول الموجودة حالياً إن كانت روسيا أو أمريكا وغيرها تستطيع أن تصنع سلاح الرُّعب هذا؟! من الذي يملكه؟ المؤمن المتقين، إذا اتقوا الله وكان بينهم وبين الله صلةً مباشرة، فيؤيدهم الله ﷻ بنصره، ويُنزل الرُّعب في قلوب أعدائهم: ﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَأَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ (١٢ الأنفال) فثبتتهم وثلثوا في نفوس الآخرين الرُّعب.

سيدنا رسول الله ﷺ عندما أراد فتح مكة سنة ثمان هجرية، وأراد أن يفتحها بدون سفك دماء ولا حرب ولا قتال، لأنه رءوف رحيم!، وطلب من أصحابه عدم إبلاغ أحد أننا ذاهبين لمكة، وكان ﷺ إذا خرج إلى غزوة يورّي بغيرها، والحرب خُدعة، فذكر أنه ذاهب لخير، وليس مكة لأن الحرب خُدعة، ودعا الله فقال:

{ اللَّهُمَّ خذِ الْعُيُونَ وَالْأَخْبَارَ عَنْ قُرَيْشٍ حَتَّى نَبْعَثَهَا فِي بِلَادِهَا } ٤٣٠

والعيون هم الجواسيس، يعني أعمى الجواسيس حتى لا يرانا أحد من كتائب الاستطلاع ويعرف خط سيرنا.

واحد من أصحاب حضرة النبي ﷺ من أهل بدر، وأهل بدر لهم منزلة كبيرة عند الله وعند رسول الله، وكان تاركاً عياله في مكة، فكتب رسالة، وأتى بجارية وأعطاهَا الرسالة، وقال لها: إن أوصلت هذه الرسالة لمكة فأنتي حرة لوجه الله.

ماذا في هذه الرسالة؟ يُخبر أهل مكة أن حضرة النبي متوجه إليهم لغزوهم، وهذه نسميها خيانة عظمى، لأنه يكشف سر النبي لأعداء النبي!!

وبمجرد أن خرجت الجارية نزل سيدنا جبريل على سيدنا رسول الله ليخبره بذلك، فأمر النبي ﷺ علي بن أبي طالب والزبير بن العوام والمقداد ليلحقوا بها، فسألوه أين هي يا رسول الله؟ فنظر بنور الله وقال:

{ انطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاخ } ٤٣١

مكان اسمه روضة خاخ خارج المدينة، فأسرعوا إلى هناك فوجدوا هذه الجارية، فقال لها الإمام علي: هات الرسالة التي معك، قالت: ليس معي شيء، فقال لها سيدنا علي: والله ما كذبتنا ولا كُذِّبنا، لأن الذي أخبرهم هو الصادق الأمين عن رب العالمين!!، قالت: ليس معي شيء، فقال لها: إما أن تُخرجي الرسالة أو لنكشفنَّ سوءتك - يعني سئورك وفتشك - فكشفت غطاء رأسها وكانت واضعة الرسالة في شعرها، ومضفرة شعرها عليها، حتى لا يعرفها أحد.

فأخذوا الرسالة ورجعوا إلى حضرة النبي ﷺ، فدعا الرجل الذي أرسلها وكان اسمه سيدنا حاطب بن بلتعة ﷺ، فقال له:

{ مَا هَذَا يَا حَاطِبُ؟ قَالَ: لَا تُعْجَلْ عَلَيَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي كُنْتُ امْرَأً مِنْ قُرَيْشٍ وَلَمْ

٤٣٠ تاريخ الطبري عن المسور بن مخرمة ﷺ
٤٣١ البخاري ومسلم عن علي بن أبي طالب ﷺ

أَكُنْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، وَكَانَ مِنْ مَعَكَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ لَهُمْ قَرَابَاتٌ يَحْمُونَ بِهَا أَهْلِيهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِمَكَّةَ، فَأَخْبَبْتُ إِذْ فَاتَنِي مِنَ النَّسَبِ فِيهِمْ أَنْ أَصْطَبِعَ إِلَيْهِمْ يَدًا يَحْمُونَ قَرَابَتِي وَمَا فَعَلْتُ ذَلِكَ كُفْرًا وَلَا ارْتِدَادًا عَنْ دِينِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكُمْ، فَقَالَ عُمَرُ: دَعْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَضْرِبْ عُنُقَهُ، فَقَالَ: إِنَّهُ شَهِدَ بَدْرًا وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ ﷻ أَطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ، فَقَالَ: اْعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ، قَالَ عُمَرُ: وَنَزَلَتْ فِيهِ: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ ثَلِقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمُودَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ " {٤٣٢}

كان هذا الرجل من أهل بدر، وهؤلاء حفظهم الله، وقد أرسل الرسالة، ولكن الأمر قد كشف فلماذا يُحاسب؟!.

موداة المؤمنين

فنزل قول الله تعالى كما ورد في بعض الروايات: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ المؤمن يعقد القلب أن لا يودُّ إلا المؤمنين الصادقين، والمودة يعني الصلة المستمرة، وهذه ليس لها شأنٌ بالمعاملات الثانوية، يعني معي زميلي في العمل غير مسلم، فيجب أن أهنئه بفرح، أو أعزبه في وفاة، فهذا شيء ثانوي.

لكن المودة أن أجالسه على الدوام، وأزوره ويزروني على الدوام، ويكون بيننا وبين بعضنا علاقات مستمرة، فهذا بين المؤمنين.

أما العلاقات الثانوية فالإسلام لم يحرمها، لماذا؟ ليكون بيننا وبين أهل ذمتنا معاملة طيبة تُكسبهم حُسن الأحداث عن المسلمين، ويروا جمال أخلاق المؤمنين، وهذا السبيل الوحيد الذي يدخلون به إلى دين الله سبحانه وتعالى، لكن لو عاديته فهل يبحث عن الإسلام أو يبحث عن المسلمين؟! لا، بل سيعاديني!!.

٤٣٢ البخاري ومسلم عن علي بن أبي طالب ﷺ

إذا يعقد المؤمن قلبه أن لا يودُّ إلا المؤمنين الصادقين كما قال الله: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (١١٩ التوبة) لكن لو أن أصدقائي مسلمين، وكلما جلستُ معهم يكون حديثنا في القيل والقال، أو الغيبة، أو النميمة، أو سيرة الناس، وهذا الكلام الذي لا يفيد، فهانا الله عن ذلك: ﴿فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (٦٨ الأنعام).

مجالس المؤمنين الصادقين

فأنت لو جلست مع جماعة، وأطلتكم ولم تذكروا الله ولو مرة، ولم تأتوا ولو بآية من كتاب الله في الحديث، ولم تأتوا ولو بحديث واحد عن رسول الله، فإن حضرة النبي يقول في هؤلاء:

{ مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فَتَفَرَّقُوا عَنْ غَيْرِ ذِكْرِ اللَّهِ، إِلَّا كَأَنَّمَا تَفَرَّقُوا عَنْ حَيْفَةِ حِمَارٍ، وَكَانَ ذَلِكَ الْمَجْلِسُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً }^{٤٣٣}

وفي رواية أخرى:

{ مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ ثُمَّ تَفَرَّقُوا مِنْ غَيْرِ ذِكْرِ اللَّهِ وَصَلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، إِلَّا قَامُوا عَنْ أَثْنِ مِنْ حَيْفَةٍ }^{٤٣٤}

تخرج منهم رائحة نتنة حتى تبلغ عنان السماء، فإذا جلسنا معاً فلا بد أن يكون حديثنا عن كتاب الله، أو عن سيرة رسول الله، أو عن الصحابة البررة الكرام، أو عن أحكام شريعة الإسلام .. حديث طيب لكي نستفيد ونُعين بعض على طاعة الله ﷻ.

فإذا وجدتُ الحديث قد تغيَّرَ إلى الجوانب الأخرى التي أشرتُ إليها، وحاولتُ تغييرهم فلم أستطع؛ أستاذن بلطف وأدب وأتركهم، لماذا؟ ﴿فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (٦٨ الأنعام).

أصبح في مصر الناس كلهم تقريباً خبراء في السياسة، وخبراء في الاقتصاد، ونقاد

٤٣٣ مسند أحمد وأبي داود عن أبي هريرة ﷺ
٤٣٤ شعب الإيمان للبيهقي عن جابر بن عبد الله ﷺ

رياضيين على درجة عالية، ونقاد فنيين للأفلام والمسلسلات، فكلما جلسوا مع بعضهم يتكلمون في هذه الأمور، وتحدث مهاترات، وتحدث منازعات ومجادلات!!.

لماذا هذا كله؟! هل نحن عندنا وقت لهذا الكلام؟! أعمارنا كم فيها لنضيعها هنا وهناك؟! أغلى شيء عندك أنفاسك التي تتنفسها، وكل نفس تضيعه في غير طاعة الله تندم عليه وأنت خارج من هنا وتقول: ﴿يَحْسَرَتُنِي عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾ (٥٦ الزمر) لماذا كنت أضيع العمر في الكلام الذي لا ينفع ولا يفيد؟!!.

ماذا فيها لو أحرك اللسان بذكر الله، والاستغفار؟! ليس في ذلك تعب، ولا تحتاج إلى مقويات ولا إلى مال لتذكر الله وتستغفره!!، سيدنا عمر يقول: (لو نزلت صاعقة من السماء، ما نزلت على مستغفر لله تبارك وتعالى) لأن الله قال ذلك: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ (٣٣ الأنفال).

ماذا فيها لو أقرأ ما تيسر من كتاب الله؟! فإذا لم أكن أحفظ، يكفيني قراءة أم الكتاب، وأعيد فيها وأردد فيها، أو أسمع، والقارئ والسامع في الأجر شريكان، المهم أن المسلم لا يشغل وقته إلا بما ينفعه في الدنيا، أو يرفعه في الدار الآخرة: ﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا بِاللَّهِ﴾ (٣٩ النساء) لكن نفوسنا تضحك علينا، ونضيع الوقت في السهر والسمر والمقت والعياذ بالله تبارك وتعالى.

روح الإيمان

لكن المؤمن الذي يعقد العزم أن لا يجالس إلا الصادقين، ولا يود إلا المتقين، وليس له شأن بالآخرين، فماذا يكون له عند الله تبارك وتعالى؟ ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾ الله ﷻ يكتب بذاته الإيمان في قلبه، وما دام كتب الله الإيمان في قلبه فثبت إيمانه، وهو خارج من الدنيا يخرج على الإيمان، وعند سؤال الملكين يثبت على الإيمان: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ (٢٧ إبراهيم).

وماذا أيضاً؟ ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ يجعل عنده روحانية وشفافية نورانية تدفعه إلى العمل الصالح وصالح العمل، فتجده يشقاق دوماً إلى القيام بين يدي الله في جُح الظلام،

ويحرص على صلاة الفجر في وقتها، ولو كان حتى مُتعباً وفاتته صلاة يحزن ويظل طوال يومه حزيناً لأنه فاتته صلاة الفجر في هذا اليوم، ويجد عنده رغبة شديدة في تلاوة كتاب الله، وشوق شديد إلى زيارة بيت الله.

هذه الروح التي تأتيه من عند الله تُعلي همته إلى الطاعات والنوافل والقربات، وتجعله يتنافس وينافس في ذلك في الحياة الدنيا ليكون من السعداء يوم الميقات في جوار حضرة النبي وصحبه المباركين ﷺ، ورضوان الله تبارك وتعالى عليهم أجمعين.

ضمان الجنة

وماذا أيضاً بعد ذلك؟ ﴿وَيَدْخُلُهُمْ جَنَّتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ يضمن دخول الجنة، لأن الجنة لا يدخل فيها أحدٌ بمفرده، عكس جهنم فكل واحد يدخل بمفرده: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا نُورًا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوْلَ مَرَّةٍ﴾ (١٩٤ الأنعام) لكن الجنة: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا﴾ (٧٣ الزمر) زُمراً يعني جماعات.

فكل جماعة كانوا مع بعضهم في الدنيا يكونون مع بعضهم في الجنة: ﴿يَوْمَ تَحْشُرُهُمُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ (٨٥ مريم) يعني جماعة، قد يكون أحدهم في الدنيا خدعه الشيطان مرة أو مرات وقصّر بعض الشيء، فيأتون على باب الجنة، ويسأل أحدهم كما ورد في بعض الأثر: (أن العبد يؤمر به إلى الجنة فيقول: يا رب أين أخي فلان الذي كان يجلس معي في الدنيا؟ فيقول له الله: إنه لم يعمل بمثل عملك؟ فيقول: يا رب إني كنت أعمل لي وله، فيقول له الكريم ﷻ: خذ بيد أخيك وادخلا معاً الجنة)!!.

فدخول الجنة يكون جماعات، لنعرف أن الجماعة والحرص على الجماعة مطلوب، لنكون جماعة هنا، ونكون جماعة هناك، فنبحث عن بعضنا وكما يقولون: (الناجي يأخذ بيد أخيه) إذا لم يجد أخيه يبحث عنه حتى يكون معه، والله ﷻ يأذن له في ذلك، وقد قال ﷻ في هذا الباب:

{ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَقُولُ فِي الْجَنَّةِ مَا فَعَلَ صَدِيقِي فَلَانَ؟ وَصَدِيقُهُ فِي الْجَحِيمِ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَخْرِجُوا لَهُ صَدِيقَهُ إِلَى الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ مَنْ بَقِيَ: " فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ وَلَا

صَدِيقِ حَمِيمٍ " { قَالَ الْحَسَنُ: اسْتَكْبَرُوا مِنَ الْأَصْدِقَاءِ الْمُؤْمِنِينَ، فَإِنَّ لَهُمْ شَفَاعَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ^{٤٣٥}.

هؤلاء لو دخلوا الجنة لفترة معينة، كمائة سنة أو مائتين سنة فلن يطمئنوا، لكن الله يريد أن يطمئنهم، فقال: ﴿ جَنَّتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ﴾ (٢٢ المجادلة) لن يطردك أحد منها، فيكونون خالدين فيها أبداً.

مقام الرضا

والشيء الأعظم من ذلك، والأعلى من ذلك، والأرفع من ذلك في المقام الرابع: ﴿ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ ما هذا الهناء؟! يرزقهم الله مقام الرضا، ومن رضي عنه الله فيا هناءه، والله لا يرضى إلا من رضي عن أحكام شرعه، وفعلها في الدنيا وهو فرح ومستبشر، لا عن كراهة، ولا عن غضاضة، وإنما يفعلها بمحبة، وبمزيد إقبال على الواحد المتعال ﷻ.

ثم وضعهم الله في حزبه: ﴿ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ ﴾ وحزب الله يعني المحبين لله، سيدخلون في المحبين لله سبحانه وتعالى: ﴿ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾.

هبة أصحاب النبي

ولذلك أصحاب حضرة النبي مشوا على هذا العهد، وهذه الآيات نزلت فيهم:

﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾

ففي غزوة أحد سيدنا أبو عبيدة بن الجراح فوجئ بأبيه في صفوف الكفار، وممسك بالسيف ويريد قتل المسلمين، فذهب بنفسه وقتل أباه حتى يعرف الله تبارك وتعالى والمؤمنين أنه ليس عنده هودة لكافر لا يؤمن بالله تبارك وتعالى.

وكانوا في مثل هذه الأمور حريصين على أمر، فلو أن مسلماً قتل أحد من أهل

^{٤٣٥} معالم التنزيل تفسير البغوي عن جابر بن عبد الله ﷺ

أحدهم قد يظل بينهما غضاضة، فيحرص أن يقتله هو حتى يظل منشراح الصدر مع إخوانه المسلمين!!، وانظر إلى نيتهم كيف كانت!! نية عظيمة وكريمة.

وفي غزوة بدر سيدنا أبو بكر رضي الله عنه وجد ابنه عبد الرحمن في صفوف الكافرين فأراد أن يقتله، فاستأذن رسول الله حتى يكون في الفوج الأول الذي يدخل الجنة، فلم يأذن له النبي صلى الله عليه وسلم وقال له:

{ مَتَّعْنَا بِنَفْسِكَ ٤٣٦ }

وفي غزوة أحد سيدنا مصعب بن عمير رضي الله عنه وجد شقيقه من الأم والأب في صفوف الكافرين ويتعرض له، فعجله بضربة فقتله، ووجد أخاً له قد أسره نفر من الأنصار، وقد قيده، فقال: استوصوا به خيراً فإن أمه غنية وستفديه بمالٍ كثير، فقال له: أهذه وصاتك بأخيك؟ قال: لست أخي فالإسلام فرق بيننا!!.

لأن الأخوة عندنا: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ (الحجرات) بعد أخوة الإيمان نطرح أخوة الأبدان إلا إذا كانت الأبدان معها أخوة الإيمان، فيكون الأخوين قد جمعا بين الحسينيين.

سيدنا حمزة، وسيدنا علي بن أبي طالب، وسيدنا عبيدة بن الحارث، هؤلاء من عائلة النبي صلى الله عليه وسلم، فخرج ثلاثة من فرسان الكفار يدعون للمبارزة، فخرج لهم ثلاثة من شباب الأنصار، وقالوا: نخرج لهم، فمنعهم النبي صلى الله عليه وسلم، وأمر حمزة وعلي وعبيدة أن يخرجوا لهم، فقتلوهم، مع أنهم من عشيرتهم!! لكن إذا دخل الإيمان القلب، فقد أصبحت الرابطة القوية التي تربط بينهم وبين بعضهم هي رابطة القرآن، ورابطة النبي العدنان، ورابطة الإيمان، ورابطة حضرة الرحمن سبحانه وتعالى.

ولذلك كما ترون، فقد أتت الآية بهم على حسب ترتيبهم، حتى لا تترك أحداً منهم أبداً على هذه الشاكلة.

ولكن نحن هنا نحتاج إلى أن أوصي بتنبيه: ففي زمننا هذا نجد بعض المتأسلمين يقومون

بذبح إخوانهم المسلمين ويغدهم كافرين!!، لكن الآخرين كانوا بالفعل كافرين، وأي إنسان يقول: (لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله) فقد أصبح مسلماً، ولا يجوز قتله.

مَنْ مات ولم يُصلي ولم يصُمْ، هل نكفنه ونغسله ونصلي عليه صلاة الجنائز وندفنه في مدافن المسلمين أم لا؟ يجب أن نغسله ونكفنه ونصلي عليه صلاة الجنائز وندفنه في مدافن المسلمين، والأمر التي لم يفعلها يحاسبه عليها الله، لكن مصيبة العصر أن كثير من الناس جعلوا أنفسهم محاسبين بالنيابة عن رب العالمين!!، ولا شأن لهم بذلك: ﴿إِنَّ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلْغُ﴾ (٤٨ الشورى).

مَنْ الذي يحاسب الكل؟ رب العزة تبارك وتعالى، فلا يجوز لمسلم أن يُكفر من نطق به (لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله) حتى ولو أنكر الصلاة، آخذه بالرفق واللين وأحاول أن أستتبه وأرّده إلى صوابه ليدخل حظيرة الإسلام، ولا أفرط فيه.

لكن هل أحكم عليه بذبحه لأنه كافر؟! كيف يكون كافر وقد نطق بالشهادتين!!؟ ولذلك من ضمن الغرائب أن المستشار الألمانية قالت: القاتل يقول: الله أكبر، والمقتول يقول: الله أكبر، فلا أعرف من منهما الذي على الصواب!!؟.

وقد رأيناهم يحرقون الرجل الطيار، وهو يردد: (أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله)!! ولا يحرق بالنار إلا رب النار سبحانه وتعالى، كما أخبر رسول الله ﷺ:

{ إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُعَذَّبَ بِالنَّارِ إِلَّا رَبُّ النَّارِ } ٤٣٧

فهل يجوز لمسلم أن يحرق مسلماً بالنار!!؟ وهذه الأفكار هي التي شوّهت صورة الإسلام بين الأنام، وجعلت الناس يظنون أن الإسلام هم هؤلاء القلة، وشنعوا علينا بما نسمعه كل وقت وحين، والإسلام بريء من ذلك.

سيدنا أسامة بن زيد ؓ رفع السيف على رجل فقال الرجل: (أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله) ولكنه قتله، فذهب من معه وحكوا لسيدنا رسول الله، فقال له رسول الله:

٤٣٧ سنن أبي داود ومسند أحمد عن عبد الله بن مسعود ؓ

{ أَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَقَتَلْتُهُ؟ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّمَا قَالَهَا خَوْفًا مِنَ السَّلَاحِ،
قَالَ: أَفَلَا شَقَقْتَ عَن قَلْبِهِ حَتَّى تَعْلَمَ أَقَالَهَا أَمْ لَا؟ } ٤٣٨

هل رأيت ما في قلبه!! سيدنا أسامة يقول: فَمَا زَالَ يُكْرِرُهَا عَلَيَّ حَتَّى تَمَنَيْتُ أَنِّي
أَسْلَمْتُ يَوْمَئِذٍ!!.

مع أنه ربما أن الرجل قالها لِيُنْقِذَ رَقَبَتَهُ مِنَ السَّيْفِ، وَلَكِنْ مَا الْمَانِعُ!! خُذْهُ وَعَلِمَهُ
الإسلام، وَأَدْخَلَهُ فِي الإِسْلَامِ، لَكِنْ هَلْ يُوْجَدُ مِنْ يَقْتُلُ مِنْ يَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ
الله!! لا يوجد غير هؤلاء الذين قال لنا فيهم سيدنا رسول الله ﷺ:

{ يَخْرُجُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ أَحْدَاثُ الأَسْتَانِ، سَفَهَاءُ الأَحْلَامِ، فَيَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ
قَوْلِ البَرِيَّةِ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، يَدْعُونَ أَهْلَ الأَوْثَانِ،
وَيَقْتُلُونَ أَهْلَ الإِسْلَامِ } ٤٣٩

أحداث الأسنان يعني صغار في السن، وسفهاء الأحلام يعني عقولهم غير سليمة،
هؤلاء يقتلون أهل الإسلام ويترون أهل الأوثان، وهذا ما يحدث الآن، وهذا ليس من دين
الله في قليل ولا في كثير.

وكما قلت: يجب أن ننتبه بأن المودة هنا لكل المسلمين، وكل المؤمنين، وأحاول أن
أُتَجِبَ الغَافِلِينَ الَّذِينَ يَقْضُونَ أَوْقَاتَهُمْ فِي غَفْلَةٍ، وَفِي سَخَطِ لَرَبِ العَالَمِينَ، فَإِذَا اسْتَطَعَتْ أَنْ
أُنْبَهُهُمْ سَيَكُونُ ذَلِكَ أَحْسَنَ وَأَكْرَمَ إِنْ شَاءَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا من أودائه وأحبابه، وأن يجمعنا دوماً على عباده
الصادقين، وأن يدخلنا في زمرة حزبه المفلحين، وأن يجعلنا من أهل الأعمال النافعة والرافعة
في الدنيا، ومن أهل السعادة العظمى يوم الدين، وأن يجعلنا من الذين لا خوفٌ عليهم ولا
هم يحزنون

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

٤٣٨ صحيح مسلم وأبي داود عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما
٤٣٩ السنن الواردة في الفتن للداني عن علي بن أبي طالب ﷺ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿ وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا
نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ
اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٧﴾ لِلْفُقَرَاءِ
الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ
دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ
اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴿٨﴾
أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٩﴾
وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ
قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا

يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا
أُوتُوا وَيُؤْتُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ
كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ
نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ
الْمُفْلِحُونَ ﴿٤٠٧﴾ وَالَّذِينَ جَاءُوا
مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ
لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا
بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا
لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ

﴿٤٠٧﴾ (الحشر)

٢٦. الصادقون المفلحون ٤٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - الحمد لله على فيض جوده الكريم، وإقباله علينا في الصلاة لوجهه العظيم، والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي الكريم الذي وصفه مولاه في كتاب الله بأنه بالمؤمنين رءوف رحيم، صلى الله عليه وعلى آله الأطهار، وصحابته الأخيار، وكل من مشى على نهجهم إلى يوم القرار، وأدخلنا معهم واجعلنا في زمرتهم يا عزيز يا غفار .. آمين آمين يا رب العالمين.

أهمية العمل بما أمر به الرسول

الله ﷻ كريم في تعامله مع عباده المؤمنين، يريد أن يكون عباده المؤمنين في الدنيا في أرغد عيش، وأسعد حال، وأهنأ بال، ولذلك جاء لهم بالأشفية القرآنية التي إذا مشوا عليها كانت حياتهم في الدنيا حياة طيبة تقية نقية.

هذه الأدوية يشملها جزء من آية في كتاب الله، لو عملنا بها جميعاً، أو عمل بها كل فرد منا، سيكون في دنياه في حياة طيبة هانئة، وفي الآخرة من السعداء بجوار سيد الرسل والأنبياء، ما هذه الآية؟ ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَأَنْتَهُوا﴾ وهذه تقتضي أن الإنسان منا لا يقدم على أي عمل إلا بعد ان يعلم علم اليقين أن هذا العمل عمله سيد الأولين والآخرين، أو حضٌّ وحثٌّ عليه، فيسارع إلى عمله، وإذا كان هذا العمل - ولو كان محبباً إلى النفس، وجالباً في زعم صاحبه للخير الكثير، لكن - حذر منه ونبه على خطورته البشير النذير فيرجع عن هذا العمل.

وإذا كنت لا تعرف الأحكام الشرعية والتعاليم الربانية كلها فقبل كل عمل: ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٤٣ النحل) والحقيقة أن الوضع العجيب الغريب أن آباءنا وأجدادنا كانوا أميين، لكنهم كانوا بالسليقة مستمسكين بما يحبه رب العالمين، فلا يعمل أحد منهم شيء إلا قبل أن يسأل عالم أولاً ليعرف أنها حلال أم حرام.

اتقاء الشبهات

والطامة الكبرى التي ظهرت في هذا الزمان أن كثير من الشباب والرجال ظنوا أنفسهم علماء، بل بعضهم تطوع للإفتاء، ويُفتي الناس وهو لا يعلم كثيراً ولا قليلاً من أمور الدين!!.

لأنه يجب على المؤمن أن لا يُقدم على أي عمل قليلاً أو كثيراً إلا بعد أن يتأكد أن هذا العمل سيكون من الأعمال الصالحة التي ذكرها الله في كتاب الله، أو أشار إليه في سنته سيدنا رسول الله، حتى إذا كان هذا العمل ليس واضحاً كل الوضوح يعني بين بين، فهذا فيه شبهة، وحضرة النبي قال:

{ الْحَلَالُ بَيْنٌ وَالْحَرَامُ بَيْنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ لَا يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنْ اتَّقَى
الْمُشَبَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعَرْضِهِ }^{٤٤١}

فيعبد عن هذا العمل حتى يظهر له حقيقة الحل والحرم، سيدنا أبو بكر رضي الله عنه وأرضاه كان يقول: (كنا ندع سبعين باباً من الحلال مخافة الوقوع في باب واحد من الحرام) يعني هناك سبعين باباً، تسعة وستون منهم حلال وواحد حرام، ولكنه لا يعرف على التأكيد أيهم الحرام، فيترك السبعين كلهم خوفاً من الوقوع في الذنوب والآثام وإغضاب الملك العلام تبارك وتعالى.

ولذلك يُروى أن سيدنا ابن سيرين رضي الله والذي اشتهر بتفسير الأحلام، ما الذي منحه هذه المنحة الإلهية؟ كان يعمل تاجراً، وكان عنده أربعين وعاء ملاًهم بالسمن لبييعهم، ودخل فأر في واحد منهم، فأخبره العمال بذلك، فسألهم: أي وعاء دخل فيه الفأر؟ فقالوا: لا نعرف، فقال: لو بعثتم ساعش المسلمين، وأمرهم أن يريقوهم كلهم حتى لا يغش أحد من المسلمين قط!!.

لماذا؟! لأنه خائف من الوقوع في الحرام، ولا يعرف الوعاء الذي وقع فيه الفأر، وهذا الوعاء أصبح غير صالح للإستخدام، فماذا يفعل؟ استغنى عن الكل، فجاءه سيدنا يوسف

^{٤٤١} البخاري ومسلم عن النعمان بن بشير رضي الله عنه

عليه السلام، وقال له: افتح فاك، ووضع فيه لسانه فمصه، فقام من النوم وقد أوتي تأويل وتفسير الرؤى؛ منحة من الله تبارك وتعالى لأنه عَفَّ نفسه عن الشبهات.

فالمؤمن الذي يريد أن يحظى بهذه الإكرامات لا يكتفي بالبعد عن الحرام فقط، بل يتقي الشبهات، والشبهات هي التي تكون غير واضحة، هل هي حلال أم حرام، فلا بد أن يتأكد منها وإلا يدعها خوفاً من الله تبارك وتعالى.

قضية العمل بالقرآن وترك السنة

وحذرنا الله تحذيراً شديداً من مخالفة الأمر الإلهي:

﴿ وَأَتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ والمخالفة ظهرت في الزمن القديم قليلاً، ولكنها زادت في زماننا، كيف؟ ظهر جماعة من الناس يقولون: لا شأن لنا بالسنة، ولا نأخذ إلا بالقرآن، فما جاء في القرآن نفذه، وما لم يأت في القرآن وجاء في السنة لا شأن لنا به!!، ومن العجب أن سيدنا رسول الله ﷺ أخبر عنهم منذ أكثر من ألف وأربعمائة عام، وقال في ذلك ﷺ:

{ أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ، أَلَا يُوشِكُ رَجُلٌ شَبَعَانُ عَلَيَّ أُرِيكْتِهِ، يَقُولُ: عَلَيْكُمْ بِهَذَا الْقُرْآنِ فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَلَالٍ فَأَحِلُّوهُ وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ }^{٤٤٢}

وفي رواية: { أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ، أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ }^{٤٤٣}

يتكيء على أريكته - من الكبر - يقول إن كان الأمر في كتاب الله فعلته، وإن كان في السنة تركته!!، لكن الصلاة التي نصليها قال فيها الله في أكثر من موضع في كتاب الله: ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾ (٤٣ البقرة) سنُصلي كم فرض؟ وكل فرض كم ركعة؟ من الذي

٤٤٢ سنن ابن ماجة والحاكم في المستدرک عن المقدم بن معدي ﷺ

٤٤٣ مسند أحمد عن المقدم بن معدي ﷺ

مع أنهم كانوا تجاراً وأغنياء!، فلماذا وصفهم الله بأهم فقراء؟ لأن أهل مكة استولوا على كل شيء لهم، حتى رسول الله ﷺ لم يتركوه، لأنه عندما جاء فتح مكة قيل له:

{ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنْزِلْ فِي دَارِكَ بِمَكَّةَ، فَقَالَ: وَهَلْ تَرَكَ لَنَا عَقِيلٌ مِنْ رَبَاعٍ
أَوْ ذُووٍ؟ }^{٤٤٥}

عقيل بن أبي طالب استولى على بيت النبي، واستولوا على كل شيء، ولذلك سمى الله المهاجرين بالفقراء، ثم وصفهم وصفاً آخر فقال: ﴿الْمُهَاجِرِينَ﴾:

لأنهم تركوا بلدهم وذهبوا لبلد آخر، فأصبحوا غرباء، لا يملكون مكاناً للسكنى، ولا يملكون عملاً يقتاتون منه، وطبيعة البلدين مختلفة تماماً...!!!

فمكة العمل الأساسي فيها التجارة، والبلد التي ذهبوا إليها العمل الأساسي فيها الزراعة، فحتى لو أرادوا العمل فإن هذا العمل لم يتعودوا عليه، وتحتاج الزراعة إلى أرض، وهم لا يملكون هناك أرض!!.

فسماهم فقراء وسماهم مهاجرين، وحتى يُعرّفنا أنهم لم يخرجوا باختيارهم ولا برضاهم، وإنما اضطروا لذلك طلباً لمرضاة الله، وفراراً بدين الله، فقال تعالى:

﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ﴾.

لماذا خرجوا؟ ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾ يبتغون يعني يطلبون، فيطلبون فضل الله في الدنيا، ويطلبون مقام الرضوان: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ (٧٢ التوبة) في الدار الآخرة، وهذه أعلى المقامات في الجنان عند حضرة الرحمن سبحانه وتعالى.

ولماذا خرجوا أيضاً؟ حتى ينصروا رسول الله ويعينوه على إبلاغ دعوة الله:

﴿وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾:

ولذلك أعطاهم الله وسام عالي وغالي: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾:

هؤلاء: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ (١٠٣ الأحزاب).

الخطبة الأخلاقية للإصلاح الاقتصادي

كيف تم حل مشكلة هؤلاء الذين خرجوا من بلادهم وليس معهم مال، ولا يملكون سكناً، وليس لهم عمل، ولا وسيلة لاقتيات الأرزاق؟! حلها إخوانهم في الإيمان ببركة الإيمان، وهم الأنصار سكان المدينة المنورة بإشارة من النبي المختار، وبجهم للإيثار كما مدحهم الله سبحانه وتعالى في قرآنه: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ لزموا الدار وهي المدينة المنورة، ولزموا الإيمان الصحيح.

كيف حلوا المشكلة؟ كما قلت هذه هي الخطبة المعنوية الأخلاقية التي لا بد منها مع ما شرحناه من عناصر مادية لحل المشكلة الاقتصادية.

أولاً: الحب

ما عناصر الخطبة المعنوية؟

أولاً: ﴿مُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾:

الحب، فإن لم نحب بعضنا، وأخرجت الأرض كنوزها، وأنزلت السماء كل خيراتها، سنتقاتل بعضنا على هذه الخيرات، وستثار في داخلنا الأطماع، ويثار فيها الأحقاد، ويثار فيها الأحساد، وسيكون بين الناس حروب متناحرة لا تنتهي كما يحدث الآن.

لكن المهاجرين والأنصار لم يكونوا من عائلة واحدة، ولا إخوة أشقاء، ولا من بلد واحد، ولا يربطهم نسب، وليس بينهم صلة تجارة، ومع ذلك كما تحكي الروايات: كان إذا جاء رجل مهاجر، يحضر إلى سيدنا رسول الله ﷺ ما لا يقل عن خمسين رجلاً من الأنصار يتنافسون أن يحظوا بهذا الرجل المهاجر.

وفي بعض الأحيان كان البعض منهم يتنافس وليس عنده شيء في بيته!! وهذا كان سبباً لنزول هذه الآية، فقد جاء ضيف لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأرسل إلى زوجاته وخدمه فلم يجدوا شيئاً، فقال: من يضيف ضيف رسول الله؟ فقال رجل: أنا، فأخذه وذهب لزوجته، فقال لها: ما عندك من الطعام؟ قالت طعام يكفي لواحد، إذا أكله الضيف بات الصبية جوعى، وإذا أكله الصبية لم نكرم الضيف، ولم تذكره أو تذكر نفسها، فقال لها:

عللي الصبيان حتى يناموا، ثم ائت بالطعام، وتظاهري أنك تعالجي المصباح وأطفئيه، وبعد أن تجلس معاً على المائدة تظاهري وسأتظاهر بأننا نأكل ليتقوى الضيف على الأكل، يعني يحركا أسنانهما كأنهما يأكلان ليشجعاه على الأكل!! سبحان الله!! فنزلت هذه الآية، واستدعى رسول الله ﷺ هذا الرجل وقال:

{ قَدْ عَجِبَ اللَّهُ مِنْ صَنِيعِكُمْ بِضَيْفِكُمْ اللَّيْلَةَ } ٤٤٦

هذا شيء لا يفعله إلا الكُمَّل من المؤمنين، وخاصة المخلصين الذين زهدوا في الدنيا ولا يبعون منها إلا رضوان رب العالمين تبارك وتعالى.

ما الذي دفعهم إلى هذا العمل؟ الحب:

﴿سُحْبُونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ لو انتشرت الحبة فإن كل شيء ولو قليل سيكفي المسلمين وسيفيض، وإذا لم توجد الحبة فمهما كثرت الخيرات، ومهما ازدادت الأموال فلن تكفي الحاضرين لقول رسول الله ﷺ:

{ مَنهُومَانِ لَا يَشْبَعَانِ : طَالِبُ عِلْمٍ وَطَالِبُ دُنْيَا } ٤٤٧

كلما زاد عنده المال يريد أن يزيد عليه، وقد يأتي وقت الزكاة فيدخل أن يخرج ما عليه لله!!، لأنه يتهيأ له أن الزكاة ستُنقص من هذا الخير الذي أعطاه له الله!

مع أن الزكاة معناها النمو، ومعناها البركة، فما الذي يأتي بالبركة في المال؟ الزكاة التي ستخرج من هذا المال.

لذلك يجب على المزارعين أن يعملوا جميعاً بقول الله: ﴿وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا﴾ (١٤١ الأنعام) بعض السادة العلماء قال أن الإسراف هنا هو التأخير، فكان يتعجلون إخراج الزكاة من الحقل قبل أن يدخل المحصول البيت، لأنه لو دخل البيت فقد تشح النفس، أو قد تعين الزوجة على هذا الشح، لذلك أخرج حق الفقراء من الحقل!

والزكاة هي التي تعطي هذا المال التحصين من السوس، ومن الفئران، ومن آفات

٤٤٦ صحيح مسلم وابن حبان عن أبي هريرة ﷺ
٤٤٧ مسند البزار والطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما

وَضُوبِهِ، قَدْ تَعَلَّقَ تَعْلِيهِ فِي يَدِهِ الشَّمَالِ، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ مِثْلَ ذَلِكَ، فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ مِثْلَ الْمَرَّةِ الْأُولَى، فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمَ الثَّلَاثِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ مِثْلَ مَقَالَتِهِ أَيْضًا، فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ عَلَى مِثْلِ حَالِهِ الْأُولَى { ٤٥٠

سيدنا عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما كان يقوم الليل، ويصوم النهار، ويحتم القرآن في كل ثلاثة أيام مرة، ويجتهد في طاعة الله وعبادته قدر وسعه وطاقته.

فأراد أن يعرف عمل هذا الرجل الذي جعل حضرة النبي يصفه بأنه من أهل الجنة، وقيل في بعض الروايات أن هذا الرجل هو عبد الله بن سلام ﷺ، فتبع هذا الرجل، وقال له: حدث خلاف بيني وبين أبي عمرو، وأريدك ان تضيفني حتى تهدأ النفوس، فرحّب به، فجاء الليل وبعد صلاة العشاء مع رسول الله ذهب الرجل ونام، وعبد الله كان معتاداً على القيام، فقال في نفسه: لعله متعب، وقبل الفجر بساعة قام الرجل وأيقظ عبد الله ليذهبا لصلاة الفجر جماعة مع رسول الله ﷺ، وفي الصباح جاء له بالفطار، فعلم أنه غير صائم، وفي اليوم الثاني كذلك، وفي اليوم الثالث كذلك، ووجد أن عمل هذا الرجل لا يزيد عن الفرائض التي افترضها الله!! فقال له عبد الله:

{ إِيَّيْ لَمْ يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَ أَبِي غَضَبٌ وَلَا هَجْرٌ تَمَّ، وَلَكِنْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ لَكَ ثَلَاثَ مَرَارٍ: يَطَّلِعُ عَلَيْكُمْ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَطَلَعْتَ أَنْتَ الثَّلَاثَ مَرَارٍ، فَأَرَدْتَ أَنْ أَوِيَّ إِلَيْكَ، لِأَنْظُرَ مَا عَمَلُكَ فَأَقْتَدِي بِهِ، فَلَمْ أَرَكَ تَعْمَلُ كَثِيرَ عَمَلٍ، فَمَا الَّذِي بَلَغَ بِكَ مَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟ فَقَالَ: مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ، قَالَ: فَلَمَّا وَكَيْتَ دَعَانِي، فَقَالَ: مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ، غَيْرَ أَنِّي لَا أَجِدُ فِي نَفْسِي لِأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ غِشًّا، وَلَا أَحْسَدُ أَحَدًا عَلَى خَيْرٍ أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: هَذِهِ الَّتِي بَلَغْتَ بِكَ، وَهِيَ الَّتِي لَا تُطِيقُ { ٤٥١

ولذلك سيدنا رسول الله ﷺ قال لسيدنا أنس، ولمن أراد أن يكون معه في الجنة:

٤٥٠ مسند أحمد والنسائي عن أنس ﷺ

٤٥١ مسند أحمد والنسائي عن أنس ﷺ

{ يَا بُنَيَّ إِنَّ قَدْرَتَ أَنْ تُصْبِحَ وَتُمْسِيَ لَيْسَ فِي قَلْبِكَ غِشٌّ لِأَحَدٍ فَأَفْعَلْ، ثُمَّ قَالَ: يَا بُنَيَّ وَذَلِكَ مِنْ سُنَّتِي، وَمَنْ أَحْيَا سُنَّتِي فَقَدْ أَحْبَبَنِي، وَمَنْ أَحْبَبَنِي كَانَ مَعِي فِي الْجَنَّةِ { ٤٥٢

لو أصبحت الصدور بهذا الذي وصفه الله، وبهذه الهيئة التي بيّنها رسول الله، فهل سيذهب أحد من المسلمين إلى قسم شرطة أو محكمة؟! يستحيل ذلك، لأن الصدور ملئت بالحبّة لبعضها، وكلها تحب الخير لبعضها، وكلها تعمل بقول حبيبنا:

{ لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ { ٤٥٣

ثالثا: الإيثار

الصفة الثالثة: وهي الصفة التي تحل كل المشاكل الاقتصادية مهما كان حجمها: **{ وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ }** :

كل واحد منهم يفضل أخوه على نفسه، وهذه كان فيها أعاجيب في صحابة الحبيب ﷺ، فقد ورد أنه في يوم عيد جاءت لأحدهم هدية عبارة رأس كبش مشوية، فأخذها وجلس مع زوجته وقال لها: يا أم فلان إني أرى أن أخي في الله فلان أحق بهذه الرأس مني!، فوافقتها!، فأرسلها إليه، وكذلك الثاني جلس مع زوجته وقال لها: يا أم فلان إني أرى أن أخي في الله فلان أحق بهذه الرأس مني!، فوافقتها!، ورد أن هذه الرأس دارت على سبعة بيوت، وفي رواية أخرى تسعة بيوت، ورجعت للبيت الأول!!.

ما هذا؟! وما هذه الناس؟! الملائكة لا تستطيع أن تُحصّل هذه الأعمال!! فانظر إلى الإيثار الذي كان بينهم: **{ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ }** الذي يعطي وهو معه فهذا عطاء، لكن الإيثار أن يعطي وليس معه شيء.

وأكثر من ذلك في موقعة اليرموك بين المسلمين والروم في بلاد الشام، فقد كان أحد صحابة حضرة النبي يبحث عن ابن عمه فوجده جريح، وطلب شربة ماء، فذهب مسرعاً

٤٥٢ جامع الترمذي عن أنس ﷺ

٤٥٣ البخاري ومسلم عن أنس ﷺ

وجاء له بشرية الماء وهو في النفس الأخير، وإذا برجل جريح من المسلمين على مقربة منهم أشار إلى الماء، فقال له: اذهب له بشرية الماء، فذهب له، وإذا بثالث أشار إلى الماء، فقال له: اعطها له، فلما وصل إليه وجده قد مات، فرجع إلى الثاني فوجده قد مات، فرجع إلى الأول فوجده قد مات!! مات الثلاثة ولم يشربوا الماء، ولكنهم فازوا بوسام الإيثار: ﴿وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾

هذا هو الذي يحل كل المشاكل الاقتصادية، إن كان بين الإخوة، أو بين أهل البلد، أو بين سكان الوطن، أو بين العرب، أو بين المسلمين أجمعين، أن ننفذ هذا البرنامج القرآني، مع البرنامج المادي، فلا نترك البرنامج المادي، وهو العمل ثم العمل ثم العمل، ونأخذ بالتكنولوجيا الحديثة في الصناعة والزراعة.

﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ وصف الله أولاً المهاجرين بأنهم الصادقين: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ ثم وصف الأنصار بأنهم مفلحين: ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

واجب المعاصرين

ونحن لم يتركنا الله في القرآن: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ﴾:

من التابعين إلى آخر مسلم قبل يوم القيامة، فكلهم يدخلون في هذه الآية.

ما الواجب علينا؟ ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ كل الذي سبقنا من العلماء، ومن الصالحين، ومن المؤمنين ينبغي علينا أن نستغفر له الله، ولا نذكر إلا محاسنه كما أمرنا رسول الله، قال ﷺ:

{ اذْكُرُوا مَحَاسِنَ مَوْتَاكُمْ } ٤٥٤

لكن عندما نرى بعض شبابنا حداث الأسنان يُجرح في العلماء أصحاب المذاهب الأربعة، وهم في نفس الوقت علماء وأولياء!! من الذي يبلغ في زماننا مبلغ الشافعي أو

مالك أو أبو حنيفة أو أحمد في التقوى والزهد والورع والعلم؟! لا يوجد، فلماذا نخوض في شأنهم؟! ونبخس قدرهم؟! ونحاول أن ننزلهم عما أعطاه الله لهم؟! بل البعض يتعالى ويقول: هم رجال ونحن رجال، ولنا أن نُفتي وقد نكون أحسن منهم!!.

ما هذا الكلام الذي ظهر في هذا الزمان؟! هذا مخالف لما أمرنا به الله تعالى في القرآن: ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ ﴾.

المشاكل التي حدثت والتي ذكرها التاريخ، فإن المؤرخين الذين كتبوا على مر الزمان لم يسلموا من الخطأ، وبعضهم كان يكتب عن هوى، لذلك لا يجب ان أدخل في هذه الأخطاء وأنزه لساني عن ذلك.

سيدنا عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وأرضاه عندما تولى الخلافة، ووجد أن الخلفاء من بني أمية قبله كانوا يهتمون خطبة الجمعة الثانية في سب الإمام علي رضي الله عنه وكرم الله وجهه بسبب الخلاف الذي حدث بينه وبين سيدنا معاوية، يقول: فاحترت في هذا الأمر، فمتمت، فرأيت في المنام قصر عظيم يجلس في بهوه سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعن يمينه سيدنا أبو بكر، وعن يساره سيدنا عمر، وخلفهم ستارة، ووراء هذه الستارة قاعة محكمة، فدخل الإمام علي ثم سيدنا معاوية، فمكثوا برهة ثم خرج الإمام علي وقال: قُضي لي ورب الكعبة، وبعدها برهة خرج سيدنا معاوية وقال: غُفر لي ورب الكعبة.

ثم قال قولته المشهورة: (إن قوما لم نحضرهم ولم تخض سيوفنا في دمائهم لا ينبغي أن نخوض فيهم بألسنتنا) وجاء لنا بالآية الكريمة في الخطبة الثانية: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (٩٠ النحل) والتي نسير عليها إلى وقتنا هذا.

عندما أجد على مواقع التواصل الاجتماعي بشبكة الانترنت معركة حامية الوطيس، بين جماعة يجادلون بعضهم بشدة، يقول بعضهم: سيدنا معاوية، وبعضهم يقولون: لا تسيدوا معاوية، لأنه في النار!! من الذي أعطاك قرار أن معاوية في النار؟! حاشا لله سبحانه وتعالى، وما شأنك أنت بذلك!؟.

لكننا نحن مطالبين أن لا نذكر إلا محاسن السابقين، ولا نذكر إلا فضائل العلماء

العاملين، لأن هذه الأمة أمة الختام، وأصحابها أهل الأدب الإلهي على هدي خير الأنام ﷺ، وهذا بالنسبة لمن سبقونا.

وبالنسبة للمعاصرين الذي نعيش بينهم:

﴿ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ لماذا أملاً قلبي حقد على فلان أو غيره؟!!

والذي يحسد هل يحسد المرزوق أم الرازق؟! الرازق سبحانه وتعالى، فلو أعطيت ابن من أبنائي شيء، والابن الثاني حزن، فهل حزن مني أم من أخيه؟ مني لأنني أنا الذي أعطيت

ألا قل لمن كان لي حاسداً أتدري على من أسأت الأدب
أسأت على الله في فعله لأنك لم ترض لي ما كتب

كلنا في هذا الزمان نجتهد في العلم، ونجتهد في العمل بشرائع الإسلام، وكل واحد فينا يجتهد بوسعه وطاقته، لكن أدب الإسلام يقتضي أن لا أغتاب أخي المسلم، ولا أجرحه، ولا أشنع عليه، ولا أشهر به، حتى ولو ارتكب خطأً بيناً، ولكن أذهب إليه وأتكلّم معه لأعرف وجهة نظره بأدب ولباقة، وليس بسفاهة في الحديث، حتى نتفاهم، ولا يدخل العوام في مثل هذه الأمور.

هذه الآداب إذا وجدت بين المسلمين سندخل في قول الله تعالى:

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَتَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً ﴾:

ستكون حياتنا في الدنيا حياة طيبة، وفي الآخرة: ﴿ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (٩٧ النحل).

أسأل الله تبارك وتعالى ...

أن يصلح أحوالنا، وأن ينقي صدورنا، وأن يطهر نفوسنا، وأن يصفى قلوبنا، وأن يحببنا في بعضنا، وأن يجعلنا إخوة متآلفين متحابين متوادين على الدوام، وأن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ
وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا
اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾
وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَهُمْ
أَنفُسَهُمْ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٩﴾
لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ
الْجَنَّةِ ۚ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾
لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْءَانَ عَلَى
جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ رَءَسًا مِّنْ خَشْيَةٍ
مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۚ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا

لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ
اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُ الْغَيْبِ
وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾
هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ
الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ
الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ
سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾
هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ
الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ
الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ (الحشر)

٢٧. الفائزون واسم الله الأعظم^{٤٥٥}

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - الحمد لله الذي أهّل قلوبنا لسماع كلام الله، ومأها بنوره حتى تستمع لنوره الذي أنزله على نوره حبيب الله ومصطفاه، والصلاة والسلام على كنز الهوية، وسر كل الفتوحات الربانية، والباب الأعظم لمن أراد أن يدخله الله حضرته القدسية؛ سيدنا محمد وآله وصحبه وكل من مشى على هديه إلى يوم الدين، واجعلنا معهم ومنهم أجمعين .. آمين آمين يا رب العالمين.

الآيات التي معنا اليوم من آخر سورة الحشر، وكثير من الصالحين اتخذها ورداً له يقرأها مرة في الصباح ومرة في المساء، لما ورد في فضلها من سيد الرسل والأنبياء ﷺ.

فقد ورد أن سيدنا أبو هريرة ؓ سأل رسول الله ﷺ عن اسم الله الأعظم، واسم الله الأعظم يقول فيه حضرة النبي ﷺ:

{ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ }^{٤٥٦}

فسأله عن هذا الاسم ليدعوا به، فيقول: سألت خليلي أبا القاسم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اسم الله الأعظم، فقال:

{ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ عَلَيْكَ بِآخِرِ سُورَةِ الْحَشْرِ فَأَكْثِرِ قِرَاءَتَهَا، فَأَعَدْتُ عَلَيْهِ، فَأَعَادَ عَلَيَّ، فَأَعَدْتُ عَلَيْهِ، فَأَعَادَ عَلَيَّ }^{٤٥٧}

إذا الآيات التي في آخر سورة الحشر يكفي أنها كما قال فيها الذي لا ينطق عن الهوى؛ أن فيها اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سُئِلَ به أُعْطِيَ.

ولذا كان - كما قلت - كثير من الصالحين يكررونها صباحاً بعد صلاة الفجر، ومساءً بعد صلاة المغرب أو العشاء، ولماذا صباحاً ومساءً؟ لأن رسول الله ﷺ قال في هذه

٤٥٥ الإسماعيلية - سرايوم - مقر جمعية الدعوة إلى الله ٢٤ من شعبان ١٤٣٩ هـ ١٠/٥/٢٠١٨م

٤٥٦ جامع الترمذي وأبي داود عن بريدة بن الحصيب ؓ

٤٥٧ ورد في تفسير القرطبي عن أبي هريرة ؓ

{ مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ أَعُوذُ بِاللَّهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، وَقَرَأَ ثَلَاثَ آيَاتٍ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْحَشْرِ، وَكَلَّ اللَّهُ بِهِ سَبْعِينَ أَلْفَ مَلَكٍ يُصَلُّونَ عَلَيْهِ حَتَّى يُمْسِيَ، وَإِنْ مَاتَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ مَاتَ شَهِيدًا، وَمَنْ قَالَهَا حِينَ يُمْسِي، كَانَ بِتِلْكَ الْمَنْزِلَةِ { ٤٥٨

أظن أنه لا يوجد أعظم من ذلك أبداً، يصلي عليه سبعون ألف ملك، والصلاة هنا يعني الدعاء، يدعون له من الصباح إلى المساء إن قرأها صباحاً، ومن المساء إلى الصباح إن قرأها مساءً، وإن مات في هذا اليوم أو في هذه الليلة حصل مقام الشهادة، وهو أعلى المقامات عند الله بعد مقام النبيين والصديقين، بل يكفي في قراءتها قول رسول الله ﷺ:

{ مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْحَشْرِ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ { ٤٥٩

وهل نحتاج شيء أعظم من المغفرة؟! ولذلك هذه الآيات فيها أسرار لأهل العنايات تجعلهم يديمون على تلاوتها فضلاً من الله، وإكراماً من الله، وتعرضاً لعطاء الله تبارك وتعالى التي وعد بها قارئها في أي لحظة في هذه الحياة، نسأل الله أجمعين أن نكون مديمين على قرائتها على الدوام.

رسالة الله للمؤمنين

أول هذه الآيات خطاب من الله لنا معشر المؤمنين: ﴿يَتَّيِبُهُمُ اللَّهُ لِيَأْتِيَهُمْ الْإِيمَانُ﴾ وكلمة (آمَنُوا) يعني صدَّقوا، ونحن صدقنا بما جاء به رسول الله عن الله تبارك وتعالى، ولذلك اسمنا المؤمنين المصدقين لما جاء به خير النبيين ﷺ.

نحن مؤمنين، فبِمَ يأمرنا رب العالمين؟ وهذا الأمر الجامع: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ﴾ حتى أن الله وجَّه هذا الأمر لسيد الأنبياء والمرسلين!، حتى لا نستعظم الأمر، لأن البعض إذا قال له أحد (اتق الله) يقول: هل رأيتني أفعل كذا من المعاصي حتى تقول لي ذلك؟! ويجزن منه، مع

٤٥٨ جامع الترمذي ومسنَد أحمد عن معقل بن يسار ﷺ

٤٥٩ ورد في تفسير القرطبي عن أبي هريرة ﷺ

المشهورة عندنا: ﴿وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ أما القراءة الأخرى: ﴿وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ يعني يوصيك أن تنظر للغد، وتطالع مستقبلك: ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ أَلْرُّجَعِي﴾ (٨العلق) ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ أَلْمُنْتَهَىٰ﴾ (٢٤النجم) وقد يكون هذا أقرب إليك من طرفة العين، أو من النَّفْس الذي تتنفسه.

ولذلك: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ ويعلم علم اليقين دائماً وأبداً: ﴿إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ والله يا إخوة لو أن المؤمنين في مجتمعنا عملوا بهذه الآية لصرنا كأننا في الجنة ونحن على ظهر الأرض.

لو علم كل إنسان علم اليقين أن كل عمل، وكل حركة، وكل سكتة، بل كل خطرة تخطر على قلبه، بل كل فكرة تمر على جنبه يطلع عليها الله، ويراها الله، وهو الذي سيحاسبه جل في علاه سيستحي أن يظهر شيئاً يُغضب الله، أو يعمل عملاً ينال به سوء العاقبة يوم لقاء مولاه لأنه يتذكر أن الله سبحانه وتعالى يطلع عليه ويعلم كل ما جنت يدها، وكل ما تحركت به خواطره: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ (١٩غافر).

لكن الغفلة التي تأتي للناس يجب أن تكون لغير المؤمنين، ولذلك فالله سبحانه وتعالى بيكثنا تبيكت لطيف، فأنتم مؤمنون وصادقون ومراقبون لله، لذلك إياكم أن تكونوا كهؤلاء الغافلين: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ﴾ إياكم في أي يوم أن تكونوا كالغافلين عن معرفة الله، والساھين عن دين الله، والذين تركوا أنفسهم على هواها تسرح وتمرح في هذه الحياة، ولم يتذكروا ولم يفتكروا أن هناك يوماً سيردون إلى الله، وتعرض أعمالهم على حضرة الله تبارك وتعالى، إياكم أن تكونوا مع هؤلاء.

فانظر إلى التبيكت الإلهي للمؤمنين الصادقين!! ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ﴾ لماذا؟ لأن هؤلاء: ﴿فَأَنسَلَهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾ أنسأهم كل شيء لأن الله لا يحبهم، فتركهم في الدنيا هملأ ورعاعاً: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾ (١٢محمد).

فإن الله إذا أحب عبداً وفقه لطاعته ليكون من أهل جنته، وذكره على الدوام بمراقبة الرقيب ليرعوي عن الوقوع في الذنب فيحميه الله سبحانه وتعالى من وقع المسائلة والحساب

يَا ابْنَ آدَمَ: هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا مَرَّ
بِي بُؤْسٌ قَطُّ وَلَا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ { ٤٦١

إذا كان الذي غُمس غمسة واحدة في الجنة ينسى كل الشقاء الذي مر به وعاش به في الدنيا، والذي عاش في الدنيا في وهمه وفي ظنه منعماً، فمن غمسة واحدة في جهنم ينسى كل هذا النعيم الذي توهّمه وظن أنه يعيش فيه، فكيف يستويان؟! لا يستويان أبداً، لأن نعيم الله ﷻ ليس بعده شقاء... أما نعيم الدنيا مهما كان هيئته، ومهما كان صنفه، ومهما كان لونه، لا بد أن يكون بعده شقاء أو ضعف، أو يحدث للإنسان ما لا يحبه وما لا يرضاه، لأن الدنيا نعيم أهل الكفر، قال ﷺ في شأنهم:

{ أُولَئِكَ عَجَّلَتْ لَهُمْ طَيِّبَاتُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا } { ٤٦٢

ولذلك جزم الله ﷻ حتى نسارع إلى ذلك فقال لنا أجمعين

﴿ أَصْحَابِ الْجَنَّةِ هُمْ الْفَائِزُونَ ﴾ لأن هذا هو النعيم المقيم، والتكريم الذي ليس بعده تكريم، وهو دخول الجنة في جوار النبي الرؤوف الرحيم، وفي جوار الأخيار والأطهار، والتمتع بنعيم الجنة، وأعظم نعيم فيها هو النظر إلى وجه الله تبارك وتعالى.

المؤمن والقرآن

وبين الله ﷻ لنا معشر المؤمنين أمراً أيضاً فيه تقريع، وفيه توبيخ لكثير من الساهين واللاهين والغافلين من المؤمنين، فالذين يسمعون القرآن ولا يستشعرون أثناء سماع القرآن الخوف من حضرة الرحمن، أو المعاني العظيمة التي جعلها الله ﷻ في القرآن، أو يقوموا ممثلين لما أمرهم الله به ومسارعين لتنفيذه في القرآن، فيقول لنا:

﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾

لو نزل هذا القرآن على جبل، فإن الجبل سيخشع، ويتشقق من خشية الله ﷻ، فكيف لقلب المؤمن لا ينصدع لكلام الرحمن ولا يخشع للقرآن!؟.

٤٦١ صحيح مسلم ومسند أحمد عن أنس ؓ

٤٦٢ الطبقات الكبرى لابن سعد عن عائشة رضي الله عنها

لذلك المؤمن إذا لم يستجب قلبه للقرآن يعلم أن قلبه فيه داء يحتاج إلى دواء ليكون من المؤمنين الذين يقول فيهم الله:

﴿ وَنُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الإسراء: ٨٢) وهذا ما كان

عليه أصحاب النبي الكريم، والصالحون من بعدهم في كل زمان ومكان.

على سبيل المثال الإمام الفضيل بن عياض رحمته الله، كان رجل قاطع طريق، ومعه عصا، وذهبوا ليسرقوا منزلاً، وهو واقف أعلى المنزل ليوجه العصا ويعطيهم الأوامر، سمع قاريء يقرأ ويقول: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ ﴾ (الحديد: ١٦) سمع هذه الآية فصعدت قلبه، ففعد ولم يستطع القيام من وقع الآية!! وقال: آ ن يا رب، ثم نادى على أفراد عصابته، وقال: إني تائب إلى الله سبحانه وتعالى، وتوجه إلى مكة، وحج بيت الله الحرام، واختار سكناً قريباً من البيت ليكمل حياته في طاعة الله.

وصل به الأمر أن هارون الرشيد - وكان حاكماً صالحاً ويحب الصالحين - ذهب لأداء فريضة الحج بعد أن رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام يدعوه للحج، وبعد أن ذهب إلى مكة طلب من وزيره أن يأتيه ببعض العلماء العالمين ليأنس بهم، وكان هارون الرشيد مع علو شأنه وسعة مملكته التي كانت من بلاد الصين إلى بلاد المغرب، وكانت إذا مرت عليه سحابة وهو جالس يقول لها: أمطري حيث شئت فسيأتيني خراجك!! لأن مملكته كانت واسعة الأركان، وكان مع ذلك رقيق القلب سريع الدمعة، يتأثر من وعظ العلماء، ويطلب العلماء ليعظوه على الدوام، ويكي بكاءً حاراً في مجالسهم.

فجاء له وزيره ببعض العلماء، فلم يروقوا له، وقال له: أريد عالماً يخشى الله، فقال له: لم يعد إلا الفضيل، والفضيل لا يخرج من بيته ولا يقابل أحداً!!، قال: نذهب إليه، فذهب إليه، وقرع الباب، فقال: من؟ قال: هارون الرشيد، فأسرع الفضيل إلى اطفاء المصباح، فقال له: لم أطفأت المصباح؟! قال: لا أريد أن أنظر إلى وجه الظلمة! فمد إليه يده ليصافحه، فأمسك بيده وقال: ما أنعم هذه اليد لو فرّت من عذاب يوم القيامة!.

هذا الرجل كان قاطع طريق، لكنه بمجرد أن سمع آية من كلام الله صدعت قلبه وجعلته يترك كل ما فيه من الغفلة والمعاصي ويرجع إلى الله تبارك وتعالى.

أدب المؤمن في سماع القرآن

فالله سبحانه وتعالى يعيب على المؤمنين اللاهين عن كتاب رب العالمين، الذين لا يستمعون إليه بخشوع، ولا ينصتون إليه بخضوع، ولذلك مهما كان الإنسان يلهو ويلعب ما دام منتسباً إلى طريق الإيمان عليه أن يكون مؤدباً أدباً تاماً مع كتاب الرحمن تبارك وتعالى، وإياك أن تفرط في ذلك طرفة عين أو أقل.

يعني أنت في بيتك أو في بيت غيرك وتقرأ القرآن، وأخذ بعضهم يحدثك، فيجب أن تقول له: لا يا أخي: ﴿ وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ (الحج ١٧٨) فلا حرج في دين الله: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا ﴾ (الأعراف ٢٠٤) ما دام القرآن يُقرأ يجب أن نسمع، وإذا أردنا أن نتكلم نقول صدق الله العظيم، ونغلق المذياع أو التلفاز ونتكلم كما نريد، لكن المحذور أن الإنسان يتكلم والله ﷻ يُنطق بكلامه ويُقرأ كلامه تبارك وتعالى، فهذا محذور لا ينبغي أن يفعله أي مؤمن مهما كان درجة إيمانه، لأن هذا يدل على عدم تأدبه مع كلام الله سبحانه وتعالى، لكن: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا ﴾ لماذا؟ ﴿ لَعَلَّكُمْ تَرْحَمُونَ ﴾ (الأعراف ٢٠٤) ولعل بمعنى اللام، يعني لترحمون.

لو كنت أقود سيارتي وأستمع للقرآن، وجائتني مكالمة على الهاتف، أقول صدق الله العظيم وأغلق المذياع وأتكلم في الهاتف، لكن لا ينبغي أن يكون هناك حديث يعلو على كلام الله تبارك وتعالى، وهذا هو الحد الأدنى من الأدب الذي ذكرنا به الله ﷻ في هذا الموضوع: ﴿ لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾ القلب الذي لا يخشع لكلام الله يكون أشد قسوة من الحجارة ومن الجبل ... كما أخبر الله تبارك وتعالى.

﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ قد نكون في عزاء، وبدأ القاريء في القراءة، فيجب أن لا يكون هناك شيء غير كلام الله، ولو أردنا توزيع شاي أو سحائر فيكون في الاستراحة بعد انتهاء القاريء من قراءته، لكن سنوزع سحائر وكلام الله النور يُتلى، وهذا يقدم التحية لهذا، وهذا يقدم التحية لهذا، فهذا لا يجوز أبداً مع كلام الله تبارك وتعالى.

لا بد من الأدب مع كلام الله كما كان الصحابة المباركين يفعلون، كان سيدنا أسيد بن حضير ؓ يقرأ القرآن في بيته، ويجواره فرسه، ويجواره ابنه يحيي نائم، ففوجيء بفرسه يتحرك حركة شديدة، فخاف أن يدوس على ابنه وهو نائم، فنظر فوجد نجفاً منيراً في سقف المنزل - ولم يكن في وقتها كهرباء ولا نجف ولا غيره - فتوقف عن القراءة وذهب لرسول الله ﷺ وعرض عليه الأمر، فقال ﷺ:

{ تِلْكَ الْمَلَائِكَةُ كَانَتْ تَسْتَمِعُ لَكَ، وَلَوْ قَرَأْتَ لِأَصْبَحْتَ يَرَاهَا النَّاسُ مَا تَسْتَتِرُ مِنْهُمْ }
٤٦٣ {

نزلت الملائكة لتسمع القرآن!! فإذا تلوت القرآن أو أسمع القرآن فلا بد أن يكون بالأدب التام الذي أولانا به الله، وعلمه لنا رسول الله ﷺ عند تلاوة كلام الله ﷻ.

أسماء الله الحسنى

وحق نعرف قدر الربوبية، ومكانة الألوهية، ساق الله تبارك وتعالى إلينا بعض الأسماء التي تدل على قدرته العلية، وعلى جنباه وكبرياهه جل في علاه، وهذه الأسماء ذكر لنا سيدنا رسول الله منهما جملة فقال:

{ إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا مَن أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ } ٤٦٤

الذي يُخصي هذه الأسماء ويعرفها ويعمل بها يدخل الجنة، ما هذه الأسماء؟ ذكر الأسماء التي في هذه الآيات أولاً ثم أكمل تسعاً وتسعون اسماً:

{ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ الْغَفَّارُ الْقَهَّارُ الْوَهَّابُ الرَّزَّاقُ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ الْقَابِضُ الْبَاسِطُ الْخَافِضُ الرَّافِعُ الْمُعِزُّ الْمُدْلُ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ الْحَكَمُ الْعَدْلُ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ الْحَلِيمُ الْعَظِيمُ الْغَفُورُ الشَّكُورُ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ

٤٦٣ صحيح مسلم ومسند أحمد عن أبي سعيد الخدري ؓ

٤٦٤ البخاري ومسلم والترمذي عن أبي هريرة ؓ

الْحَفِيفُ الْمُقِيْتُ الْحَسِيبُ الْجَلِيلُ الْكَرِيمُ الرَّقِيبُ الْمُجِيبُ الْوَاسِعُ الْحَكِيمُ
 الْوَدُودُ الْمَجِيدُ الْبَاعِثُ الشَّهِيدُ الْحَقُّ الْوَكِيلُ الْقَوِيُّ الْمَتِينُ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ
 الْمُخْصِي الْمُبْدِئُ الْمُعِيدُ الْمُخْبِي الْمُمِيتُ الْحَيُّ الْقَيُّومُ الْوَاحِدُ الْمَاجِدُ الْوَاحِدُ
 الصَّمَدُ الْقَادِرُ الْمُقْتَدِرُ الْمُقَدِّمُ الْمُؤَخِّرُ الْأَوَّلُ الْآخِرُ الظَّاهِرُ الْبَاطِنُ الْوَالِي
 الْمُتَعَالِي الْبَرُّ الثَّوَابُ الْمُنْتَقِمُ الْعَفْوُ الرَّعُوفُ مَالِكُ الْمُلْكِ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ
 الْمُقْسِطُ الْجَامِعُ الْعَنِي الْمُعْنِي الْمَانِعُ الضَّارُّ النَّافِعُ الثَّوْرُ الْهَادِي الْبَدِيعُ الْبَاقِي
 الْوَارِثُ الرَّشِيدُ الصَّبُورُ { ٤٦٥

وهذه ليست كل أسماء الله تبارك وتعالى، ولكنها بعض الأسماء الإلهية التي ذكرها الله في الآيات القرآنية، وجمعها الحبيب صلى الله عليه في حديثه المبارك، لكن سيدنا رسول الله ﷺ بين أن أسماء الله ليس لها حد ولا عد، فكان يقول في دعاءه:

{ أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَهُ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ اسْتَأْثَرْتَهُ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَتُورِ صَدْرِي، وَجَلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي } ٤٦٦

هناك أسماء استأثر بها الله لنفسه، وأسماء علمها الله لبعض من اختصهم بخصوصيات من خلقه، وهناك أسماء في القرآن الكريم وهي الأسماء الحسنى التي معنا في هذه الآيات.

الغيب والشهادة

﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ﴾ والغيب هو كل ما غاب عن

العين، ولا يراه الإنسان بعينه، فالجنة لا نراها بأعيننا فهي غيب، والملائكة لا نراهم بأعيننا فهم غيب، والجن لا نراهم بأعيننا فهم غيب .. فكل ما لا نراه بأعيننا فهو غيب.

والشهادة كل ما تراه العين، فالأرض والنباتات والحيوانات والأفلاك والشمس والقمر والنجوم .. كل ما تراه العين نسميه عالم الشهادة، وكل ما لا تراه العين نسميه عالم الغيب،

٤٦٥ جامع الترمذي عن أبي هريرة ﷺ

٤٦٦ مسند أحمد وابن حبان عن عبد الله بن مسعود ﷺ

فهو سبحانه وتعالى عالم الغيب وعالم الشهادة لأنه هو الخالق لكلا العالمين.

ونستطيع أن نقول عالم الشهادة عالم الدنيا، وعالم الغيب عالم الآخرة، لأن الآخرة كلها غيب، والدنيا كلها مشهودة، أو عالم الغيب عالم الباطن الذي لا يطلع عليه الإنسان، وعالم الشهادة عالم الظاهر الذي يراه الإنسان.

الرحمن الرحيم

﴿هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ وصف نفسه باسم الرحمن وباسم الرحيم، ومن علو شأن هذين الاسمين أن الله ذكرهما في (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) وقال ﷺ في شأنها:

{ كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَا يُبْدَأُ فِيهِ بِبِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ فَهُوَ أَقْطَعُ } ٤٦٧

يعني مقطوع البركة، لذلك لا بد للإنسان قبل أن يلمس أي شيء يبدأ بيسم الله الرحمن الرحيم حتى يكون مباركاً، والرحمن الذي رحمته تعم الكل، تعم أهل الدنيا وأهل الآخرة، تعم الجن والإنس والملائكة وكل عوالم الله، والرحيم رحمته خاصة بنا جماعة المؤمنين ببركة سيد الأولين والآخرين ﷺ.

الملك

﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ﴾ الذي يدوم ملكه، لا يدوم الملك لأحد سواه، فأني إنسان ملك فإن ملكه إلى انقطاع وإلى زوال، ولا يوجد ملك لا يبلى، وملك لا ينقطع إلا ملك الحي القيوم الذي لا يزول، ولا ينقطع ولا تأخذه سنة ولا نوم.

القدوس

﴿الْقُدُّوسُ﴾ المنزه عن جميع الصفات التي لا تليق بحضرتة، فلا ينبغي أن نصفه بأوصاف المخلوقين، أو نصفه بأوصاف لا تليق برب العالمين، ولذلك بعض الذين أخطأوا - وهم إخوة لنا في الدين - وشبهوا أوصاف الله ﷻ بأوصاف العبيد، يعني يقولون أن الله ﷻ له سمع كسمعنا، وبصر كبصرنا، وهذا لا يليق أبداً بحضرة الألوهية.

وبعضهم تجراً على الله ﷻ وقال وهو على المنبر: يقول ﷺ في الحديث القدسي: (إن الله يتنزل في الثلث الأخير من الليل إلى السماء الدنيا) وقال هداة الله وغفر له الله: كنزولي هذا، ونزل من على درجة المنبر العليا إلى الدرجة الدنيا!!.

هل هذا يليق بجلال الله وكمال الله سبحانه وتعالى؟! هذه خطيئة لا ينبغي أن تقع فيها أجمعين، لأن الله قال في صريح القرآن: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (١١ الشورى).

فهو قدوس يعني منزّه عن كل ما لا يليق، ولذلك كان السادة الصالحون يقولون: (كل ما خطر ببالك فهو هالك، والله تعالى بخلاف ذلك) نزه الله تعالى عن الوسواس التي تجول في صدرك، أو الخواطر التي تتتابك في نفسك، أو الهواجس التي تأتي إليك، لأن الله ﷻ قدوس، يعني منزّه عن جميع الأوصاف التي لا تليق بذاته الإلهية سبحانه وتعالى.

السلام

﴿السَّلَامُ﴾ لأن الله ﷻ يسلم المؤمنين الذين أسلموا الوجه لخصرته، وعملوا بشريعته، واتبعوا خير الأنبياء، يسلمهم من فتن الدنيا وأهوائها وشهواتها وحظوظها وغواياتها، ويسلمهم من عذاب القبر، ويسلمهم من أهوال يوم القيامة، ويسلمهم من نار جهنم، ويجعلهم من أهل الأمان الأعظم، والدخول في رضوان الله وكرم الله وجنة الله سبحانه وتعالى: ﴿أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ (١٨٢ الأنعام).

المؤمن

﴿الْمُؤْمِنُ﴾ لأنه سبحانه وتعالى يُصدّق عباده المؤمنين في شهادتهم على بعضهم، فقد قال ﷺ:

{ مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَمُوتُ فَيُصَلِّي عَلَيْهِ ثَلَاثَةٌ صُفُوفٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ }^{٤٦٨}، وفي حديث آخر:

٤٦٨ معجم الصحابة لابن قانع وابن ماجه وأحمد عن مالك بن هبيرة ﷺ

{ مَا مِنْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ يَمُوتُ ، فَيَقُومُ عَلَى جَنَازَتِهِ أَرْبَعُونَ رَجُلًا لَا يُشْرِكُونَ بِاللَّهِ شَيْئًا ، إِلَّا شَفَعَهُمُ اللَّهُ فِيهِ } ٤٦٩ ، وقال ﷺ:

{ أَيُّمَا مُسْلِمٍ شَهِدَ لَهُ أَرْبَعَةٌ يَحْيِرُ أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ ، فَقُلْنَا : وَثَلَاثَةٌ ، قَالَ : وَثَلَاثَةٌ ، فَقُلْنَا : وَاثْنَانِ ، قَالَ : وَاثْنَانِ ، ثُمَّ لَمْ نَسْأَلْهُ عَنِ الْوَاحِدِ } ٤٧٠

والشهادة لا بد أن تكون مطابقة للواقع، لذلك بين في حديثه الآخر صلوات ربي وتسليماته عليه أن الله يعرض عليهم ملف أعمال هذا الرجل الذي شهدوا له، ولذلك نحن مطالبون عند موت أحد أن نشهد، قال ﷺ:

{ إِذَا رَأَيْتُمْ الرَّجُلَ يَعْتَادُ الْمَسْجِدَ ، فَاشْهَدُوا لَهُ بِالْإِيمَانِ } ٤٧١

فإذا شهدنا له بالإيمان يعرض الله ملفه فنرى فيه شيء لم نكن نعرفه في الدنيا، فنقول كما قال الله: ﴿ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ ﴾ (٨١ يوسف) قال ﷺ:

{ إِذَا مَاتَ الْعَبْدُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مِنْهُ شَرًّا ، وَيَقُولُ النَّاسُ : خَيْرًا ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِلْمَلَائِكَةِ : قَدْ قَبِلْتُ شَهَادَاتِ عِبَادِي ، عَلَى عِبْدِي ، وَغَفَرْتُ عِلْمِي فِيهِ } ٤٧٢

المهيمن

﴿ الْمَهَيِّمِينَ ﴾ الذي يسيطر على جميع الحقائق الظاهرة والباطنة لكل الكائنات ولكل المخلوقات، فكل شيء بيده، وكل شيء لا يتحرك إلا بإذنه، ولا يسكن إلا بإذنه، لأنه سبحانه تعالى بقدرته هيمن على قوى الجميع، وعلى مصائر الجميع سبحانه وتعالى.

العزیز

﴿ الْعَزِيزُ ﴾ الذي لا يستطيع أحد النيل منه أو انتقاصه أو اهانتة لعلو شأنه وعزة جلاله وكبرياء سلطانه.

٤٦٩ صحيح مسلم وأبي داود عن ابن عباس رضي الله عنهما

٤٧٠ صحيح البخاري ومسنند أحمد عن عمر بن الخطاب ﷺ

٤٧١ سنن ابن ماجة والدارمي عن أبي سعيد الخدري ﷺ

٤٧٢ مسند أبي حنيفة والبخاري عن عامر بن ربيعة ﷺ

الجبار

﴿الْجَبَّارُ﴾ الذي يجبر كسر عباده المؤمنين إذا وقفوا بين يديه أذلة داعين طالبين، فلا يردهم خائبين، بل يجبر كسرهم، ويجيب دعاءهم، ويحقق رجاءهم.

وجبار على الكافرين إذا طغوا وبغوا، وزادوا في الاعتداء على عباد الله المؤمنين، لتوحيدهم وتفريدهم الله بالقصد دون سواه، فإن الله ﷻ عنده من القوة الإلهية ما يستطيع إهلاكهم وإبادتهم في لمح البصر أو هو أقرب.

وهذا ما سنراه إن شاء الله في الأيام الآتية، من قوة الله، وجبروت الله سبحانه وتعالى، فإن الذين طغوا وبغوا في العالم بما أهمهم الله من علوم صنعوا بها المقذوفات، وصنعوا بها التكنولوجيا التي ظنوا أنهم بها ملكوا العالم، وهم أضعف من أي كائن من الكائنات أمام التكنولوجيا الإلهية التي تبدوا لهم بوارقها ولكنهم لا يتعظون.

ما الذي سيفعلوه مع البراكين والزلازل لو ظهرت بقدرته من يقول للشيء كن فيكون؟! ما الذي سيفعلوه لو سلط الله عليهم الرياح العاصفة؟! ما الذي يقيهم؟! وما الذي يحميهم؟! وما الذي يمنع عنهم هذه الرياح العاصفة القاصمة?!.

ما الذي يحميهم إذا تعرضوا لسلاح الرعب الإلهي الذي سلح الله به وتعهد بتسليحه للنبي وللمؤمنين؟! ماذا يصنعون إذا أذاب الله الثلوج وحوّلها إلى مياه في المحيط المتجمد الشمالي والجنوبي، وفاضت فياضانات على بلادهم؟! من الذي يمنعها؟! ومن الذي يدفعها؟! قوى كثيرة لا عد لها، ولا حد لها.

وضرب الله لنا الأمثال في القرآن بإجرائها مع أنبياء الله ورسله السابقين المتجبرين من الملوك وأمهم، وأجراها مع النبي كذلك مع الرومان عند طغيانهم.

فالجبار سلاح الله سبحانه وتعالى للمؤمنين بجبر قلوبهم، بالدعاء والإغاثة وسرعة الإجابة، وعلى الكافرين بتدميرهم، وإحباط تدبيرهم إذا هموا بإهلاك المؤمنين، أو التعدي على حدود الله، ولذلك كانوا يقولون: (احرص على من لا نصير له إلا الله) هذا الذي تخاف منه، لكن الذي له من ينصره فهذا يوكل إلى نفسه، لكن من لا نصير له إلا الله فإن الله ﷻ بقوته يُذل كل من عاداه، لأنه جبار سبحانه وتعالى.

المنكر

﴿الْمُتَكَبِّرِ﴾ لأنه سبحانه وتعالى كبير في كبريائه، وكل ما سواه يحتاج إلى فضله وجوده وعطاياه، وهو وحده الغني عن كل من سواه، ولذلك: ﴿وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (١٣٧ الحانية) لا يحتاج إلى شيء من مخلوقاته، وإنما الكل رهن إشارته ورهن قوته وحركاته وسكناته.

﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ يعني تنزيها لله عما يشركون.

المخالق

﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ﴾ والله سبحانه وتعالى في خلقه لا يدانيه ولا يساويه شيء من خلقه، فقد يقول بعض الناس كما قال أهل الغرب في عصرنا هذا أننا نصنع ونخلق، لكنهم لا يصنعون بغير مثال سابق، ولا يصنعون من لا شيء، وإنما يصنعون على أمثلة أوجدها الله، يصنعون الطائرات على صورة الطير، والغواصات على صورة السمك، وكلها على أمثلة موجودة في الكون، ويصنعون بأدوات وعناصر ومعدات أوجدها الله تبارك وتعالى، لكن من الذي يستطيع أن يصنع من لا شيء؟! لا يوجد غير الله سبحانه وتعالى: ﴿هَلْ آتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ (١١ الإنسان).

وإذا صنعوا لا يصنعون إلا المادة بعد أن يجمعوا لها المواد التي يقيمونها بها، لكن هل يستطيعون إيجاد روح لأي شيء يصنعونه ولو صغير؟! هل يصنعون بعوضة!!؟

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيَىٰ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ (٢٦ البقرة)

وعندما نزلت الآية لم يظهر سرها إلا في عصرنا الحديث، فقد كشفت الأجهزة العلمية أن البعوضة تحمل فوقها حقائق وأشياء أوجدها ملك الملوك سبحانه وتعالى لا غنى لها عنها، ولم تظهر إلا في عصرنا هذا!.

لكن هل يستطيع علماء العالم أجمع أن يصنعوا ذبابة أو بعوضة؟! ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ﴾ (١٧٣ الحج) كيف؟

أوضح العلماء في عصرنا أن الشيء الذي يأخذه الذباب لا نستطيع إرجاعه، لماذا؟

أغلب الحشرات يهضم الغذاء في بطنه، إلا الذباب فإنه يهضم ما يأكله خارجه، فيُفرز عليه العصارة الهاضمة قبل أن يأكله، فحتى لو أخذناه منه فلن نجده كما كان لأنه أصبح مهضوماً!! ﴿ ضَعْفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ ﴾ (الحج: ١٧٣).

الباري

﴿ **الْبَارِيُّ** ﴾ الخالق المبدع على غير مثال سبق كما وضحنا، لأن الله جعل لكل إنسان - مع كثرة البشرية من آدم ليوم الدين - على غير مثال سابق، لا يمكن لبشر أن يشبه بشراً ولو كان توأم، لا في الشكل، ولا في فصيلة الدم، ولا في الصوت ونبراته، ولا في بصمة الأصابع، أو بصمة العين، أو بصمة الأسنان، ولا في رائحة العرق .. كل إنسان مثال فريد أوجده الحميد المجيد، فالمصنع واحد، والأب واحد، والأم واحدة، لكن كل واحد يخرج كمثال خاص يدل على الاختصاص للباريء سبحانه وتعالى في هذا الأمر.

هل يوجد مصنع به خط إنتاج خاص لكل منتج يُنتجه؟! لا، يعني مثلاً هل يوجد مصنع سيارات يخرج كل سيارة كموديل؟! لا، لكنه يُخرج كل سنة موديل.

لكن الله جعل لكل منتج خصوصية من عند رب البرية سبحانه وتعالى من قبل القبل إلى نهاية النهايات، وهذا في كل الكائنات، وكل المخلوقات، وليس الإنسان فقط، ولذلك سُمِّي نفسه (الباريء) الذي يبدع الأشياء على غير مثال سبق، ولا يشبه واحد واحداً آخر، ولا شيء شيئاً آخر، لأن الله من بديع قدرته يخلق كل على غير مثال سابق.

المصور

﴿ **الْمُصَوِّرُ** ﴾ لأنه هو الذي أعطى لنا صورنا التي نحن فيها الآن: ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَآ إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (آل عمران) من الذي يستطيع أن يتحكم في صور أولاده أو غيرهم؟! لا يوجد إلا المصور سبحانه وتعالى، فهو وحده الذي بيده مقاليد الأمور، وهو الذي يصور كيف يشاء.

﴿ **لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ** ﴾ كل أسماء الله عز جل لها حسن تام، فلا يوجد اسم حسن واسم أحسن، لكن كل أسماء الله تعالى لها الحسن التام.

تسيح الكائنات

﴿يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ولكن لا تفقهون تسيحهم: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ (٤٤ الإسراء) كل شيء في الوجود يسبح خالق الوجود سبحانه وتعالى، وسيدنا رسول الله ﷺ ضرب مثلاً عملياً لصحبه المباركين وهو جالس معهم، فعن أبي ذر ﷺ قال:

{ إني لشاهدٌ عند رسولِ الله ﷺ في حلقةٍ وفي يده حصياتٌ فسبّحن في يده، وفينا أبو بكرٍ وعمرُ وعثمانُ وعليٌّ، يسمعُ تسبيحَهُمْ مَنْ في الحلقة، ثم دفعهنَّ رسولُ الله ﷺ إلى أبي بكرٍ، فسبّحن مع أبي بكرٍ يسمعُ تسبيحَهُنَّ مَنْ في الحلقة، ثم دفعهنَّ رسولُ الله ﷺ إلى عمرَ، فسبّحن في يده يسمعُ تسبيحَهُنَّ مَنْ في الحلقة، ثم دفعهنَّ إلى عثمانَ فسبّحن في يده، ثم دفعهنَّ إلينا فلم يُسبّحن مع أحدٍ مِنَّا } ٤٧٣

أعلمهم أن هؤلاء لهم وجهة وجاه عند الله، ولذلك وصلوا إلى مقام: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ (٤٤ الإسراء) لكن هؤلاء يفقهون تسيح الكائنات، وتسيح الجمادات، وتسيح كل شيء لله سبحانه وتعالى.

﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ والعزيز الذي لا يستطيع أحد ضره فيضره، أو يناله بشيء، وهو الحكيم في كل تصرفاته، فهيناً لمن يتفكر في خلق الله، وينظر إلى حكمة الله في نفسه، وفي كون الله، ويضع أمام عينيه قول مولاه: ﴿سُرِّيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَّبِعِنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ (٥٣ فصلت).

نسأل الله ﷻ أن يفقهنا في ديننا، وأن يلهمنا رشدنا، وأن يجعل القرآن الكريم ربيع قلوبنا، وجلاء حزننا، وذهاب همنا وغمنا

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

المراجع

١. أسرار القرآن - السيد محمد ماضى أبو العزائم، دار الكتاب الصوفي: ج: ١: ٧.
٢. الفواتح الإلهية والمفاتيح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية، الشيخ نعمة الله بن محمود النخجواني، دار ركابي للنشر الغورية القاهرة.
٣. البحر المديد في تفسير القرآن المجيد لابن عجيبة، تحقيق أحمد عبدالله القرشي، طبع على نفقة د. حسن عباس زكي.
٤. التفسير الوسيط للقرآن الكريم، د. محمد سيد طنطاوى، دار المعارف.
٥. تفسير روح البيان، اسماعيل حقى البروسوى، دار الفكر.
٦. تفسير الشعرواى، أخبار اليوم.
٧. مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفى، الهيئة العامة لقصور الثقافة.
٨. التفسير الصوفي للقرآن، محى الدين الطعمى، دار الروضة.
٩. عرائس البيان في حقائق القرآن، روزبهان البقلى، دار الكتب العلمية، بيروت.
١٠. في رحاب التفسير، عبد الحميد كشك، المكتب المصري الحديث.
١١. مختصر تفسير ابن كثير، محمد على الصابوني، دار القلم.
١٢. حاشية الصاوى على تفسير الجلالين، تحقيق عبدالله المنشاوى، دار الحديث، القاهرة.
١٣. تفسير الجلالين المحلى والسيوطي، دار التراث العربي.
١٤. تفسير الجليلاني، الشيخ عبدالقادر الجليلاني، مركز الجليلاني للبحوث العلمية، اسطنبول.
١٥. تفسير القرآن الكريم، د. عبدالله شحاته، دار غريب القاهرة.
١٦. تيسير الكريم الحنان في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن بن ناصر السعدى، المكتبة الإسلامية بالقاهرة.
١٧. غرائب القرآن ورجائب الفرقان، النيسابورى، دار الصفوة.
١٨. غرائب القرآن ورجائب الفرقان، تحقيق ومراجعة إبراهيم عطوة عوض، الحلبي، القاهرة.
١٩. مختصر تفسير الشعراوى، منى الهاشمى، دار المعارف.
٢٠. تنوير الأذهان من تفسير روح البيان، اسماعيل حقى، اختصار محمد على الصابوني، دار القلم.
٢١. صفوة التفاسير، محمد على الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت.
٢٢. لطائف الإشارات، الإمام القشيري، تحقيق د. إبراهيم بسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
٢٣. بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروزبادى، المجلس الأعلى للشئون الإسلامى.
٢٤. معجم ألفاظ القرآن الكريم، مجمع اللغة العربية.
٢٥. المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، كتاب الجمهورية.
٢٦. أسباب النزول، الواحدى النيسابورى، دار نهر النيل، القاهرة.
٢٧. كلمات القرآن تفسير وبيان، حسنين محمد مخلوف، دار المعارف.
٢٨. جامع البيان في متشابه القرآن، د. أبوسريع محمد أبوسريع، دار الطباعة المحمدية.
٢٩. موسوعة الحديث الشريف الإلكترونية.



نبذة عن المؤلف: فضيلة الشيخ فوزي محمد أبو زيد

نبذة: ولد فضيلته في ١٨ أكتوبر ١٩٤٨م، الموافق ١٥ من ذى الحجة ١٣٦٧هـ بالجميزة، مركز السنطة، غربية، ج م ع، وحصل على ليسانس كلية دار العلوم من جامعة القاهرة ١٩٧٠م، ثم عمل بالتربية والتعليم حتى وصل إلى منصب مدير عام بمديرية طنطا التعليمية، وتقاعد سنة ٢٠٠٩م.

النشاط: يعمل رئيساً للجمعية العامة للدعوة إلى الله بمصر، والمشهرة برقم ٢٢٤ ومقرها الرئيسي ١١٤ شارع ١٠٥ المعادى بالقاهرة، ولها فروع في جميع أنحاء الجمهورية، كما يتجول بمصر والدول العربية والإسلامية لنشر الدعوة الإسلامية، وإحياء المثل والأخلاق الإيمانية؛ بالحكمة والموعظة الحسنة. هذا بالإضافة إلى الكتابات الهادفة لإعادة مجد الإسلام، من التسجيلات الصوتية الكثيرة والوسائط المتعددة للمحاضرات والدروس واللقاءات على الشرائط والأقراص المدججة، وأيضاً من خلال موقعه على الشبكة www.Fawzyabuzeid.com وهو أحد أكبر المواقع الإسلامية في بابه وجارى إضافة تراث الشيخ العلمي الكامل على مدى خمسة وثلاثين عام مضت، وقد تم افتتاح واجهة للموقع باللغة الإنجليزية.

دعوته: ١- يدعو إلى نبد التعصب والخلافات، والعمل على جمع الصف الإسلامي، وإحياء روح الإخوة الإسلامية، والتخلص من الأحقاد والأحساد والأثرة والأنانية وغيرها من أمراض النفس، ٢- يحرص على تربية أحيابه بالتربية الروحية الصافية بعد تهذيب نفوسهم وتصفية قلوبهم، ٣- يعمل على تنقية التصوف مما شابه من مظاهر بعيدة عن روح الدين، وإحياء التصوف السلوكي المبني على القرآن والسنة وعمل الصحابة الكرام.

هدفه: إعادة المجد الإسلامي ببعث الروح الإيمانية، ونشر الأخلاق الإسلامية، وترسيخ المبادئ القرآنية.

المساهمات الدعوية للشيخ بالإذاعة والتلفزيون: كان لفضيلته مساهمات أكثر من أن تحصى بالإذاعات كلها وبقنوات التلفزيون المصري المتعددة مع العلم بأن الشيخ يرفض البرامج الخاصة أو برامج التوك شو التي تهدف للبلبلة والإثارة وتأليب الرأي واستغلال الحوادث أو تأجيج الفتن، وهو يرحب ببرامج وبقنوات التلفزيون المصري والتي هي تعمل جادة على نشر الدعوة الوسطية والعصرية وتهدف إلى رأب الصدع وجمع الشمل وتوصيل الدعوة الهادفة بالأسلوب الجذاب والراقي.

و نذكر من تلك المساهمات على سبيل المثال لا الحصر :

أولا : خطبة وصلاة الجمعة : بعض الخطب على الهواء مباشرة منها :

* جمع من مسجد النور بجذائق المعادى بالقاهرة. الشيخ يخطب الجمعة الأولى من كل شهر بمسجد النور منذ أكثر من عشرين عاماً. * جمعة من مسجد الزاوية الحمراء بالقاهرة. * جمعة من المسجد الكبير بمدينة بورفؤاد ببورسعيد.

ثانيا : البرنامج العام: * دعاء الصباح. * المجلة الدينية.

ثالثا : إذاعة القرآن الكريم: أمسيات دينية كثيرة متعددة. خطبة وصلاة الجمعة على الهواء من مساجد متعددة. خطبة وصلاة الجمعة بمسجد التليفزيون المصرى عدة مرات.

رابعا : إذاعة وسط الدلتا: * حديث الصباح. * الأمسية الدينية.

خامسا : إذاعة الشباب و الرياضة: * برنامج: عصافير الجنة.

سادسا : القناة الأولى بالتليفزيون: * برنامج من بيوت الله.

* برنامج في زمرة النبي ﷺ.

سابعا : القناة السادسة: حلقات من برنامج السيرة العطرة. وبرنامج آيات محكمات.

ثامنا : القناة الثامنة: * حلقات من برنامج : لقاءات إيمانية .

تاسعا : القناة الثقافية: * برنامج فتاوى على الهواء.

عاشرا : إذاعة القاهرة الكبرى: * أمسيات دينية متعددة.

حادى عشر: القناة التعليمية : * حلقات برنامج أولياء الله الصالحون .

ثاني عشر: قناة القاهرة بالتليفزيون: حلقات من برنامج فقه المرأة وبرنامج جدد حياتك

ولا يزالا مستمران إلى تاريخه.

المساهمات الإعلامية والدعوية بكليات ومعاهد الجامعات و مراكز الشباب و

الأندية الثقافية والجمعيات الدينية و الثقافية و العلمية :

أحبي الشيخ العديد من المناسبات الدينية والإحتفالات بالكثير من الجامعات بالوجه البحرى والصعيد، وكذا النوادى الرياضية والجمعيات والمستشفيات، والمراكز الثقافية والرياضية بالوجهين البحرى والقبلى، كما شارك وأحى العديد من المناسبات بدعوات من عديد من المؤسسات الإجتماعية بالقاهرة ومختلف المحافظات، و دعى إلى عدد من إحتفالات الصلح بالصعيد على مدار سنوات كثيرة.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

قائمة مؤلفات الشيخ المطبوعة حتى تاريخه ٢٤ مايو ٢٠١٨ م

عدد خمس عشرة سلسلة تحتوى على ١٠٨ كتاب			
م	الكتاب (ط: طبعات، ت: ترجمة)	م	الكتاب (ط: طبعات، ت: ترجمة)
السلسلة الأولى : فى تفسير القرآن الكريم : ١٠			
١	نفحات من نور القرآن ١	٤	١٠
٣	أسرار العبد الصالح وموسى	٤٨	١٤
١	أسرار خلة إبراهيم عليه السلام	٩٣	٩١
١	تفسير آيات المقربين: ج ٢	١٠٢	٩٦
1	تفسير آيات المقربين : ج ٣	١٠٥	١٠٣
			١٠٨
السلسلة الثانية : الفقهاء : ٩			
٣	زاد الحاج والمعتمر	٢	٥
١	كيف تكون داعياً على بصيرة	٥٢	٥٤
١	الصيام شريعة وحقيقة	٧١	٧٢
١	صيام الأتقياء	٩٥	١٠٠
١	سنن الهدى	١٠٤	
السلسلة الثالثة : الحقيقة المحمدية: ١١			
٤	حديث الحقائق عن قدر سيد الخلائق	٧	١٣
٢	الكلمات المحمدية	٢٢	٢٣
٢	واجب المسلمين المعاصرين نحوه ﷺ	٣٣	٣٥
١	السراج المنير	٦١	٧٠
١	الجمال المحمدى ظاهره وباطنه	٨٥	٨٧
١	شرف شهر شعبان	٩٠	
السلسلة ٤ : من أعلام الصوفية: ٧			
٢	الإمام أبو العزائم المجدد الصوفى	١	٣
١	المربى الربانى السيد أحمد البدوى	٤١	٤٥
١	الشيخ الكامل السيد أبو الحسن الشاذلى	٥٩	٩٧
١	الشيخ عبد الرحيم الفتانى ومدرسته	١٠٧	
السلسلة الخامسة : الدين والحياة: ٧			
٢	إصلاح الأفراد والمجتمعات فى الإسلام	٢٦	٣٤
٢	كونوا قرآناً يمشى بين الناس	٣٩	٥٠
١	بنو إسرائيل ووعده الآخرة	٦٧	٧٥
١	فقه الجواب أسئلة الموقع	٩٢	
السلسلة ٦: الخطب الإلهامية للمناسبات : ٧			
١	خطب المولد النبوى	١٦	١٧
١	خطب شهر شعبان و ليلة الغفران	١٨	١٩
١	الحج و عيد الأضحى	٢٠	٢١
٢	الخطب الإلهامية: مجلد مناسبات دينية:	٥٥	
السلسلة السابعة: الخطب الإلهامية العصرية: ١			
١	الاشقية النبوية للعصر	٧٨	

١	تربية القرآن لجبل الإيمان	٩	السلسلة الثامنة: المرأة المسلمة: ٥
٢	فتاوى جامعة للنساء	٤٤	٤٣ المؤنات الفانتات
١	المرأة المسلمة بين الإباحة والنهي	١٠٦	٧٤ الحب والجنس في الإسلام.

٢	طريق الصديقين إلى رضوان رب العالمين	٦	السلسلة التاسعة: الطريق إلى الله: ١٢
٢	المجاهدة للصفاء و المشاهدة	٢٨	٢٥ طريق المحبوبين وأنواقهم
١	رسالة الصالحين	٣١	٣٠ علامات التوفيق لأهل التحقيق
١	تحفة المحبين في عاشوراء للفاوقجي تحقيق	٥٧	٣٢ مراقى الصالحين
١	أحسن القول	٦٤	٦٠ نوافل المقربين
١	مجالس تزكية النفوس ج ١	٨٨	٧٩ دعوة الشباب العصرية للإسلام
			٨٩ مجالس تزكية النفوس ٢

٦	مفتاح الفرج	٨	السلسلة العاشرة: الأذكار والأوراد: ٧
٥	مختصر مفاتيح الفرج	٣٧	١٥ أذكار الأبرار
٢	أوراد الأختيار تخريج وشرح	٤٠	٣٨ أذكار الأبرار صغير
٢	جامع الأذكار والأوراد	٧٣	٥٦ نيل التهانى بالورد القرآنى

١	الصوفية و الحياة المعاصرة	١٠	السلسلة ١١: دراسات صوفية معاصرة: ١٦
١	أبواب القرب و منازل التقريب	١٢	١١ الصفاء والأصفياء
١	المنهج الصوفى و الحياة العصرية	٣٦	٢٩ الصوفية فى القرآن و السنة
١	موازين الصادقين	٤٩	٤٢ الولاية والأولياء
١	النفس و صفها و تزكيتها	٥٣	٥١ الفتح العرفانى
١	منهاج الواصلين	٦٣	٥٨ سياحة العارفين
١	العطايا الصمدانية للأصفياء	٦٨	٦٥ نسمات القرب
١	مقامات المقربين	٨٣	٧٧ شراب أهل الوصل
			٩٨ آداب المحبين لله

١	فتاوى جامعة للشباب	٢٤	السلسلة الثانية عشر: الفتاوى: ٦
١	فتاوى فورىة ج ٢	٨٠	٧٦ فتاوى فورىة ج ١
١	فتاوى فورىة ج ٤	٨٦	٨٤ فتاوى فورىة ج ٣
			١٠١ يسألونك

٢	نور الجواب على أسئلة الشباب	٢٧	السلسلة الثالثة عشر: أسئلة صوفية: ٣
١	إشارات العارفين	٩٩	٦٩ الأجوبة الربانية للأسئلة الصوفية

١	سؤالات غير المسلمين	٨١	السلسلة الرابعة عشر: حوارات مع الآخر: ٣
١	أسئلة حرة عن الإسلام و المسلمين	٩٤	٨٢ حوارات الإنسان المعاصر

٢	علاج الرزاق لعل الأرزاق	٤٦	السلسلة الخامسة عشر: شفاء الصدور: ٤
١	بشريات المؤمن فى الآخرة	٦٢	٤٧ بشائر المؤمن عند الموت
			٦٦ بشائر الفضل الإلهي

أين تجد مؤلفات فضيلة الشيخ فوزى محمد أبو زيد

القاهرة	رقم الهاتف	إسم المكتبة
١١٦ شارع جوهر القائد الأزهر	٢٥٩١٢٥٢٤	مكتبة المجلد العربي
سوق أم الغلام ميدان الحسين	٢٥٩٠١٥١٨	مكتبة الجندى
٥٢ شارع الشيخ ربحان، عابدين	٢٧٩٥٨٢١٥	دار المقطم
١٧ الشيخ صالح الجعفرى الدراسة	٢٥٨٩٨٠٢٩	مكتبة جوامع الكلم
١ عمارة الأوقاف بالحسين	٢٥٩٠٤١٧٥	مكتبة التوفيقية
٢ زقاق السويلم خلف مسجد الحسين	٠١٢٢٧٤٧٥٩٣١	بازار أنوار الحسين
١١ ميدان حسن العدوى بالحسين	٢٥٩١٥٢٢٤	مكتبة العزيزية
١٣٠ شارع جوهر القائد بالدراسة	٢٥٩٠٠٧٨٦	الفنون الجميلة
٢٢ شارع المشهد الحسينى بالحسين	٢٥٩٠٢٥٤١	مكتبة الحسينية
١ شارع محمد عبه خلف الأزهر	٢٥١٠٨١٠٩	مكتبة القلعة
٩ ميدان السيدة نفيسة .	٢٥١٠٤٤٤١	مكتبة نفيسة العلم
عمارة اللواء ٢ شارع شريف	٢٣٩٣٤١٢٧	المكتب المصري الحديث
٢٨ شارع البستان بباب اللوق	٢٣٩٦١٤٥٩	الأديب كامل كيلانى
١٠٩ شارع التحرير، ميدان الدقي	٣٣٣٥٠٠٣٣	مكتبة دار الإنسان
٦ ميدان طلعت حرب	٢٥٧٥٦٤٢١	مكتبة مدبولى
طيبة ٢٠٠٠، شارع النصر مدينة نصر	٢٤٠١٥٦٠٢	مدبولى مدينة نصر
٩ شارع عدلى جوار السنترال	٢٣٩١٠٩٩٤	النهضة المصرية
٦ ش د. حجازي، خلف نادي الترسانة	٣٣٤٤٩١٣٩	هلا للنشر والتوزيع
درب الأتراك، خلف الجامع الأزهر	٠١٠٠٥٠٤٢٧٩٧	المكتبة الأزهرية للتراث
١٢٨ شارع جوهر القائد الأزهر	٢٥٨٩٨٢٥٣	مكتبة أم القرى
٩ شارع الصناديق بالأزهر	٢٥٩٣٤٨٨٢	المكتبة الأدبية الحديثة
٢١ شارع د. أحمد أمين، مصر الجديدة	٢٦٤٤٤٦٩٩	مكتبة الروضة الشريفة
الإسكندرية		
محطة الرمل، أمام مطعم جاد	٠١٢٢٤٦٠٩٠٨٢	كشك سونا
محطة الرمل، صفيية زغول	٠١٠٠١٢٣٢٦٩٨	الكتاب الإسلامى الثقافى

كشك محمد سعيد موسى	٠١١١٤١١٤٣٠٠	٦٦ شارع النبي دانيال، محطة مصر
مكتبة الصياد	٠٣-٣٩٢٨٥٤٩	٤ ش النبي دانيال، محطة مصر
مكتبة سيويه	٠٣-٥٤٦٢٥٣٩	٢٣ المشير أحمد إسماعيل، سيدي جابر
الكشك الأبيض	٠١٢٨٨٣٤٣٥٥٥	محطة الرمل - أ/ أحمد الأبيض
الأقاليم		
كشك عبد الحافظ	محمد -----	الرزازيق- بجوار مدرسة عبد العزيز على
مكتبة عبادة	٠٥٥-٢٣٢٦٠٢٠	الرزازيق - شارع نور الدين
مكتبة تاج	٠٤٠-٣٣٣٤٦٥١	طنطا- أمام مسجد السيد البدوي
مكتبة قربة	٠٤٠-٣٣٢٣٤٩٥	طنطا- ٩ش سعيد والمعتمد أمام كلية التجارة
كشك التحرير	٠١٠٠٨٩٣٥١٨٢	كفر الشيخ - شارع السودان أمام السنترال، أ/ سامي أحمد عبد السلام
مكتبة صحافة الجامعة	٠١٠٠٢٢٨٥٢٥٣	المنصورة - شارع جيهان بجوار مستشفى الطوارئ أ/ عماد سليمان
مكتبة الرحمة المهداة	٠١٠٠١٤٢١٤٦٩	المنصورة، عزبة عقل، ش الهادي، أ/ عاطف وفدي
مكتبة صحافة الثانوية	٠١٠٠٥٧٣١٥٥٠	المنصورة- شارع الثانوية بجوار مدرسة ابن لقمان، الحاج كمال الدين أحمد
صحافة أخبار اليوم الحاج محمد الأتربي	٠١٢٢٤٩١٧٧٤٤	طلخا - المنصورة- بجوار مدرسة صلاح سالم التجارية، أمام كوبري طلخا
مكتبة الإيمان	٠١٢٢٦٤٦٨٠٩٠	فايد- أحماده غزالي بربري
كشك الصحافة	٠١٢٢٧٩٦٠٤٠٩	السويس، ش الشهداء، ح حسن محمد خيرى
أولاد عبدالفتاح السمان	٠٩٣-٢٣٢٧٥٩٩	سوهاج- شارع احمد عرابي أمام التكوين المهني
كشك أبو الحسن	٠١٠٦٩٥١٨٦١٦	قنا- أمام مسجد سيدي عبد الرحيم القناوى
كشك القرايا- إسنا	٠١٠٠٨٦٩٨٦٦٤	القرايا- إسنا - ش السيدة زينب- الحاج محمد الرئيس والأستاذ محمد رمضان محمد النوي
كشك حسنى بإسنا	٠١١١١٤٩١٨٢٣	كشك حسنى محمد عبد العاطى المنسى أمام مستشفى الرمدا بإسنا - الأقصر

أيضاً بدور الأهرام والجمهورية والأخبار والمكتبات الكبرى بجميع أنحاء الجمهورية، ويمكن أيضاً قراءة الكتب وتنزيل النسخ المطبوعة مجاناً من موقع الشيخ www.fawzyabuzeid.com، أو على موقع www.askzad.com موقع الكتاب العربى. أو

الناشر: دار الإيمان والحياة، ١١ ش ١٠٥ حدائق المعادي بالقاهرة،

ت: ٠٢-٢٥٢٥٢١٤٠، ف: ٠٢-٢٥٢٦١٦١٨

٣	مقدمة		
٥	الآيات (٣٥- ٣٠) سورة فصلت		
٧	١. أهل الاستقامة والكرامة		
٢٣	مجالات الدعوة	٨	تنزل الملائكة
٢٤	صفات الدعاة الصادقين	١٤	حقيقة الاستقامة
٢٦	أدب الداعي الصادق	١٨	بشريات المؤمنين
٢٧	عقبات في طريق الدعوة	١٨	علو همة المؤمن
٢٩	أخلاق الداعي	٢١	الدعوة إلى الله
٣٤	الآيات (٣٥- ٣٠) سورة فصلت		
٤٦	٢. إكرامات أهل الاستقامة		
٤٣	بشريات الأولياء	٣٧	قالوا ربنا الله
٤٤	ما تشتهيبه الأنفس الصالحة	٣٧	أهل الاستقامة
٤٦	أوصاف أئمة الصالحين	٣٨	جماليات الأولياء
٥٠	الجهاد الأعظم	٣٩	تنزل الملائكة
٥٣	الآيات (٤٣- ٣٦) سورة الشورى		
٥٥	٣. أهل عندية الله		
٦٤	الاستجابة لله	٥٥	متاع الحياة الدنيا
٦٥	إقامة الصلاة	٥٧	حضرات القرب العلية
٦٥	الشورى	٥٨	أمل المؤمن في حضرة التقريب
٦٧	الإنفاق	٥٨	مقام العندية
٧٠	عزة الإيمان	٦٠	كباتر الإثم والفواحش
٧٢	الحصول على الحق	٦٢	غضب المؤمن
		٦٣	صفاء قلب المؤمن
٧٤	الآيات (٧٣- ٦٧) سورة الزخرف		
٧٦	٤. أخلاء الصفا والوفا		
٨٤	فضل الله علينا في الآخرة	٧٦	علاج مشاكل المجتمعات
٨٧	البشارة بالجنة	٧٦	الأخوة في الله
٨٨	حقيقة وصف الجنة	٧٩	العمل لله
٨٨	صفات أهل الجنة	٨١	كنوز البركة
		٨٢	بشريات المخلصين
٩٢	الآيات (٥٨- ٥١) سورة الدخان		
٩٣	٥. المقام الأمين		
١٠٣	غذاء أهل الجنة	٩٣	تقوى الله
		٩٧	وصف الجنة
١٠٩	الآيات (١٦- ١٣) سورة الأحقاف		

١١١	٦. مقام لا خوف عليهم ولا يحزنون	
١٢٠	حقوق العباد	١١١ القرآن مأدبة الله
١٢١	عقوق الوالدين	١١٣ صفات الأولياء
١٢٤	منهج القرآن في صلاح الآباء	١١٨ ميراث المؤمنين في الآخرة
١٣٠	باب التوبة والاستغفار	١٢٠ دار الخلود
١٣٣	الآيات (١٥-١٧) سورة محمد	
١٣٥	٧. مثل الجنة	
١٤٢	من إشارات العارفين	١٣٦ جنة الرفاهية
١٤٤	حلقات السماع للرسول ﷺ	١٣٧ تقريب وصف الجنة
١٤٧	المشهد الأكمل	١٤١ أهل النار
١٤٨	الآيات (١-٣) سورة الفتح	
١٤٩	٨. الفتح القريب	
١٥٤	فتح المغفرة	١٥٠ رؤيا النبي لعمرة
١٥٦	تمام النعمة	١٥١ سبب نزول سورة الفتح
١٥٧	نعمة الهداية	١٥٢ أسباب التسمية بالفتح
١٥٩	نصر الله	١٥٣ بركة الرضا بالأقدار
١٦٠	الآيات (١-٥) سورة الفتح	
١٦٢	٩. الفتح	
١٦٧	جند الله	١٦٥ السكينة
١٧١	الآيات (٢٨-٢٩) سورة الفتح	
١٧٣	١٠. المعية الحمديّة	
١٨١	أوصاف أهل المعية	١٧٣ بشائر الله للمسلمين
١٨١	١. التراحم فيما بينهم	١٧٥ أحداث النهاية
١٨٤	٢. المحافظة على الصلاة	١٧٨ معية الرسول
١٨٨	٣. السيميا	١٧٩ صلاة النبي على المؤمنين
١٩٠	الآية (٢٩) سورة الفتح	
١٩١	١١. المعية	
١٩٤	معرفة أهل الكتاب بالنبي	١٩١ صاحب الشفاعة
١٩٩	الآيات (١-٥) سورة الحجرات	
٢٠١	١٢. الأدب مع رسول الله	
٢٠٧	عقوبة ترك الأدب	٢٠١ فضل الأدب
٢٠٩	جزاء أهل الأدب	٢٠٣ أدب المتابعة
		٢٠٦ الأدب في مخاطبة النبي
٢١٢	الآيات (١٤-١٨) سورة الحجرات	
٢١٤	١٣. علامات صدق الإيمان	

٢٢٢	النهي عن المنكر	٢١٤	أصحاب المصالح
٢٢٤	هداية أهل الإيمان	٢١٦	علامة صدق الإيمان
٢٢٦	إخلاص العمل لله	٢١٧	موازين المؤمنين الصادقين
		٢١٧	الجهاد بالمال والنفس
٢٢٨	الآيات (٣١-٣٥) سورة ق		
٢٢٩	١٤. صفات الأوابين		
٢٣٤	٣. خشية الله	٢٣٠	أصناف أهل الجنة
٢٣٥	٤. القلب المنيب	٢٣١	من تشاق إليهم الجنة
٢٣٧	الخالدون في الجنة	٢٣٢	١. الأواب
٢٣٨	طلاب المزيد	٢٣٣	٢. الحفيظ
٢٣٩	الآيات (٣١-٣٢) سورة ق		
٢٤٠	١٥. الجنة العاجلة؛ معرفة الله عزوجل		
٢٤٣	معرفة الله	٢٤٠	الجنة المعنوية
		٢٤١	أوصاف أهل الجنة
٢٤٥	الآيات (١٥-٢١) سورة الذاريات		
٢٤٦	١٦. جنات وعيون		
٢٥٧	الاستغفار بالأسحار	٢٤٦	اختيار المؤمن لمنزله في الجنة
٢٥٨	الإففاق على الفقراء	٢٤٨	جنات وعيون
٢٦٠	آيات الأفاق وآيات الأنفس	٢٥٠	مقام الإحسان
٢٦١	عبادة التفكر	٢٥١	البركة واتقان العمل
٢٦٣	علم الآيات	٢٥٣	قيام الليل
		٢٥٤	تيسير النبي لأُمَّته
٢٦٥	الآيات (١٧-٢٤) سورة الطور		
٢٦٧	١٧. جنات ونعيم		
٢٧٥	زوجات الجنة	٢٦٧	وصف المتقين
٢٧٦	إكرام الله للصالحين في أهلبيهم	٢٦٨	جنات المتقين
٢٧٩	المعاملة بالفضل	٢٦٩	نعيم الطاعة
٢٨١	هدي الله في الطعام	٢٧٠	نعيم القرب
٢٨٣	الشراب الطهور	٢٧١	حفظ الحفيظ
٢٨٣	الغلمان المخلدون	٢٧٣	الحال الهني
		٢٧٤	نعيم الجنة
٢٨٥	الآيات (٤٦-٧٨) سورة الرحمن		
٢٨٨	١٨. جزاء الخوف من الله		
٢٩٢	جنان الخائفين	٢٨٨	خشية الله
٢٩٨	جنان أهل اليمين	٢٩٠	بشائر الخائفين من الله

٣٠٠	الآيات (٢٦-١) سورة الواقعة	
٣٠٢	١٩. السابقون المقربون	
٣١٢	قليل من الآخرين	٣٠٥
٣١٣	مراتب المقربين في الجنة	٣٠٨
٣١٦	الآيات (٤٠-٢٧) سورة الواقعة	
٣١٧	٢٠. أصحاب اليمين	
٣٢٠	إشارة إلى نعيم الجنة	٣١٧
		٣١٩
٣٢٨	الآيات (١٢-٧) سورة الحديد	
٣٣٠	٢١. أجر المنفقين	
٣٣٩	رحمة الله في الصدقات	٣٣٠
٣٤١	سبيل الله	٣٣١
٣٤٢	فضل السابقة	٣٣٢
٣٤٣	شروط القرض المضاعف الأجر	٣٣٤
٣٤٥	الأجر الكرم	٣٣٨
٣٤٧	الآيات (١٩-١٨) سورة الحديد	
٣٤٨	٢٢. الصديقون والشهداء	
٣٥٦	مقام الشهادة	٣٤٩
٣٥٧	لهم أجرهم ونورهم	٣٥٣
٣٥٩	النهي عن التطلع إلى الكافرين	٣٥٤
		٣٥٥
٣٦٠	الآية (٢١) سورة الحديد	
٣٦١	٢٣. السابقون إلى المغفرة والجنة	
٣٦٥	ثالثاً: أبواب المغفرة	٣٦٢
٣٦٧	الأعمال الموجبة للجنة	٣٦٢
٣٦٩	سعة الجنة	٣٦٢
٣٧١	دخول الجنة	٣٦٤
٣٧٤	الآية (٢٨) سورة الحديد	
٣٧٥	٢٤. فضل الله	
٣٨٠	عطاء الصادقين	٣٧٦
٣٨٠	١. رحمة الله	٣٧٦
٣٨٢	٢. نور الله	٣٧٧
٣٨٥	٣. مغفرة الله	٣٨٠
٣٨٧	الآيات (٢٢-٢٠) سورة المجادلة	
٣٨٩	٢٥. حزب الله المفلحون	

